شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٦ — تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين.

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومبياني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : نقشة فولكلورية فلسطينية

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، ابراهيم العابد .

٧ **تأملات في المرحلة الراهنة** ، الدكتور كلوفيس مقصود .

١٢ **مؤتمر عدم الانحياز والقضية الفلسطينية** ، الدكتور نبيل شعث .

٢١ **غرباء في وطنهم ، البيئة والاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل** ، صبري جريس .

٤٤ **الجامعة العربية المقترحة في الضفة الغربية** ، محمود فلاحة .

٥٠ **سياسة اميركا الخارجية والمواجهة العربية ــ الاسرائيلية** ، طالب يونس .

٦٠ **حول وسائل الاعلام الصهيوني وأساليبه** ، مروان كنعاني .

٩٢ **التجارة الخارجية في الاراضي المحتلة بعد حرب ١٩٦٧** ، الدكتور محمد فريد البستاني .

١٢٢ **الصهيونية في السينما** ، مصطفى درويش .

١٣٢ **نظرة على سباق التسلح في الشرق الاوسط** ، هشام عبدالله .

١٣٥ **تقرير عن الارهاب الصهيوني الامبريالي ودور الشرطة والاعلام الفرنسيين فيه** ، زياد عبد الفتاح .

١٤٤ **مراجعات** : مراثي سميح القاسم ، الياس خوري . عـــروبة فلسطين في التاريخ ، قسطنطين خمار . شعر فلسطيني ، سمير بوتاني . بن جوريون يتكلم ، محمد شعيرات . بيروبيجان : التجربة السوفياتية لانشاء وطن قومي يهودي ، جورج أبي شاهين .

١٦٢ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . مع ملحق عـــن الاردن ، س. ج. (٣) القضية الفلسطينية دوليا، صادق جلال العظم. (٤) المناطق المحتلة، عبد الحفيظ محارب . مع ملحق عن صحف الضفة الغـــربية ، عيسى الشعيبي . (٥) اسرائيليات ، عماد شقور وهاني عبدالله . (٦) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٩٧٣/٨/١٤ — ١٩٧٣/٩/١٣ ، غازي خورشيد .

شؤون فلسطينية

ابراهيم العابد

تجمعت خلال الاشهر القليلة الماضية عدة قضايا نشعر ان لا بد من عرضها على قراء « شؤون فلسطينية » تكريسا للتقليد الـذي سارت عليه منذ صدورها والذي يتمثل باطلاع القراء على منهـج تفكيرها واسلوب تحريرها .

اولى هذه القضايا مطالبة العديد من القراء بتخفيض عدد صفحات شؤون فلسطينية خاصة وان حجمها ازداد حين اصبحت تصدر كل شهر عما كانت عليه عندما كانت تصدر مرة كل شهرين ابان سنتها الاولى ، وان معدل الكلمات في الصفحة الواحدة يصل الى ٥٥٠ كلمة وهو أعلى بكثير من المعدل المتعارف عليه في الدوريات الاخرى . كنّا حتى الآن لا نلبي ، عن عمد ، رغبة القراء هذه بسبب شعورنا بان علينا ان نضع بين ايديهم أكبر كمية من المواد لسببين : الاول غزارة المواد المتوافرة لدينا والتي نحس باستمرار بضرورة نشرها وبأسرع وقت ممكن . والثاني كون شؤون فلسطينية دورية مرجعية لا تفقـد المواد التي تتضمنها قيمتها بمرور الزمن وانما بسبب ان هذه المواد دراسات معمقة لعديد من مظاهر القضية الفلسطينية وجوانبهـا تظل تخدم الباحثين والدارسين والقراء المطلعين في كل وقت يشاؤون الرجوع اليها . رغم ذلك ، فاننا نعد القراء بأننا سنبذل قصارى الجهد لتخفيض عدد الصفحات خاصة اذا أخذنا بالحسبان الارتفاع الكبير في أسعار الورق في الوقت الذي ظل فيه سعر شؤون فلسطينية على حاله والذي هو أقل بكثير من سعر مثيلاتها من الدوريات العربية خاصة التي تصدر في بيروت .

القضية الثانية التي نرغب في لفت الانظار اليها هي اننا أضفنا ،

منذ العدد الثاني والعشرين بابا جديدا في قسم الشهريات يتضمن استعراضا للقضايا الرئيسية التي تطرح في الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية بهدف استكشاف طبيعة اهتماماتها وردود فعلها تجاه الاحداث الهامة، ولتبين مدى تأثرها بالاحتلال وبالآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الناجمة عنه . والجدير بالذكر ان شؤون فلسطينية هي الدورية العربية الوحيدة التي تقدم مثل هذه المادة وبشكل مستمر .

القضية الثالثة تمثلت في ورود ردود او تعليقات على بعض ما ينشر في شؤون فلسطينية من مقالات او مراجعات كتب . اننا نعتبر هذا دليل علاقة حيوية بين القارىء وبيننا . ويهمنا ، في هذا الصدد ، ان نورد نقطتين : الاولى اننا حين ننشر مراجعة لكتاب فاننا لا نتبنى بالضرورة الملاحظات التي يوردها المراجع ان على الكتاب او الكاتب وان كنا نبذل جهدنا لتخفيف الانطباعات والملاحظات الشخصية ما أمكن . والثانية اننا نشجع بشكل خاص التعليقات والايضاحات والاضافات (وخاصة الشهادات الشخصية) على الموضوعات المتعلقة بتاريخ النضال الوطني الفلسطيني وبحرب ١٩٤٨ ذلك ان المصادر العربية عن هذين الموضوعين محدودة ومعظمها لا يزال غير مدوّن وغير مدقق . لذا سيلاحظ القراء في هذا العدد نداء لكل من يعرف شيئا عن الشهيد ابراهيم ابو دية ليزودنا به كمثال على هذا الاهتمام .

القضية الرابعة التي نود الاشارة اليها تتعلق بمواكبة شؤون فلسطينية للاحداث الراهنة . لقد افردنا قسما خاصا وهو قسم الشهريات (الذي بدأ بأربعة ابواب واصبح الآن عشرة) ليتولى كاتبوه مواكبة التطورات البارزة على صعيد القضية الفلسطينية بالتسجيل والتحليل . الى جانب الشهريات ، فاننا نسعى في كثير من الحالات الى تخصيص بعض الصفحات الاولى لمعالجة قضية او قضايا راهنة رئيسية . الا اننا نعتقد ان الشهريات تقدم الكثير في هذا الصدد .

ويهمنا ان نعبّر لقرائنا عن اعتزازنا بدعمهم لنا ، هذا الدعم الذي تمثل هذا الشهر بظاهرة ربما انفردت بها شؤون فلسطينية دون غيرها من الدوريات عربية كانت أم غير عربية ، الا وهي اننا دفعنا الى المطابع الاعداد الخمس والعشرين الماضية لاعادة طباعتها بالنظر لورود طلبات عديدة (بالآلاف) لها . وبذلك فان الاعداد السبعة الاولى تكون قد طبعت ثلاث مرات بالاضافة الى الطبعة الاولى . ونؤكد مرة اخرى حرصنا على مواصلة العمل لتحسين شؤون فلسطينية ورفع مستوى ابحاثها وتقاريرها لنحافظ على ثقة القارىء بنا .

تأملات في المرحلة الراهنة

الدكتور كلوفيس مقصود

[١]

ثمة أحداث وتطورات تبدو لاول وهلة وكأنها منفصلة ، وهـي في الواقع مترابطة ومتداخلة . ولعل الفكر الطليعي الثوري يكمن في القدرة على استيعاب هذه الاحداث واكتشاف اتصالها بعضها ببعض من أجل وضع حركة التحرر والثورة في أمتنا ، خاصة على الساحة الفلسطينية ، ضمن اطار واضح المعالم . ان هذه العملية أي عملية الربط واكتشاف التداخل بين مختلف التطورات والاحداث هي من أصعب وأعقد التحديات التي تواجه العمل السياسي الملتزم والفكر الثوري العربي . ولعل ابقاء الفكر الثوري في حالة الاتصال بالاحداث العالمية وفي حالة الالتصاق بالمعاناة القومية والشعبية من شأنه أن يعطي الفكر دوره الفاعل والمنظم والمنتج . ان هذا الدور لا بد من تثبيته في تحركاتنا الستراتيجية والسياسية والتنظيمية لانه بواسطة هذا الاستيعاب وهذا الربط نحصن الثورة العربية وخاصة قطاعها الفلسطيني بالمتانة التي تبقيها في منأى عـن التعثرات والمآزق التي تعتري سبيل الثورات والعمليات الجذرية والتغييرية خاصة في العالم الثالث

نسوق هذه المقدمة لاننا نعيش وسط متغيرات شديدة التأثير على أوضاعنا ، ولا بد من أن يكون استيعابنا لها واستباقنا للبعض منها هما الوسيلة التي تمكننا من السيطرة على الثوابت في تصوراتنا وأهدافنا ، وهي أيضا الوسيلة التي باستطاعتنا ان نجعل هذه المتغيرات تخضع لمستلزمات الثوابت بدلا من أن تتلاطم معها نظرا لفقدان القدرة عندنا على فهم المتغيرات وتكييف الثوابت العربية عامة ، والفلسطينية خاصة بما تنطوي عليه من جديد في المعادلات القائمة والمنتظرة .

لقد تلاحقت في الاسابيع القليلة الماضية أحداث كثيرة لها علاقة مباشرة وغير مباشرة مع قضيتنا التحررية ولها تأثيرها على مستقبل القضية الفلسطينية بشكل خاص . ولا بد من التأكيد بادىء ذي بدء بأن القضية الفلسطينية ليست قضية الفلسطينيين وحدهم بل هي قضية العرب ايضا وهي تستوجب قدرا من التعبئة من أجل المجابهة في الساحة العربية مساويا تماما لذلك القدر من التعبئة المطلوب في الساحة الفلسطينية نفسها . اننا نورد هذا الاستدراك لان أي تفاوت في مستوى التعبئة بين الفلسـطينيين العرب والعرب اجمالا يؤدي الى أن يعتبر الفلسطينيون مجابهتهم مع اسرائيل والصهيونية قضية مصيرية بينما يصبح بامكان العرب الآخرين ـ بنسب متفاوتة ـ تقييم المجابهة مع اسرائيل على أنها مشكلة بالغة التعقيد ولكنها ليست متعلقـة بالجانب المصيري للوجود العربي . ان هذا التفاوت في مستوى التعبئة هو العامل الاساسي الذي يربك العلاقات العربية ـ الفلسطينية الى درجة تزيد فيه فجوة الثقة والشعور الفلسطيني بالعزلة . لان ليس المهم بالنسبة للفلسطينيين ان يكون هنـاك تعاطف مع تطلعاتهم ومعاناتهم أو اعتبار الدول العربية أن قضية الفلسطينيين المصيرية هي بالنسبة للعرب

مشكلة رئيسية ، الاهم هو أن الفلسطينيين من منطلق انتمائهم العضوي والقومي للامة العربية عليهم الاستشعار بأن دورهم في المجابهة هو مظهر من مظاهر التنوع في الجبهة العربية المتصدية لاسرائيل واهدافها. فاذا كان الدور الفلسطيني متميزا بالنسبة للظروف التاريخية والموضوعية فهذا لا يعني ان التميز يصبح ذريعة لسلخ الثورة الفلسطينية عن مصادر قوتها الذاتية والطبيعية أي الامة العربية والجماهير العربية .

لعله من المستغرب ان نجد أنفسنا في حالة اضطرار لان نؤكد مثل هذه البديهيات ، الا ان حالة التردي التي وصلنا اليها يعود السبب فيها الى اننا نتصرف وكأننا في حالة اغتراب عن البديهيات القومية وكأن الكيانات العازلة بيننا شكليا صارت عازلة بين بعضنا البعض عمليا ومسلكية . ففي حين كانت هذه الفواصل الاعتباطية التي تغرق الدول العربية في حالة من الضعف ازاء الاستنهاض الجماهيري الذي ميز حركة التحرر العربي في الخمسينات وأوائل الستينات أصبحت وكأنها المفاصل الأساسية التي يقوم عليها واقعنا ومصيرنا . ان هذا التفتت في الوعي القومي هو الذي دفع بالثورة الفلسطينية الى ان تبدو وكأنها رافضة الارتهان بالواقع العربي ومستسهلة استعمال المفردات التي تدين هذا الواقع العربي مثل رفضها « الوصاية » العربية . ان مجرد استعمال مثل هذه المفردات الخاطئة نظريا والصائبة عمليا هو انعكاس للتفاوت المخيف بين مستويي التعبئة في القطاع الفلسطيني وفي الساحة العربية . فما دامت التعبئة الفلسطينية مكثفة لدرجة التنظيم الثوري فهي بالضرورة بمستوى متقدم عن التعبئة الجزئية اللاثورية في معظم الاقطار العربية . من هنا فان رفض الثورة الفلسطينية لما سمته « الوصاية » هو بمثابة تعبير عن حرص الثورة الفلسطينية على ان لا يميع مستوى التعبئة عندها الى المستوى المدجن الذي تطالب به بعض الانظمة العربية . ففي حين ان الثورة الفلسطينية تتصور نفسها أداة تفجير للطاقات الثورية المختزنة في الامة العربية نجد ان معظم الانظمة تعمل بشتى الاساليب والاغراءات على جر الثورة الفلسطينية الى مستوى التعبئة الذي ترتضيه والذي من شأنه جعل الشعب الفلسطيني اكثر طواعية للاهداف الحقيقية لهذه الانظمة والتي تتعلق بايجاد تسوية تسلم لا بشرعية الوجود الاسرائيلي فحسب بل بما ينطوي عليه هذا الوجود من امكانات الهيمنة والتسلط على مقدرات المنطقة . اذن يمكننا القول ان رفض « الوصاية » العربية ليس — ولا يجوز ان يكون — منطقا اقليميا او انفصاليا بل هو منطق ثوري في فهم طبيعة بعض الاوضاع العربية التي تجاوزتها الثورة وتعتبر نفسها بالتالي طليعة حركة التجاوز الجماهيري العربي لاوضاعنا الراهنة .

[٢]

ازاء التطورات الخطيرة التي تمر بها القضية الفلسطينية عربيا ودوليا ، يتوجب على الثورة الفلسطينية ان تبادر بعملية تصحيح وان تتصدى بحزم للميوعة المستجدة للمقاييس وذلك لتمتين وتصليب وتقوية الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة من جهة وبين مختلف قطاعات الشعب الفلسطيني ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى وحتى يتم هذا المزيد من العضوية في الوحدة الوطنية فلا بد ان تدرك الثورة الفلسطينية بأن وحدتها الوطنية يجب أن تكون قابلة للتجديد وليس هي الصيغة الجامدة . فالوحدة الوطنية تأخذ مدلولات جديدة ازاء التحديات الجديدة فاذا اكتفي بالاعلان عن الوحدة الوطنية دون الاستمرار بتنشيطها بواسطة الحوار الديمقراطي المستمر عندئذ تصبح الوحدة الوطنيةمتعلقة بالشكل ومتخلية عن المضمون ، وبالتالي تصبح سريعة العطب ازاء اية

ازمة تواجهها أو أي سؤال يطرح نفسه ولا يلاقي جوابا . ان الوحدة الوطنية التي تحققت في السنتين الاخيرتين داخل الثورة الفلسطينية يجب أن تعتبر نقطة الانطلاق نحو التوجه الوحدوي المستمر بدلا من كونها نهاية المطاف لانه اذا اعتبرت الوحدة الوطنية نهاية بحد ذاتها تصبح عنوانا نتمسك به أكثر من سبيل نعمل علـــى هديه . في هذا المضمار لا بد من التقرير ان الوحدة الوطنية القائمة لم تعد بالمستـــوى المطلوب وهي بحاجة الى مزيد من التنشيط والتجديد خاصة في مواجهة ما تقوم به المحاور الدائرة في فلك الامبريالية من أعمال وتنفيذ خطط من شأنها ضرب القضية الفلسطينية في المقتل أي في ضرب الوحدة الوطنية الفلسطينية .

اذن النقطة المركزية تبقى الوحدة الوطنية الفلسطينية ، لانها هي التي ترسي قواعد اهلية التمثيل الفلسطيني وكون الثورة الفلسطينية هي المرجع الفلسطينـــي للتمثيل ولتقرير المصير . لقد حصلت محاولات عديدة في الماضي من أجل ابراز الظروف المختلفة للتواجد الفلسطيني ــ داخل فلسطين المغتصبة ثم داخل فلسطين المحتلة وفي المخيمات في الاردن وسوريا ولبنان وغيرها من أماكن التواجد الفلسطيني ــ وكأنها مدخل لتعدد في الجهات الناطقة باسم الشعب الفلسطيني او لقيام مطاليب مختلفة للقطاعات المختلفة للشعب الفلسطيني . ان هذه المحاولات كانت تستهدف دائما اشاعة الشك حول وجود شعب فلسطيني واحد وبالتالي اسقاط الشعب الفلسطيني كوحدة وطنية من حسابات المنطقة واعتبار كل قطاع منه بمثابة مشكلة مستقلة قابلة للمعالجة الادارية المتنوعة بموجب ظروف التواجد المختلف . وقد أسهم النظام الاردني في هذا المضمار بحيث عمل دائما على طرح نفسه ممثلا عن النظام الفلسطيني الذي تواجد ضمن اطاره الا أن بروز منظمة التحرير وثم تثويرها بواسطة تسلم فصائل المقاومة لمقاليد قيادتها ركـــز عند الشعب العربي القناعة بأن الثورة الفلسطينية هي الشعب الفلسطيني وتمكنت الثورة من خلال نضالها وتوضيح افكارها انتزاع الاعتراف الدولي بأنها، أي الثورة الفلسطينية، هي وحدها الشرعية الفلسطينية . لذلك تمكنت الثورة الفلسطينية أن تحسم بشكل قاطع قضية التمثيل الفلسطيني وأن تضع حدا لمحاولات افتعال قيادات فلسطينية مزيفة تنتحل لنفسها صفة التمثيل حتى صفة التمثيل الشامل او حتى التمثيل الجزئي . ان الثورة الفلسطينية تمكنت أن تنتزع من العالم الاعتراف بوحـــدة الشعب الفلسطيني وبوحدة مصيره وبذلك حققت الثورة الفلسطينية احدى منجزاتها الرئيسية وهي كونها تجاوزت الظروف المختلفة للتواجد الفلسطيني الى شد الشعب نحـــو ادراك وحدته ووحدة مصيره ، وبهذا أقفل امام الامبريالية الأميركية وأمام الرجعيات العربية احتمالات استغلال التباين الموضوعي عند قطاعات الشعب الفلسطيني من أجل الغاء فعالياته والحد من طموحاته المشروعة في التحرير .

نورد هذا الموضوع نظرا لان الثورة الفلسطينية تعيش فترة من أصعب وأدق فتراتها، خاصة وان بعض عناصرها يتصرف وكأنه أصبح فاقدا الى حد ما قدرة ترتيب سليم للاولويات الراهنة . هذا بحد نفسه يشكل منزلقا خطيرا لا بد من تجنبه وان ظهر هذا التجنب وكأنه طمس للحوار ولدراسة البدائل المطروحة بحرية كاملة . السؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد هو كيف نخضع التزامنا للحوار الديمقراطي الحـــر والحي لمقتضيات الوحدة الوطنية داخل الثورة الفلسطينية ؟ الجواب يكمن في أن الوحدة الوطنية للثورة تنطوي على مسلمات مبدئية وسلوكية تعتبر الثوابت في الثورة وبالتالي غير قابلة للمراجعة الجذرية او للتخلي عنها . لكن هذه الثوابت يجب ان لا تكون حائلا أمـــام مناقشة المتغيرات حتى ولو وصل النقاش بها وكأنها أخذت تتعرض للثوابت والمسلمات. لقد حصل في الآونة الاخيرة ان قامت داخل اطار الثـــورة تيارات مختلفة ، تنطلق من المسلمات المبدئية ، تناقش ستراتيجية العمل الثوري في المرحلة الراهنة . وقد أحدثت

هذه الاطروحات مناقشات في صميم العمل المرحلي ممـــا ادى الى فقدان المقدرة على التمييز بين الثوابت والمتغيرات ، والى اعادة ترتيب الاولويات بدون بروز أية دلائل على وجود بوادر تغيير في المنطقة تستوجب اية اعادة نظـــر اساسية في التـــرتيب القائم لاولويات الثورة الفلسطينية . وقد تذرع المحاورون ، بأن ثمة تغييرات حاصلة في الواقع العربي ـــ وبالتالي لا بد للثورة الفلسطينية ان تأخذ اجراءات تخفف من وطأة سلبيات هذا التغيير من جهة وتستفيد من أية تنازلات يمكن لهذا التغيير أن يقدمه للثورة نتيجة ضغط الانظمة المقربة لها . وقد بدا الحوار وكأنه يبدأ من موقعين : الاول ان الثورة الفلسطينية يجب ان تأخذ بعين الاعتبار ان المتغيرات الدولية ـــ خاصة فيما يتعلـــق بالتقارب الاميركي ـــ السوفياتي ، والى حد أقل بالتقارب الاميركي ـــ الصيني ـــ تفرض عليها ان تبقي خطها الستراتيجي مستهدفا التحرير الكامل ، بحيث يجيء هذا الهدف من خلال تصور علمي واضح للمراحل التي لا بد للثورة من المرور بها قبل الوصول الى هدفها . ويستحضر هؤلاء المحاورون تجربة فيتنام التي انتصرت ثورتها دون ان يتحقق التحرير الكامل ، بل ان انتصار الثورة كان يتحقق بمجرد توسيع رقعة الجبهة الوطنية الديمقراطية في المناطق المتحررة . هذا بدوره كان يؤدي في فيتنام ـــ وكما هو مقترح ان يؤدي في الشرق الاوسط ـــ الى تبديل موازين القوى لدرجة تتمكن الثورة من ايجاد الظروف الملائمة لتحقيق أهدافها المرحلية باستمرار . ومع ان التشبه بالثورة الفيتنامية فيه الكثير من الاضاءة لطريق الثورة الفلسطينية الا أن اعتماد سياسة التمرحل وتوسيع رقعة التحرير كانت منطقية ومطلوبة من حيث ان المجابهة ـــ وان كانت أيضا مع الوجود المباشر للامبريالية الاميركية ـــ كانت ولا تزال اساسا مع القوى الرجعية الحاكمة من داخل اطار الانتماء الوطني الموحد . اما الثورة الفلسطينية فليست في الموقع الذي يجيز لها مثل هذا الاستنتاج الآلي لان اسرائيل من حيث تركيب بنيتها الاستيطانية ومؤسساتها المندفعة نحو التهويد وازالة الوجود العربي لا يمكن أن ترضى بتسوية مرحلية حتى ولو جاءت هذه التسوية حصيلة تغير في موازين القوى ـــ لان هذا التغيير سيجيء بنتيجة دك معاقل الكيان الاسرائيلي من حيث هو بنية هيكلية . حتى عندما يتم هذا الهدف فان الثورة تكون عندئذ قد تجاوزت مراحل متعددة نحو التحرير ويصبح التوافق مع السكان اليهود معضلة دستورية ادارية وليست مسألة مجابهة مصيرية . يتراءى لنا اذن ان التحدي الاسرائيلي يستحضر معه أوجها من التجربة الفيتنامية ومن التجربة الجزائرية بالاضافة الى المميزات الفردية للتحدي الاستعماري الصهيوني . ورغم ان الدعوة الى تمرحل الاهداف الثورية لا تشكل بحد ذاتها انحرافا عن خط الثورة فان طرح بدائـــل مختلفة عن خيار التحرير الكامل في ظرف تتقفل فيه كل أبواب الاستفادة من المتغيرات الدولية والعربية امام الثورة ، يدفع بالثورة الى المزيد من التمسك بوحدتهـــا الوطنية وانضباطية مواقفها كي يكون الاستقطاب بينها وبين التحـــرك العربي الراهن كاملا وواضحا وبالتالي يفوت على هذا التحرك فرص انجاز مهماته في تثبيت النظام الاردني واستدراج الامة العربية نحو المزيد من التردي ومن ترسيخ عوامل التجزئة وما يتبع ذلك من تمكين المحور الامبريالي ـــ الاسرائيلي من الهيمنة ، والرجعية العربية مـــن استعادة انفاسها والتسلط على مقدراتنا .

هذا بدوره يجب أن لا يعني الحيلولة دون طـــرح الخيارات المتغيرة أمـــام الثورة الفلسطينية ليصار الى بحثها بدقة علمية وبروح الوحدة الوطنية بدلا من الطرح الجاف والمتزمت الذي يفتعل المساجلة بدلا من الحوار والذي يطرح أفكاره كأنه يغلـــق باب المناقشة . ولعل الالتباس القائم في مؤسسات اعلام الثورة يجعل طرح البدائل لمواجهة المتغيرات وكأنه انعكاس لاختلافات مبدئية بدلا مـــن ان يكون الطرح ـــ كما يجب ان يكون ـــ بمثابة اوراق عمل للمناقشة الحرة الشاملة . هذا بدوره يجعل قضية الاعلام

الموحد للثورة قضية ملحة للغاية من حيث ان تكاثر المنابر — وان كان بستار كون البعض منها منابر أحزاب وليس فصائل مقاومة — وحرية التصرف الاعلامي عند القيادات يؤدي الى افتقاد اعلام الثورة مركزيته وما يتبع هذا من تسيب واشاعة للفوضى واضعاف للوحدة الوطنية .

من جهة أخرى نجد أن الوحدة الوطنية اذا بقيت عنوانا بدون مضمون حي ومتجدد فسوف تجد نفسها ستارا لقيام شلل ومحاور داخل اطار الوحدة . هذا بنظرنا هو أخطر من خطر غياب الوحدة الوطنية لان بقاء الغطاء يحول دون التصدي المباشر للانقسامية وللمحاور مع الابقاء على كل سلبيات المحاور والانقسامية . في هذا المضمار نجد ان الاحداث والتطورات القائمة في الساحة العربية تبدو وكأن لها ألغاما موقوتة في واقع ومؤسسات الشعب الفلسطيني تنفجر لتتواقت مع مقتضيات تعطيل وحدة الشعب الفلسطيني وأهلية الثورة لقيادة مسيرته واعلان مواقفه المحسومة . من هنا يتوجب بالاضافة الى دفع الثورة نحو المزيد من الوحدة العضوية الوطنية دفعها نحو المزيد من الانضباطية الثورية .

لقد ظهرنا في الآونة الاخيرة وكأننا اعجز عن استيعاب ابعاد القضية الفلسطينية وكأننا غير متفهمين لحيوية العدالة التي تنطوي عليها . من أجل هذا نجد انفسنا أمام مفارقة قد تكون فريدة من نوعها وهي ان العالم آخذ في اكتشاف هذه القضية ومن ثم الالتزام بمضامينها الثورية والتحريرية في حين نظهر وكأننا ساعون نحو تفريغ القضية من محتواها الثوري ومن اهدافها التحررية الكاملة . هذا بالطبع لا يعني أن التزام العالم بمعظم الاوجه النضالية للقضية الفلسطينية صار متكاملا او ان تخلي الواقع العربي الراهن عن القضية الفلسطينية صار محتوما او ان السعي نحو التخلي أصبح مندفعا بدون امكانية توقيفه .

ولعل أكبر دليل على صحة التوجه الثوري للقضية الفلسطينية كامن في أنها تدرك ان أية ذبذبة قد تظهر في مواقع الانظمة الوطنية والتي قد تكون حتمتها ظروف واقعية ستحسم لصالح المجابهة الحقيقية كما حصل في التصدي البطولي الرائع الذي قامت به القوات المسلحة السورية عندما تصدت بدون حسبان الخسائر مفوتة على العدوانية الاسرائيلية محاولتها تثبيت سيطرتها في الاجواء وبالتالي هيمنتها على المنطقة . ورغم ان الخسائر التي منينا بها كانت كبيرة الا أن روح التصدي والثقة والمقاومة الذي أشاعته في الجماهير العربية كانت أكبر بكثير وأعمق بكثير . أكثر من هذا فانها مؤشر آخر على صحة تقييم الثورة الفلسطينية بضرورة قيام الجبهة الشرقية وسلامة التوجه المصري — السوري نحوها لكن بدون الدخلاء عليها حتى عندما نقوم بالمجابهة يكون المحسوب **مع** هو في واقع الامر في خانة **الضد** ونكون بذلك أخطأنا مرتين .

بالامس في مؤتمر اللاانحياز وأول أمس في مؤتمر الشباب العالمي في برلين انتقل علم الثورة من فيتنام الى فلسطين . وكان باكورة هذا الانتقال ان قطعت كوبا الثورة علاقاتها مع اسرائيل ... وكما في برلين كذلك في الجزائر عبر ياسر عرفات عن الحضور الفلسطيني لان لا حضور لفلسطين بدون الثورة .. ولا فعالية للثورة بدون الوحدة الوطنية ...

والا فلتكن أمثولة تشيلي واستشهاد سلفادور الندي ماثلة أمامنا ... المتربصون للحق شرساء الا أن قوة وحدة الثورة أقوى من شراسة المتربصين . كان الندي ثائرا ديمقراطيا عظيما .. صرعته أحقاد الاستعماريين والرجعيين ... لكن هذه الاحقاد ستصرع أمام ثبات الحق كما في تشيلي كذلك في فلسطين .

مؤتمر عدم الانحياز والقضية الفلسطينية

الدكتور نبيل شعث

انتهى مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز — الذي عقد في الجزائر خلال الفترة بين ٢ — ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ — بمجموعة هامة من البيانات والقرارات والوثائق التي تشكل في مجملها دفعة سياسية هامة للنضال الفلسطيني . وصحيح ان القرارات والبيانات الصادرة عن مثل هذه المؤتمرات لا تحرر الاوطان ، كما انها ليست بديلا عن الكفاح المسلح ولا عن النضال السياسي بين جماهيرنا العربية وعلى أرضنا المحتلة ، ولكنها — وفي هذه المرحلة الراهنة بالذات — ذات أهمية خاصة ويجب الاستفادة منها الى أقصى حد ممكن .

ففي الوقت الذي تتعرض فيه الثورة الفلسطينية لكل مؤامرات التصفية السياسية والجسدية على الارض العربية وفي وطننا المحتل ، وفي الوقت الذي تبرز فيه محاولات اعادة فرض الوصاية على القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، وفي الوقت الذي تتعاظم فيه محاولات اسكات البندقية الفلسطينية واحباط الارادة النضالية الثورية العربية التي جسدتها الثورة الفلسطينية وقادت طلائعها ، في هذا الوقت بالذات يأتي مؤتمر الجزائر بعد مهرجان برلين ليفتح أمام الثورة الفلسطينية أبوابا للانطلاق الى دول العالم الثالث والمنظومة الاشتراكية تدخل فيها كممثلة شرعية وحيدة ومستقلة للشعب الفلسطيني ، وكرائدة للنضال الثوري التحرري العربي وكطليعة ثورية رئيسية وكجزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية .

ان مظاهر هذا الدعم تتضح عندما سنراجع بعد قليل تطور القرارات الصادرة عن دول عدم الانحياز خلال مؤتمراتها السابقة المقارنة بالقفزة النوعية الهامة لقرارات مؤتمر الجزائر .

ان هذا التغير الهام في مواقف عدد كبير من دول العالم الثالث وحركاته الثورية تجاه الثورة الفلسطينية يرجع دون شك لاستمرار هذه الثورة في ممارسة الكفاح المسلح رغم الصعوبات والعراقيل الهائلة التي توضع أمامها ، ورغم ضراوة الاعداء الذين تواجههم .

ان القضية العادلة للشعب العربي الفلسطيني مقرونة بالنضال المستمر لطلائع هذا الشعب هما العاملان القادران على استقطاب كل الاصدقاء وعلى احداث فرز حقيقي في الساحة العالمية بين معسكر الامبريالية وعملائها ومعسكر قوى التحرر والثورة ، كما انهما قادران ايضا على تحييد بعض الاعداء والعملاء وقد بدا ذلك واضحا في مؤتمر الجزائر .

ولقد فسر البعض الانفتاح العالمي على قضيتنا العادلة في هذه المرحلة تفسيرا تآمريا وعزوه الى الدول الكبرى التي تريد الالتفاف حول الثورة الفلسطينية والهاءها بالمظاهر الدبلوماسية وصرفها عن طريقها النضالي . بل أن البعض كان يتخوف من أن المؤتمر وكواليسه ستكون مسرحا للتحركات المشبوهة الداعية الى القبول بالتسوية السياسية

من خلال طروحات الدويلة الفلسطينية ، وظل هؤلاء يرددون انه كلما كبر حجم منظمة التحرير الفلسطينية دوليا وازداد الاعتراف بشرعيتها وزنا كلما ازداد خطر التآمر على النضال الفلسطيني . ولا شك ان لهذا التفسير بعض مبرراته ، وهو ليس بعيدا عن نوايا بعض الدول والمنظمات المرتبطة بالامبريالية الامريكية أو بالمعسكر الاوروبي الغربي . ولكن هذا التفسير لا يمثل الغالبية العظمى من الدول وحركات التحرر التي اندفعت تؤيد القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر الجزائر ولا يمثل الجماهير ومنظماتها التقدمية في أوروبا وافريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية والتي تعبر عن مناصرتها للقضية وللثورة بأشكال مختلفة وفي مناسبات متعددة . كما انه لا يمت بصلة الى أهداف ونوايا الثورة الفلسطينية من ممارسة هذا النوع من النضال السياسي ، وخصوصا في مؤتمر دول عدم الانحياز .

ان انتصار ثورة فيتنام وكامبوديا وحل مشكلة اللاوس حول انظار العالم من جنوب آسيا الى منطقتنا الملتهبة كما ان استمرار النضال الفلسطيني لفت انظار القوى المناصرة للعدل والحرية والتقدم في العالم الى قضية فلسطين . اننا نقطف الآن ثمرة مؤجلة للنضال الطويل والشاق الذي خاضته الثورة الفلسطينية وقدمت خلاله أغلى التضحيات وواجهت أصعب العراقيل والتحديات . وان عدم قيام الثورة وانصارها بالاستفادة من هذه الفرصة النضالية السانحة على الجبهة العالمية بحجة التخوف من التآمر والالتفاف يشكل هزيمة ما بعدها هزيمة ويسجل علينا تقاعسا واعترافا بالعجز وانعدام الثقة بالنفس في مرحلة لا يمكن فيها قبول العجز والتراجع .

لا شك ان هناك عوامل أخرى وراء ما حققته الثورة الفلسطينية في مؤتمر عدم الانحياز . فهناك الجزائر التي استضافت المؤتمر وقادته وهيأت له كل الامكانات وأعطت فيه للثورة الفلسطينية وممثليها كل فرص التحرك وقنواته. وهناك نمو العلاقات العربية ــ الافريقية وقيام بعض القادة العرب كالرئيس الليبي بمبادرات ناجحة في هذا المجال ، وهناك تمادي دولة العدو الصهيوني وصلفها واستشراسها في الارهاب والعدوان ، مما ترتب عنه قطع العلاقات السياسية والاقتصادية بين مجموعة من الدول الافريقية ودولة العدو الصهيوني . وهناك دور لعبه بعض القادة الافريقيين وعلى رأسهم الرئيس الموريتاني المختار ولد داده في شرح القضية الفلسطينية لقادة الدول الافريقية وفي فتح آفاق للتحرك السياسي للثورة الفلسطينية خصوصا في غرب افريقيا .

لقد ساهمت كل هذه العوامل في التمهيد للدور المركزي الذي لعبته فلسطين في مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز وفي الانجازات التي تحققت فيه وتتلخص في انجازين رئيسيين :

١ ــ انفتاح القارة الافريقية بشكل خاص ودول عدم الانحياز بشكل عام أمام العمل السياسي للثورة الفلسطينية وتضامن امكانات الدعم المادي الملموس من هذه الدول وجماهيرها ومنظماتها التقدمية .

٢ ــ تثبيت حق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني ونضاله المشروع من أجل تحرير وطنه المغتصب مما يمثل انتصارا لقضية الشرعية للثورة وهزيمة لمحاولات سحقها واحتوائها .

وقبل أن نستمر في التدليل على هذين الانجازين وآثارهما يجدر بنا التحذير من المبالغة في تقييم نتائج المؤتمر او تناسي اسبابها . فالنجاح ليس وليد « شطارة » أو « فهلوة » أعضاء الوفد الفلسطيني ــ بالرغم من كل ما قاموا به من جهود مشكورة ــ ولكنه أولا وأساسا نتيجة استمرار الكفاح المسلح الفلسطيني والنضال الثوري الجماهيري في الارض المحتلة والارض العربية المحيطة بها ، ولا شرعية للثورة ولا حق لمنظمة التحرير في تمثيل الشعب الفلسطيني اذا هي تخلت عن النضال الثوري المسلح والجماهيري ولو

صدر بشرعيتها ألف قرار دولي . كما ان للانتصارات في مجال المؤتمرات الدولية حدودها وهي تتحول الى نتائج مادية ملموسة بالقدر الذي تستطيع فيه الثورة أن تستفيد منها في ممارسة تحرك جماهيري حقيقي وفعال داخل الدول التي أيدت هذه القرارات مما يحدث رأيا عاما مناصرا ويترجم الى دعم مادي . وهي دون ذلك تبقى حبرا على ورق . كما ان المحذور التآمري يبقى قائما وسيحاول البعض جـرنا الى السراب والهـاء جماهيرنا بالاوهام مما يتطلب وعيا ويقظة مستمرة وصلابة ثورية لا تلين .

وسوف نتتبع فيما يلي القرارات الصادرة عن المؤتمر والخاصة بالقضية الفلسطينية بالمقارنة بقرارات مؤتمرات عدم الانحياز السابقة ثم نركز على ما سميناه الانجازين الرئيسيين للمؤتمر لنختتم هذه المقالة بتقييم لكتلة دول عدم الانحياز واتجاهاتها وفاعليتها وامكانات استفادة الثورة الفلسطينية منها في المستقبل .

قرارات المؤتمر الخاصة بالقضية الفلسطينية

كانت القرارات المتعلقة بفلسطين في مؤتمـر باندونج ١٩٥٥ واجتمـاع كولومبو التحضيري له الذي عقد في أواخر عام ١٩٥٤ تركز على قضية اللاجئين الفلسطينيين وتطبيق قرارات الامم المتحدة الخاصة بهم وتدعو الى تحقيق تسوية سلمية للمسألة الفلسطينية .

بينما ادرجت القرارات الخاصة بقضية فلسطين في المؤتمرين الاول والثاني لدول عدم الانحياز المنعقدين في بلجراد ١٩٦١ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ضمن القرارات الخاصة بالشرق الاوسـط ، وتحولت في المؤتمرات التحضيرية لمؤتمر لوساكا ثم في مؤتمر لوسـاكا نفسه (١٩٧٠) الى « ازمة الشرق الاوسط » ، فقد ادرجت هذه القرارات في مؤتمر الجزائر لاول مرة تحت عنوان « الوضع في الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية » وكان ذلك نتيجة ادماج القرار الخاص المنفصل عن القضية الفلسطينية والقرارات العامة عن النزاع العربي ــ الصهيوني وعلى اساس ان الوضع في الشرق الاوسط هو القضية الآنية بينما القضية الفلسطينية هي الموضوع الاساسي والرئيسي . وهذا يشكل في حد ذاته تطورا هاما في معالجة القضية الفلسطينية في مؤتمرات دول عدم الانحياز . لم تهمل قرارات مؤتمرات دول عدم الانحياز قضية حقوق الشعب العربي الفلسطيني « كاملة غير منقوصة » منذ مؤتمر بلجراد الاول ١٩٦١ فقد نص قراره علـى أن المشتركين في المؤتمر « **يعلنون تأييدهم لاعادة كافة حقوق الشعب العـربي الفلسطيني كاملة غـير منقوصة وفقا لميثاق وقرارات الامم المتحدة** » وبالتالي فهو يقرن هذه الحقوق بقرارات الامم المتحدة وليس فقط بميثاقها اي بما فيها قرار التقسيم .

وقد تطور المؤتمر الثاني في القاهرة عام ١٩٦٤ فاكتفى بايراد ميثاق الامم المتحدة مؤكدا على « الموافقة على اعادة كافة حقوق الشعب العربي الفلسطيني كاملة في وطنه وحقه الثابت في تقرير المصير » على أن مؤتمر القاهرة أضاف لاول مرة اعلان « دعمه التام للشعب العربي الفلسطيني في نضاله من أجل التحرر من الاستعمار والعنصرية » .

وقد أكد المؤتمر الاستشاري لدول عدم الانحياز ــ بلجراد ، تموز ١٩٦٩ ، والمؤتمر التحضيري ــ دار السلام ، نيسان ١٩٧٠ ، ومؤتمر لوساكا ــ أيلول ١٩٧٠ ، نفس الصيغة تقريبا ، مع الانتكاس الى صيغة قرارات الامم المتحدة وربط القضية بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والتركيز على انسحاب اسرائيل من « الاراضي التي احتلتها بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ » ، وأكدت هذه الصيغة قرارات مؤتمر وزراء الخارجية ــ جورجتاون آب ١٩٧٢ .

وعلى كل فان اتجاه القرارات الخاصة بالقضية الفلسطينية في مؤتمرات دول عدم الانحياز كان يسير نحو تأكيد حق الشعب العربي الفلسطيني في العودة الى وطنه وفي وجود رابطة قومية ثابتة بين شعب فلسطين وأرض فلسطين .

لقد أضاف القرار الخاص بالقضية الفلسطينية في مؤتمر الجزائر ١٩٧٣ عدة نقاط هامة :

١ ــ فهو مع تأكيده من جديد على « شرعية كفاح الشعب الفلسطيني ضد الاستعمار والصهيونية والعنصرية من أجل استرجاع حقوقه الوطنية كاملة غير منقوصة » يضيف لاول مرة « ان هذا الكفاح يعتبر جزءا لا يتجزأ من الحركة التحررية في العالم » وهذا الربط بين نضال الشعب الفلسطيني ونضال الشعوب الافريقية ضد الاستعمار الاستيطاني العنصري تجسد ليس فقط في القرار الخاص بالشرق الاوسط والقضية الفلسطينية وانما بشكل أساسي وتفصيلي في **« الاعلان الخاص بالكفاح ضد الاستعمار »** الذي قدمته حركات التحرر الوطنية للمؤتمر واعتمد منه بالاجماع ، فهو يربط بين الاستعمار البرتغالي والانظمة العنصرية في روديسيا (زمبابوي) وجنوب افريقيا وناميبيا (جنوب غرب افريقيا) واسرائيل ، كما انه يربط بين نضال حركات التحرر في هذه المناطق وحركة التحرير الفلسطينية ، ويعتبر استمرار حركة التحرير الفلسطينية في نضالها من أجل التحرر الوطني بالرغم من « الهجوم الاثيم ... الواحد تلو الآخر » انتصارا لحركة التحرر العالمية . كما انه يربط بين اغتيال القادة الشهداء كابرال وكمال عدوان وابو يوسف وكمال ناصر ويطالب في النهاية دول عدم الانحياز بصفة خاصة والعالم بصفة عامة « بقطع كافة العلاقات السياسية والعسكرية والاقتصادية والدبلوماسية والتجارية والثقافية وطرق المواصلات بين البرتغال وجنوب افريقيا وروديسيا واسرائيل من ناحية وبقية دول العالم من ناحية أخرى » وهي تقريبا نفس صيغة القرار الخاص بادانة اسرائيل وطلب قطع كل العلاقات معها والواقع ضمن قرارات الوضع في الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية والبيان السياسي العام .

٢ ــ ينتقل قرار مؤتمر الجزائر من مجرد تأكيد شرعية كفاح الشعب الفلسطيني ودعمه بشكل عام الى « مطالبة دول عدم الانحياز **بالالتزام بمساندة** شعب فلسطين العربي في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني **العنصري الاستيطاني** لاستعادة حقوقه **القومية الكاملة** ، ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق يشكل شرطا أساسيا للوصول الى سلام عادل ودائم » .

وبذلك فان هذا القرار يرتب على الدول الاعضاء في المؤتمر التزاما بالمساندة وليس فقط بالاعتراف بالحق . وهو التزام منفصل عن الالتزام في بند آخر بمساندة الدول العربية الاخرى التي احتلت اراضيها لاسترجاع هذه الاراضي .

كما ان القرار يحدد بكل وضوح ان لشعب فلسطين العربي حقوقا قومية في فلسطين يعتبر استرجاعها كاملة شرطا أساسيا لتحقيق السلام وبذلك فان السلام حسب هذا القرار لا يمكن أن يعود الا باسترجاع هذه الحقوق كاملة غير منقوصة .

٣ ــ تهمل قرارات مؤتمر الجزائر كل اشارة الى قرارات هيئة الامم المتحدة وخصوصا القرار ٢٤٢ وهي بذلك تركز على ان السلام لا يعود فقط بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ او بتطبيق قرارات الامم المتحدة وانما ــ كما ورد سابقا ــ باسترجاع الحقوق « القومية » للشعب العربي الفلسطيني على كامل أرضه .

٤ ــ تورد القرارات لاول مرة في مؤتمر الجزائر اعتراف دول عدم الانحياز بأن «منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني ولنضاله المشروع» وهي نقطة هامة سنتعرض لها فيما بعد عند مناقشة قضيته الشرعية .

٥ ــ تضيف القرارات الخاصة بالقضية الفلسطينية لاول مرة مجموعة من المطالب التكتيكية الهامة الموجهة نحو العدو الصهيوني واجراءاته في الوطن المحتل. فهي « تؤكد ضرورة تنفيذ احكام اتفاقيات جنيف تنفيذا كاملا وتعتبر ان جميع التدابير غير القانونية التي اتخذتها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة لتغيير معالمهـا الجغرافية والبشرية لاغية وباطلة ولا يمكن الاعتراف بها وبنتائجها » ويجب النضـال في المؤتمرات القادمة لتعميم هذه الصيغة بشكل واضح لتشمل ما قامت به قوات العدو الصهيوني **على كامل الارض الفلسطينية** وليس فقط على الاراضي المحتلة بعد ١٩٦٧ .

كما ان القرارات ولاول مرة أيضا « تطالب كافة الدول الاعضاء بعدم السماح بالهجرة لفلسطين وللارض العربية المحتلة » .

وتضيف القرارات ادانة محددة « لانتهاكات اسرائيل لحقـوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة » وتعتبر أعمالها وممارستها **جرائم حرب وتحديا للانسانية** . كما انها تدين الارهاب الاسرائيلي في الداخل والخارج .

٦ ــ تطالب القرارات لاول مرة دول عدم الانحياز المشتركة في المؤتمر بالالتزام بهذه القرارات عند مناقشة المسألة الفلسطينية والوضع في الشرق الاوسط أمام الجمعية العامة للامم المتحدة في دور انعقادها المقبل .

٧ ــ بالاضافة الى القرار الخاص بالقضية الفلسطينية والـى اعلان النضال ضد الاستعمار فان البيان السياسي العام للمؤتمر قد ضمن لاول مرة كل المعاني الهامـة والمواقف الجديدة الخاصة بالقضية الفلسطينية ويعتبر البيان السياسي العام ذا أهمية خاصة لمؤتمرات القمة لدول عدم الانحياز ، ويدرج البيان السياسي الصهيونية في كل اشاراته الى اعداء الشعوب : « الامبريالية والعنصرية والصهيونية » كما انـه يعلن تضامنه الكامل مع نضال الشعب الفلسطيني « ويقدر التضحيات الجسيمة التي يقدمها هذا الشعب من أجل استعادة هويته القومية وكيانه الوطني المستقل » .

*

وفي الحقيقة ان القضية الفلسطينية قد حظيت دون شك بنصيب الاسد في قرارات هذا المؤتمر وبياناته ومواثيقه وهو ما يشكل قفزة نوعية في هذا المضمار .

التمثيل الفلسطيني في المؤتمر

كان الاجتماع الاول لدول عدم الانحياز الذي دعيت اليه منظمة التحرير هو الاجتماع الاستشاري لهذه الدول الذي عقد في بلجراد في شهر تموز ١٩٦٩ ، وقد حضرت منظمة التحرير هذا المؤتمر ثم مؤتمر القمة الثالث في لوساكا بصفة « ضيف » .

وفي مؤتمر وزراء الخارجية التحضيري الذي عقد في جورجتاون عام ١٩٧٢ تقرر اعطاء منظمة التحرير صفة « العضو المراقب » بدلا من ضيف ، وقـد أعطيت هذه الصفة في ذلك المؤتمر ، واعتبر اشتراكها في مؤتمر الجزائر كمراقبة على أساس انها الممثلة الشرعية لنضال شعبها من أجل التحرر والاستقلال .

ولقد حضرت المنظمة مؤتمر الجزائر بهذه الصفة أيضا وان كانت الجزائر قد عاملت وفد المنظمة معاملتها للاعضاء العاملين في كافة المجالات . وقد ثار نقاش اثناء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية في الجزائر الذي سبق انعقاد مؤتمر القمة مباشرة حول أحقية منظمة التحرير الفلسطينية وحركات التحرر الاخرى في العضوية العاملة للمؤتمر ولكن الاتجاه العام للدول المشتركة كان ضد الفكرة وان كان وفدا كوبا ومصر قد أصرا على النضال من أجل العضوية العاملة لحـركات التحرر بشكل عـام ولمنظمة التحريـر الفلسطينية بشكل خاص في مؤتمر القمة التالي . وقد تحدث الاخ ياسر عرفات رئيس

اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير باسم فلسطين وحركات التحرر الاخرى واستقبل خطابه استقبالا حارا جدا من أعضاء المؤتمر ، وكان نشاط الوفد الفلسطيني برئاسته نشيطا وفعالا في صياغة القرارات وفي الالتقاء بالوفود الاخرى وانشاء علاقات ثنائية هامة معها .

كما ان هذا المؤتمر هو الاول الذي يحضره وفد للمنظمة على مستوى رئيسها ومسؤول الدائرة السياسية فيها (الاخ فاروق القدومي) وغيرهم من الاخوة المسؤولين . وبذلك فان مستوى التمثيل في المؤتمر ونوع العضوية يشكل تقدما بالنسبة لمؤتمرات عدم الانحياز السابقة .

انفتاح القارة الافريقية على حركة التحرير الفلسطينية

لقد أدت العوامل المهدة للمؤتمر — السابق ذكرها — واهمها استمرار الكفاح المسلح الفلسطيني كما أدت نوعية التمثيل الفلسطيني في المؤتمر الى احداث تغير هام في موقف الدول الافريقية وحركات التحرر على وجه الخصوص بالنسبة للثورة الفلسطينية وقيادتها الممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية . ولا شك أن تغيير مواقف هذه الدول هو الذي أدى الى تبنيها للقرارات السابق ذكرها والخاصة بالقضية الفلسطينية أو على الاقل الى حيادها بالنسبة لها ، اذ أن قرارات المؤتمر لم تصدر بعد تصويت من الاعضاء وانما بعد تحسس لاجماعهم او شبه اجماعهم عليها بحيث ان القرار الذي يكثر التحفظ عليه او تظهر معارضته كان يؤجل أو يسقط تلقائيا . وقد كان لاندونيسيا وسنغافورة وليبريا والارجنتين وزائير مثلا تحفظات أبدتها في لجنة الصياغة المنبثقة عن اللجنة السياسية بالنسبة للقضية الفلسطينية وتتركز أساسا حول اهمال قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وطالبت هذه الدول بالعودة الى تبني الصيغ القديمة التي تركز حول هذا القرار ، ولكن مقابلة الاخ رئيس الوفد الفلسطيني لرؤساء دول أو حكومات هذه الوفود اثناء المؤتمر أدى الى تخليها عن معارضتها وتراجعها عن تحفظاتها .

وقد كانت لقاءات رئيس الوفد الفلسطيني وأعضائه مع رؤساء موريتانيا والصومال وأوغنده وتنزانيا وزامبيا والسنغال والكونغو الشعبية (برازافيل) ومالي تتميز بالحرارة والانفتاح الشديد ، وهذا طبيعي ولكن اصرار رؤساء ساحل العاج وزائير مثلا على لقاء الاخ ياسر عرفات واصرارهم على خلق علاقات جديدة وارسال وفد فلسطين لزيارتهم يمثل اتجاها جديدا في القارة الافريقية . ولقد عرض كل القادة الذين تم اللقاء بهم فتح مكاتب لمنظمة التحرير في دولهم واستعدادهم لاستقبال وفود فلسطين لشرح القضية في بلادهم وأعلنوا عن استعدادهم لتقديم كل الدعم .

كما ان لقاء الوفد الفلسطيني بوفود حركات التحرر الافريقية والاسيوية والامريكية اللاتينية كان هاما جدا وعميقا وترتب عنه ان احد اعضاء الوفد الفلسطيني هو الذي قام بناء على طلب هذه الحركات بكتابة مشروع الاعلان الخاص بالنضال ضد الاستعمار ، كما ان الاخ ياسر عرفات والاخ بيريرا رئيس حركة تحرير غينيا بيساو والراس الاخضر قاما سويا بتمثيل حركات التحرير العالمية في مخاطبة مؤتمر القمة . وجرت محادثات تمهيدية هامة للعمل من أجل وحدة حركات التحرر والبدء بالتنسيق والتعاون الفعال فيما بينها . وسوف يصبح هذا التعاون ممكنا عند تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في تنزانيا وزامبيا لاهمية هذين البلدين بالنسبة لحركات التحرير في جنوب القارة الافريقية .

لقد فتح مؤتمر نصرة الشعوب العربية الذي عقد في القاهرة في يناير — كانون الثاني ١٩٦٩ الباب للثورة الفلسطينية للعمل الجماهيري في اوروبا وأمريكا بعد طرح الثورة لبرنامج وشعار الدولة الديمقراطية الفلسطينية في هذا المؤتمر ، كما كرس مهرجان برلين آب ١٩٧٣ انفتاح أبواب المنظومة الاشتراكية امام العمل الجماهيري الفلسطيني ،

واليوم يكرس مؤتمر الجزائر انفتاح ابواب افريقيا بالذات ودول عدم الانحياز بشكل عام أمام الثورة الفلسطينية ، وعلى قيادة وكوادر هذه الثورة استخدام هذا الضوء الاخضر للقيام بالعمل الشاق المطلوب لتحويل المناصرة الكلامية لرؤساء الدول الى رأي عام جماهيري يقدم الدعم المادي والمعنوي الفعال والمستمر للثورة الفلسطينية ويطارد فلول رجال ومؤسسات العدو الصهيوني من افريقيا ودول العالم الثالث، فيضيف عمقا جديدا للثورة الفلسطينية .

قضية الشرعية وحق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني

تتعرض الثورة الفلسطينية على الصعيد الدولي والعربي لهجوم سياسي من ثلاث جبهات لاحباط دورها الهام في تمثيل الشعب الفلسطيني ولسلبها شرعية النضال التحرري وما يترتب عليه من حقوق والتزامات .

أ — الهجوم الاسرائيلي — الامريكي الذي يحاول عزل النضال الفلسطيني واعتباره عملا ارهابيا غير مشروع واعتبار منظمة التحرير تجمعا ارهابيا لا يمثل الشعب الفلسطيني داخل الوطن المحتل او خارجه . وقد تصاعد هذا الهجوم خلال العام المنصرم بعد عملية ميونيخ والعمليات الخارجية الاخرى . وبطبيعة الحال فان البديل المطروح للشرعية الفلسطينية في هذه الحالة هو الشرعية الاسرائيلية على التراب الفلسطيني وان طرحت أحيانا بعض البدائل على أجزاء من الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ فيما يسمى بالزعامات التقليدية المحلية .

ب — هجمة النظام الاردني والتي تحاول نزع صفة تمثيل الشعب الفلسطيني من منظمة التحرير الفلسطينية على أساس ان البديل هو النظام الاردني على الضفتين الغربية والشرقية للاردن واسرائيل بالنسبة للارض المحتلة قبل ١٩٦٧ . ان الثأر السياسي والعمل الاجرامي الذي قامت به أجهزة النظام في الاردن منذ أيلول ١٩٧٠ حتى الان ترتكز أساسا على هذا المفهوم للتمثيل والشرعية .

ج — هجمة الانظمة العربية الاخرى التي تبغي فرض وصايتها على القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير والبندقية الفلسطينية ، وهذه الانظمة تجد في نفسها وفي اسرائيل بديلا ، على ان معظمها لا يمانع في اعتبار منظمة التحرير ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني طالما ان قيادة هذا الشعب ووسائل نضاله وبنادقه خاضعة لشرعية الانظمة العربية ووصايتها وارادتها وبالتالي لتصرفها من خلال استراتيجيتها هي .

ولقد كان عمل الوفد الفلسطيني خلال المؤتمر مضادا لهذه الهجمات الثلاث . فتصدى لمحاولات تصوير القضية بأنها أزمة الشرق الاوسط الناتجة عن العدوان الاسرائيلي على الاراضي العربية في حزيران ١٩٦٧ وهو الطرح الذي ينزع الشرعية فعليا عن الثورة الفلسطينية . ولكن الاتجاهات الاسرائيلية — الامريكية الخاصة بالارهاب الفلسطيني لم تظهر اطلاقا أثناء المؤتمر وبالرغم من حدوث عملية باريس واستمرارها أثناء انعقاد المؤتمر ، بل ان المؤتمر قد أصر على ادانة الارهاب الاسرائيلي والعنصرية الصهيونية وأكد الشرعية النضالية الفلسطينية بدون تحفظ .

اما بالنسبة للهجمتين التاليتين فقد ظهرتا بشكل غير حاد خلال المؤتمر . فقد حاول الوفد الاردني بكل الطرق احباط النص الخاص بحق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيل الشعب الفلسطيني معلنا بعد فشله عن استعداده لقبول النص على ان منظمة التحرير هي ممثلة للنضال الفلسطيني وليس للشعب الفلسطيني . على ان احد الوفود العربية حاول فرض العكس، اي القبول بأن منظمة التحرير هي ممثلة الشعب الفلسطيني دون القبول بها ممثلة شرعية وحيدة للنضال الفلسطيني مما يتيح لبعض الدول العربية فرصة

طرح بدائل تابعة لها لتمثيل هذا النضال تخضع لوصايتها وارادتها وتعمل من ضمن استراتيجيتها هي .

وقد أحبط المؤتمر كل هذه المحاولات وتراجعت كل الوفود العربية عن هذه الطروح مدعية بأنها جميعها صيغ « لفظية » غير هامة والمهم هو دعم القضية الفلسطينية بشكل عام حتى تظهر كافة الوفود العربية متحدة متماسكة !!*

ان الانتصار الفلسطيني بالنسبة لقضية التمثيل والشرعية هام في هذه المرحلة لمواجهة العدو الصهيوني — الامريكي المستشرس ولمواجهة النظام الاردني وللحفاظ على وحدة العمل الثوري الفلسطيني واستقلال الارادة الثورية الفلسطينية واستمرار الكفاح المسلح ولرفض وصاية الانظمة التي لا تقاتل والتي تريد اسكات صوت البديل الفلسطيني الثوري الرافض للاستسلام والمساومات .

أن هذا الانتصار لن يستمر الا بنضال طويل وشاق أمام كل المؤامرات التي تمتلىء بها آفاق الايام المقبلة الصعبة والتي تحتاج الى صلابة الثوار وعزيمتهم ووضوح رؤيتهم وحكمة قيادتهم .

خاتمة :

وتبقى هناك أسئلة عديدة يمكن أن تطرح عن فاعلية دول عدم الانحياز وعن اتجاهاتها وتماسكها في واقع دولي دينامي متحرك ، لقد كانت هناك اتجاهات في المؤتمر تدعو الى توسيع قاعدة كتلة عدم الانحياز لتشمل كل دول العالم الثالث بل وبعض الدول الاوروبية مع تركيز نشاط هذه الدول على القضايا الاقتصادية : المالية والتجارية ، وتجلى هذا الاتجاه في قبول عمان وبوتان ومالطه أعضاء عاملين واستمرار العضوية للاردن واندونيسيا ، والعضوية المراقبة للبرازيل وبوليفيا ، وهي دول ذات انظمة منحازة للخط الاستعماري بشكل واضح وتمارس القمع الارهابي ضد كل القوى الوطنية والتقدمية داخلها . وتجلى هذا الاتجاه كذلك في محاولة الحصول على الاجماع في كل القرارات واستبعاد الموضوعات التي لا اجماع عليها ، وتجلى ذلك باقرار مهاجمة عملاء أمريكا مثلا ورفض مهاجمة امريكا نفسها . ولكن كان هناك اتجاه آخر أكثر نضالية يصر على ان دور دول عدم الانحياز هو أساسا النضال ضد السيطرة الاستعمارية بأشكالها التقليدية والسافرة وكذلك بأشكالها الاقتصادية الجديدة ، وهو اتجاه يطالب ويصر على اتخاذ الخطوات العملية الملموسة بدلا من قرارات التأييد العامة ويطالب بخلق اطار تنظيمي مستمر لدول عدم الانحياز وبالعضوية العاملة لحركات التحرر ، وكان هذا الاتجاه للاسف هو الاضعف في المؤتمر بشكل عام وان نجح في تحقيق عدة انتصارات في قضية فلسطين ودعم حركات التحرر وكذلك في طرحه لخط ثوري بالنسبة للقضايا الاقتصادية المطالبة بفرض السيطرة على الاستثمارات الاجنبية وعلى حق الدول في تأميم الشركات الاجنبية لتستعيد سيطرتها على مواردها القومية . لا زال هناك غموض حول الدور الجديد الذي يمكن أن تلعبه هذه الدول ضمن ما يسمى « بالوفاق الدولي » وعن قدرتها على احداث تغيير حقيقي في موازين القوى لصالح الشعوب المستعبدة والمستغلة، بل لقد كانت هناك شكوك حول امكانية وقف بعض الدول الاعضاء من الاستمرار في التآمر لمصلحة الدول الاستعمارية ضد شعوب وحكومات أعضاء آخرين او حول قدرة هذه الدول على حماية بعضها البعض من العودة تحت السيطرة الاستعمارية مرة أخرى

---

* في الواقع انه باستثناء وفد او وفدين عربيين كانت كل الوفود الاخرى تقدم دعمها للوفد الفلسطيني وللقرارات الفلسطينية .

وسقوط حكومة تشيلي التقدمية بعد أيام قليلة من نهاية المؤتمر يشير الى هذا العجز . ولكن امكانيات العمل ليست معدومة واحتمالات التثوير والتحرر الحقيقي قائمة في الكثير من هذه الدول التي تمثل نصف شعوب العالم وأكثر من نصف موارده من المواد الخام والطاقة .

كما ان القيادات الجديدة لكتلة عدم الانحياز ستكون في يد الحكومات المنبثقة عن ثورات شعبية حقيقية كالجزائر وفيتنام وقد بدت بوادر ذلك واضحة في المؤتمر الذي تولت فيه الجزائر دورا قياديا وهو أمر يعطي لحركات التحرر بوجه عام ولثورتنا بشكل خاص احتمالات دعم هائلة .

ويبقى هناك دورنا الاساسي ، فبالقدر الذي نقدم فيه نضالا مسلحا مستمرا وفعالا وبالقدر الذي نمارس فيه نضالا جماهيريا ثوريا نشطا ، وبالقدر الذي نستفيد فيه من الضوء الاخضر الذي تعطيه الحكومات في المؤتمرات الدولية للوصول الى جماهيرهـــا ومؤسساتها ولخلق رأي عام مناصر للثورة بينها نكون قد استفدنا من هذا المؤتمر ومن الانتصارات التي تحققت فيه .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

١٢٧ سؤالاً وجواباً عن الصراع العربي الاسرائيلي

الدليل الجديد باللغة الانجليزية

بقلـــم

ابراهيم العابد

تغطي الاجوبة الـــ ١٢٧ كـــل جوانب القضية الفلسطينية وترد علـــى جميع الحجج الدعاوية الصهيونية والاسرائيلية . وقد اخذت أجوبة الاسئلة الواردة فيه من المصادر الصهيونية والاسرائيلية . كتاب لا غنى عنه لرجال الاعلام والطلاب .

اطلبه من : مركز الابحاث ـــ قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ ـــ بيروت .

٢٠٧ صفحات بأربع ليرات لبنانية ، تضاف اليها أجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي ، ٢ ل.ل. في أوروبه ، ٤ ل.ل. في سائر الدول .

ا في وطنهم :
يئة والاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل

صبري جريس

في المطبعة حاليا طبعة جديدة ، منقحة ومعدلة ، لكتاب « العرب في اسرائيل » للاستاذ صبري جريس الذي نشره اول الامر باللغة العبرية في الارض المحتلة ، وقد سبق لمركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ان ترجمه الى العربية ونشره في العام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ ونفد بعد صدوره باشهر قليلة.ثم ترجم الى عدة لغات أجنبية. أما الطبعة الجديدة ، التي اضاف المؤلف اليها اقساما تغطي اوضاع العرب في الارض المحتلة في السنوات الست الاخيرة ، فتصدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية . وفيما يلي الحلقة الثانية والاخيرة من اجزاء من الفصل الرابع :

تبق الاحزاب الصهيونية بمختلف فئاتها ، العمالية واليمينية والمتدينة ، القـوى اسية الوحيدة التي نشطت للعمل سياسيا بين العرب ، اذ سرعان ما ظهر مقابلها هذا المسرح الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وهو الحزب غير الصهيوني الوحيـد يمارس العمل السياسي شرعيا في اسرائيل منذ اقامتها .

عب الحزب الشيوعي دورا مهما في التاريخ السياسي للعرب في اسرائيل ، اذ تمكن سب تأييد قطاعات واسعة من العرب رفعه الى مرتبة الحزب الثاني ، بعد مباي ، العرب وفي بعض التجمعات العربية ، كالمدن العربية والسكان العرب في المـدن طة ، الى مرتبة الحزب الاول (انظر الجدول ٣ ادناه) . ولقد ساعدت الحـزب احتلال هذا المركز اوضاعه الذاتية من جهة والظروف الموضوعية التي مر بهـا ب تحت الحكم الاسرائيلي من جهة اخرى . فالفئات الشيوعية العربية التي كانت فة باسم « عصبة التحرر الوطني » والتي اتحدت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ لشيوعيين اليهود ضمن اطار الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، كانت تعمل بين العرب سطين قبل أن تقوم اسرائيل بسنوات عدة(٧٥)، بينما بقي عدد مـن زعمائهـا وفين ، توفيق طوبي واميل حبيبي واميل توما ، داخل اسرائيل ، والذين سرعان ما ا نشاطهم بعد أن احتلت اسرائيل مناطقهم . ويبدو ان الشيوعيين لـم يضيعوا من وقتهم وانما حاولوا استئناف عملهم السياسي في اول فرصة سنحت لهم ، فنرى شموئيل ميكونس ، عضو مجلس الدولة الموقت وفيما بعد الامين العام للحـزب وعي الاسرائيلي، يستجوب وزير الداخلية يوم ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ والحرب ية — الاسرائيلية لم تنته بعد ، عن اسباب التأخير في منح توفيق طوبي رخصـة ار صحيفة ، بعد ان كان قد قدم طلبا بذلك يوم ٤ آب (اغسطس) ١٩٤٨(٧٦). ل كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ ، نجد ميكونس نفسه يستجوب وزيـري الدفـاع خلية عن منع الحاكم العسكري له من دخول مدينة عكا وحضور اجتماع انتخابي

توزيع اصوات الناخبين العرب ، في المناطق العربية ، بحسب التجمعات السكانية والقوائم(١)

مدن عربية(٢)	قرى عربية كبيرة(٣)	قرى عربية صغيرة(٤)	البدو
السنة المئوية	السنة المئوية	السنة المئوية	السنة المئوية
عدد الاصوات	عدد الاصوات	عدد الاصوات	عدد الاصوات

شهرية « الجديد » التي تصدر منذ سنة ١٩٥٣ ، ومجلة « الغد » للشباب
١٩٥٤) و« الدرب » ، وهي لسان حال الحزب للقضايا النظرية والعقائدية ،
ذ سنة ١٩٥١ . كذلك يصدر الحزب (راكاح) ، منذ سنة ١٩٦٥ ، صحيفة
باللغة العبرية ، « زو هاديرخ » ، بعد أن استولت جماعة ماكي على صحيفة
ومية ، « كول هعام » ، وحولتها الى اسبوعية. وبالاضافة الى هذه الصحف،
لجأ الحزب الى اصدار المناشير والكراريس لتوزيعها على العرب ، لشرح
ختلفة . ولا بد من الاشارة هنا الى ان الصحافة الشيوعية التي تعتبر سجلا
ل لتجربة العرب مع النظام الاسرائيلي ، منتشرة بين قطاعات واسعة من
، وان العديد من الشعراء والكتاب العرب في اسرائيل ، أمثـــال محمود
سميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران وغيرهم ، قد ترعرع أساسا على
ذه الصحف . ومن جهة ثانية ، يبدي الاعضاء الشيوعيون في الكنيست ،
لعرب منهم ، اهتماما بالغا بقضايا العرب يتمثل في المئات من الاستجوابات
ها الى مختلف الوزراء والمسؤولين الاسرائيليين عـــن المشكلات المتعلقة
والعشرات من مشاريع القوانين الهادفة الى تحسين أوضاعهم (ولكن معظمها
لى أي حال) ، والاشتراك بصورة فعالة في أي نقاش يتعلق بقضايا العرب
وجود العضو العربي الشيوعي ، توفيق طوبي ، في الكنيست منذ تأسيسه
١٩٤ (وكان عمره وقتها ٢٧ سنة) حتى اليوم ، دون انقطاع(٧٩)، والنشاط
لذي بذله هناك ، مع زملائه، في محاولاته للدفاع عن القضايا العربية وغيرها،
طع عن تلك العلاقة الوثيقة بين الكثير من الناخبين العرب وبين الحـــزب
الاسرائيلي .

حزب الشيوعي الاسرائيلي بين العرب في اسرائيل لم تبق دائما على ما هي
كانت تشتد وتضعف وفقا للاحوال السياسية ، الداخلية والخارجية. ويستدل
لانتخابات الاسرائيلية المختلفة أن موقف الحزب مـــن القضايا الخارجية ،
نها تلك المتعلقة بالعالم العربي وحركة التحرر العربية من جهة ، والتوجه
حزب كتعبير عن مواقف الرفض تجاه السلطة الاسرائيلية من جهة اخرى ،
ناصر المهمة التي حملت العرب على تأييـــد الحزب والوقوف الى جانبه ،
، حالة عدم وجود فئات معارضة جادة داخل النظام الاسرائيلي وعدم قيام
مستقل داخل اسرائيل . فمع منتصف الخمسينات ومع توثق العلاقات بين
سوفييتي وبعض الدول العربية ، خصوصا مصر وسورية ، ازداد تأييد العرب
واستمر هذا التأييد يتزايد حتى وصل ذروته في تموز (يوليو) ١٩٥٨ عندما
جبهة الشعبية (العربية)(٨٠) التي كانت عبارة عن تنظيم شعبي عربي قاده
مة سياسة الحكومة الاسرائيلية تجاه العرب ، بعد ان كان الحزب قد اتخذ
لثاني عشر ، في سنة ١٩٥٧ ، قرارا يعلن فيه انه يؤيد حق تقرير المصير
، العرب في اسرائيل حتى الانفصال . غير ان تغيير الاوضاع السياسية في
ي مع أواخر تلك السنة ، والخلاف الذي نشب بين القوميين والشيوعيين ،
كل منهما للآخر علنا ، كان له تأثيره المباشر في تأييد الناخبين العرب للحزب
فانخفض عدد أعضائه في الكنيست نتيجة امتناع الكثير مـــن العرب مـــن
ى جانبه في انتخابات سنة ١٩٥٩ الى ثلاثة أعضاء ، بدلا من ستة في سنة
أن الحزب استعاد مكانته بعد ركود هذه الخلافات في العـــالم العربي ،
سة من مرشحيه في سنة ١٩٦١ . ولا شك في أن موقف الشيوعيين من
ي يواجهها العالم العربي ، وتأييدهم لوجهة النظر العربية عامة ، يؤثران
أ في تأييد الناخبين العرب لهم . فقبل انتخابات سنة ١٩٦٥ ، وبعد أن انشق
يوعي الى قسمين ، قسم بزعامة سنيه ـــ ميكونس ـــ فيلنسكا ، وصف بأنه

يميل الى تأييد وجهة النظر الصهيونية ، وقسم آخر بزعامة طوبي — حبيبي — فيلنر ، وصف بأنه يميل اكثر الى وجهة النظر العربية في الصراع العربي — الاسرائيلي، واطلق على نفسه اسم «القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) »(٨١)، واشترك القسمان بقائمتين منفردتين لكل منهما في الانتخابات التي جرت خلال تلك السنة . اما النتيجة ، فكانت ان حصل راكاح على ٢٠٫٦٩١ صوتا بين العرب مقابل ٥١١ صوتا حصل عليها ماكي ، بينما حصل راكاح بعد ٤ سنوات من ذلك التاريخ ، في انتخابات سنة ١٩٦٩ ، على ٢٩٫٨٧١ صوتا مقابل ٧٤٤ صوتا لماكي (انظر الجدول ٢ أعلاه) . كذلك يظهر من نتائج الانتخابات في العديد من التجمعات العربية (انظر الجدول ٤ ادناه) ان الشيوعيين يحصلون عادة في انتخابات الكنيست على نسبة تفوق تلك التي يحصلون عليها في انتخابات السلطات المحلية . ويشير الجدول ٤ الى انهم حصلوا ، في انتخابات سنة ١٩٦٩ للكنيست ، في ١١ مدينة وقرية عربية ، على عدد من الاصوات يزيد على ضعفي العدد الذي حصلوا عليه في الانتخابات للسلطات المحلية ، وتظهر النتيجة نفسها في ٦ من هذه المدن والقرى سنة ١٩٦٥ ، هذا مع العلم ان التصويتين يتمان في الزمان والمكان نفسيهما . ويفسر المراقبون هذه الظاهرة بقولهم ان الكثير من الناخبين العرب يمنحون الشيوعيين أصواتهم عند التصويت للكنيست ، على سبيل تأييد المعارضة ، تعبيرا عن نقمتهم واحتجاجهم على السياسة الاسرائيلية عامة او عن كرههم للنظام الاسرائيلي ، ولكن نسبة ملحوظة من أولئك الناخبين أنفسهم يغيرون مواقفهم عند التصويت للسلطات المحلية وفقا لمصالحهم الذاتية المحلية ، او وفقا لانتمائهم العائلي ، وهو ما لا يعني بالضرورة تأييد الشيوعيين(٨٢) .

ولكن على الرغم من كل الموانع والدوافع التي أشرنا اليها والتي تتحكم في موقف العرب من الشيوعيين في اسرائيل ، فان كل الدلائل تشير الى ان تأييد العرب للحزب الشيوعي عامة يزداد من سنة الى أخرى . ويظهر من نتائج الانتخابات العامة في اسرائيل ، منذ سنة ١٩٥٩ وحتى اليوم (انظر الجدول ٣ أعلاه) ان قوة الحزب ومكانته بين العرب في ازدياد مستمر . وهذا الوضع لا يقتصر على قطاع ما من السكان العرب دون غيرهم ، وانما يسري على كل التجمعات السكانية العربية على الرغم من الاختلاف « الحضاري » القائم بينها . ولكن هذا التأييد يختلف من فئة الى أخرى ، فنجده أقل ما يكون بين البدو ويزداد بين العرب من سكان القرى الصغيرة ثم يزداد أكثر بين سكان القرى الكبيرة ليصل ذروته بين العرب سكان المدن العربية والمدن المختلطة . ويرجع هذا الاختلاف ، في مدى التأييد للحزب ، الى عوامل عديدة منها طبعا المستوى الثقافي والوعي السياسي للفئات العربية المختلفة ، اذ يفترض انها اقوى بين سكان المدن والتجمعات السكانية الكبيرة ، ومنها ايضا مدى الضغوط التي تستطيع السلطة ممارستها على السكان لكبح جماح تأييدهم للشيوعيين والتي يفترض انها أشد بالنسبة الى البدو وسكان القرى العربية الصغيرة . غير ان هناك عاملا آخر يزيد في حجم التأييد العربي للشيوعيين ونسبته وهو ازدياد عدد الناخبين العرب الشباب ، نسبيا ، من انتخابات الى أخرى (بعد بلوغهم الثامنة عشرة) ، والذين يوصفون بأنهم يميلون الى تأييد الشيوعيين اكثر من الاجيال القديمة نظرا الى مشاعرهم القومية الملتهبة . والواقع ان هناك علاقة وثيقة متبادلة ، خلقتها الظروف التي يمر بها العرب تحت الحكم الاسرائيلي ، بين نشاط الشيوعيين من جهة وبين ازدياد التأييد لهم لدى الشباب العربي من جهة اخرى . فالحزب الشيوعي والاذاعات العربية من الدول المجاورة ، كما قيل مرة — والى حد ما عن حق — تساعد بنشاطها على تقوية المشاعر القومية لدى الشباب العربي الذي يتجه بدوره الى تقوية الحزب الشيوعي بمنحه المزيد من التأييد (والاصوات)(٨٣). ومن الجدير بالملاحظة ان الشعارات القومية تكثر عادة في الصحف الشيوعية قبيل الانتخابات .

الجدول ٤

الاصوات التي حصل عليها الشيوعيون في انتخابات الكنيست والسلطات المحلية في بعض التجمعات العربية(١)

المدينة/القرية(٢)	١٩٦٥		١٩٦٩	
	الكنيست	السلطات المحلية	الكنيست	السلطات المحلية
شـــفا عمرو	١٠٩٠	٢٦٥	١٦٧١	٥٧٥
ابو سنان(٣)	—	—	٥٥١	٣٨٥
اكســـــال	٢٧٠	١١٣	٥١٩	٤٠٠
أم الفحم	—	—	١٤٩١	٧٥٣
باقة الغربيـــة	٤٧٤	٩٢	٥٨٣	١٠٩
الطيبـــــة	١٤٢٣	٥٤٢	٢٣٢٠	٥٥٦
الطـــيرة	٨٣٥	١٦٠	١٥٩٢	٣٠٣
طمـــرة	—	—	٦٩٦	١٧٦
يافا الناصرة	—	—	٨٦٣	٤٦٧
قلنســـوة	—	—	٧٤٦	١٠٢
الرامـــــة	٢٤٣	١٠٧	٦٣٠	٢٠٣
المجمـــوع	٤٣٣٥	١٢٧٩	١١٦٦٢	٤٠٢٠

(١) Israel, Central Bureau of Statistics, *Results of the Elections to the Sixth Knesset and Local Authorities... and Results of the Elections to the Seventh Knesset and Local Authorities...*, Special Series Nos. 216 and 309, (Jerusalem, 1967, 1970), pp. 47-48 and 21-32.

(٢) اختيرت المدن والقرى التي حصل فيها الشيوعيون على أكثر من ٥٠٠ صوت في أية جولة من الانتخابات ، عدا مدينة الناصرة حيث تتساوى الاصوات تقريبا .

(٣) لم تورد نتائج الانتخابات في بعض القرى سنة ١٩٦٥ ، اما لانه لم تجر فيها انتخابات للسلطة المحلية خلال تلك السنة ، أو لان الشيوعيين لم يشتركوا في الانتخابات بقوائم خاصة بهم ، أو لانهم تحالفوا مع قوى محلية أخرى .

ان السلطات الاسرائيلية تنبهت باكرا الى هذا الدور الذي يلعبه الحزب الشيوعي ، عن عمد أو عن غير عمد ، فلجأت الى تضييق الخناق عليه ومحاصرة نشاطه ، ولهذا طبقت مختلف قيود الحكم العسكري بحق اعضائه، من حجب تصاريح السفر عنهم، الى الضغط عليهم اقتصاديا ، الى اصدار اوامر الاقامة الجبرية والاعتقال الاداري بحقهم ، وهي الاجراءات التي لا تزال تطبق بحق نشيطي الحزب العرب ، الذين عانوها كثيرا ، كعرب اولا وكشيوعيين ثانيا . غير ان السلطات الاسرائيلية كانت حذرة في اجراءاتها هذه التي بقيت مجرد محاولات لعرقلة نشاط الحزب دون حظر نشاطه او تصفيته ، وربما كان ذلك للابقاء على علاقات معينة بدول المعسكر الاشتراكي حيث يعيش الكثير من اليهود من جهة وللابقاء على عنوان معارضة يستطيع الشباب العربي الغاضب التوجه اليه عند الحاجة ، بدلا من اقفال كل الطرق أمامه ودفعه الى طريق الحركات السرية من جهة اخرى . كذلك ، فان الحزب من جهته تصرف ، منذ اقامة اسرائيل ، بصورة منضبطة جدا وفق نص القانون والعرف الاسرائيليين وروحهما ، وعندما كان ، مثلا ، أي عضو في الحزب أو أي شخص مقرب منه يتهم بتهم « تخل بالامن » ، كان الحزب يسارع الى اعلان استنكاره لتلك الاعمال وبراءته منها او تخليه عن ذلك الشخص

او طرده من صفوفه ، اذا كان فعلا لا يزال عضوا في الحزب . ولقد قطع الحزب الشيوعي ، فعلا ، شوطا طويلا من هذا الطريق حتى أصبح يعتبر من قبل الكثير حزب المؤسسة الاسرائيلية الشيوعي . وكان آخر مواقفه ، في هذه الناحية ، تأييده في سنة ١٩٦٩ لمشروع قانون تقدمت به الحكومة (وربما كانت هذه أول مرة يؤيد بها الحزب الشيوعي مشروع قانون تتقدم به الحكومة دون تحفظ) لتمويل نفقات الاحزاب الاسرائيلية خلال الانتخابات من ميزانية الدولة ، اذ حصل على حصته من المبالغ التي دفعتها الدولة ، والتي بلغت ٣٦٠ الف ليرة اسرائيلية(٨٤)، وذلك اسوة بباقي الاحزاب الصهيونية « البورجوازية » .

●

يتضح مما قدمناه عن الاوضاع السياسية للعرب في اسرائيل ان النشاط السياسي بينهم، لاسباب مختلفة ، يمارس من قبل الاحزاب الصهيونية التي يتركز اهتمامها أساسا على اصطياد أصوات الناخبين العرب بوسائل مختلفة وغريبة ، تصل أحيانا الى شراء الاصوات بالنقود من جهة وادعاء « تمثيلهم » تجاه الرأي العام الداخلي والخارجي من جهة أخرى . ومقابل هذه الكتلة من الاحزاب الصهيونية يقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي الذي يدعي لنفسه الحق في الوصاية على عرب البلد . ويبدو من مجمل تصرفات هذه الاحزاب انها تتفق جميعا ، من اجل المحافظة على مصالحها الحزبية ، على العمل ، كل ضمن امكاناته ، لمنع قيام اي تنظيم عربي مستقل ، وهو الاتفاق الذي حظي حتى اليوم بنجاح ملحوظ . ولقد جرت ، على اية حال ، عدة محاولات لاقامة حزب عربي مستقل ولكن اكثرها كان محاولات غير جادة حكم عليها بالفشل منذ البداية(٨٥) .

هناك أسباب كثيرة منعت قيام تنظيم سياسي عربي مستقل في اسرائيل. فخلال السنوات الاولى لقيامها ، لم يفكر في هذا الاتجاه سوى أفراد قليلون ، بينما لم يحرز السكان العرب عامة أي تقدم في هذا المجال بسبب انعدام التجربة السياسية من جهة والمراقبة الشديدة والوسائل الحازمة التي اتخذتها السلطات ضد الذين عملوا في هذا الاتجاه من جهة أخرى . وهكذا ، فان الفئات التي أرادت القيام بنشاط سياسي معين او التعبير عن آرائها لم تجد أمامها سوى سبيل الانضمام الى الحزب الشيوعي أو التعاون معه أو مع أحزاب أخرى بحسب الظروف . وقد تميز النشاط السياسي العربي « المستقل » خلال هذه الفترة ، عادة ، بعقد الاجتماعات او مؤتمرات الاحتجاج ضد هذا الاجراء او ذاك من اجراءات الحكومة الاسرائيلية التي تمس العرب من حين الى آخر ، باشتراك مختلف العناصر والفئات السياسية ، يهودا وعربا ، واقامة لجان متابعة لتتولى التوصيات وتنفيذها . ومع مرور الزمن ، ومنذ الخمسينات ، أصبح هذا النشاط مقتصرا على العناصر القومية العربية والحزب الشيوعي الاسرائيلي ، خصوصا بعد ازدياد العلاقات بينهما وثوقا ، بينما كان بعض الفئات اليهودية الصغيرة يؤيدهم من حين الى آخر .

استمرت هذه الحالة على ما هي عليه خلال السنوات العشر الاولى لقيام اسرائيل ، ولم يطرأ عليها أي تغيير يذكر الا في منتصف سنة ١٩٥٨ . فقد أسفرت حوادث الاول من أيار (مايو) من تلك السنة ، في الناصرة وأم الفحم ، عن اعتقال وسجن ونفي العشرات من المواطنين العرب ، على اختلاف طبقاتهم ومن مختلف المناطق العربية في اسرائيل(٨٦)، بالاضافة الى اتخاذ السلطات العديد من الاجراءات التي اعتبرت مناهضة للعرب عامة، وبصورة لا سابقة لها — بحيث اتضح ان طريقة عقد مؤتمرات الاحتجاج التي اتبعت ، حتى الآن ، أصبحت غير ملائمة ، ولا بد من اقامة تنظيم عربي دائم للتصدي لسياسة الحكومة تجاه العرب عامة ولاجراءاتها العينية من حين الى آخر خاصة . اما نتيجة المشاورات التي عقدت على اثر ذلك بين عناصر المعارضة ، من قوميين وشيوعيين ،

فكانت توجيه دعوة من قبل يني يني رئيس المجلس المحلي في كفر ياسيف ، وطاهر الفاهوم من الناصرة ، الى عقد مؤتمر شعبي في عكا يوم ٦ تموز (يوليو) ١٩٥٨ (وفي اليوم نفسه عقد مؤتمر مماثل في الناصرة) ، حضرهما نحو ١٢٠ شخصا ، بعد ان كان الحكام العسكريون قد أصدروا أوامر اقامة اجبارية بحق نحو ٤٠ شخصا ، من بينهم كاهنان عربيان ، لمنعهم من حضور المؤتمر(٨٧) ، اسفرا عن قيام تنظيم اطلق عليه اسم « الجبهة العربية » . وقد غيرت الجبهة اسمها فيما بعد الى « الجبهة الشعبية » ، بعد ان رفض حاكم اللواء الاعتراف بها وتسجيلها تحت الاسم السابق ، استنادا الى قانون عثماني قديم ، يعود الى سنة ١٩٠٩ ولا يزال ساري المفعول في اسرائيل ، يقضي بمنع تسجيل الجمعيات ذات الصبغة « العنصرية » .

ان الجبهة الشعبية (العربية) ، كما يدل اسمها ، لم تكن الا تجمعا من العرب ، قوميين وشيوعيين ، هدفه أساسا العمل على معالجة المشكلات الداخلية التي تواجه العرب في اسرائيل . فقد تعهدت الجبهة ، بموجب الدستور الذي أعدته لنفسها ، العمل لالغاء الحكم العسكري ، ووقف مصادرة الاراضي العربية ، وارجاع الاراضي المصادرة الى أصحابها ، والغاء التمييز العنصري بين المواطنين ، واستعمال اللغة العربية في جميع الدوائر الرسمية(٨٨) والعمل ايضا ، بالاضافة الـــى هذه الاهداف ، لعودة اللاجئين العرب الى ديارهم(٨٩) . ونشطت الجبهة ، في اقامة فروع لها في القرى والمدن العربية ، فاستطاعت خلال الاشهر الستة الاولى لوجودها ، حتى اواخر سنة ١٩٥٨ ، اقـــامة ستة فروع لها في الناصرة وعكا وحيفا والطيبة وكفر ياسيف ويافة الناصرة(٩٠) . ولقد دفع هذا النشاط السلطات الى مقاومتها بشراسة ، وفرض القيود على العديد مـــن زعمائها ومؤيديها ، خصوصا بعد أن اعلن بن ــ غوريون ان «اقامة الجبهة العربية بهذا الاسم كانت محاولة اولى من نوعها لاستغلال الغطاء السياسي والتنظيمـــي للحزب الشيوعي ، بما له من تأثير معين لدى بعض الدوائر بين العرب في البلد . وجاءت هذه المحاولة بعد ان قرر الشطر العربي في الحزب الشيوعي قبل نحو السنة ... دون علم أعضاء الحزب اليهود ، التماثل علنا مع الحركات العربية المعادية لدولة اسرائيل »(٩١) . واضاف بن ــ غوريون ، موضحا رأيه في الجبهة ، انه « بحسب المشروع الاصلي كان على العاملين العرب في الحزب الشيوعي الاسرائيلي الوقوف على رأس المبادرين لاقامة حركة عربية «للتحرير القومي» [الاقواس في الاصل]، وللتغطية حاولوا ادخال بعض الوجهاء الذين ليسوا أعضاء في الحزب الشيوعي »(٩٢) . ولهذا كان لا بد للسلطات الاسرائيلية من التصدي لهذا الخطر والعمل لاحتواء الجبهة .

ولكن السلطات الاسرائيلية لم تكن بحاجة الى الذهاب بعيدا في اجراءاتها الهادفة الى تضييق الخناق على الجبهة ، اذ ان الحظ حالفها هذه المرة ، فعلى اثر اشتداد الخلاف بين القوميين والشيوعيين في العالم العربي يومها ، فترت العلاقات بين هذه العناصر نفسها داخل الجبهة التي اصيبت بالشلل من جراء ذلك . وقد نتج عن هذا الوضع ان عجزت الجبهة عن تحقيق أي انجاز يذكر خلال سنة ١٩٥٩ ، عدا عقد مؤتمر للاراضي واللاجئين في حيفا في الرابع من تموز (يوليو) من تلك السنة ، حاولت السلطات عرقلة أعماله باعتقال ونفي نحو ٢٠ شخصا من كبار العاملين في الجبهة(٩٣) ، ولكنها فشلت . اما حالة التوتر داخل الجبهة ، فلم تستمر طويلا . فبعد ان قـــرر الحزب الشيوعي الوقوف الى جانب اشقائه من الاحزاب الشيوعية في الدول العربيـــة ، ورفض طلب الاعضاء غير الشيوعيين في الجبهة بالامتناع من مهاجمة العناصر القومية وحصر نشاطه ضمن اطار المشكلات الداخلية في اسرائيل ، انسحب أعضاء ما كان يعـــرف بالجناح القومي داخل الجبهة منها فتحولت الى تنظيم يضم الحزب الشيوعي ونفرا قليلا مـــن العرب . وقد نجم عن هذا العمل تضعضع مركز الجبهة وفقدانها نشاطها بين العرب وتجاه السلطات(٩٤) . وعلى الرغم من ان الجبهة لا تزال قائمة ، رسميا ، منذ ذلك

الوقت فان أحدا لا يشعر بوجودها الا عندما تنشط احيانا قبيل الانتخابات ، بمبادرة الحزب الشيوعي وللعمل لتأييده خلال المعركة الانتخابية ، ثم تعود الى استراحة طويلة.

ان الجناح الذي انشق عن الجبهة الشعبية ، والذي تزعمه وقتها منصور كردوش وحبيب قهوجي ، لم يسكت طويلا اذ أعلن في الحال نيته ممارسة العمل السياسي مستقلا ، فأنشأ ما سماه « اسرة الارض » لاصدار صحيفة اسبوعية ناطقة باسمه ، اختار لها اسم « الارض » ، للدلالة على تعلق العرب الفلسطينيين بأرضهم وتأكيد حقهم في بلادهم ، فأصبحت هذه الفئة تعرف منذ يومها باسم « جماعة الارض » . ولم تشأ الجماعة التمهل في ممارسة نشاطها العملي ، اذ بعد ان تأخرت السلطات الاسرائيلية في الرد على طلب الحصول على رخصة باصدار صحيفة ، وازاء الضغوط التي تعرضت لها من الحزب الشيوعي ومؤيديه في الجبهة ، تقرر اصدار الصحيفة على شكل نشرة يصدرها كل مرة أحد أفراد الجماعة — على اعتبار ان مثل هذا العمل ليس بحاجة الى رخصة — وتحمل كل مرة اسما مختلفا عن الاسم السابق ولكنه يحتوي على كلمة « الارض » ، مثل « شذى الارض » و« نداء الارض » و « هذه الارض » لاعلام القارىء ان كل هذه النشرات هي من مصدر واحد . اما مضمون تلك النشرات التي تميزت بلهجتها العنيفة تجاه السياسة الاسرائيلية والحركة الصهيونية عامة ، وبدعوتها الصريحة للعرب في اسرائيل الى أخذ زمام أمورهم بأيديهم ، فقد أوضحت بما لا يترك مجالا للشك ان الواقفين وراءها ليسوا الا فئة من القوميين العرب لا تختلف كثيرا عن ذلك الطراز من القوميين الذي كان منتشرا في العالم العربي وقتها . ولقد اعتبرت السلطات الاسرائيلية هذا النشاط بمثابة تحد صريح لموقفها من العرب ، خصوصا وان الدعوة الى تنظيم العرب في اسرائيل ، وانطلاقا من وجهة نظر قومية ، اعتبرت منافية لاقدس أسس السياسة الاسرائيلية الرسمية التي اتبعت تجاههم ، وسرعان ما عملت على التصدي لها . ففي أواخر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ ، عقد شموئيل ديفون ، مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، مؤتمرا صحافيا في بيت سوكولوف بتل ابيب ، شن خلاله هجوما عنيفا على هذه الجماعة ، محذرا من هذه « الفئة الناصرية التي تحرض العرب »(٩٥) في اسرائيل والتي وصفت اذاعة القاهرة نشراتها بأنها « تثلج الصدر العربي »(٩٦). وقد اعتبر هذا المؤتمر بمثابة بدء الهجوم على « الارض » ، اذ قامت الشرطة على الاثر باقفال « الصحيفة » ومصادرة آخر اعدادها ، بعد ان كان قد صدر منها ١٣ عددا اسبوعيا ، ثم قدمت ستة من محرريها الى المحاكمة فأدينوا بتهمة اصدار صحيفة دون رخصة . وفي الوقت نفسه ، بدأ الحاكم العسكري ممارسة نشاطه الاولي ضد مؤيدي الجماعة بسحب تصاريح التنقل منهم(٩٧). وفي هذه الاثناء ، كانت « الارض » قد كسبت عداوة الحزب الشيوعي المعلنة ، بعد ان كانت قد دعت في نشراتها التي سبقت الانتخابات العامة ، والتي عقدت في أوائل تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٩ ، الناخبين العرب الى مقاطعة الانتخابات ، وهو ما اعتبره الحزب الشيوعي موجها في الاساس ضده . وكان حاكم لواء الشمال قد أعلن ، في الوقت نفسه ، انه لا يستطيع ان يمنح « الارض » رخصة باصدار صحيفة اسبوعية ، لان الشخص الذي اختير ليكون محررا مسؤولا لا يتمتع بكل المواصفات التي ينص عليها قانون الصحافة الاسرائيلي .

ان النشاط الذي مارسته « الارض » حتى هذه المرحلة عن طريق النشرات التي أصدرتها ، ومحاولة اقامة تنظيم لها كان ، عمليا ، النشاط الاساسي الذي مارسته خلال كل فترة وجودها . اذ انحصر عملها عامة ، فيما بعد ، عدا اشتراك مؤيديها في المؤتمرات واجتماعات الاحتجاج ضد سياسة السلطات الاسرائيلية تجاه العرب واقامة الندوات وتنظيم المحاضرات وما شابه ذلك ، في محاولات لكسر القيود التي فرضت حولها واكتساب صفة — أي صفة — تنظيم شرعي في اسرائيل ، لتستطيع العمل علنا

بين العرب ، وهي المحاولات التي باءت جميعها في نهاية الامر بالفشل ، بعد ان سجلت تجربة فريدة في نوعها مع الديمقراطية الاسرائيلية .

كانت أولى المحاولات التي بذلتها « الارض » ، في هذه المرحلة ، لاعادة تنظيم نفسها اقامة شركـــة تجـــارية هي « شركة الارض المحدودة » ، مهمتها تعاطي اعمال الطبـــاعة والنشر ، وبحيث تعتبر ايضا المؤسسة المالية التي تتكفل بتمويـــل العمل السياسي للجماعة . وقد رفض مسجل الشركات في البداية تسجيل الشركة ، معللا ان مثل هذا العمل قد « يضر بأمن الدولة والمصلحة العامة » في اسرائيل ، وذلك بناء على رأي تقدم به المستشار القضائي للحكومة . ولكن المحكمة العليا التي حول الطلب اليها ، اعلنت ان المحافظة على أمن الدولة ليست من اختصاص مسجل الشركات الذي لا يملك الحق في اخذ هذه الناحية بالاعتبار وأمرته بتسجيل الشركة(٩٨). وعـــاد المستشار القضائي واستأنف الحكم الى هيئة مؤلفة من خمسة قضاة ، فأيدت القرار السابق(٩٩)، وتم تسجيل الشركة على اثر ذلك . وقد بيعت اسهم الشركة الى مؤسسي « الارض » ومؤيديهم ، بعد ان فرضت القيود على تداولها خوفا من ان تصل الى عناصر غير أمينة قد تسيء استعمالها .

أما المرحلة الثانية التي تلت اقامة الشركة ، فكانت تقدمها بطلب للحصول على رخصة باصدار صحيفة اسبوعية ، وهي الاجراءات التي استغرق انجازها أكثر من سنة ، الى ان استوفيت كل الشروط التي يتطلبها قانون الصحافة الاسرائيلي . ولكن حاكم اللواء أعلن عندئذ انه يرفض اصدار الرخصة استنادا الى صلاحيته وفق انظمة الطوارىء ، اذ يحق له « بمحض ارادته ، ان يمنح ... رخصة او ان يرفض منحها دون بيان اي سبب لذلك »(١٠٠). ومرة اخرى توجهت الشركة الى المحكمة العليا طالبة الغاء قرار حاكم اللواء ، ولكن الحظ لم يحالفها هذه المرة ، اذ اعلنت المحكمة ان صلاحيات حاكم اللواء في مثل هذه الامور هي صلاحيات مطلقة « وفي مثل هذه الحالة ، لا نستطيع ان نضع رأينا محل رأي السلطة المختصة ... حتى ولو اعتقد احدنا او كلنا انه لو كان الرأي لنا ، لتصرفنا بصورة اخرى »(١٠١)، ولهذا رفضت التدخل والاشارة الى حاكم اللواء بمنح الرخصة باصدار الصحيفة .

اعتبرت « الارض » رفض السلطات منحها رخصة باصدار صحيفة اسبوعية صفعة قوية تهدد بشل نشاطها اذ فقدت بهذا ، أمل الحصول على وسيلة تمكنها من الاتصال بالجماهير العربية ، ولهذا قررت اتخاذ بعض الاجراءات « الانتقامية » بحق السلطات . فقامت باعداد مذكرة عن اوضاع العرب داخل اسرائيل ، شارحة معظـــم مظالمهم ، وأرسلت نسخا عنها الى الامين العام للامم المتحدة ، والى العديد من الصحف العالمية والشخصيات المعروفة دوليا ، وكذلك الى السفارات الاجنبية في اسرائيل ، والى أعضاء الكنيست والمؤسسات الاسرائيلية المختلفة . وقد حظيت هذه المذكرة باهتمام ملحوظ خارج اسرائيل ، خصوصا لدى بعض الاجهزة في الدول العربية التي بدا وكأنها تفتـــح عينيها اول مرة على أن هناك عربا في اسرائيل . أما الضجة التي تبعت ذلك ، فقـــد أثارت حفيظة الحكومة الاسرائيلية ، اذ أعلن يومها صراحة ان ليفي أشكول ، رئيس الحكومة ، يبحث مع المستشار للشؤون العربية ورجال الامن في طـــرق مواجهـــة « الارض »(١٠٢)، بينما راحت مختلف الدوائر الاسرائيلية تطلق التهديدات المبطنة ضد الجماعة ومؤيديها . ويبدو ان السلطات الاسرائيلية عقدت النية ، منذ ذلك الوقت ، على تصفية «الارض» ونشاطها ، خصوصا بعد أن اعتبر توجهها الى جهات دولية عملا ناشزا ، مع ان هذه لم تكن اول مرة ولا الاخيرة التي يقدم بها عرب في اسرائيل مذكرات احتجاج وشكاوى الى هيئات دولية مختلفة . الا ان تطورات اخرى حدثت في الوقت نفسه ، ونجمت عن قرار « الارض » تسجيل نفسها كحزب سياسي في اسرائيل ، وما

تبعه من اجراءات حملت السلطة على التريث قبل تنفيذ قرارها .

كانت محاولة تسجيل « الارض » كحزب سياسي الخطوة الثانية التي تقرر اتخاذها ، بالاضافة الى المذكرة عن اوضاع العرب ، ردا على رفض السلطات منح رخصة باصدار صحيفة . وقد تم ذلك بعد أن اتضح ان مثل هذه الخطوة يسهل العمل السياسي العلني من جهة ويمكن الحزب من التعبير عن وجهة نظره من جهة اخرى ، بين الحين والاخر — ان لم يكن بواسطة صحيفة تنطق باسمه فعلى الاقل بواسطة عقد الاجتماعات السياسية واصدار البيانات . ولهذا اعلن في منتصف تموز (يوليو) ١٩٦٤ عن قيام « حركة الارض » التي صاغت ، اول مرة ، اهدافها بصورة واضحة ، واعلمت السلطات رسميا بذلك . وقد جاء في عقد تأسيس الحركة ان اهدافها تنص ، بين ما تنص عليه ، على « ايجاد حل عادل للقضية الفلسطينية باعتبارها وحدة لا تتجزأ ، يتفق مع رغبات الشعب العربي الفلسطيني ، ويتجاوب مع مصالحه وامانيه ، ويعيد اليه كيانه ، ويضمن حقوقه التامة والمشروعة باعتباره صاحب الحق الاول في تقرير مصيره بنفسه ضمن نطاق الاماني العليا للامة العربية». وجاء في بند اخر من الاهداف ان الحركة ستعمل لـ «تأييد حركة التحرر والوحدة والاشتراكية في العالم العربي بكل الطرق المشروعة، واعتبار تلك الحركة قوة مقررة في العالم العربي يجب على اسرائيل ان تنظر اليها نظرة ايجابية». وكان بعض المسؤولين في الحركة قد اوضح رأيه، قبل صياغة هذه الاهداف وبعدها ، اكثر من مرة بشأن ضرورة اقامة حزب عربي والاهداف التي سيعمل من أجلها. فمنصور كردوش، امين سر الحركة، يرى ان هناك ضرورة ماسة الى اقامة حزب عربي للعمل « على تنمية شعور العزة القومية [بين العرب في اسرائيل] ... والاصرار الحازم على حق المساواة الكاملة لكل السكان ... والاعتراف بحق اولئك اللاجئين الفلسطينيين الذين يريدون العودة ... ولكي تنتهج الدولة سياسة حياد ايجابي وتعايش سلمي بين المعسكرين العاملين ... »(١٠٣). كذلك اعلن كردوش ان « الحزب العربي سيتعاون مع الحركات الديمقراطية والتقدمية اليهودية في شؤون المصلحة المشتركة » . بينما أعلن صالح برانسي ، احد قادة الحركة ، « اننا عملنا ... جنبا الى جنب مع سائر القوى التقدمية والديمقراطية لاجل نيل حقوق المواطن العربي ومساواته . وما زلنا نرى ضرورة اسماع العالم صوت جماهيرنا ... ضد الاضطهاد والتمييز والحكم العسكري وسلب الاراضي وهدم البيوت دون ان نتجنى على حق الغير في العيش بسلام »(١٠٥). كذلك أكدت « الارض » ، بصورة خاصة ، ضرورة اقامة دولة عربية فلسطينية — ولا شك في أن هذا الموقف كان من الاسباب الرئيسية المباشرة التي دفعت السلطات الى تصفيتها فيما بعد — « فالعرب في اسرائيل ، حقا ، ليسوا امة ولكنهم ، قطعا ودون جدل ، جزء من امة كبيرة . فعرب هذا البلد كانوا وسيبقون دائما جزءا من الشعب العربي الفلسطيني الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من العالم العربي ... ولكن حقهم الشرعي في اقامة دولة عربية فلسطينية سلب منهم بالقوة »(١٠٦). فان كان لليهود الحق في اقامة دولة مستقلة ، « فللشعب الفلسطيني ايضا حق في دولة مستقلة ... اننا نعيش ضمن حدود هدنة ... ولا يجب ان نقرر ان كل عربي يعيش في هذه المنطقة هو اسرائيلي ... [ثم] ان ما هو موجود اليوم ليس خط حدود هبط من السماء . ومن الممكن تعديله الى هنا او الى هناك »(١٠٧). واذا ما حدث ذلك واقيمت دولة عربية فلسطينية ، ثم مرت فترة كافية تبرهن اسرائيل خلالها انها تخلت عن أطماعها التوسعية ، فانها « تستطيع ان تعيش عندئذ في سلام كجزء عضوي في الشرق الاوسط ، وكعضو في اتحاد فدرالي بين اسرائيل والشعوب العربية المتحدة »(١٠٨).

ولكن ، على اية حال ، يبدو ان السلطات اعتبرت خطوة « الارض » نحو تسجيل نفسها كحزب سياسي في اسرائيل قمة التحدي لها ، خصوصا وان الضجة حول المذكرة

التي ارسلت الى الامم المتحدة لم تهدأ بعد ، ولهذا لم يمر أكثر من يومين على استلام السلطات الاعلام عن اقامة الحركة حتى كان حاكم لواء حيفا يرد على المؤسسين انـــه بعد ان اطلع على أهداف الحركة « وعلى مواد اخرى عرضت علي... فاني أعلن... أن « حركة الارض » ... هي جمعية اقيمت قصد المس بكيـــان دولـــة اسرائيـــل وسلامتها »(١٠٩)، ولهذا فانها حركة محظورة ، واذا ما استمرت في العمل فستتخـذ ضدها الاجراءات الضرورية . وفي الوقت نفسه اشتد الهجوم على « الارض » من كافة اجهزة الاعلام والصحف الاسرائيلية .

ومرة اخرى توجهت « الارض » بالشكوى الى المحكمة العليا التي حادت هذه المـــرة عن موقفها التقليدي وقررت الدخول في نقاش سياسي مع اهداف « حركة الارض » ، توصلت في نهايته الى نتيجة مفادها أن ذلك البند من أهداف الحركة الـــذي يتعلـــق بالشعب الفلسطيني « يشجب شجبا كاملا ومطلقا وجود دولة اسرائيل عامة ، ووجود الدولة ضمن حدودها الحالية خاصة »(١١٠). أما البند الاخر الذي يتحدث عـــن تأييد « حركة التحرر والوحدة الاشتراكية » في العالم العربي ، فقد اعتبرته المحكمة تبنيـــا « لاتجاهات العداء لدولة اسرائيل [في العالم العربي] ، وللتوجه نحو تصفيتهـــا عنوة »(١١١)، ولهذا أعلنت موافقتها على رفض السلطات تسجيل « حركة الارض » او الاعتراف بها . اما السلطات فلم تجد أحسن من هذه المناسبة لتوجه ضربتهـــا الـــى « الارض » . فبعد صدور القرار بيومين اعتقل ثلاثة من قادتها ، بعد أن اعلنت الشرطة اعتقادها انهم ارتكبوا مخالفات امنية خطرة « لان عملاء للمخابرات اللبنانية والمصريـــة القي القبض عليهم مؤخرا في اسرائيل اعلموا المحققين انه طلب منهم الاتصال باولئـــك الاشخاص »(١١٢) (الذين أطلق سراحهم على أية حال ، فيما بعد ، دون توجيه أيـــة تهمة اليهم ، وفرضت عليهم الاقامة المنزلية) . ثم اتجه وزير الدفـــاع الـــى تطبيق صلاحياته وفق أنظمة الطوارىء ، فأعلن ان « جماعة الاشخاص المعروفة باسم جماعة الارض او حركة الارض ، وليكن اسمهـــا مهما يكن من وقت ، وكذلـــك مجموعـــة الاشخاص المتحدة ضمن شركة الارض المحدودة ، بما في ذلك مجموعة الاشخاص التي قامت من جراء نشاط مشترك لاصحاب أسهم الشركة المذكورة او اي جزء منهم ، هم منظمة غير قانونية »(١١٣). ولقد نتج عن هذا الاعلان حل « حركة الارض» واجهزتهـــا وحظر نشاطها ، تحت طائلة العقاب بالسجن حتى ١٠ سنوات لمن يحاول الاستمرار في هذا النشاط ، ثم الاستيلاء على ممتلكاتها .

ومع انتهاء اجراءات حل « الارض » وتصفية اجهزتها وفروعها ، ظهر وكـــأن الحركـــة وصلت الى نهاية طريق مسدود ، خصوصا وان ايا من الفئات السياسية في اسرائيل لم يبد أسفه عليها ، عدا افراد قليلين (١١٤). وقد حاد عن هذا الموقف ، رسميا ، الحزب الشيوعي الذي اعلن انه : « في رأينا ان المحاكم لم تعد للحسم في شرعية الحركـــات السياسية ... وجعل المحاكم قيما على الحركات السياسية يبدد الفصل الضروري بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ... وان حرمان جماعة « الارض » من حق العمل السياسي المشروع أمر لا يمس جماعة « الارض » فقط ويجحف بحق فئة من فئات جماهير الشعب العربي في العمل السياسي المشروع بل هو اعتداء علـــى الحريات الديمقراطية في البلاد تحت ستار الامن المزيف وهو اجراء نرفضه وننتد به »(١١٥). وكان « جهينة » (الاسم المستعار لعضو الكنيست الشيوعي اميل حبيبي)قد كتب ، بعـــد الهجوم الذي تعرضت له « الارض » على اثر ارسال مذكرتها الى الامم المتحدة : « اننا نرجو أن تستخلص جماعة « الارض » النتائج الصحيحة من التطورات الثورية الجديدة في [العالم العربي] وفي مجموعة حركة التحرر القومي . ففي هذه الحركة اصبح الان جميع الثوريين ، طلاب التحرر الكامل والاشتراكية ، يسيرون في جبهة واحدة ، ويدا واحدة ــ وغدا حزبا واحدا ... وهذا الحزب هو في بلادنا الحزب الشيوعي »(١١٦).

وبعبارة اخرى : تجديد الدعوة لـ « الارض » الى العودة والتعاون مع الحزب الشيوعي ضمن اطار الجبهة الشعبية (العربية) الا ان احدا لم يستجب لهذا النداء .

غير أن قصة « الارض » لم تنته عند هذه المرحلة ، اذ عادت لتظهر مجددا — ولاخر مرة — في سنة ١٩٦٥ . لقد كان من المقرر ان تجري في اسرائيل ، في اوائل تشرين الثاني (نوفمبر) من تلك السنة ، الانتخابات العامة للكنيست السادس — وهي المناسبة التي تقرر الاستفادة منها عن طريق الاشتراك في الانتخابات ، اذ ربما تمكنت الحركة من العمل على انجاح واحد من اعضائها ، على الاقل ، فيصبح عضوا في الكنيست يتمتع بحصانة تساعده على تجديد ممارسة العمل السياسي ، مما يفتح ثغرة في الجدار الذي اقيم حول « الارض » . وقد ازداد التأييد لاتخاذ هذا الموقف بعد أن اتضح أن الشروط التي يفرضها القانون لترشيح قائمة ما للاشتراك في الانتخابات هي ، نسبيا ، سهلة بحيث ان كل ما يطلب لمثل هذا العمل هو الحصول على توقيع ٧٥٠ شخصا ، ممن لهم الحق في الانتخاب ، لتزكية القائمة ، وايداع مبلغ ٥ آلاف ليرة اسرائيلية لدى لجنة الانتخابات المركزية ، وهو ما فعلته « الارض » معلنة انها ستشترك في الانتخابات العامة بواسطة « قائمة الاشتراكيين » التي ضمت عشرة مرشحين من أعضاء الحركة ومؤيديها . اما رد فعل السلطة على هذا العمل ، فلم يكن مختلفا عن ردود الفعل في الحالات السابقة ، اذ قبل تسجيل القائمة رسميا اصدر الحاكم العسكري أوامره بنفي أربعة من المرشحين ، اعتبرهم « محرضين » على هذا « النشاط المعادي للدولة »(١١٧)، الى عراد وبيسان وطبريا وصفد ، وهي مدن لا يسكنها العرب ، لمنعهم بذلك من التأثير في الناخبين ، وبقوا هناك الى ما بعد فترة اجراء الانتخابات . وفي الوقت نفسه ، فرضت اوامر الاقامة الجبرية على العديد من نشيطي الحركة . ولكن هذه الاجراءات لم تمنع تشكيل القائمة والطلب من لجنة الانتخابات المركزية المصادقة عليها ، فلجأت السلطة الى اجراءات اخرى لم يتضح معناها الا فيما بعد ، عندما بدأ يصل اللجنة العديد من الرسائل التي يسحب بها اصحابها تواقيعهم التي منحت لتزكية القائمة ، الا أن تواقيع أصحاب هذه الرسائل لم تلغ في النهاية عندما اتضح ان كل الرسائل كانت مشابهة وكتبت على نماذج واحدة ومعدة سلفا »(١١٨)، مما دل على وجود دوائر رسمية معينة وراءها . ولكن لجنة الانتخابات المركزية ، المؤلفة اساسا من مندوبين عن الاحزاب التي كانت ممثلة في الكنيست السابق والتي ستشترك في الكنيست المقبل وبصفتهم هذه معنيين طبعا بتقليص عدد القوائم المنافسة لهم في الانتخابات ، قررت ، بارشاد ودعم رئيسها موشيه لنداو ، وهو أحد قضاة المحكمة العليا الذين كانوا قد حظروا قيام « حركة الارض » ، عدم المصادقة على القائمة والسماح لها بالاشتراك في الانتخابات ، لان المبادرين الى تشكيلها « يشجبون سلامة دولة اسرائيل وحقيقة وجودها »(١١٩). ومرة اخرى توجهت « الارض » بالشكوى الى المحكمة العليا التي صادقت على قرار اللجنة(١٢٠)، وأيدت منع « قائمة الاشتراكيين » من الاشتراك في الانتخابات . ومع انتهاء هذه المرحلة ، توقفت « الارض » عن بذل أي نشاط يهدف الى الحصول على صفة الشرعية ضمن الكيان الاسرائيلي(١٢١).

ان الاجراءات المناهضة « للارض » ، على أية حال ، لم تتوقف عند حل الحركة ، وانما استمرت بعد ذلك لتصفية الجيوب التي اعتقدت السلطات ان « الارض » خلفتها وراءها . فخلال وجود « الارض » وبعده ، اتهمت من قبل السلطات — بجد متناه — بأنها عملت او حثت او ايدت او باركت قيام نواد رياضية في بعض القرى العربية في المثلث ، وهي النوادي التي كان الشباب العربي يقيمها أساسا للعمل على حل بعض مشكلاته ، بعد ان شعر بالاهمال الذي تبديه الدوائر الاسرائيلية المختصة تجاهه(١٢٢). فقد اعتبرت السلطات هذه النوادي بمثابة بؤر لتجمعات قومية قد تشكل « خطرا على

الامن » ، بالاضافة الى ان مثل هذا العمل يعتبر تحديا لاحتكار الهستدروت اقـامة النوادي في القرى العربية ، ولهذا سارعت الى توجيه الضغوط على اعضاء هذه النوادي لتصفيتها(١٢٣) (وكان الحاكم العسكري قد أعلن مرة قرية كفر قرع في المثلث منطقـة مغلقة لمنع اجراء مهرجان رياضي فيها باشتراك اعضاء تلك النوادي(١٢٤)، وهي الضغوط التي نجحت في معظم الحالات ، عدا حالتين ــ في الطيبة والطيرة . ففي الطيبة تجاهل اعضاء النادي الحظر الذي فرضته السلطات وباشروا نشاطهم ضمن اطار النادي ، فصدرت ضدهم اوامر اقامة جبرية واوامر باغلاق النادي(١٢٥). وعندما لم ينصاعوا للامر ، اعلن النادي جمعية غير قانونية وتمت تصفيته(١٢٦). اما في الطيرة ، فان كل هذه الضغوط لم تجد نفعا ، واستمر النادي الثقافي الرياضي هناك يعمل حتى اواخر سنة ١٩٦٨ ، عندما اكتشفت السلطات ان أحد اعضائه كان عضوا في حركة « فتح »، فأعلن وزير الدفاع النادي جمعية غير قانونية وأمر باغلاقه(١٢٧).

أن « الارض » ، كما يتضح من العرض الذي قدمناه لنشاطها ، لم تحصل على انجازات تذكر خلال فترة وجودها ، اذ لم تستطع اساسا كسر الطوق الذي اقيم حولها . وربما تكون « الارض » قد اخطأت احيانا بتسرعها وعنف لهجتها ومواقفها الصريحة الحادة واثارة عداوة كل الفئات السياسية العاملة في اسرائيل ، واولها الجهاز المبائي بـين العرب وهو اخطر تلك الفئات لما يستطيع الحصول عليه من تأييد الحزب الحـاكم ، وبالتالي أجهزة السلطة له . والواقع ان هذا الجهاز ، في سبل تأمين مصالحه ، لم يصطدم « بالارض » فقط وانما حاول أيضا التصدي لكل تنظيم سياسي اتجه الى العمل بين العرب ــ واعضاء مبام العرب ، مثلا ، صادفوا الكثير من العراقيل التي حـاول وضعها في طريقهم(١٢٨). ولكن كان هناك فرق جوهري بين تلك الفئات التي كـانت مدعمة من جهات لها وزنها في النظام الاسرائيلي ، بحيث كان هناك دائما حد للاجراءات التي يمكن اتخاذها ضدها ، وبين « الارض » التي لم تستطع في الوقت نفسه كسب اي صديق ، عدا افراد قليلين لم يكن لهم وزن كاف يستطيع الصمود في وجـه العواصف المبائية . وعلى أية حال ، يصعب من ناحية اخرى ان نرى « الارض » تتصرف بعكس الصورة التي تصرفت بها ، استنادا الى المبادىء التي نادت بها . كذلك لا شك في أن « الارض » اخطأت عندما استندت ، وبالصورة التي تم بها ذلـك ، الـى العدالـة والديمقراطية الاسرائيلية(١٢٩)، غير مقدرة مفاهيم « الامن » الصهيونية وقدرتها علـى تفسير الامور وعرضها بالصورة التي تحلو لها ، على الرغم من أن احدا من اعضـاء « الارض » ومؤيديها لم يمر دون تجربة شخصية سابقة في هذا المجال . وعلـى أيـة حال ، فان تجربة « الارض » لم تمر دون ان تترك اثرها في النظام الاسرائيلي من جهة وفي جزء من العرب في اسرائيل من جهة اخرى . فبالنسبة الى السلطة الاسرائيلية لا شك في أن وجود « الارض » ثم تصفيتها والحد من تأثيرها كانت من ضمن الاسباب التي أدت الى تغيير السياسة الرسمية تجاه العرب مع منتصف الستينات واعلان اتبـاع سياسة اكثر ليبرالية ، وذلك لتطويق تأثير الحركة ومنع قيام حركات مشابهة بـين العرب في المستقبل ، تماما كما كان التغيير في السياسة الذي اعلن في اواخر الخمسينات متأثرا ، الى حد ما ، بقيام الجبهة الشعبية (العربية) . اما بالنسبة الى جزء مـن الشباب العربي ، فقد ظهر انه ، بعد مضي اكثر من خمس سنوات على حل « الارض »، لم ينس التجربة التي مر بها اذ بعد اجراء تدقيق في نوعية المؤيدين للعمل الفدائي بين العرب في اسرائيل بعد سنة ١٩٦٧ اتضح « ان السيرة الشخصية لعدد غير قليل لمن لهم علاقة ، بصورة او بأخرى ... [بالنشاط الفدائي] ... تشير الى علاقات بجمـاعة « الارض » قبل حرب الايام الستة »(١٣٠). ويبدو ان ذلك العدد من العرب قد اقتنع بأن التقيد بالقوانين الاسرائيلية ، والاعتماد على العدالة والديمقراطية الاسرائيلية ، ليس

اكثر الطرق ملاءمة للتعامل مع النظام الاسرائيلي — ويصعب القول انه لم يكن على حق .

●

ان موقف النظام الاسرائيلي ، المعادي للتنظيمات العربية المستقلة في اسرائيل بصورة عامة، لم يطبق تجاه كل تلك التنظيمات — وعلى وجه التحديد لم يطبق بحق منظمات طلاب الجامعات العرب بالذات . ومنظمات الطلاب العرب هذه ، ظهرت اول مرة على شكل لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس في سنة ١٩٥٩ ، لمعالجة المشكلات التي كانت تواجه الطلاب العرب ، تعليمية كانت ام اجتماعية . وفي فترات لاحقة ، وبعد ان ازداد عدد الطلاب العرب في جامعتي تل ابيب وحيفا ، اقيمت لجان مماثلة في كلتا الجامعتين ، الا ان لجنة طلاب القدس بقيت تحتفظ بحق الاولوية بين هذه اللجان من جهة قوتها وفعاليتها . ومع ان لجان الطلاب هذه لم تكتف بممارسة النشاط المتعلق بالامور الطلابية فقط بل اتجهت نحو تعاطي السياسة ايضا ، ولم تترك مشكلة من المشكلات التي تعرض لها العرب في اسرائيل الا وحاولت التدخل فيها ، ان كان ذلك بالاشتراك في مؤتمرات الاحتجاج على قيام الحكم العسكري او مصادرة الاراضي او حث السلطات على حل مشكلات معينة من جهة او مساعدة جماعة « الارض » او تأييد الشيوعيين في الانتخابات من جهة اخرى(١٣١) فان السلطات الاسرائيلية لم تحاول مرة التعرض لوجودها بالذات او العمل على تصفيتها عنوة . وقد اكتفت السلطات الاسرائيلية بممارسة الضغوط التقليدية ضد النشيطين بين اعضاء تلك اللجان ضمن ذلك النوع من الضغوط الذي تمارسه عادة ضد العناصر غير المرضى عنهم ، على الرغم من أن أكثر من مسؤول من بين أعضاء تلك اللجان أدين بتهم أمنية . اما تلك اللجان فلم تكتف ، من جهتها ، بالعمل على تنظيم الطلاب العرب فقط وانما حاولت توسيع نشاطها والعمل على تنظيم طلاب المدارس الثانوية العربية ، ولكن دون نجاح ، من جهة وتنظيم الاكاديميين العرب من جهة أخرى(١٣٢). واستمرت تعمل في هذا الاتجاه حتى أقيم اخيرا في حيفا ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، بمبادرة لجنتي الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس وجامعة تل أبيب(١٣٣)، « اتحاد الاكاديميين العرب » للعمل على تحسين أوضاع التعليم والمستوى الاكاديمي للمثقفين العرب . ولقد جوبه هذا الاتحاد ، خلال مراحل اقامته وبعد ذلك ، بحملة غير ودية من الانتقادات والتشهير أحيانا ، ذلك بأن مؤسسيه « تصرفوا كأولاد مدللين ، او بحسب رأيي — معقدين ، فقد طالبوا لانفسهم بجميع حقوق اليهود وحرياتهم في الدولة »(١٣٤)، وان الذين بادروا الى تأسيسه هم « أيتام « الارض » وأيتام الحزب الوحيد الذي يدين بالتبعية السياسية للخارج »(١٣٥)، الا ان السلطة الاسرائيلية لم تتعرض له بسوء ، وانما دفعت بعض الدوائر الرسمية الى العمل على تحسين الاوضاع التي يشتكي منها الاكاديميون العرب(١٣٦). هذا على الرغم من أن هذا الاتحاد كان « مؤهلا » نظرا الى طبيعة تكوينه واستنادا الى الطرق التي اتبعتها السلطات الاسرائيلية في الماضي ، للتصفية الفورية — فهو يقوم على أساس « عنصري » مثل الجبهة العربية ويضم العديد من أعضاء « الارض » ، الجمعية غير القانونية ، السابقين . ولكن العبرة من اقامة هذا الاتحاد كانت ، فيما ظهر ، انه تحول في موقف السلطة من اقامة تنظيمات عربية ، اذ عندما أعلن اوري شتاندل ، وكان يشغل يومها منصب نائب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، معارضته السماح بقيام الاتحاد ، لم يأبه احد من المسؤولين لرأيه ، وعندما قدم استقالته احتجاجا على عدم حظره بعد قيامه ، قبلت الاستقالة : ويبدو ، حقا ، كأن شيئا ما تغير في المفاهيم الاسرائيلية بعد سنة ١٩٦٧ .

●

لم يكتف النظام الاسرائيلي بالطرق التي اتبعها والقيود التي فرضها على شكل ونوعية العمل السياسي بين العرب في اسرائيل ، وانما اتجه الى العمل بينهم على أساس طائفي أيضا بصورة تدعم مركزه السياسي ، وذلك من خلال تقوية المشاعر الطائفية لديهم وتغذيتها على حساب انتمائهم القومي ، وهو وضع يسهل علـى السلطات الاسرائيلية تعاملها معهم بعد تفكيك وحدتهم القومية . والسلطات الاسرائيلية لم تعلن عن اتباع سياستها هذه مرة واحدة ، وانما عملت لتنفيذها على مراحل بدأتها بالتحكم في تعيين ذوي المناصب الدينية من خلال التظاهر بالحرص على تأمين الخدمات الدينية لمختلف الطوائف ، واكملتها بمحاولة استغلال هذا الوضع لمآربهـــا . ولا شك في ان السلطات الاسرائيلية عندما اتبعت هذا النهج وضعت نصب عينيها هدف منع قيام زعامة دينية بين العرب قد تصبح ، مع غياب زعامة قومية ، زعامة دينية ــ قومية بامكانها ان تلعب دورا يشبه ذلك الدور الذي لعبه بعض رجال الدين الفلسطينيين ، من اسلام ومسيحيين ، ضد النشاط الصهيوني في البلد ايام الانتداب ، وهو الدور الذي رأى الزعماء الصهيونيون انه ينم عن عداء سافر لهم ــ خصوصا وانه سيكون من الصعب التصدي لرجال الدين في مثل هذه الحالة ، في ضوء السياسة الاسرائيلية المعلنة بشأن عدم التدخل في شؤون الطوائف الدينية .

ان تدخل السلطات الاسرائيلية في شؤون الطوائف الدينية ومحاولة استغلال ذلك لمآربها يختلف من طائفة الى أخرى . فبالنسبة الى العرب المسيحيين لا تكاد السلطات تمارس أي تدخل أو تأثير يذكر في ادارة شؤونهم الدينية ، ويبدو ان ما يمنعها من ذلك هو أولا عدم قدرتها على التدخل في تعيين رجال الدين اذ ان رئاسات الطوائف المسيحية الكبرى في اسرائيل موجودة خارج البلد ، وهي التي تشرف على تعيين رجال الدين ونقلهم ، دون أستشارة السلطات الاسرائيلية . كذلك ، فان حرص اسرائيل على الابقاء على علاقات حسنة بالكثير من الدول المسيحية ، وعدم اثارة الرأي العام المسيحي من جراء معاملة المسيحيين بصورة قد تفسر بأنها غير ودية ، يجعل السلطات الاسرائيلية تتصرف بحذر وتأني شديدين في علاقاتها بالطوائف المسيحية ــ بل وفي حالات كثيرة نرى الدوائر المعنية تبذل جهودا واضحة للتقرب من رجال الدين المسيحيين ، عربا وأجانب ، بصورة تصل حد التملق لهم ، وهو ما دفع بعضهم في النهاية الى الارتمـــاء في أحضان السلطـــات الاسرائيلية او على الاقل التعايش بهدوء معها . وعلى أية حال ، فهناك نشاط معاد للارساليات المسيحية في اسرائيل يمارسه بعض الفئـــات اليهودية المتعصب في تدينه ومحاولات للضغط على الحكومة لحملها على اتخاذ اجراءات لفرض القيود على نشاط تلك الارساليات ، وهي المحاولات التي تنجح أحيانا . غير ان هذا النشاط لم يوجه ضد العرب المسيحيين بصورة خاصة .

ويختلف هذا الوضع بالنسبة الى المسلمين الذين تمتعوا ايام الانتداب باستقلال ملحوظ في ادارة شؤونهم الدينية . فالسلطات الاسرائيلية ، على ما يبدو ، كانت في حيرة من أمرها، بعد اقامة اسرائيل، بشأن الخطوات التي ينبغي اتخاذها لتنظيم شؤون المسلمين الدينية . فبينما نرى مدير الدائرة الاسلامية في وزارة الاديان يدعو الى اعادة تنظيم شؤون الطائفة الاسلامية ، واقامة الاجهزة الضرورية لذلك وتحديد صلاحياتها من خلال اشراك أبناء الطائفة في ادارة شؤونهم(١٢٧)، تتصرف السلطات بعكس ذلك فتلجأ ، بعد تردد ، الى الاستيلاء على ممتلكات الوقف وتعمل على اقامة محاكم شرعية اسلامية (اثنتان في الناصرة وعكا في أواخر سنة ١٩٤٨ ، واثنتان في يافا والطيبة في أوائل سنة ١٩٥٠) وتعين قضاتها بأمر من وزير الاديان(١٢٨). وعندما طعـــن في شرعية هـــذه الاجراءات ، سارع الكنيست فأقر ، بناء على اقتراح الحكومة ، قانونا خاصا للمصادقة عليها(١٢٩)، على الرغم من اعتراض بعض اعضاء الكنيست عليه لعدم استشارة الطائفة

الاسلامية بشأن هذه الاجراءات وعدم مساواتها بباقي الطوائف(١٤٠). ولقد بقي الحال على ما هو عليه حتى سنة ١٩٦١ ، عندما صدر قانون القضاة الشرعيين الذي يبدو ان الحكومة اضطرت الى سنه بعد وفاة أحد القضاة الشرعيين الذين عينهم وزير الاديان بينما كان قاض آخر يقترب من الاحالة على التقاعد بسبب سنه(١٤١)، فأوكل مهمة تعيين القضاة الشرعيين الى لجنة مؤلفة من تسعة أشخاص ، يمكن ان يكون أربعة منهم على الاقل غير مسلمين(١٤٢)، وأصبح الاطار الرئيسي والوحيد لتنظيم شؤون الطائفة الاسلامية الدينية في اسرائيل(١٤٣)، بعد ان رفضت الحكومة اقتراحا لتشكيل مجلس اسلامي أعلى على غرار ذلك الذي كان قائما ايام الانتداب للاهتمام بشؤون المسلمين الدينية ، وذلك لان هذا الطلب ينطوي على « هدف سياسي أكثر من كونه هدفا دينيا »(١٤٤). ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية لا تلتزم دائما بموقفها التقليدي بشأن عدم التدخل في شؤون الطوائف الدينية فنرى ، مثلا ، انه على الرغم من « ان المسلم يستطيع ان يتزوج يهودية او مسيحية... وتستطيع ان تبقى على دينها »، فان قوانين الدولة تمنعنا [القضاة الشرعيين] من عقد زيجات مختلطة . والزوجة ملزمة باعتناق الاسلام »(١٤٥)، وهو اجراء ليس بالسهل في اسرائيل ، خصوصا بالنسبة الى اليهوديات . والواقع ان ما يمنع القضاة الشرعيين من عقد مثل هذه الزيجات التي يقرها الشرع الاسلامي ، ليس « قوانين الدولة » بل تعليمات داخلية كانت قد أصدرتها لهم ، في سنة ١٩٥٢ ، الدائرة الاسلامية في وزارة الاديان التي تعتبر « الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود ... مشكلة مثيرة للقلق من الناحية اليهودية »(١٤٦)، لانه على ما يبدو يتنافى مع طابع اسرائيل الصهيوني(١٤٧).

ومن ناحية أخرى ، يصر النظام الاسرائيلي على الاحتفاظ لنفسه بالاشراف على باقي شؤون الطائفة الاسلامية ايضا ، بالاضافة الى النواحي التي أشرنا اليها . فالسلطات تقوم بتغطية جزء من رواتب رجال الدين المسلمين ونفقات ادارة المساجد الاسلامية بمساعدات مالية تمنح على شكل هبات، وهي الهبات التي طالما زمرت السلطات وطبلت لها مع ان هذه المبالغ تقتطع اساسا من دخل املاك الاوقاف الاسلامية التي صادرتها اسرائيل . ولكن على الرغم من ذلك ، فان منح تلك الهبات يقرر من قبل لجنة مشكلة من ممثلين عن وزارة الاديان ومستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية والقيم على أموال الغائبين(١٤٨)، دون استشارة أي هيئة اسلامية .

ومما لا شك فيه ان هذا الموقف الذي تتبعه السلطات الاسرائيلية تجاه الشؤون الدينية للطائفة الاسلامية يعود ، الى حد ما ، الى تلك العلاقة الوثيقة — الماثلة امام عيون الكثير من الاسرائيليين — بين العرب والاسلام ، وهو ما أدى ، في أحيان عديدة ، الى تحريض أرعن على الاسلام والمسلمين في اسرائيل وخارجها(١٤٩).

ويعود موقف النظام الاسرائيلي المتباين من الطوائف الدينية بين العرب ليتغير مرة أخرى تجاه الطائفة الدرزية ، وهذه المرة بصورة توصف رسميا بأنها « ودية » وتميز هذه الطائفة عن باقي الطوائف العربية . وهذا الموقف لم يتبلور ويصل الى ما وصل اليه الآن دفعة واحدة ، وانما مر قبل ذلك في عدة مراحل ، اذ ساهم في تكوينه النظام الاسرائيلي من جهة ومساعي بعض كبار المتعاونين مع السلطة من زعماء الطائفة من جهة أخرى . فمع اقامة اسرائيل لم يكن هناك ما يميز الدروز عن باقي العرب فيها ، واذا كان هناك عدد من أبناء الطائفة الذين قاتلوا الى جانب القوات الاسرائيلية في سنة ١٩٤٨ بفضل مساعي بعض زعمائهم التقليديين من المتعاونين مع السلطة ، فان باقي الطوائف العربية ايضا ، من مسلمين ومسيحيين ، لم تكن نظيفة من هذه الناحية . غير ان ذلك النفر من الزعامة الدرزية امعن أكثر من زعامات باقي الطوائف في تعاونه مع السلطات ، اذ انه لم يكتف بالخدمة التي قدمها خلال حرب ١٩٤٨ بل نظم عرائض وقدم

طلبات الى الحكومة طالبا تجنيد كـــل الشبان الدروز للجيش الاسرائيلـــي ليخدموا « وطنهم » ، معبرين بذلك عن « ولائهم واخلاصهم » لاسرائيل . والسلطات الاسرائيلية لم تكن ، على أية حال ، بحاجة الى هذا النوع من التملق لتجنيـــد الدروز أو غيرهم للجيش الاسرائيلي، فوزير الدفاع يملك صلاحية تجنيد أي مواطن اسرائيلي دون الحاجة الى عرائض وطلبات . ولكن السلطات لم تر مانعا من استغلال هذا الموقف ، فأعربت عن تقديرها لهذا الاتجاه ، بينما أعلن وزير الدفاع انه قرر « الاستجابة » لتلك الطلبات وأصدر أمرا عاما يقضي بفرض التجنيد الاجباري على كل الشبان الذكور بين الدروز ، الذين يمنعوا على أية حال من الخدمة في وحدات معينة في الجيش(١٥٠)، مما أدى بدوره الى وقوع خلاف في الطائفة بين معارضي التجنيد ومؤيديه لا يزال قائما حتى يومنا هذا .

استمرت السلطات الاسرائيلية في سياستها هذه الهادفة الى اظهار الدروز بمظهر منفرد، فأعلنت في سنة ١٩٥٧ اعترافها بالدروز « كطائفة دينية مستقلة »(١٥١)، مع ان وزير الاديان كان قد أعلن ، قبل ذلك بعشرة أشهر ، انه لا ينوي اتخاذ مثل هذا الاجراء لان أحدا لم يقدم طلبا بذلك(١٥٢) . وبعد مرور خمس سنوات علـــى ذلك الاعلان ، أقـــر الكنيست قانون المحاكم الدرزية لسنة ٥٧٢٣ ـــ ١٩٦٢(١٥٣)، وهي خطوات لا تشوبها بحد ذاتها أية شائبة ، والتي عرضت وكأنها جاءت لتنظيـــم الشؤون الدينية للطائفة ولمساواتها بباقي الطوائف ، بعد ان كانت شؤونها تدار في السابق من قبـــل المحاكم الاسلامية الشرعية(١٥٤) . ولكن يبدو ان السلطات قصدت شيئا آخر مـــن وراء ذلك أيضا ، اذ بعد ان أعلنت عن اعترافها بالطائفة بدأت تسجيل كلمة « درزي » بدلا من « عربي » في بند « القومية » في بطاقات الهوية الاسرائيلية وباقي المستندات الرسمية . وعندما سئل وزير الداخلية عن سبب هذا التسجيل ، أجاب ان « زعماء الطائفة الدرزية [الذين لم يتذكر أسماءهم] طلبوا تمكين أبناء الطائفة ... تسجيل انتمائهم الدرزي في بند القومية أيضا ، وان وزارة الداخلية لم تجد مبررا لمعارضة هذا الامكان »(١٥٥) . ولقد نتج عن هذا الوضع تشديد في الحملة الدعائية التي كانت قائمة منذ سنوات للتمييز بين « عربي » و « درزي » ، ثم تبني هذا الخط على الصعيد الرسمي ، واعتبار الدروز « أمة » منفصلة قائمة بذاتها تختلف عن الامة العربية ، في محاولة للتفريق بنيها وبين باقي العرب في اسرائيل ، على أمل ان يؤثر هذا الوضع أيضـــا في موقف الدروز في اسرائيل وفي الدول العربية المجاورة لها أيضا . ولا شك في ان هذا الموقف كان استمرارا لمواقف فئات صهيونية معينة كانت تدعو الى التعامل مع العرب ومع شعوب الشرق الاوسط عامة ، على اساس انتمائهم لاديان وطوائف معينة ، مما يساعـــد في تفتيت شعوب المنطقة واعتبارها مجموعة من الاقليات المختلفة ، يحتل العنصر اليهودي بالتالي مركزا مرموقا بينها .

ان الدروز ، على أية حال ، لم يحصلوا على أية مكاسب استثنائية تذكر من جراء تلك السياسة التي اتبعت تجاههم . فأوضاع الدروز عامة ومستوى معيشتهم وتطور قراهم لا تختلف كثيرا ، كما سنرى ، عن الحالة بالنسبة الى باقي العرب ، بل انهم ـــ من نواحي عديدة ـــ يمرون في أوضاع أكثر سوءا(١٥٦) . وعندما أراد معدي ، نائب الوزير ، على سبيل المثال ، التفاخر بالانجازات التي حققتها الطائفة في عهد اسرائيل ، اعلن : « ان فرحي كان كبيرا عندما اتضح لي ان هناك ... عشرة أطباء من ابناء الطائفة ... وبعض المحامين والمهندسين وأصحاب مهـــن اكاديمية أخرى »(١٥٧) تخرجوا في عهد اسرائيل وخلال ٢٤ سنة (حتى سنة ١٩٧٢) عندما بلغ عدد أبناء الطائفة نحو ٣٥ ألفا. كذلك تجدر الاشارة الى ان أراضي القرى الدرزية المختلفة تعرضت لاجراءات المصادرة والنهب ، مثلها في ذلك مثل باقي أراضي القرى العربية الاخرى ، وان الاحكام العسكرية كانت مفروضة على كل الدروز في البداية ثم أعفي منها المجندون منهم بعد ذلك . ولا

تزال قيود تقييد الاقامة وغيرها تطبق حتى الان بحق العديد من الشبان الدروز المعارضين للسياسة الرسمية ، وذلك لاسباب « أمنية » طبعا ، مع ان معظم اولئك الشبان كان قد خدم في الجيش الاسرائيلي . وعلى الرغم من أن مستوى معيشة الدروز عامة لا يزال على الحالة التي أشرنا اليها ، فان حملة النفاق المتبادل بين السلطات وبعض زعماء الطائفة لا تزال مستمرة ، وكان من نتائجها العمل على فصل معالجة شؤون الدروز والاهتمام بهم عن الدوائر الحكومية التي تعالج الشؤون العربية عامة في أواخر سنة ١٩٦٧ ، وذلك « لمساواتهم » باليهود اولا ولانه « بسبب انجازات الطائفة الواضحة في مجال تنظيمها وتقدمها الاجتماعي والثقافي لا حاجة بعد ، بحسب رأي الحكومة ، الى أن تعالج شؤونها من قبل دوائر حكومية خاصة »(١٥٨) . غير انه اتضح، بعد مرور أربع سنوات على هذه الخطوة ، انها لم تكن الا من قبيل الدعاية ، وان مستشار رئيسة الحكومة للشؤون العربية لا يزال يهتم بشؤون الدروز عامة(١٥٩) . واستمرارا في السير في هذا الخط ، أعلن في مرحلة لاحقة أن السلطات ستقيم مدارس خاصة للطلاب الدروز ، بينما يجري اعداد كتاب خاص عن تاريخهم ليستعمل للتدريس في تلك المدارس(١٦٠) . ومما لا شك فيه ان تدخل السلطات الاسرائيلية في شؤون الدروز بهذه الصورة أصبح ممكنا بفضل ذلك التعاون الوثيق بينها وبين بعض الزعامات العائلية بين الدروز ، لخدمة المصالح المشتركة للطرفين على حساب الدروز عامة ، وهي الزعامات التي قوي مركزها من جراء ذلك بصورة لم تعد السلطات قادرة معها على تجاهلها ، وان أرادت ذلك . ففي سنة ١٩٦٦ ، وعلى سبيل المثال ، أحيل أحد قضاة المحكمة الدرزية على التقاعد بعد أن بلغ السبعين من عمره ، كما يحدث عادة لكل قضاة المحاكم المدنية والدينية في اسرائيل على اختلاف أشكالها ، ولكن هذا الاجراء لم يعجب ذلك القاضي وأنصاره ، وفي الوقت نفسه لم تستطع السلطات تعيين قاض آخر مكانه ، مما هدد بشل نشاط المحكمة ، فعمد الكنيست الى الموافقة على قانون خاص يسمح للمحكمة بالنظر في القضايا المعروضة عليها بهيئة مؤلفة من قاضيين فقط، وسمح للقاضي المذكور بممارسة مهماته حتى سن الخامسة والسبعين(١٦١) . ولكن بعد مرور فترة السنوات الخمس المذكورة لم يكن بالامكان ، نظرا الى الخلافات بين الاعضاء الدروز في لجنة تعيين القضاة وهي الخلافات التي تتحمل السلطات مسؤولية قدر كبير منها(١٦٢)، تعيين قاض آخر مكان القاضي المتقاعد ، فلجأ الكنيست الى تعديل القانون نهائيا حيث سمح للمحكمة بمزاولة أعمالها بهيئة مكونة من قاض منفرد(١٦٣) . وهي اجراءات ما كانت السلطات الاسرائيلية لتلجأ اليها ، استنادا الى هذه المبررات بالذات ، بالنسبة الى أية محكمة أخرى .

ان السياسة الاسرائيلية الرسمية تجاه الدروز لم تمر دون مقاومة العديد من أبناء الطائفة لها ، ان كان ذلك بسبب مصادرة الاملاك الدرزية(١٦٤)، او الاعتراض على تجنيد الشبان الدروز(١٦٥)، خصوصا بعد أن اتضح ان الخدمة في قوات الجيش والشرطة الاسرائيلية لا تمر دون ضحايا(١٦٦) . ولكن هذه المعارضة بقيت ، على أية حال ، محدودة النطاق ، بينما تميز موقف عامة الدروز بالسكوت على هذه السياسة أو محاولة التعايش معها على الاقل ، وبصورة يصعب معها القول ان محاولة السلطة لفصل الدروز عن باقي العرب لم تحظ بالنجاح ، وهو النجاح الذي يشكل جزءا من الانجاز الكبير الذي حققه النظام الاسرائيلي عندما تمكن من تفتيت الوجود العربي سياسيا داخل اسرائيل باتباع العرب بعجلة الاحزاب الاسرائيلية على اختلاف أنواعها .

---

٧٥ — انظر يهوشواع بورات ، « عصبة التحرر الوطني » ، « هامزراح هيحاداش » ، السنة الرابعة عشرة ، العدد ٤ ، ١٩٦٤ . ص ٣٥٤ — ٣٦٦ . وانظر ايضا يعقوب شمعوني ، « عرب فلسطين » ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ — ٣٤٥ .

٧٦ — « **محاضر مجلس الدولة الموقت** » ، المجلد الاول ، ١٩٤٨/٩/٢ ، ص ٦ .

٧٧ — « **محاضر مجلس الدولة الموقت** » ، المجلد الثاني ، ١٩٤٩/١/٦ ، ص ٤ ، و ١٣/١/ ١٩٤٩ ، ص ٤ .

٧٨ — وقد تنبهت السلطات الاسرائيلية لهذه الواقعة ، وحاولت عرقلة عمل الصحف الشيوعية بتعطيلها عن الصدور من فترة الى أخرى ، الا ان المحكمة العليا الاسرائيلية ، عندما احيل اليها الامر (« **كول هعام** » و « **الاتحاد** » ضد وزير الداخلية ، القضية رقم ٧٣ — ٥٣/٨٧ ، قرارات المحكمة العليا ، المجلد السابع ، ص ٨٧١) ، اصدرت قرارا فسرت بموجبه قانون الصحافة تفسيرا واسعا مطاطا ، بصورة اصبح من الصعب معها على وزير الداخلية تعطيل الصحف بسهولة . الا ان هذه الصحف تخضع للرقابة العسكرية وفق انظمة الطوارىء ، واحيانا تصدر وآثار شطب الرقيب بادية عليها .

٧٩ — وعلى الرغم من ذلك ، فان بن — غوريون أصر على عدم التحدث معه خلال كل فترة وجوده في الكنيست . ولكن في سنة ١٩٦٦ ، وبعد ان كان بن — غوريون قد تخلى عن السلطة ويعتزم اعتزال الحياة السياسية ، دعا طوبي الى زيارته في بيته بتل ابيب للتداول معه ، « ولكي يشرح مواقفه التي عرضت ، احيانا ، بشكل غير صحيح ، ولكي يستمع ويوضح لنفسه مواقف الاخرين » — « **الاتحاد** » ، ١٠/٢٨/ ١٩٦٦ .

٨٠ — بحث في الجزء الثاني من هذا الفصل .

٨١ — للاطلاع على التفاصيل حول وجهات نظر الطرفين بشأن نقاط الخلاف بينهما ، انظر الوثائق التي اصدرها الطرفان بشأن ذلك في بيرتس مرحاف ، « **تاريخ حركة العمال في ارض اسرائيل** » ، « **المصدر السابق** » ، ص ٨٩ — ١٠٠ .

٨٢ — انظر مثلا ، رأي زئيف شيف في «**هآرتس**»، ١٩٦٥/١٠/٢١، وموشيه مايزلس في «**معاريف**»، ١٩٦٩/١١/٦ .

٨٣ — وللاطلاع على نواحي اخرى تؤثر في مواقف العرب في اسرائيل ، انظر يوحنان بيريس ونيره ديفيس ، « حول الهوية القومية للعربي الاسرائيلي » ، « **هامزراح هيحاداش** »، السنة الثامنة عشرة ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٦٨، ص ١٠٦ — ١١١ ، وانظر ايضا :

Yochanan Peres, «Modernization and Nationalism in the Identity of the Israeli Arab,» *The Middle East Journal* (Washington), Autumn, 1970, pp. 479-492.

٨٤ — قانون الانتخابات للكنيست والسلطات المحلية في سنة ٥٧٣٠ (التمويل وتقييد النفقات وتدقيقها) لسنة ٥٧٢٩ — ١٩٦٩ . « **الوقائع الاسرائيلية** » ، كتاب القوانين ٥٥٠ ، ٢/٢٨/ ١٩٦٩ ، ص ٨٥ . انظر ايضا بيان اميل حبيبي تأييدا للقانون في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٩/٢/١٩ ، ص ١٦٦٦ .

٨٥ — انظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 72-75.

وكذلك :

Walter Schwarz, *The Arabs in Israel*, pp. 26, 59, 68.

٨٦ — بحث في الفصل الاول من الكتاب .

٨٧ — « **هآرتس** » ، ٦ و ١٩٥٨/٧/٧ .

٨٨ — وهذا لا يعني السماح للعرب باستعمال اللغة العربية عند اتصالهم بتلك الدوائر ، فهذا معترف به ، وانما حمل تلك الدوائر نفسها على استعمال العربية عندما تتعامل مع العرب، اذ ان القليل منها يتبع هذه الاجراءات (ومنها، مثلا ، مكاتب ضريبة الدخل) . والعربية لغة رسمية في اسرائيل ، وكان الكنيست قد رفض مرة اقتراحا تقدمت به استر رزيئيل — ناؤور ، عضو كنيست من حيروت (وعارضه بن — غوريون بشدة) لالغاء هذا الوضع (« **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٢/٧/٢ ، ص ٢٥٢٠) . الا ان « مكانة » اللغة العربية تتغير بالنسبة الى السلطات الاسرائيلية من حين لآخر ، التي تعلن مرة حماستها لتدريس هذه اللغة لليهود ثم تعود مرة اخرى وتعتبرها موضوعا ثانويا . اما آخر مواقف السلطة الاسرائيلية في هذا الصدد، فهو تدريس العربية بصورة الزامية في كل المدارس اليهودية (« **معاريف** » ، ٥/٢٤/ ١٩٧٢) . وانظر ايضا بيان شموئيل ميكونس ورد كلمان كهانا ، نائب وزير المعارف والثقافة، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٤/٥/٦ ، ص ١٧١٨ — ١٧٢٠ .

٨٩ ــ انظر ايضا حبيب قهوجي ، « **العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨** » ، بيروت ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٢ ، ص ٤٣٩ .

٩٠ ــ دافيد بن ــ غوريون في «**محاضر الكنيست**»، ١٩٥٩/١/٧ ، ص ٨٠٦ .

٩١ ــ **المصدر نفسه** .

٩٢ ــ **المصدر نفسه** .

٩٣ ــ « **هآرتس** » ، ٢٨ و ١٩٥٩/٦/٢٩ ، و ٣ و ١٩٥٩/٧/٥ . انظر ايضا اقوال توفيق طوبي ورد بن ــ غوريون عليها في «**محاضر الكنيست**»، ١٩٥٩/٧/١٥ ، ص ٢٥٤٦ ــ ٢٥٤٨ .

٩٤ ــ انظر ايضا :

Walter Schwarz, *The Arabs in Israel*, pp. 122-123.

٩٥ ــ « **جيروزاليم بوست** » ، ١٩٦٠/٢/١ .

٩٦ ــ **المصدر نفسه** .

٩٧ ــ « **هآرتس** » ، ١٩٦٠/٢/٢ .

٩٨ ــ « **قرارات المحكمة العليا** » ، المجلد الخامس عشر ، ص ١١٥١ . منصور كردوش ضد سجل الشركات ، القضية رقم ٦٠/٢٤١ .

٩٩ ــ « **قرارات المحكمة العليا** » ، المجلد السادس عشر ، ص ١٢٠٩ ، مسجل الشركات ضد منصور كردوش ، بحث اضافي ٦١/١٦ .

١٠٠ ــ المادة ٩٤ (٢) من نظام الدفاع (الطوارىء) لسنة ١٩٤٥ .

١٠١ ــ **قرارات المحكمة العليا** ، المجلد الثامن عشر ، الجزء الثاني ، ص ٣٤٤ ، شركة الارض المحدودة ضد حاكم لواء الشمال ، الناصرة ، القضية رقم ٦٤/٣٩ . انظر ايضا « **جيروزاليم بوست** » ، ١٩٦٤/٣/١١ .

١٠٢ ــ « **هآرتس** » ، ١٩٦٤/٧/٢٤ .

١٠٣ ــ *New Outlook*, November-December, 1962, p. 61.

١٠٤ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٦٢ .

١٠٥ ــ من محاضرة له في النادي الثقافي الرياضي في الطيرة ، كما نقلتها « **الاتحاد** » ، ١٤/٨/١٩٦٤ .

١٠٦ ــ Mansour Kardosh, «For a Palestinian Arab State,» *New Outlook*, May, 1966, p. 43.

١٠٧ ــ منصور كردوش في مقابلة مع « **هاعولام هازيه** » ، كما نقلتها « **الاتحاد** » ، ١١/٨/١٩٦٤ .

١٠٨ ــ Saleh Baransi, «To Face Facts— and Confess Faults,» *New Outlook*, March-April, 1963, p. 67.

١٠٩ ــ **قرارات المحكمة العليا** ، المجلد الثامن عشر ، الجزء الرابع ، ص ٦٧٥ ، صبري جريس ضد حاكم لواء حيفا ، وانظر ايضا « **جيروزاليم بوست** » ، ١٧/١١/١٩٦٤ .

١١٠ ــ **المصدر السابق** ، ص ٦٧٧ .

١١١ ــ **المصدر السابق** ، ص ٦٨٠ .

١١٢ ــ « **هآرتس** » ، ١٥/١١/١٩٦٤ .

١١٣ ــ **الوقائع الاسرائيلية** ، مجموعة النشرات ١١٣٤ ، ٢٣/١١/١٩٦٤ ، ص ٦٣٨ .

١١٤ ــ انظر ، مثلا ، آراء أوري افنيري في « **هاعولام هازيه** » ، ٧/٤/١٩٦٤ ، ويفئال عيلام في « **هآرتس** » ٧/٤/١٩٦٤ .

١١٥ ــ افتتاحية في « **الاتحاد** » ، ١٣/١١/١٩٦٤.

١١٦ ــ **المصدر نفسه** ، ١٧/٧/١٩٦٤ .

١١٧ ــ « **هآرتس** » ، ٥/٩/١٩٦٥ .

١١٨ ــ « **هاعولام هازيه** » ، ٢٢/٩/١٩٦٥ ، و ٢٩/٩/١٩٦٥ .

١١٩ ــ « **قرارات المحكمة العليا** » ، المجلد التاسع عشر ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٥ . بعقوب بريدور ضد رئيس لجنة الانتخابات المركزية للكنيست السادس ، استئناف انتخابات ٦٥/١ . وانظر ايضا « **جيروزاليم بوست** » ، ١٤/١١/١٩٦٤ .

١٢٠ ــ **المصدر السابق** ، ص ٣٨٤ ــ ٣٩٠ .

١٢١ ــ للاطلاع على رأي احد زعماء « الارض » بشأن الحركة ، انظر حبيب قهوجي ، « **العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨** » ، المصدر السابق ، ٤٤٦ ــ ٤٧٥ . وانظر ايضا « القصة الكاملة لحركة الارض » في « **شؤون فلسطينية** » ، بيروت ، السنة الاولى ، العدد الاول ، آذار (مارس) ١٩٧١ ص ١١٢ ــ ١٢٠ . وكذلك :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 92-107.

١٢٢ ــ للتفاصيل ، انظر « استنتاجات لجنة المعارف والثقافة بشأن حالة الشباب العرب » في « **محاضر الكنيست** » ، ٨/٧/١٩٦٤ ، ص ٢٢٩٩ ــ ٢٣٠٠ .

١٢٣ ــ انظر ، مثلا ، دان ميركن في « **هآرتس** »، ٣٠/١٠/١٩٦٦ .

١٢٤ ــ « **الاتحاد** » ، ٢٨/٤/١٩٦٤ .

١٢٥ — « **معاريف** » ، ١٩٦٦/٩/٢٥ .

١٢٦ — « **معاريف** » ، ١٩٦٦/١٠/١٠ . انظر أيضا رسالة وكيل اعضاء النادي ، المحامي مردخاي شتاين ، في الصحيفة نفسها ، ١٠/١٨/ ١٩٦٦ .

١٢٧ — « **الاتحاد** » ، ١٩٦٦/١/٩ .

١٢٨ — وقد علق احدهم على الاجراءات التي اتخذت ضد « الارض » بقوله : « اذا ما تتبعنا التطورات الادارية للقضية ، فسنرى انها كلها من صنع مباي .

« ان وزير العدل [عضو مباي] هيأ الاساس القانوني . ووزير الدفاع [عضو مباي] زود المعلومات الامنية . ومن المحتمل ان الاخير «أمر» [بتنفيذ] التبريرات القانونية منذ البداية . ووزير الدفاع حصل على المعلومات من نائبه [عضو مباي] او من المدير العام للوزارة [عضو مباي] الذي حصل عليها بدوره من مرؤوسيه . والتحقيق سيقودنا الى رجال الحكم العسكري وجهاز الامن ، وكلهم من نشيطي مباي في القطاع العربي . ولا حاجة بنا الى ان نشير الى موقف مباي بين السكان العرب لا يستند الى شيء ان تحدثنا عقائديا... ان لمباي نظرية طورها على مر السنين ... وهذه النظرية بالذات هي التي ارعبته . ان حزبا عربيا قد يسبب لمباي مشكلات حادة . ومن هنا النتيجة : استعمال [حظر] «الارض» كسوط ضد اولئك الذين قد يجرؤون على التمرد عليه ... »

Muhammed Watad, «Why was El-Ard Banned?», *New Outlook*, September, 1964, pp. 47-48.

١٢٩ — وحول هذا الموضوع ، انظر ايضا صبري جريس ، « **الحريات الديمقراطية في اسرائيل** » ، المصدر السابق ، ص ٨٨ — ٩٠ و ٩٨ — ١٠٠ .

١٣٠ — شلومو افنيري في « **معاريف** » ، ١٩٧١/٨/٦ .

١٣١ — للاطلاع على بعض اوجه نشاط لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس ، انظر حديث « الناطق الرسمي » للجنة في « **الاتحاد** » ، ١٩٦٦/١/٤ . وانظر ايضا :

Jacob M. Landau, *The Arabs in Israel*, pp. 54-55.

١٣٢ — انظر مقابلة مسؤولي لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس مع « **معاريف** » ، ١٩٦٥/٧/٢٧ و « **هآرتس** » ، ١٩٦٦/١/١٦ .

١٣٣ — « **الاتحاد** » ، ١٩٦١/١٢/١٧ .

١٣٤ — ميخائيل آساف في « **دافار** » ، ١٩٧١/٨/٢٣ .

١٣٥ — « **الانباء** » ، ١٩٧١/١٢/١٥ .

١٣٦ — انظر « **دافسار** » ١٩٧١/١٢/١٢ ، و « **هآرتس** » ، ١٩٧١/١٢/١٥ .

١٣٧ — انظر مقالة الدكتور حاييم زئيف هيرشبرغ، « مشكلات الشريعة [الاسلامية] في دولة اسرائيل » ، « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الاولى ، العدد ٢ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٥٠ ، ص ٩٧ — ١٠٨ . وانظر ايضا **المصدر نفسه** ، العدد ٤ ، تموز (يوليو) ١٩٥٠ ، ص ٢٦٤ .

١٣٨ — من تصريح لوزير الاديان في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٣/١١/٣ ، ص ٤٠ .

١٣٩ — قانون المحاكم الشرعية (تصديق تعيينات) لسنة ٥٧١٤ — ١٩٥٤ ، « **الوقائع الاسرائيلية** »، كتاب القوانين ١٣٩ ، ١٩٥٣/١٢/١٧ ، ص ٢٧٤ .

١٤٠ — انظر بيانات اعضاء الكنيست اميل حبيبي ورستم بستوني ويوحنان بدر (حيروت) في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٣/١١/٣ ، ص ٤٠ — ٤٧ .

١٤١ — انظر بيان وزير الاديان في اثناء عرضه لمشروع القانون في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٠/٥/١١ ، ص ١٢١٧ .

١٤٢ — المادة ٤ من قانون القضاة الشرعيين ، لسنة ٥٧٢١ — ١٩٦١ . «**الوقائع الاسرائيلية**»، كتاب القوانين ٣٣٩ ، ١٩٦١/٥/٣١ ، ص ١٧٨ .

١٤٣ — انظر ايضا اهرون لاييش ، « القضاء الديني للمسلمين في اسرائيل » ، « **هامزراح هيحاداش** » ، السنة الثالثة عشرة ، العدد ١ — ٢ ، ١٩٦٣ ، ص ١٩ — ٣٧ . وكذلك :

Aharon Layish, «Muslim Religious Jurisdiction in Israel,» *Asian and African Studies* (Jerusalem), 1965, pp. 49-79.

١٤٤ — زيراح فيرهافتيغ ، وزير الاديان، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٤/١/٢٠ ، ص ٨١٠ .

١٤٥ ــ محمد حبيشي ، قاضي عكا الشرعي ، في مقابلة مع « **يديعوت احرونوت** » ، ٢٤/٧/ ١٩٧٢ .

١٤٦ ــ وزير الاديان ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٧١/٧/٥ ، ص ٣١٠١ .

١٤٧ ــ للاطلاع على بعض اوجه النشاط الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية لمكافحة الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم انظر ، مثلا ، ملحق « **دافار** » ، ١٩٧٢/١/٢٨ .

١٤٨ ــ انظر « تقرير مراقب الدولة للسنة المالية ١٩٦٥/١٩٦٦ » ، رقم ١٧ ، ١٩٦٧ ، ص ١٩٧ .

١٤٩ ــ ومن هذه العينات ما كتبه الدكتور عزريئيل كارليباخ ، محرر « **معاريف** » ، في صحيفته بتاريخ ١٩٥٥/١٠/٧ تحت عنوان : « لا تستطيع التفاهم مع الله » :

« ان الاسلام ... عدو كل تفكير خصب ، وكل مبادرة حسنة النية ، وكل فكر خلاق ... انه لم يساهم ابدا ولن يساهم في اي شيء حسن ... انه الظلام ، والرجعية ، والسجن لخمسمائة مليون انسان معذب » .

١٥٠ ــ للتفاصيل ، انظر مجلة « **رمزور** » ، نيسان (ابريل) ١٩٧١ .

١٥١ ــ « **الوقائع الاسرائيلية** » ، **مجموعة الانظمة** ٦٩٥ ، ١٩٥٧/٤/٢١ ، ص ١٢٨٠ .

١٥٢ ــ « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٥٦/٦/١٩ ، ص ٢٠٥٣ .

١٥٣ ــ « **الوقائع الاسرائيلية** » ، **كتاب القوانين** ٣٨٣ ، ١٩٦٣/١/٣ ، ص ٣٣ .

١٥٤ ــ انظر ايضا :
Salman H. Falah, «Druze Communal Organization in Israel,» *New Outlook*, March-April, 1967, pp. 40-44.

١٥٥ ــ « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٢/١٢/١٩ ، ص ٥٢٧ .

١٥٦ ــ أنظر ، مثلا ، عمانوئيل هارؤوفيني في « **معاريف** » ، ٨ و ١٩٦٦/٦/٩ ، وكذلك « **هآرتس** » ، ١١ و ١٣ و ١٩٦٦/١١/١٤ .

١٥٧ ــ في مقابلة مه مع « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٢/١٢/٨ .

١٥٨ ــ ليفي اشكول ، رئيس الحكومة ، ردا على استجواب ، في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٦٨/٦/١٧ ، ص ٢٢٦٠ .

١٥٩ ــ غولدا مئير ، رئيسة الحكومة ، ردا على استجواب ، في **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/١/١٩ ، ص ١٠٥٢ .

١٦٠ ــ يغئال آلون ، وزير المعارف والثقافة ، ردا على استجواب، في **المصدر نفسه** ، ١٢/٩/ ١٩٧٠ ، ص ٤٤٧ . و ١٩٧١/٥/١٢ ، ص ٢٤٧٩ .

١٦١ ــ قانون المحاكم الدرزية (احكام خاصة) لسنة ٥٧٢٧ ــ ١٩٦٧، « **الوقائع الاسرائيلية**»، كتاب القوانين ٥٠٨ ، ١٩٦٧/٨/١٤ ، ص٢١٣.

١٦٢ ــ انظر بيان وزير الاديان في اثناء عرضه لمشروع القانون ورد توفيق طوبي عليه في « **محاضر الكنيست** » ، ١٩٧٢/٧/٤ ، ص ٣١٩٠ ــ ٣١٩٢ .

١٦٣ ــ قانون المحاكم الدرزية (تعديل رقم ٣) لسنة ٥٧٣٢ ــ ١٩٧٢ ، «**الوقائع الاسرائيلية**»، كتاب القوانين ٦٦٤ (بالعبرية) ، ١٩٧٢/٨/١؛ ص ١٤٤ .

١٦٤ ــ انظر ، مثلا ، « **الاتحاد** » ، ٢/٩/ ١٩٧١ .

١٦٥ ــ انظر مثلا « **دافار** » ، ٢٠ و ١/٢٧/ ١٩٧٢ ، و ١٩٧٢/٥/١٨ ، و « **هآرتس** » ، ١٩٧٢/١/٢٨ ، و ١٩٧٢/٢/٨ .

١٦٦ ــ حتى أوائل سنة ١٩٧٠ قتل ١٠٨ شبان دروز خلال خدمتهم في الجيش الاسرائيلي وحرس الحدود ، وللتفاصيل انظر مصباح حلبي ، « **بريت دامبم** » (« حلف دماء ») ، تل ابيب، اوتباز ، ١٩٧٠ .

الجامعة العربية المقترحة في الضفة الغربية

محمود فلاحة

وسط الاحتلال الاسرائيلي وفي ظل سياسة الارهاب والقمع وتشويه التعليم والحط من القيم والاخلاق والنواحي الاجتماعية والتاريخية لدى العرب التي ينتهجها برزت وطرحت فكرة تأسيس جامعتين عربيتين في الضفة الغربية وفي قطاع غـــزة يتابع فيهما الطلبة العرب تعليمهم العالي بدل أن يلتحقوا بجامعات عربية في الخارج . ففي أواخر آب سنة ١٩٧٢ تشكلت في الضفة الغربية لجنة تحضيرية اشترك فيها ثلاثة من رؤساء البلديات بينهم الشيخ الجعبري ، وثمانية آخرون من « الوجهاء » .

وتحدثت الصحيفة الصهيونية داغار ١٩٧٢/٩/٥ عن « المشروع الذي أيدته السلطات الاسرائيلية ، وهو اقامة مؤسسة رئيسية للدراسات العليا تضم اربعة فروع وهي :
ـــ معهد لتعليم الدين في الخليل . ـــ وكليات لفروع الآداب في رام الله أو بير زيت .
ـــ ودراسات عليا للزراعة في طولكرم . ـــ ودراسة العلوم الطبيعية في نابلس » .

وفي ١٩٧٢/٩/٢٤ ذكرت صحيفة هآرتس أن « اللجنة التحضيرية لاقامة جامعة في الضفة الغربية قررت أمس التوجه بطلب رسمي الى ييغال الون ، وزيـــر المعارف والثقافة ، لاقامة الجامعة بعد أن نالت موافقة من الحاكم العسكري » . وفي ١٩٧٢/١٠/٣ أقر الون « اقامة المؤسسة العربية للتعليم العالي وأعمال اللجنة التحضيرية لاقامة جامعة في الضفة الغربية وذلك في اجتماع عقده مع الشيخ محمد علي الجعبري وأعضاء اللجنة » . لقد نشرت هذا النبأ صحيفة دافـــار ١٩٧٢/١٠/٤ ، وأضافت : « طلب أعضاء اللجنة التحضيرية ... الى الون أن تعترف حكومة اسرائيل بالاعمال التي يتم تنفيذها لاقامة جامعة عربية في الضفة . وطلب الشيخ محمد علي الجعبري الذي كان يتحدث باسم اللجنة أن يعبر عن هذا الاعتراف في وثائق رسمية .

« ورد الون بأنه يرحب بالفكرة وبالنشاط المتعلق بها ...

« وبين ما طلبه الشيخ الجعبري أن يسمح له باحضار محاضرين من الدول العربية ومن دول أخرى وأن يسمح للجنة بجمع تبرعات من الخارج ..

« وقد استجاب الون لهذه الطلبات **وأضاف أنه يعترف باللجنة وأعمالها الى أن تقام مؤسسات دائمة للجامعة العربية . واقترح على أعضاء اللجنة الاستعانة بمؤسسات التعليم العالي في اسرائيل** » .

وطيلة ما تبقى من سنة ١٩٧٢ وأوائل سنة ١٩٧٣ ظلت مسألة انشاء الجامعة هذه تطرح في الضفة الغربية وتثير دوامة مـــن النقاش حولها . وفي ١٩٧٣/٣/١٣ أقرت سلطات الحكم العسكري الصهيوني اقامة جامعة في الضفة الغربية ، وذلك حين اعلن ضابط الاركان الاسرائيلي المسؤول عن شؤون التعليم في قيادة الضفة الغربية باسم الون الموافقة على تأسيس جمعية لاقامة الجامعة العربية في الضفة. وفي ١٩٧٣/٣/١٤ عرض أحد المحررين في صحيفة هآرتس الصهيونية نظام الجمعية التأسيسية للجامعة ومراحل انجاز المشروع . وقد جاء في ذلك العرض ما يلي: « بناء على قرار الحكومة...

اقر الحاكم العسكري (أمس) اقامة جمعية تشكل أساسا قانونيا لاقامة الجامعة العربية في الضفة الغربية . **ويأمل القائمون على المشروع أن يتمكنوا من فتح حلقة دراسية جامعية في العام الدراسي المقبل ، في تشرين الاول سنة ١٩٧٣** » .

أما الجامعة فسوف توزع بموجب النظام ، الذي وضعته اللجنة التحضيرية ، على بعض مدن الضفة الغربية . وستكون كما يلي : ـ كلية الحقوق في رام الله. ـ كلية الآداب والعلوم الاجتماعية في نابلس. ـ كلية العلوم الطبيعية والزراعة في طولكرم. ـ كلية الشريعة في الخليل . ولسوف تضم المرحلة الاولى من التدريس حوالي الف طالب .

وأضافت الصحيفة : « وجاء في النظام أن الجامعة لن تعالج مواضيع سياسية ، بل شؤونا أكاديمية فقط . **وبموجب توجيهات الهيئات الاسرائيلية سيتم اقرار البرامج الدراسية في الجامعة شرط ألا تشتمل على تحريض ضد اسرائيل والشعب اليهودي** » .

وأحاطت وسائل الاعلام الصهيونية اعلان موافقة سلطات الاحتلال على اقامة الجامعة باهتمام كبير ، وصورت أن « قبوله قد تم بارتياح كبير » . كذلك سربت نبأ الموافقة هذا الى بعض الصحف الكبرى وثيقة الصلة بالصهيونية في العالم الخارجي ، ثم عادت ونشرت في وسائلها الاعلامية تعليقات هذه الصحف وكتاباتها عن هذه الموافقة. ففي ١٩٧٣/٣/٢ أذاع راديو العدو أن صحيفة « نيويورك تايمز » امتدحت في مقالها الافتتاحي اليوم الجهود المبذولة لاقامة جامعة فلسطينية في الضفة الغربية . وتقول الصحيفة ان هذه خطوة هامة ستوجه رغبات الفلسطينيين القومية الى **أمور مفيدة وتحول دون تحولها باتجاه التذمر والارهاب** » . [نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢٠/٣/ ١٩٧٣ ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ص ٦] .

جامعة في غزة :

وفي الوقت نفسه تقريبا الذي كانت تنشط فيه عناصر معينة في الضفة الغربية من أجل انشاء جامعة فيها . ذكرت صحيفة دافار (١٩٧٢/٩/٢١) أن وفدا من قطاع غزة قدم مذكرة الى موشه دايان تتضمن مشروعا لاقامة جامعة عربية في غزة . وجاء في المذكرة أن أفراد هذا الوفد « عادوا منذ شهر تقريبا من زيارة للقاهرة ، حيث أبلغوا أن المصريين **سيدعمون ماديا اقامة مثل هذه الجامعة اذا جاءت البادرة لاقامتها من جانب سكان القطاع** » . كما جاء فيها أيضا أن مقدمي المذكرة « أصروا على أن تكون الجامعة في غزة عربية ، تمول من مصادر عربية ، لكن باستطاعة مجلس أمنائها قبول تبرعات ومساعدات من أية جهة شريطة ألا تكون مشروطة .

« وستكون الجامعة مستقلة من جميع النواحي عدا الاشراف الاكاديمي الذي ستكون بحاجة اليه في سنوات تأسيسها الاولى والذي سيطلب من الجامعة العبرية . وستنمي وضعها الاكاديمي بحرية . وبحسب التخطيط سيتم في البدء فتح كليات علمية : هندسة وزراعة وطب ، وتجنيد أساتذة من الفلسطينيين في الدول العربية والعالم . ويعتقد المبادرون أنهم سيتمكنون من افتتاح الجامعة خلال سنتين اذا حصلوا على ترخيص اسرائيلي باقامتها » .

ثم انقطعت الانباء عن نشاطات اللجنة الداعية الى اقامة جامعة غزة فترة طويلة ، كذلك ولم تثر هذه النشاطات أية نقاشات أو ردود فعل في قطاع غزة ، كما أثارتها فكرة جامعة الضفة الغربية . ولكن وفي ١٩٧٣/٦/١ عادت قضية جامعة غزة الى الظهور حين ذكرت صحيفة **هآرتس** الصهيونية أن هنالك خلافا بين دايان وألون حول انشاء هذه الجامعة ، وقالت هذه الصحيفة ان هذا الخلاف نشأ بعد « ان كان حاكم غزة العسكري السابق قد وافق على فتح صف عال لتعليم الشؤون الدينية ليكون صفا

تحضيريا للدراسة في جامعة الازهر في القاهرة . **وكان ألون قد عارض اقامة هذا الصف لانه سيكون بمثابة تمهيد لاقامة جامعة كاملة تكون مرتبطة بالتالي بجامعة الازهر في القاهرة . غير أن الون يرى امكانية اقامة جامعة كهذه مستقلة في غزة، على أساس أن تبدأ المرحلة الاولى كمدرسة عالية...تتطور فيما بعد لتضم عدة كليات ... غير أن أوساط حزب العمل (المباي) ترى أن الخلاف أعمق من ذلك لان له صلة بالسياسة ومستقبل المناطق ...** فاقامة جامعة مرتبطة بالازهر تتفق مع ما ينادي به دايان وهو البقاء في جميع المناطق المحتلة شريطة أن يكون سكانها مرتبطين ، جنسية ، بالبلدان العربية المجاورة . بينما يرى ألون أن اقامة جامعة مستقلة في غزة يمكن أن يجعلها ترتبط مستقبلا بجامعة الضفة الغربية » .

أي أن الخلاف سببه ليس الحرص على التعليم في غزة وانما الخلاف بين الحلين اللذين يطرحهما كل من ألون ودايان لمستقبل المناطق العربية التي تحتلها السلطات الصهيونية منذ حزيران ١٩٦٧ . على أن مشروع اقامة الجامعة في غزة يعتبر الآن مشروعا مؤجلا ، والمشروع العاجل هو مشروع الجامعة في الضفة الغربية .

مناقشة الفكرة :

لقد مارست السلطات الصهيونية بحق عرب فلسطين الذين بقوا منذ عام ١٩٤٨ تحت الاحتلال الصهيوني ، وكما ذكر من قبل، سياسة تجهيل وتدمير فكري. على أن الاصوات العربية الاصيلة التي ظلت ترتفع في الاراضي المحتلة دليل راسخ على استعصاء الشعب العربي فيها على المخططات الصهيونية الموضوعة لافنائه ، فلم تتحقق جميعهـــا كل التحقيق .

ولا بد من التوكيد هنا على أن فكرة اقامة جامعة عربية في الضفة الغربية لم تكن ذاتية صدرت عن افراد اللجنة التحضيرية لها ، اذ أن هؤلاء ليسوا أكثـــر من ألعوبة في يد سلطات الاحتلال تحركهم وفق هواها . وما كان لهم أن يطرحوا هذه الفكرة لو لم توح بها لهم سلطات الاحتلال وتشجعهم على المضي بها . ان تشجيع السلطات الصهيونية اقامة جامعة في الضفة الغربية، بعد كل سياسات التجهيل والقمع الفكري التي مارستها ضد عرب فلسطين ، ليس خارجا عن الاستراتيجية البعيدة المدى الموضوعة من أجل تحقيق المطامع الصهيونية في المنطقة العربية .

ومن مخاطر هذا التشجيع على النضال العربي من أجل فلسطين عربية ، وفوائده على سلطات الاحتلال الصهيوني ما يلي :

١ ـــ تكريس ما تسعى اليه السلطات الاسرائيلية من غرس فكرة امكانية التعايش العربي ـــ الاسرائيلي ظاهريا ومرحليا على الاقل . وفي هذا الاتجاه « عملت اسرائيل على أصعدة متعددة ، فقد سمحت ازاء حاجتها المتزايدة للايدي العاملة بأن يعمل العمال العرب في بعض المشاريع الاسرائيلية . كما عقدت مع كبار المتمولين في الضفة الغربية وقطاع غزة صفقات لاقامة مشاريع صناعية تابعة للمشاريع الاسرائيلية وتؤدي الى ربط مصالح هذا القطاع من السكان بالاقتصاد الاسرائيلي ، ثم عمدت بعـــد ذلك الى اجراء الانتخابات البلدية لتوجد متنفسا سياسيا ، ولو شكليا، لقطاع المتمولين يمارسون من خلاله اشرافهم على مشاريع البلدان ويريحون الادارة الاسرائيلية ، من خلاله أيضا، من تحمل عبء المسؤوليات الادارية التي تضعهم في مواجهة يومية مع السكان. ولاضفاء مظهر حضاري على العملية كلها (التعايش) شجعت اسرائيل عمليـــة التفكير بانشاء جامعة في الضفة الغربية وهي تعلم سلفا أن امكانيات نجاحها كجامعة محدودة جدا...» [مجلة **ألبلاغ** ، بيروت ، ١٩٧٣/٦/٤] .

٢ ـــ اقامة بناء دعاوى ضخم ، يصل حتـــى المستوى الدولي ، لصالح اسرائيل ،

واظهارها لا بمظهر المحتل الفاشي الذي يتبع أسلـــوب العقوبات الفردية والجماعية وينتهك حقوق الانسان العربي وأرضه وممتلكاته بل بمظهر الحريص على « نشر الثقافة والتعليم في المناطق المحتلة » من ناحية ، وممارسة « الديمقراطية » في هذه المناطق من ناحية أخرى .

في مقابلة صحفية أجرتها مجلة نيو ميدل ايست [أيار ١٩٧٣ ، ص ٧] ، الصهيونية، في لندن مع ييغال الون نائب رئيسة وزراء العدو ووزير الثقافة والتعليم ، وجه اليه السؤال التالي : كيف تعتبر الخطة ، التي حظيت الآن بالقبول ، لانشاء جامعة عربية في الضفة الغربية ؟ هل تعتبر ذلك دليلا على مزيد من تطوير هوية عربية ــ فلسطينية مستقلة ؟

ــ ألون : ان جامعة عربية في الضفة الغـــربية ضرورة أساسا لتوفـــير الحاجات التعليمية لدى الشباب العرب الذين يتوقون الى أن يتعلموا . وعلى رغـــم حقيقة أننا نسمح لحملة الشهادة الثانوية في الضفة الغربية وقطاع غـــزة بمتابعة دراساتهم في جامعات الدول العربية الا أن قلة من هؤلاء يقبلون بسبب وفرة اعدادهم . ان نفقاتهم باهظة ، ولا ريب عندي في أن وجود جامعة عربية في الضفة الغربية سوف يسمح بسد حاجات عدد أكبر جدا . ومن الطبيعي أن مؤسسة تقام باشتراك ممثلي كافة المستوطنات الهامة تقريبا في الضفة الغربية يمكن أن يكون لها معنى سياسي في المستقبل . ان بعض الاسرائيليين ينظرون الى هذه الامكانية بقلق كبير ، وأنا شخصيا أعتبرها مع آخرين عديدين تطورا ايجابيا » .

٣ ــ احتواء التعليم العالي لدى شباب الضفة الغربية وقطاع غزة، واحكام السيطرة الاسرائيلية عليه عن طريق مناهج التدريس والهيئات التدريسية والادارية فيها ، ثم توجيهه وفق التخطيط الصهيوني الموضوع لتعليم عرب المناطق المحتلة في سنة ١٩٤٨ .

ومع احتواء التعليم العالي يرمي العدو ايضا الى احتواء الشباب العرب الذين هم في سنه ، وفصلهم عن الطلبة الجامعيين في الدول العربية ، وذلك من اجل جعل التأثير الطالبي لا يسير باتجاه الداخل نحو المناطق العربية المحتلة ، وقطع التفاعل الذي يمكن أن يحدث نتيجة التماس بين الطلبة ، من المناطق العربية المحتلة وغيرها ، في شتى الجامعات العربية . ويضاف الى ذلك ، وعلى المدى البعيد ، ووفق توجيه وسيطرة صهيونية على الجامعة فك الارتباط ، مهما كانت نسبة ذلك ، عن التراث والقيم الثقافية العربية والتاريخ العربي ، وحشو عقول الدارسين في هذه الجامعة ، لا سيما في ميادين العلوم الاجتماعية والاسلامية والآداب ، بما يتناسب وأهداف العدو وخططه في الحط من تاريخ العرب وثقافتهم وحضارتهم وتشويهها .

٤ ــ تمزيق أي تجمع طالبي ، على المستوى التعليمي العالي ، وذلك بجعل كليات هذه الجامعة موزعة على المدن الرئيسية في الضفة الغربية ، وهي رام الله ونابلس وطولكرم والخليل بحيث يسهل قمع أي تحرك وطني يقوم به طلبة هذه الكليات وخنق أي صوت طالبي يرتفع معارضا سلطات الاحتلال .

كل ذلك ضمن استغلال سلطات الاحتلال تعطش عرب الضفة الغربية الى التعليم العالي .

ردة الفعل ... فلسطينيا وعربيا :

احتدم النقاش في الضفة الغربية حول هذا المشروع ، وبات واضحا هناك ، من خلال أعضاء اللجنة التحضيرية له ، أن اليد الصهيونية هي من وراء دفـــع هذا المشروع وتحريكه وتشجيعه .

وقد أشار أكثر من مصدر الى قيام معارضة جماهيرية في الضفة الغربية ، وأورد بعض أبرز أسباب هذه المعارضة ومنها :

١ ــ استبعاد القدس العربية كمركز لهذه الجامعة بسبب رفض السلطات الاسرائيلية التي تعتبر القدس جزءاً من اسرائيل .

٢ ــ الخوف من أن تهيمن السلطات الاسرائيلية على جامعة تتأسس في ظل الاحتلال .

٣ ــ الخلاف على ان تكون الجامعة مستقلة او مرتبطة بالجامعة الاردنية . [نشرة م. د. ف. ١٩٧٣/٤/١] .

وقد ذكرت صحيفة دافار الاسرائيلية ان هنالك خلافا بين « زعماء » الضفة الغربية على انشاء جامعة عربية في الضفة وأضافت ان « عضو بلدية نابلس ، حافظ طوقان ، نشر أمس مقالا في جريدة القدس جاء فيه أن **اعضاء اللجنة التحضيرية الذيـــن عينوا أنفسهم لم يجروا استشارات كافية ويعملون بتسرع وهنـــاك تحفظ في أوساط سكان الضفة الغربية ازاء كافة أساليب عمل هذه اللجنة** » . ان « التحفظ » الذي أشار اليه عضو بلدية نابلس هذا ، وهو أحد « وجهاء » الضفة الغربية « المنتخبين » ، ليس سوى معارضة سكان الضفة الغربية لمشروع الجامعة هذا .

لقد تجاوز موضوع الجامعة العربية هذا أوساط الضفة الغربية ، فطرح في مؤتمر المشرفين على شؤون الفلسطينيين في الدول العربية ، وفي اتحاد الجامعات العربية ، وفي المجلس الدائم للتخطيط التربوي ، بل وفي مجلس الجامعة العربية نفسه . وقد اتخذت هذه الجهات توصيات شجبت فيها فكرة انشاء هذه الجامعة . ثم طرحت عليها عدة اقتراحات من أجل اتاحة الفرصة أمام أبناء فلسطين كي يتموا تعليمهم العالي دون ان يقعوا فريسة للتخطيط الصهيوني بدخول الجامعة المقترحة .

ومن الاقتراحات التي قدمت : ١ ــ توسيع الجامعات العربية ، حيث يتكاثر الطلبة الفلسطينيون ، في دول المواجهة ، من أجل جعلها تستوعب عددا أكبر مـــن الطلبة الفلسطينيين ، وذلك عن طريق تقديم دعم مادي من الدول العربية المنتجة للنفط بالدرجة الاولى . ٢ ــ اقامة جامعة عربية في خارج المناطق المحتلة للطلبة الفلسطينيين .

وفي الدورة التاسعة والخمسين لمجلس الجامعة العربية ، التي عقدت في القاهرة في مطلع شهر أيار الماضي ، اختار المجلس الطريق الاسهل والذي لن ينفذ .

ففي تلك الدورة اتخذ القرار ٣٠٢٨ تاريخ ١٩٧٣/٤/٧ ... وقد جاء فيه ما يلي بعد « شجب انشاء أي معهد أو جامعة للطلاب العـــرب بالاراضي المحتلة تكون مرتبطة بالسلطات الاسرائيلية أو تحت اشرافها » ...

٢ ــ الموافقة من حيث المبدأ ، على انشاء جامعة في احدى الدول العربية للطلبة الفلسطينيين .

٣ ــ أن تعد الامانة العامة ، بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية ، دراسة كاملة لهذا المشروع وتكاليفه على أن يعاد عرض المشروع على مجلس الجامعة في اجتماع مقبل بعد استطلاع آراء الدول العربية فيه ومدى استعدادها للمساهمة في تكاليفه » .

ان هذا يعني ، وبعبارة صريحـــة ، عدم اتخاذ أية خطوة جـــادة لمقاومة المشروع المطروح .

الحـــل :

والحل الصحيح والسريع والفعال لمشكلة اقامة هذه الجامعة هو التوسع في قبول طلبة المناطق المحتلة في الجامعات العربية التي يتدفقون عليها ومنحهم معونات مادية

تساعدهم على متابعة دراستهم ومواجهة هذا التوسع بتوسع في هذه الجامعات نفسها. وتؤخذ تكاليف هذا كله من أموال دعم الصمود في المناطق العربية المحتلة ومن حملات تبرعات شعبية في الدول العربية المنتجة للنفط بالدرجة الاولى ومن تبرعات وهبات من الحكومات العربية .

ان في ذلك ، اذا تم ، كسبين لا كسبا واحدا . — الاول احباط هذا المشروع المشبوه، والمحافظة على تنشئة الجيل العربي في المناطق العربية المحتلة تنشئة قومية صحيحة ، وفضح الاهداف الاعلامية والتعايشية الكاذبة للعدو . — الثاني المساعدة على تطوير الجامعات العربية ، في دول المواجهة ، والتي ستقبل هؤلاء الطلاب ، وذلك دون أن تتحمل هذه الدول اعباء مالية جديدة .

ان العدو يعمل من أجل البدء في اقامة هذه الجامعة ، التي ستستوعب الف طالب ، في شهر تشرين الاول القادم . ومعركتنا مع العدو تتطلب العمل سريعا من اجل استباق مخططاته واحباطها . ومن أجل عدم خسارة شباب المناطق المحتلة الذين هم في سن التعليم العالي .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب

دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني
قرية ترمسعيا

جاء الكتاب نتيجة جهد ميداني طويل قامت به « لجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني » وقسمته في عشرين فصلا يعالج كل منها بالتفصيل ناحية من التراث الشعبي لاهالي قرية ترمسعيا ومعطيا صورة وافية ، ان لم نقل شاملة ، عن جميع العادات الفولكلورية المتبعة في القرية الى جانب مجموعة الامثال والاشعار والاغاني التي يقولها أهل القرية .

اطلب نسختك من : مركز الابحاث الفلسطيني — قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

٢٤٢ صفحة من القطع الكبير

٨ ل. ل. تضاف اليها اجور البريد الجوي : ١ ل.ل. في العالم العربي
٢١/٢ ل. ل. في اوروبة ، ٥ ل. ل. في سائر الدول

سياسة اميركا الخارجية والمواجهة العربية - الاسرائيلية في عهد جونسون

الدكتور طالب يونس

تسلم جونسون(١) منصبه كرئيس للولايات المتحدة في شهر تشرين الثاني ١٩٦٣. ولم يكن جونسون شديد الاهتمام بالسياسة الخارجية على غرار الرؤساء الذين سبقوه ، ولم يكن مهتما بصورة خاصة في محاولة النظر الى النزاع العربي — الاسرائيلي بالاناة والموضوعية الحقة التي يستحقها . ولقد استمرت السياسة الاميركية في الشرق الاوسط كما كانت قائمة على المبدأ الغامض القائل « بحق اسرائيل في الوجود » والذي يعني في التحليل الاخير التزام الولايات المتحدة الكلي نحو الدولة الصهيونية . وظلت اسرائيل بنظر البنتاجون — كما سنرى — تمثل حارس المصالح الاميركية في المنطقة ، او بتعبير أميركي ، تقوم بدور الشريف (آمر القانون) الاميركي في الشرق الاوسط . « شريف » تؤمن له كافة الاعتدة الحربية اللازمة للحفاظ على القانون والنظام ، والمقصود «بالقانون والنظام » هو الحفاظ على الامر الواقع وضرورة مجابهة من يحاول الخروج على هذا الامر الواقع من أجل التغيير . وكانت الدول العربية الاشتراكية — خصوصا الجمهورية العربية المتحدة وسوريا — ترى أن مبرر وجودها يكمن في قدرتها على انجاز تغييرات داخلية ضخمة في المجالات الاقتصادية — الاجتماعية والسياسية . وكانت الدولتان تشعران بنفس الالتزام تجاه سياسة خارجية مستقلة تماما على مستوى الوطن العربي، سياسة مكرسة للتخلص من كافة أنواع الاستغلال الاجنبي . ولذا كان من الطبيعي جدا أن تصطدم مثل هذه السياسة مباشرة بالاستغلال الصهيوني لفلسطين ، ومن ثم تخوض نضالا لا هوادة فيه ضد دولة اسرائيل التي تمثل التجسيد غير المقدس للصهيونية العالمية . ومن شأن هذه المقاومة النشطة ضد الغزو الاسرائيلي ان تعتبر تعكيرا لحالة الوضع الراهن وتؤثر على أهم اهداف السياسة الاميركية في الشرق الاوسط والمعرف خطأ بمبدأ الاستقرار . وهو مبدأ خاطىء من حيث التعريف لانه يتجاهل حقيقة هامة وهي أنه خلف الاستقرار الظاهري توجد حالة كثيفة من عدم الاستقرار ، وتوتر ضخم تولد لدى الشعب العربي كنتيجة لتراكم احساسه بالظلم الذي يلحق به . ولم يدرك هذا المبدأ جذور المشكلة والمتمثلة بحق عرب فلسطين في وطنهم المغتصب بل انحصر في اطار سطحي لتدعيم واقع مصطنع يرتكز على ظلم اخلاقي وعدم شرعية دولية .

ربما كنا على صواب حين نعتقد ان فشل ادارة جونسون (او فشل جميع الادارات الاميركية فيما يتعلق بهذه الناحية) في النظر الى المواجهة العربية — الاسرائيلية بشكل موضوعي لم يكن فشلا محتما لا يمكن تجنبه ، بل كان في الواقع مسألة متعمدة . فالولايات المتحدة لا يمكن ان تقنع بالتزام جانب الحياد في النزاع ما دامت تتحرك وفقا لمصالحها الخاصة . لان أي موقف حيادي فعلا يتطلب وقف جميع المساعدات عن اسرائيل . وهذا بدوره يضعف اسرائيل ويؤدي فورا الى قيام وضع جديد يتعارض

تماما مع تلك المصالح كما يراها رجال السياسة الاميركيون . (سوف نعود الى هذه النقطة) .

لذلك يجب ان لا نفاجأ حين نرى تباينا كبيرا بين التصريحات الرسمية الاميركية حول الحياد وادانة الدولة التي تعتدي على غيرها في الشرق الاوسط ، من جهة ، والسياسة المنحازة كليا لجانب واحد من جهة أخرى ، مما يجعل تلك التصريحات خالية من أي معنى . ومن الواضح ان برنامج المساعدات الاميركية ليس سوى أداة تستخدم لفرض الضغوط على البلدان التي تحصل على هذه المساعدات . وقد لجأت ادارة جونسون الى تقديم مساعدة للجمهورية العربية المتحدة في محاولة للتأثير على سياستها المستقلة. وحين تصدت الجمهورية المتحدة للولايات المتحدة انقطعت تلك المساعدة ثم توقفت نهائيا في حزيران ١٩٦٦ . وفي المقابل لم يوجه أي ضغط لاسرائيل ، ولكن الذي كان يحدث هو العكس تماما(٢) .

ولقد اتضح هذا التناقض بين تصريحات الحكومة الاميركية وسياساتها المنحـــازة ، بشكل صارخ أثناء حرب حزيران ١٩٦٧ وبعدها .

في الخطاب الذي القاه الرئيس عبد الناصر (٩ حزيران) واعلن فيه استقالته ، ذكر صراحة انه تلقى تهديدا من الولايات المتحدة . « رسالة من الرئيس الاميركي ، لندون جونسون ، سلمت الى سفيرنا في واشنطن يوم ٢٦ أيار تطلب الينا ضبط النفس والا نكون البادئين باطلاق النار والا فاننا سوف نتحمل نتائج خطيرة »(٣) . ولما كان الاسطول السادس يقف قريبا من الشواطىء وهو في حـــالة الاستعداد الكامل ، فان « النتائج الخطيرة » كانت تعني شيئا واحدا وهو التدخل الاميركي المباشر الذي يتم باسم وقف اطلاق النار وانهاء القتال ، اما الهدف الوحيد لمثل ذلـــك التدخل فهو التأكيد على ان اسرائيل لا يمكن أن تترك لوحدها حتى ولو أدى ذلك الى مجابهة أوسع مع الروس . يقول شارلز بوست انه على الرغم من ان بعض المعاهدات والتزامات الولايات المتحدة بشأنها « قد أصبحت من عدة وجوه قديمة وبحاجة الى مراجعة سريعة » فان الولايات المتحدة لن تتردد في مجابهة اي هجوم اذا طلبت ذلك هذه الدول مثل اليابان واستراليا ونيوزيلندا واسرائيل(٤) .

كان الرئيس عبد الناصر يتعرض لضغط متزايد من الدولتين الكبريين لكي يحافظ على انضباط النفس . فبعد ساعات قليلة من استلام الرسالة الاميركية ، وفي الليلة ذاتها « طلب السفير السوفياتي مقابلتي بصفة عاجلة في الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف الليل وابلغني بطلب من الحكومة السوفياتية الا نكون البادئين باطلاق النار »(٥) . ولا بد ان تكون الحكومة السوفياتية ، بعد أن أكدت للولايات المتحدة أن الرئيس عبدالناصر لن يبدأ اطلاق النار ، قد تلقت تأكيدات مماثلة فيما يتعلق بانضباط الاسرائيليين . في الثالث من حزيران « غادر يوست القاهرة بعد أن أعطى تأكيدات بأن اسرائيل لن تهاجم طالما ظل النشاط الدبلوماسي قائما »(٦) . ولكن بعد ذلك بيومين فقط وجهت اسرائيل ضربتها . فهل عمد الاسرائيليون الى ابقاء الولايات المتحدة جاهلة بنواياهم ، أم كان هناك نوع من التواطؤ بين الطرفين ؟

كذلك فان قيام الاميركيين بتحذير مصر من « النتائج الخطيرة » اذا كانت المبادرة بأي عمل ، قد جعل المرء يعتقد بأنهم يفعلون ذلك بدافع من التزام أدبـــي وأخلاقي نحو : ١ ــ احترامهم لتأكيداتهم بفرض وقف فوري لاطلاق النار ، أو : ٢ ــ الوقوف الى جانب الاتحاد السوفياتي بادانة الهجوم وطلب الانسحاب الفوري وغير المشروط .

غير ان الولايات المتحدة لم تكن مستعدة لمثل ذلك . فحين تقدم المندوب الهندي في الامم المتحدة يوم الخامس من حزيران باقتراح يدعو الى وقف اطلاق النار فورا والعودة

الى المواقع التي كانت قائمة قبل اندلاع القتال ، أيدته روسيا فقط ، أما الولايات المتحدة التي كانت على الحياد « في الفكر والقول والعمل » ، وقد أصبحت الان متأكدة من توغل اسرائيل في الاراضي العربية ، فقد دعت وبشكل باهت الى « نداء بسيط لوقف اطلاق النار »(٧).

وحكاية « الحياد » الاميركي والغربي يلخصها جواب كريستوفر ميهيو على جيرمي تروب حين سأله هذا عما اذا كان سيكتفي بالوقوف جانبا ومراقبة ابادة اسرائيل . فقد أجاب ميهيو بقوله « اذا كنت تقصد ـــ عما اذا كان يتعين علينا أن نعلن الحرب على العالم العربي اذا ضربت اسرائيل ولا نعلن الحرب علـــى العالم العربي حـــين تكون اسرائيل قوية ، فانني لا أرى أي منطق في هذا على الاطلاق »(٨).

وعلى أي حال ، يمكن أن يصبح التأييد الغربي لاسرائيل (خصوصا على المستوى الحكومي في الولايات المتحدة والدول الاوروبية الاخرى) مفهوما اذا أخذنا العوامل الآتية بعين الاعتبار :

١ ـــ الالتزام الاميركي (والدول الاوروبية الاخرى) الكامل بالمفهوم المجرد « لحق اسرائيل بالوجود » دونما اعتبار ، كما يبدو ، لحقوق الفلسطينيين المهضومة .

٢ ـــ التدخل الاميركي العسكري في حال امكانية انتصار العرب ، يمكن تبريره دوما بالقول ان اسرائيل لا تستطيع أن تتحمل هزيمة واحدة بينما يمكن للعرب أن يتحملوا أكثر من هزيمة . ان ما يحمله هذا القول من معاني شيء مخيف : فمن خلال ضمان تفوق اسرائيل (والذي يعني بكل وضوح الموافقة على عدوان اسرائيل) ، تعرض العرب لهزيمة بعد أخرى ، في حين تركت اسرائيل حرة في أن تتوسع وتجني ثمار هذا التوسع.

٣ ـــ ان قوة اسرائيل وانتصاراتها (بلغة المجابهة بين الدول العظمى) تؤدي الى تقوية مصالح الولايات المتحدة ـــ عسكريا . ان وجود اسرائيل قوية هو من الناحية الاستراتيجية للبنتاجون أهم بكثير من وجود اسرائيل مهزومة. وفي المعادلة الاستراتيجية لا مكان لمسألة فقدان العرب لكرامتهم .

في الثامن من حزيران ١٩٦٧ ، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز انه بعد اجتماع دام ساعتين بين وزير الخارجية الاميركية ، ديـــن راسك ، وخمسين شيخا في الولايات المتحدة ، قال السناتور ثروستون ان دين راسك يعتبر نتائج القتال « انتصارا للغرب بكل معنى الكلمة » . وهذا ـــ من زاوية الموقف الاميركي ، منطقي جدا . ذلك ان مجرد وجود حركة ثورية في العالم العربي ـــ سواء في مصر أو في سوريا ـــ يعتبر تهديدا دائما للمصالح الاميركية ، لان توجهها المحتم نحو الاشتراكية من شأنه أن يثير العداء الاميركي خصوصا اذا حصلت هذه الحركة على تأييد الروس . وبالتالي فان هزيمة العرب في عام ١٩٦٧ كانت تعني فعلا ضربة قاصمة للاتجاه الاشتراكي الثوري الذي يدعو له الرئيس ناصر وسوريا . في ١٢ حزيران ذكرت النيويورك تايمز ان « السيد جونسون قد وصف بأنه ليس غير سعيد بالنتائج ، لانه يرى فيها فرصة جديدة للعمل من أجل تسوية تكون أكثر استقرارا وتضع حدا لحركة القومية العربية التي يقودها ناصر ، والتي ينظر اليها هنا باحتقار شديد » .

وفي الامم المتحدة كانت المواجهة شبيهة من حيث أبعادها بالمواجهة العسكرية ، حيث كانت حصيلة المناقشات غير مشجعة ، ومخيبة لآمال الدول العربية مما جعل أحد وزراء الخارجية العرب يقول بلهجة يائسة وهو يتكلم في الامم المتحدة (في الخامس من تموز) ان « الشعوب العربية لن تنسى أن الجمعية العامة قد عجزت عن اتخاذ أي عمل ضد اسرائيل .. وان ترددها هذا معنـــاه ان القوة وحدها هـــي التي تحسم النزاعات الدولية »(٩).

في الخامس من حزيران لم يكتب للمحاولة الهندية ، الداعية الى وقف اطلاق النار والعودة الى المواقع السابقة على بدء القتال ، الخروج الى حيز الوجود ، فالولايات المتحدة كانت تريد صدور « نداء عادي يدعو لوقف اطلاق النار »(١٠). ويوم الثلاثاء (السادس من حزيران) توصل مجلس الامن بالاجماع الى اتفاق « يطلب من جميع الحكومات المعنية ، كخطوة أولى ، اتخاذ اجراءات فورية لوقف اطلاق النار ووقف كل نشاط عسكري في المنطقة »(١١).

الا أن هذا القرار « الداعي الى وقف اطلاق النار » قد جرى تجاهله ، واستمرت اسرائيل في تقدمها عبر الاراضي العربية . يوم الاربعاء (السابع من حزيران) عاد مجلس الامن للاجتماع من جديد ، بناء على طلب من المندوب السوفياتي ، الذي تقدم بقرار ثان لوقف اطلاق النار — وقد تبني بالاجماع — « يطلب من جميع الحكومات المعنية وقف اطلاق النار كخطوة أولى وان توقف جميع العمليات العسكرية في الساعة ٢٠.٠٠ بتوقيت جرينيتش في السابع من حزيران ١٩٦٧ »(١٢). تجاوبت مصر ، وأبلغ يو ثانت مجلس الامن (في الثامن من حزيران) انه « تلقى مذكرة من وفد الجمهورية العربية المتحدة يوافق فيها على وقف اطلاق النار شرط أن توافق اسرائيل »(١٣).

وفي التاسع من حزيران ، وبالرغم من موافقة سوريا على قرار الامم المتحدة بوقف اطلاق النار ، فان التوغل الاسرائيلي في الاراضي السورية كان قد بدأ لتوه . وفي الوقت الذي أعلن فيه المندوب السوري ، جورج طعمة ، ان « الاسرائيليين أصبحوا على أبواب دمشق » ، كان يو ثانت قد أبلغ مجلس الامن ان « التقارير التي وردته من مندوبي الامم المتحدة تفيد بأن قصف المواقع السورية بالقنابل والنابالم لا زال مستمرا »(١٤). وجرى تبني قرار ثالث بالاجماع يدعو لوقف الاعمال العدائية فورا . وقال المندوب الاسرائيلي، جدعون رفائيل ، والذي كان يتكلم بشهية مفتوحة ، ان وقف اطلاق النار لا يمكن أن يصبح فعالا « الا اذا وضعت سوريا موافقتها موضع التنفيذ بشكل كامل وواضح »(١٥). ومع ذلك ظلت الطائرات الاسرائيلية تقوم بموجات متلاحقة ، تفصل الواحدة عن الاخرى عشر دقائق ، وهي تغير على المواقع السورية طيلة أيام الخميس والجمعة والسبت .

في العاشر من حزيران وقع كل من الاتحاد السوفياتي وبلجاريا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وبولندا والمانيا الشرقية ويوجسلافيا ، بيانا يحذر اسرائيل بأن هذه الدول « سوف تقوم بتقديم المساعدة للعرب اذا لم توقف اسرائيل اطلاق النار فورا وتعود الى داخل أراضيها »(١٦). وفي الحادي عشر من حزيران كان المندوب السوري لا زال يطالب بوقف اطلاق النار ويشكو من ان « القوات الاسرائيلية لا زالت تتقدم عبر سوريا »(١٧). ولم يصدر القرار الرابع بوقف اطلاق النار الا في الثاني عشر من حزيران، والذي دعا الى « وقف جميع العمليات العسكرية » بما في ذلك جميع عمليات التقدم داخل الاراضي(١٨).

وبعد أن تمكن مجلس الامن أخيرا من ايقاف اطلاق النار ، بدأ العمل الصعب في محاولة للدعوة الى انسحاب اسرائيل . كانت هناك خمسة مشاريع قرارات ولكن لم يحصل أي منها على أغلبية الثلثين المطلوبة :

١ — مشروع القرار السوفياتي ، الذي تقدم به الكسي كوسيجين (في ١٩ حزيران) ودعا الجمعية العامة الى ادانة اسرائيل بسبب « أعمالها العدوانية وان تطالب بانسحابها الى ما وراء خطوط الهدنة » . ودعا المشروع الجمعية ان تناشد مجلس الامن ليقوم بدوره « باتخاذ اجراءات فورية فعالة لتصفية آثار العدوان الذي ارتكبته اسرائيل »(١٩). وقد فشل مشروع القرار بعد أن صوت عليه فقرة فقرة .

٢ — بعد فشل مشروع القرار السوفياتي ، سحبت الولايات المتحدة اقتراحها الذي

يدعو الى التوصل الى سلام متين عبر المفاوضات، دون اية اشارة الى انسحاب القوات الاسرائيلية .

٣ — مشروع القرار الالباني الذي يدين الولايات المتحدة وبريطانيا واسرائيل رفض أيضا .

٤ — مشروع القرار اليوجسلافي الذي دعا الى انسحاب غير مشروط للقوات الاسرائيلية دون ادانة اسرائيل بالعدوان . قدم هذا المشروع من قبل يوجسلافية وست عشرة دولة غير منحازة . وطلبت يوجسلافية أن ينظر في المشروع بصورة عاجلة وذلك بسبب القلق الناجم عن اعلان اسرائيل (في ٢٧ حزيران) ضم مدينة القدس القديمة اليها . وقد فشل المشروع حين طرح للتصويت (صوتت الى جانبه ٥٣ دولة وعارضته ٤٦ وامتنعت ٢٠ دولة عن التصويت) .

٥ — تقدمت ثماني عشرة دولة أميركية لاتينية ، بدعم من الولايات المتحدة ، بمشروع قرار « لا ينص على وقت محدد للانسحاب الاسرائيلي . ودعا الى انهاء حالة الحرب واعتماد التسوية السلمية كحل لجميع الخلافات »(٢٠). وقد فشل هذا المشروع بدوره في الحصول على الاكثرية المطلوبة اذ حاز على ٥٧ صوتا وعارضته ٤٣ دولة وامتنعت ٢٠ دولة عن التصويت .

وحين وصلت الجمعية العامة الى طريق مسدود اعترفت بفشلها في حل أزمة الشرق الاوسط ، وفي ٢٢ تموز اعادتها الى مجلس الامن بصفة « مؤقتة » . ولم يكن من المتوقع أن تجري أية مناقشة أخرى قبل الدورة العادية للجمعية العامة في ١٩ أيلول ، وبذلك سمح بأن تتجمد الازمة .

ان الدول العربية وقد خسرت الحرب قد ذهبت الى الامم المتحدة تسعى من أجل حل عادل . وكانت هذه الدول تأمل في البداية أن تقوم الامم المتحدة بادانة العدوان الاسرائيلي وتفرض انسحابا فوريا . وحين رأت ان ذلك لن يكون أيدت حلا وسطا ، دعا الى الانسحاب دون أن يصم اسرائيل بالمعتدية . وحين فشل ذلك أيضا ، بدأت الدول العربية تدرك ، ربما بعد فوات الاوان ، أن هناك مصالح وقوى ، تستطيع بكل سهولة أن تحطم مفهوم « العدالة » الهش أمام اعتبارات هي أهم من ذلك بكثير . بالنسبة للولايات المتحدة « كانت هيبتها معلقة بنتيجة ما يفترض انه مواجهة مباشرة »(٢١) مع الاتحاد السوفياتي . وهي « حين تحاول تفسير الطريقة التي صوتت بها الدول على مشاريع القرارات المذكورة لا ترى سوى عامل واحد بارز : مقاومة وعدم خضوع للضغط الاميركي »(٢٢) .

لم تكتف الولايات المتحدة بذلك ، بل ولكي تضيف الاهانة الى الاذى ، عمدت الى وضع سياستها الشرق — أوسطية رسميا بيد ثلاثة من اليهود معروفون بميولهم الصهيونية ؛ ففي الامم المتحدة وبعد ما أبداه أرثر جولدبرج ، المندوب الاميركي ، من حماس شديد ، أصبح من الصعب معرفة ما اذا كان يعبر عن سياسة حكومته أو عن سياسة اسرائيل . ولم يكن والت روستو وأخوه يوجين أقل ناشطية في البيت الابيض ووزارة الخارجية .

وعلى صعيد آخر ، كشفت الحرب العربية — الاسرائيلية توجها آخر للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، هذا الجانب الذي أشرنا اليه في السابق ، والمتمثل بسيادة مثل هذه السياسات التي تعتبر بنظر رجال السياسة الاميركيين أداة للحفاظ على مصالح الولايات المتحدة وتقويتها في المنطقة. وتنقسم هذه المصالح الى نوعين رئيسيين ؛ مصالح اقتصادية ومصالح استراتيجية . فمن الزاوية الاقتصادية للولايات المتحدة استثمارات ضخمة في نفط الشرق الاوسط ، وهدفها الاساسي هو أن تضمن استمرار تدفق النفط

وخاصة الى دول أوروبا الغربية(٢٣). اما من الناحية الاستراتيجية فلقد كان أهم شيء بالنسبة للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط هو الوجود السوفياتي والذي تعتبره الولايات المتحدة خطأ بأنه غير مرغوب فيه ولكنه يتزايد باستمرار في المنطقة . فالولايات المتحدة تعتبر ان أي تقدم يحرزه السوفيات في الشرق الاوسط انما يتم فقط على حساب مصالحها في المنطقة. ولذلك كانت خطة محاربة الوجود السوفياتي هي العنصر الاساسي في سياسة ادارة جونسون تجاه الشرق الاوسط . ولعل أهم ما قامت عليه هذه السياسة هو اعتقادها الصريح بأن تلك الدول في الشرق الاوسط التي أظهرت بعض المبادرات في اتباع سياسة بدا اكثر من مرة انها تتعارض مع الاهداف الاميركية في المنطقة ، يجب أن ينظر اليها كدول ممقوتة لدى الادارة . ويمكن القول ان ادارة جونسون لم تعر اهتماما للبحث عن الدوافع والاسباب التي جعلت هذه الدول لا تأخذ موقفا مؤيدا لاميركا بصورة متواصلة ، بل ان دول الشرق الاوسط قد صنفت ببساطة ضمن فئتين : « دول صديقة » و « دول مؤيدة للسوفيات » . يقول ابراهيم ابو لغد في مقالة له بعنوان « العالم العربي ، تشرين الاول وتشرين الثاني ، ١٩٦٨ » ، ان « السياسة الاميركية قد شجعت عملية التكتل لاولئك الراغبين بقبول زعامة اميركا ، واولئك الذين يتبعون سياسة مستقلة . واعتبرت الدول المستقلة انها تشكل جزءا لا يتجزأ من المعسكر الشيوعي »(٢٤). ولقد عبر دين راسك عن اغتباط ادارة جونسون بنتيجة الحرب حين قال ان تلك النتيجة « كانت انتصارا للغرب » .

في محاولة منا لمتابعة ما تعتبره مصالحها الشرعية في الشرق الاوسط ، طرحت الولايات المتحدة فكرة « السلام والاستقرار » كمبدأين تسير بوحي منهما . وبالتالي قدمت الحكومة الاميركية دعمها لدول المنطقة التي أدت سياساتها (بنظر رجال السياسة الاميركيين) الى الحفاظ على هذين المبدأين . وبالمقابل فان الدول التي اتبعت سياسات مضادة « للسلام والاستقرار » قد جرى تذكيرها باستمرار، كما رأينا ، بالنتائج الخطيرة لسياساتها كما تعرضت للانتقاد واللوم كلما دعت الحاجة . يذكر ابراهيم ابو لغد أن لجنة الكونجرس الخاصة بالسلام في الشرق الاوسط (نيسان ١٩٦٧) قد توصلت الى « ان السلام في الشرق الاوسط كان يواجه تهديدا حقيقيا من السياسات التقدمية التي تتبعها الجمهورية العربية المتحدة وحلفاؤها ، والتي كان يعتقد بأنها تعمل لالحاق الضرر بالمصالح الاميركية والبريطانية في المنطقة وتساعد على انتشار الشيوعية »(٢٥). ولقد استمعت تلك اللجنة الى شهادات مختلفة كان من بينها شهادة مهمة تقدم بها السناتور جوزف كلارك تحت عنوان « الحرب او السلام في الشرق الاوسط » . استنتج كلارك في شهادته ان العقبة التي تعترض السلام في الشرق الاوسط تتمثل في الجمهورية العربية المتحدة وسياستها التقدمية . ومن ثم دعا السناتور الى « ... تدمير النظم التقدمية في العالم العربي والى التزام أكبر نحو اسرائيل التي تمثل درع المصالح الاميركية في المنطقة »(٢٦).

واذا اعتبرنا ان هذا التحليل صحيح الى حد ما ، لتوجب علينا الا نفاجأ أبدا بالتطابق الذي حصل بين السياسة الاميركية وسياسة اسرائيل في الفترة التي أعقبت الحرب . فقد أصرت اسرائيل على ان الحدود التي كانت قائمة قبل حرب حزيران لا تشكل ضمانا « لحدود آمنة » ، ولاقى هذا الاصرار آذانا صاغية في واشنطن . وظهر هذا التطابق في وجهتي النظر حول مسألة المفاوضات المباشرة ؛ فقد أصرت اسرائيل على ان المفاوضات المباشرة بينها وبين أعدائها العرب هي وحدها الكفيلة بالوصول الى « سلام متين ودائم » . واتفقت ادارة جونسون مع هذه النظرة داعية الى « ... سلام فعال ودائم بين العرب واسرائيل ، (وليس فقط ترتيبات لوقف اطلاق النار) يتم التوصل اليه بين أطراف النزاع ولا يفرض من الدول الكبرى . وهي لن تقدم أو تملي شروط السلام

بل سوف تساعد على ايجاد ظروف مؤاتية »(٢٧). كذلك نقل عن جورج بول ، المندوب الاميركي الرئيسي في الامم المتحدة قوله ان بلاده تؤيد المفاوضات المباشرة ، « لا زلنا ملتزمين بالموقف الذي اتخذه الرئيس جونسون بشكل حاسم بعد الحرب ، والذي يقول أن أطراف النزاع يجب ان تكون هي أطراف السلام »(٢٨).

تتلخص السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط في الوضع الاستراتيجي الذي تغير بنتيجة الحرب ، بمبادىء جونسون التي طرحها في ١٩ حزيران والتي تقول « ... بحق الجميع في العيش بسلام وأمن ، والعدالة للاجئين ، وحرية الملاحة البريئة ، ووضع حد لسباق التسلح، والاستقلال السياسي ووحدة الاراضي لجميع دول الشرق الاوسط»(٢٩). وانسحاب اسرائيل الى حدود آمنة ومعترف بها يجب أن يتم « ضمن اطار السلام » . واستتبع هذا رفض الولايات المتحدة الكلي لفكرة العودة الى الوضع الذي كان سائدا قبل الحرب لان ذلك « لا يشكل علاجا للسلام بل دافعا لتجدد الاعمال العدائية »(٣٠). ورفضت اسرائيل ، بتشجيع من حليفتها القوية أن تتزحزح عن مسألة « الحدود الآمنة والمعترف بها » . ففي ١٧ حزيران ١٩٦٧ شدد ابا ايبن على ان « اسرائيل سوف ترفض أية محاولة من جانب الجمعية العامة للامم المتحدة للعودة بالامور الى الاوضاع التي كانت قائمة قبل الخامس من حزيران »(٣١). وفي العاشر من آب ١٩٦٧ اكد الجنرال دايان « اننا لن نعود الى حدود ١٩٤٨ . فهذه فرصة تاريخية لكي نغير خريطة اسرائيل »(٣٢). وهكذا يمكن الاستنتاج من التحليل السابق ، ان مسألتين حيويتين على الاقل ، كان هناك تطابق كامل بشأنهما بين وجهتي نظر اسرائيل وادارة جونسون . كانت هاتان المسألتان هما : (أ) الحاجة الماسة الى مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل . (ب) والحاجة الى حدود آمنة ومعترف بها (لاسرائيل) تكون بديلة لخطوط الهدنة عام ١٩٤٩ .

فيما يتعلق بمسألة توازن التسلح ، كانت الولايات المتحدة ترى من ناحية استراتيجية ان أي اخلال بتوازن السلاح سوف يؤدي حتما الى نشوب الاعمال العدائية . ومن ثم كان هدف السياسة الرئيسي هو الحفاظ على توازن التسلح وذلك بمد اسرائيل بكل ما تحتاجه من أجل أمنها . كذلك كان البنتاجون يعتقد بضرورة « امداد اسرائيل بمزيد من صواريخ هوك الدفاعية، وتزويدها بطائرات سكاي هوك ١ ــ ٤ المقاتلة القاذفة »(٣٣). وفي الفترة التي أعقبت حرب حزيران ، واستنادا الى ما قاله نيكولاس كاتزنباخ ، نائب وزير الخارجية (في خطاب له في ستانفورد ، كاليفورنيا) ، كانت الولايات المتحدة مضطرة لاستئناف شحن المعدات العسكرية الى الشرق الاوسط (أي لاسرائيل بشكل أساسي) وذلك بسبب قيام الاتحاد السوفياتي بارسال السلاح الى الجمهورية العربية المتحدة ودول أخرى في الشرق الاوسط(٣٤).

في الرابع من كانون الثاني ١٩٦٨ قام ليفي اشكول بزيارة للولايات المتحدة، وقد ذكرت تقارير غير موثوقة يومها ان الولايات المتحدة كانت مستعدة لتزويد اسرائيل بخمسين طائرة من طراز فانتوم . وفي ١٢ كانون الثاني صدر بيان رسمي أعلن أن حكومة الولايات المتحدة قد وافقت على تزويد « اسرائيل » بأعداد اضافية من طائرات سكاي هوك ١ ــ ٤ القاذفة (٣٥). وفي الوقت ذاته تقريبا (٢١ كانون الثاني) ذكرت الفاينشال تايمز اللندنية في نبأ لها من واشنطن ان اسرائيل كانت تمارس ضغطا شديدا على الولايات المتحدة لكي تضاعف من مدها بالطائرات والسلاح . كانت اسرائيل تريد الحصول على ١٥٠ طائرة فانتوم(٣٦). وقد كان هذا يبدو ضروريا في ضوء الحظر الذي فرضه الرئيس ديجول ، ومضاعفة الجهود الروسية لاعادة بناء القوات المسلحة في ج.ع.م وبعض الدول العربية الاخرى .

لم تساعد مبادىء جونسون الخمسة على التخفيف من حالة العداء الباردة التي كان

العرب يحسون بها تجاه ادارة جونسون . وكان الالتزام ، الذي اشرنا اليه ، بتزويد اسرائيل بالسلاح من أجل الحفاظ على ما يسمى خطأ « بتوازن السلاح » ، ذا أهمية خاصة بهذا الشأن . فالتعبير بحد ذاته ـــ كهدف للسياسة ـــ هو من الناحية التحليلية الصرفة فارغ وصعب التطبيق . فهو يتجاهل عدة عوامل لعل أهمها الفارق الكبير في القدرة القتالية بين ج.ع.م واسرائيل في الفترة التي اعقبت الحرب مباشرة . وهو يعطي تأكيدا مطلقا للعوامل الكمية (أي ان مجموع الطاقة الحربية لدى العرب تزيد كثيرا عما هي لدى اسرائيل ومن ثم ضرورة مواجهة ذلك بامداد اسرائيل بالاسلحة) ، ويتعمد عدم اعطاء أي اهتمام للعوامل النوعية بينما هي التي يجب ان تؤخذ في الاعتبـــار في حالة الصدام . لذلك قد نكون على صواب اذا عرفنا استراتيجية الولايات المتحدة في توازن السلاح بالشرق الاوسط على انها تهدف بشكل ثابت الى ضمان تفوق اسرائيل كعائق في وجه أي اجراء دفاعي شرعي تقوم به قوات ج.ع.م او حتى جميع القوات العربية في الدول المحيطة باسرائيل .

في التاسع من أيلول ١٩٦٨ قال المرشح الجمهوري للرئاسة ، ريتشارد نيكسون ، في اجتماع لمنظمة بني بريث اليهودية في واشنطن انه يؤيد سياسة اعطاء اسرائيل « قوة عسكرية تكنولوجية تجعلها تتخطى التفوق العددي الذي لدى أعدائها » . واذا كان ذلك يعني تزويد اسرائيل بطائرات فانتوم ف ٤ فان الولايات المتحدة يجب ان تفعل ذلك . ومضى نيكسون يقول « ان خطر الحرب يتزايد طرديا مع زيادة الثقة لدى بعض الزعماء العرب بقدرتهم على كسب الحرب »(٣٧) . من المهم أن نلاحظ التعبير الرئيسي حول اعطاء اسرائيل « قوة عسكرية تكنولوجية » . فمثل هذا الالتزام يتخطى في الواقع استراتيجية توازن التسلح . ان ذلك يلزم المرشح الجمهوري بشكل صريح على اتباع هذه السياسة (اذا ما أصبح رئيسا) ، والتي ستكون نتيجتها ايجاد ميل كبير في ميزان التسلح لصالح اسرائيل .

هل كانت الولايات المتحدة مستعدة فعلا للحد من تأييدها وتشجيعها لعدوان اسرائيل الواضح على الدول العربية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بالنسبة لتلك الفترة بالذات ، تتوقف عما اذا كانت ادارة جونسون مستعدة أم لا لتزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم والتي من شأنها ان تضمن قدرة اسرائيل الهجومية ضد أي هدف هام في المناطق العربية الداخلية بما في ذلك حقول النفط البعيدة كحقل كركوك مثلا .

تمهل الرئيس جونسون قبل أن يعطي موافقته النهائية على تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم . ما هي العوامل التي يمكن أن تكون قد جعلت جونسون يتأخـــر في اعطاء موافقته ؟ يقول محمد حسنين هيكل في احدى مقالاته (الاهرام ٢٧ أيلول ١٩٦٨) ان دافع الرئيس جونسون كان رغبته في ان يظهر للاتحـــاد السوفياتي ان الباب لا زال مفتوحا من أجل محادثات حول الشرق الاوسط . ولو ان مثل هذه المحادثات قد تمت وانتهت باتفاق دولي مع الاتحاد السوفياتي ، لكـــان الرئيس ترك البيت الابيض وهو متأكد من وجود كوة صغيرة « يمكن من خلالها أن يدخل التاريخ »(٣٨) .

ولكن مثل هذه المحادثات كانت لا زالت بعيدة ، وفي التاسع من تشرين الاول أبلغ جونسون وزير خارجيته ، دين راسك ، « أن يبدأ مفاوضات مع حكومة اسرائيل (حول بيع طائرات الفانتوم المقاتلة ـــ القاذفة) وان يبلغه بنتيجة المفاوضات »(٣٩) . ما هي العوامل التي يمكن ان تكون دفعت رئيس الولايات المتحدة لاتخاذ قراره ؟ فيما يلي بعض العوامل التي ربما كان لها صلة بالموضوع :

١ ـــ التزام الرئيس الشخصي وعطفه على « دولة اسرائيل الصغيرة » .

٢ ـــ ضغط قوي من جانب المحافل الصهيونية القوية في الكونجرس .

٣ — محاولة يائسة من جونسون لكسب أصوات اليهود الى جانب مرشح الحزب الديمقراطي ، هيوبرت همفري ، والمزايدة على الجمهوريين .

٤ — ضغط قوي مباشر من المسؤولين الاسرائيليين وضغط آخر عبر وسائل الاعلام والمنظمات الصهيونية واليهودية القوية على البيت الابيض ووزارة الخارجية والكونجرس .

٥ — دافع استراتيجي رئيسي — ذكرناه قبل قليل — لاعطاء اسرائيل الفعالية العسكرية التي تحتاجها وتجعلها تحتفظ بأكبر قدر ممكن من القوة وهذا يعني الموافقة الصريحة على عدوان اسرائيل والدعم الواضح لمحاولات اسرائيل العسكرية الرامية الى تجميد الوضع الراهن ، وارتباط باستعمار اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية وتوسعها على حساب الشعوب العربية .

وربما كان غرور القوة لا يعرف حدودا . فادارة جونسون لم تكن مستعدة لان تكون في موقع تبريري أو استرضائي حول المسألة . وفي العاشر من تشرين الاول ١٩٦٨ قال السفير الاميركي في المغرب ، هنري تاسكا « ان قرار الرئيس جونسون ببيع طائرات الفانتوم الى اسرائيل يعتبر انذارا لكل الاطراف المعنية بأن الولايات المتحدة لن تتساهل تجاه الاخلال المتزايد بتوازن الامكانات العسكرية ... »(٤٠). فهل كان هناك فعلا اخلال في توازن القوى العسكرية ؟ قبل ذلك بثلاثة أسابيع فقط (في ١٨ أيلول ١٩٦٨) أكد وزير الدفاع ، كلارك كليفورد ، انه « لا يرى أي تغير حقيقي في مستوى القوى بين اسرائيل والدول العربية »(٤١).

في أوائل تشرين الثاني ١٩٦٨ فاز المرشح الجمهوري ، ريتشارد نيكسون ، برئاسة الولايات المتحدة على الرغم من أنه ، ويا للسخرية ، لم يحصل على أصوات يهودية بقدر ما حصل منافسه الديمقراطي . وفي العالم العربي ساد شعور من التفاؤل لا مبرر له ، من أنه بمجيء ادارة جديدة ربما تحسنت الامور بعض الشيء . الا أن الاحداث قد برهنت سريعا على ان المسألة ليست على هذا النحو .

---

١ — هذه المقالة هي الاولى من اثنتين تبحثان في بعض الجوانب العامة للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط منذ الحرب العربية— الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧ .

٢ — « ... وفي حين ان حكومة الولايات المتحدة نادرا ما ترددت في التهديد بوقف المساعدات عندما لا تكون مسرورين من الانظمة العربية ، فاننا لم نرفع هذه العصا في وجه اسرائيل سوى مرة واحدة وذلك عند غزو السويس عام ١٩٥٦ » . دون كوردتز : ولكن ماذا نفعل بشأن العرب ؟ من كتاب **المأزق العربي الاسرائيلي** ، ص ١٢٣ . تحرير م. د. خدوري. دار لوس للنشر ، واشنطن ١٩٦٨ .

٣ — **التقرير والسجل العربي** ١ — ١٥ حزيران ١٩٦٧ .

٤ — شارلز يوست : « النظام في العالم ومسؤولية اميركا » مجلة **الشؤون الخارجية** ، تشرين الاول ١٩٦٨ .

٥ — من خطاب استقالة الرئيس عبدالناصر . **التقرير والسجل العربي** ١ — ١٩٦٧/٦/١٥ .

٦ — مكسيم رودنسون ، **اسرائيل والعرب** ، ص ٢٠٧ .

٧ — **التقرير والسجل العربي** ١ — ١٥/٦/١٩٦٧ .

٨ — بانوراما : الاثنين الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، نقلها ر. تشرشل . **حرب الايام الستة** . ص ٢٢٧ .

٩ — **التقرير والسجل العربي** ١ — ١٥/٦/١٩٦٧ .

١٠ — ١٩ — **المصدر السابق** .

٢٠ — **التقرير والسجل العربي** ١٥ — ٦/٣٠/ ١٩٦٧ .
٢١ — ٢٢ — ج. ه. جانسن : **سويس من ؟ أوجه التواطؤ** ، ١٩٦٧ .
٢٣ — يقول جان جاك بيربي انه « بالنسبة لاوروبا ، يشكل النفط العربي الذي تنتجه اميركا ، أكثر من ٥٠ بالمئة من حاجتها للنفط ». **ذي نيو ميدل ايست** . نيسان ١٩٧٠ .
٢٤ — ا. ابو لغد : « سياسة اسرائيل العربية» من « **مقالات مختارة حول المسالة الفلسطينية**»، ص ٢٣٤ ، منشورات مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .
٢٥ — **المصدر السابق** ، ص ٢٣٤ .
٢٦ — **المصدر نفسه** .
٢٧ — برنارد رايش : اميركا في الشرق الاوسط ، **ذي نيو ميدل أيست** ، تشرين الاول ١٩٦٨ .
٢٨ — **التقرير والسجل العربي** ١٦ — ٧/٣١/ ١٩٦٨ ، ص ٢١٦ .
٢٩ — برنارد رايش ، **المصدر السابق** .
٣٠ — **المصدر نفسه** .
٣١ — **اسرائيل : مجموعة تصاريح ومقالات وصور كاريكاتورية : ١٩٤٧ — ١٩٦٧** ، دار مابدين للنشر ، القاهرة ١٩٦٨ .
٣٢ — **المصدر السابق** : من صحيفة هآرتس ، ١٠ آب ١٩٦٧ .
٣٣ — برنارد رايش ، **المصدر السابق** .
٣٤ — **التقرير والسجل العربي** ١ — ١٢/١٥/ ١٩٦٧ .
٣٥ — **التقرير والسجل العربي** ١ — ١/١٥/ ١٩٦٨ .
٣٦ — **المصدر السابق** ١٦ — ١٩٦٨/١/٣١ .
٣٧ — **المصدر السابق** ، ١ — ١٩٦٨/٩/١٥ .
٣٨ — **المصدر السابق** ١٦ — ١٩٦٨/٩/٣٠ .
٣٩ — **المصدر السابق** ١ — ١٩٦٨/١٠/١٥ .
٤٠ — **المصدر نفسه** .
٤١ — **المصدر السابق** ١٦ — ١٩٦٨/٩/٣٠ ، ص ٢٩٤ .

صدر عن مركز الابحاث في العام ١٩٦٩ الكتابان التاليان :

1 — *A Survey of American - Israeli Relations,* by Leila S. Kadi.

2 — *U. S. Policy Towards the Arab - Israeli Arms Race 1950 — 1966,* by Ahmed R. El-kashef.

عدد قليل من النسخ

سعر النسخة الواحدة ليرتان لبنانيتان

تضاف اليها أجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل.

في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في أوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

أطلبهما من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

حول وسائل الاعلام الصهيوني واساليبه

مروان كنعاني

دور الاعلام في المخطط الصهيوني

ما من قضية لعب فيها الاعلام ، او الدعاية بالتعبير الشائع ، دورا اساسيا ومركزيا في الوصول الى الاهداف المتوخاة مثل الدور الذي لعبه في قضية الصهيونية ، وما من جهة استغلت امكانيات الاعلام وارتفعت بالطاقات الكامنة فيه وسخرته بنجاح فائق للوصول الى مآربها مثلما استغل الصهيونيون هذه الامكانيات وسخروها .

وقد لازم الاعلام الحركة الصهيونية منذ بداية مسيرتها ، واولى الصهيونيون ، منذ البداية ، الاعلام اهتمامهم الشديد واعتبروه وسيلة اساسية ، بل في مقدمة الوسائل التي عليهم ان يستخدموها للوصول الى مآربهم ، **فقد أكد البند الثالث من بنود برنامج العمل الذي أقره المؤتمر الصهيوني الاول (مؤتمر بازل بسويسرا) الذي عقد عام ١٨٩٧ على أهمية الاعلام والتثقيف في تنفيذ هدف خلق الدولة اليهودية في فلسطين ،** اذ نص على ضرورة نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم وتنميتها .ومنذ ذلك الحين سار الاعلام الصهيوني الموجه لليهودية العالمية اي للمجتمعات اليهودية المنتشرة في شتى أنحاء العالم جنبا الى جنب مع الاعلام الصهيوني والعمل الدبلوماسي الموجه للرأي العام الدولي غير اليهودي من أجل اقامة دولة اليهود في فلسطين او ما اصطلحوا على تسميته حينئذ « وطن قومي لليهود في فلسطين » . وقد عبر احد المسؤولين البريطانيين عن نجاح الدبلوماسية الصهيونية والدعاية الصهيونية قائلا : « ان من أحسن الامثلة على نجاح الدبلوماسية هو ما حققه وايزمن في خلق الوطن القومي اليهودي ... فعندما نشبت الحرب العالمية الاولى كانت قضيته تكاد تكون مجهولة للسياسيين الرئيسيين كما كان لها كثير من الاعداء . وقد قال لي يوما ان (٢٠٠٠) اجتماع ومقابلة قد اجريت قبل أن يظهر وعد بلفور »(١).

ولم يكن الاعلام الصهيوني في تلك الفترة المبكرة يدور في فراغ بل كان منذ المؤتمر الصهيوني الاول جزءا من كل متكامل هو برنامج العمل الذي أقره ذلك المؤتمر . والبنود الاساسية التي اشتمل عليها برنامج العمل الصهيوني المذكور والتي أصبحت الان واقعا ملموسا وهي : ١ ــ تطوير الاستيطان اليهودي لفلسطين بطريقة منتظمة ، ٢ ــ تنظيم يهود العالم وربطهم بعضهم ببعض في مؤسسات صهيونية ، ٣ ــ نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم وتنميتها ، ٤ ــ اتخاذ الخطوات اللازمة للحصول على تأييد الحكومات المختلفة من أجل تحقيق الهدف الصهيوني وهو خلق وطن قومي لليهود في فلسطين .

ولا حاجة بنا الى القول ان هذا البرنامج قد نجح ، وللاسف الشديد ، نجاحا تاما فاق شتى التوقعات حتى غدا البند الاول ليس تطوير الاستيطان اليهودي لفلسطين فحسب بل تنظيم الاستيطان في المناطق العربية الاخرى المحتلة ، كما غدا البند الثاني ليس

مجرد تنظيم يهود العالم بل السيطرة الكلية على جميع الجاليات والمجتمعات اليهودية في شتى انحاء العالم وتسخير طاقاتها وامكانياتها لخدمة الاهداف الاسرائيلية والصهيونية عامة ، وغدا البند الثالث ليس مجرد نشر الروح القومية والوعي القومي بين يهود العالم بل النجاح في غسل دماغ مجتمعات انسانية بأكملها تشكل شطرا كبيرا وهاما من الانسانية المعاصرة . كما غدا البند الرابع ليس مجرد تجنيد تأييد الحكومات لفكرة الوطن القومي اليهودي بل أصبحت الشرعة الدولية بأسرها ، ممثلة في منظمة الامم المتحدة ، في خدمة الاهداف الاسرائيلية ، فقد غدا الفلسطينيون في نظر العالم الغربي اليوم ارهابيين متوحشين شذاذ آفاق بينما غدا الاسرائيليون جزءاً أصيلا ذا وزن كبير في العائلة الانسانية المحترمة !!

سر قوة الحركة الصهيونية

وعندما قرر مؤتمر الصلح في باريس الذي التأم للنظر في تصفية تركة الامبراطوريات المهزومة في الحرب العالمية الاولى (المانيا والنمسا والدولة العثمانية) وتوزيع الاسلاب والمغانم على الدول الاستعمارية المنتصرة المدعوة دول الحلفاء (بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة) ، عندما قرر هذا المؤتمر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني اجتاز المخطط الصهيوني مرحلة الخطر وخطا الخطوات الاولى نحو النجاح الباهي الذي حققه ، اذ عينت الحكومة البريطانية اول مندوب سام لها في فلسطين هربرت صموئيل الزعيم الصهيوني البريطاني البارز (١٩٢١ — ١٩٢٩) فعمل بنشاط لتركيز قواعد الصهيونيين في فلسطين بالحديد والنار والمراوغة والخديعة . وليس ذلك بمستغرب ، فعلاقة الصهيونيين ببريطانيا ترجع الى اواسط القرن التاسع عشر أي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول ببضع عشرات من السنين ، اذ سعى غلادستون رئيس وزراء بريطانيا آنئذ الى الالتقاء بزعماء اليهود وحثهم على العمل على هجرة اليهود الى فلسطين والاستيطان بها ليكونوا فيها رأس جسر للمصالح الاستعمارية البريطانية في الشرق العربي الذي كان تحت سيادة الدولة العثمانية وليشكلوا هناك قاعدة تكون بمثابة كلب حراسة لطريق المواصلات الامبراطورية البريطانية الى الشرق الاقصى والهند درة التاج البريطاني ، لا سيما ان غلادستون قد لمس خطر انقطاع طريق المواصلات هذا اثر النجاح الذي حققته حملة القائد المصري ابراهيم باشا العسكرية في بلاد الشام والجزيرة العربية مما جعل من مصر في ذلك الوقت قوة مسيطرة على هذه المنطقة البالغة الحيوية استراتيجيا . ولذلك ليس هنالك تجاوز على الحقيقة في القول ان الفكرة الصهيونية قد ولدت في اذهان القادة الاستعماريين البريطانيين قبل أن تتفاعل في رؤوس الزعماء اليهود ... كذلك **ان الفكرة الصهيونية قد كانت منذ البداية مشروعا اقتصاديا استعماريا قبل أن تكون رؤية دينية يهودية أو قومية صهيونية ...** وهذا الزواج الدنس بين الحركة الصهيونية والمصالح الاستعمارية البريطانية اولا ثم المصالح الامبريالية الامريكية كان منذ البداية من الدعائم الاساسية لقوة الحركة الصهيونية ونجاح مخططاتها .

بيد أن هذا الواقع لا يقلل من شأن المزايا الذاتية التي اتسمت بها الحركة الصهيونية منذ ولادتها ، ولا ينفي انها امتازت بالكفاءة والقدرة مما جعلها تشكل عنصرا فاعلا بذاته حتى أنها في أحيان كثيرة تمارس تأثيرا فعالا بل تأثيرا حاسما وله القدرة على تقرير صيغة الاوضاع وموقف الدولة او الدول الاستعمارية ذاتها بممارسة شتى الضغوط لا سيما الان بعد النجاحات التي حققتها اسرائيل في حرب حزيران وما تلاها مما زاد من وزنها واعتبارها في الاستراتيجية الدولية الشاملة للامبريالية الامريكية .

واذا تقصينا اهم الخواص التي اتسمت بها الحركة الصهيونية واكسبت هذه الحركة

القوة والفعالية وقادتها الى النجاح حتى الان لوجدنا ميزتين اساسيتين اتسمت بهما هذه الحركة وما زالتا بمثابة سر قوتها ونجاحها في الوصول الى غاياتها ومآربها هما :

أ) التخطيط المستقبلي للمدى البعيد :

فقد أرسى المؤتمر الصهيوني الاول في بازل سويسرا عام ١٨٩٧ القواعد الاساسية للمخطط الصهيوني العام ورسم برنامج العمل العام للحركة الصهيونية فسارت على هديه خطوة خطوة فلا تكشف عن الخطوة التالية الا بعد ان تكون قد فرغت من الاولى ، ولذلك كان وايزمن في مطلع العشرينات ، يوم كان عدد اليهود دون المائة الف ، يسعى للاتصال بالزعماء الفلسطينيين والعرب يهدىء من روعهم وخواطرهم ويطمئنهم بأن اليهود لا يضمرون شرا بالبلاد ولا بأهلها حتى ان الامير فيصل بن الشريف حسين الذي أصبح ملك سوريا ثم العراق فيما بعد اطمأن الى مشروعاته واعطاه التصريح المكتوب المشهور اثر اجتماعهما في العقبة والذي يعلن له فيه « **ان هنالك متسعا لكلينا في فلسطين** » !!

وبعبارة اخرى اتصف المخطط الصهيوني بالمرحلية ، يتم تطبيقه خطوة اثر خطوة ومرحلة بعد مرحلة دون ضجيج او كشف للنوايا بل في جو من التصريحات المضللة والبيانات المخادعة لاثارة جو من الضباب حول مخططاتهم وتعمية الفلسطينيين والعرب عن تبين مدى وابعاد نواياهم العدوانية الجشعة وهو ، كما لا يخفى على أحد اليوم ، ما يمارسونه مع الدول العربية منذ حرب حزيران عام ١٩٦٧ كسبا للوقت في تثبيت أقدامهم في الاراضي المحتلة بخلق حقائق جديدة فيها .

ولعله ليس من قبيل الصدفة ان الجمعية العامة للامم المتحدة قد أقرت تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧ أي بعد مرور خمسين سنة على انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل — وكان هذا هو الزمن الذي قدر المؤتمر المذكور انه سيلزم لاقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، ففي حين بدت مخططات الصهيونيين عام ١٨٩٧ كحلم طوباوي مستحيل أصبحت في عام ١٩٤٨ حقيقة واقعة تصرخ بكل مظاهر الظلم والوحشية والعدوانية .

ب) بناء التنظيمات والمؤسسات الفعالة :

والسمة الاساسية الثانية التي اتسمت بها الحركة الصهيونية وشكلت سر قوتها وجوهر نموها ، وهي على كل حال مرتبطة بالسمة الاولى ارتباطا وثيقا ، هي نجاح الحركة الصهيونية في تنظيم الجسم اليهودي المبعثر في شتى انحاء الارض في مؤسسات ومنظمات وهيئات وروابط تغطي شتى مجالات النشاط الانساني وتستجيب لجميع فئات العمر ولكن دون تضارب بينها او تناقض لان هنالك عقلا مركزيا واحدا خارق القدرة على التدبير والتنظيم يتولى توجيهها وتسييرها جميعا لتأمين حسن استغلال الطاقات والامكانيات المتوفرة لدى شتى الجماعات والافراد اليهود فتصب كلها في معين الحركة الصهيونية الواحدة حتى أصبح الجسم اليهودي المنتشر في زوايا العالم الاربع يبدو ، كما نراه اليوم، كفرقة سنفونية واحدة يتحرك العازفون فيها بايماءة من قائد الاوركسترا فيعزف كل منهم اللحن المطلوب في الوقت المعين واحيانا اخرى كجوقة تنطلق معا في صوت واحد ولكنه كريه ، ذلك انه عدواني عنصري استغلالي اجرامي .

ومن أهم هذه التنظيمات والمؤسسات الصهيونية التي أقامها الصهيونيون وانشأوا لها فروعا في كل مكان تتواجد فيه جماعة من اليهود :

١ — **المنظمة الصهيونية العالمية** : وتوجد لها فروع في شتى انحاء العالم ، وينبثق منها عدد هائل من الجمعيات والهيئات والروابط المتخصصة ويوجد لها في الولايات المتحدة وحدها نحو ٢٢١ فرعا . ويبلغ عدد اعضائها نحو (٨٥٠) الفا . وتعقد من حين الى

اخر مؤتمرات جامعة كان اخرها المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون الذي عقد في القدس في النصف الثاني من شهر كانون الثاني ١٩٧٢ . ورئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية حاليا يدعى اريه بينكوس وقد خلف ناحوم غولدمان الذي كان رئيس مجلس ادارة المنظمة الصهيونية العالمية ولكنه تنحى عن رئاستها اثر اختلافه مع القادة الاسرائيليين .

٢ ــ **المؤتمر اليهودي العالمي** : وله ايضا فروع في شتى انحاء العالم ، ولكن له اربعة مراكز اقليمية رئيسية هي في القدس ونيويورك ولندن وبيونس ايرس . وما زال ناحوم غولدمان يحتفظ بمنصبه كرئيس للمؤتمر اليهودي العالمي . وعضوية هذا المؤتمر اوسع من عضوية المنظمة الصهيونية العالمية لانه يضم العديد من الافراد والهيئات اليهودية التي قد تختلف مع المنظمة الصهيونية العالمية وقيادتها حول بعض المواقف الثانوية او الاساسية ، ولكنه يعمل على تجنيد امكانيات يهود العالم في خدمة اسرائيل ، علاوة على مجهوداته لرعاية شؤون اليهود في شتى أماكن تواجدهم .

٣ ــ **الوكالة اليهودية** : وقد انشئت عام ١٩٢٠ في فلسطين في ظل الانتداب البريطاني لتتولى الاعداد لانشاء « الوطن القومي اليهودي » ، وهي متفرعة مباشرة من المنظمة الصهيونية العالمية . وقد كانت نشاطاتها في فلسطين تشمل كافة نواحي حياة اليهود فكانت دولة داخل الدولة او بعبارة اخرى حكومة الظل لاسرائيل مستقبلا ، بل كانت هي الدولة الفعلية ، ولم تكن السلطات الادارية البريطانية ترد لها طلبا . ولها فروع في العواصم والحواضر الكبرى في الغرب ، وتمول نشاطاتها التبرعات الوفيرة من يهود العالم . وقد تأسست فيها منذ انشائها دائرة للاعلام لعبت دورا فعالا في تهيئة المناخ النفسي والفكري في العالم الغربي لانشاء الدولة اليهودية . ورئيس الوكالة اليهودية حاليا اريه بينكوس . وأهم المهمات التي تضطلع بها الوكالة تمويل استيعاب المهاجرين اليهود الى اسرائيل واسكانهم وتأهيلهم وما الى ذلك من النشاطات . وقد انفقت منذ تأسيس اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧١ زهاء ٣٠٠٠ مليون دولار ، ويأتي أكثر من ثلثي ميزانية الوكالة اليهودية من تبرعات اليهود الامريكيين وفي الدرجة الثانية تبرعات يهود بريطانيا التي تشكل نحو ٥ الى ٧ بالمئة من الميزانية سنويا .

٤ ــ **منظمة النساء الصهيونيات العالمية** : تأسست عام ١٩٢٠ ، وتنتسب لها نحو ٢٥٠،٠٠٠ عضوة في ٥٠ بلدا منهن ٩٠،٠٠٠ عضوة ينتسبن لفروعها المائة والثمانين في اسرائيل . وهي تقوم بنشاطات اعلامية الى جانب الخدمات الاجتماعية والتربوية الاخرى .

٥ ــ **منظمة هداسا** : وهي منظمة النساء اليهوديات الامريكيات ، وتقوم بنشاط اعلامي ومالي واجتماعي كبير ، وهي التي أسست مستشفى هداسا الشهير في القدس التابع للجامعة العبرية .

٦ ــ **اتحاد الشباب الصهيونيين** : وهو ايضا عالمي التشكيل ويلعب دورا كبيرا في الاعلام الصهيوني .

٧ ــ **جمعية بناي بريث** : ولها فروع عديدة في أمريكا وأوروبا الغربية ، وهي جمعية غنية ، ولها نشاط اجتماعي وتربوي واسع وتقوم بدور اعلامي كبير لا سيما في مكافحة النشاط المعادي للصهيونية واليهود بواسطة الهيئة المتفرعة عنها المدعوة عصبة مكافحة التشهير .

وهنالك هيئات عديدة مهمتها جمع الاموال لتمويل النشاط الصهيوني ودعم اسرائيل أهمها :

١) **الكيرن كاييمت** : وهو يدعى ايضا الصندوق القومي اليهودي . وقد تأسس عام

١٩٠٢ ، ومهمته الحصول على الاراضي واعدادها للاستيطان اليهودي ، وقد أعلن لمناسبة الاحتفال بالذكرى السبعين لتأسيسه انه قد أتم اعداد ٨٧٥٠٠٠ دونم من الاراضي للاستيطان ومد نحو ألفي كيلومتر من الطرقات وغرس زهاء ١٠٠ مليون شجرة في فلسطين ، وهو يمول مشروعاته هذه من التبرعات التي يجمعها من يهود العالم لا سيما اليهود الامريكيين . وهو يملك رسميا نحو ٩٠ ٪ من الارض في اسرائيل ويؤجرها لليهود فقط لمدة ٤٩ سنة .

٢) **الكيرن هايسود ــ نداء اسرائيل الموحد** : وقد تأسس عام ١٩٢٠، وهو يمول الشطر الاعظم من نشاطات الوكالة اليهودية ، كما ينفق على المستوطنات اليهودية . وقد جمع منذ تأسيس اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٠ نحو ١٩٠٠ مليون دولار ثلثاها من الولايات المتحدة . أما الثلث الاخر فتم جمعه من ٥٤ بلدا أخرى يعمل فيها هذا الصندوق . ويلاحظ ان حجم التبرعات قد ازداد زيادة كبيرة بعد عام ١٩٦٧ ، وأصبح يجمع من الولايات المتحدة وحدها زهاء ٣٠٠ مليون دولار في السنة معفاة من ضرائب الدخل . وفي بعض البلدان مثل الولايات المتحدة وبريطانيا يدعى هذا الصندوق « الجباية اليهودية الموحدة » او النداء اليهودي الموحد United Jewish Appeal وقد أسس في نيويورك بهذا الاسم عام ١٩٣٩ ، وقد جمع من الاموال منذ تأسيسه حتى عام ١٩٧١ أكثر من ٢٣٦٣ مليون دولار من الولايات المتحدة وحدها . وهي أموال معفاة من دفع الضرائب في امريكا . وبصورة عامة جمعت الهيئات اليهودية الامريكية لصالح الصهيونية منذ عام ١٩٣٩ ، حتى عام ١٩٧٠ زهاء ٤٢٠٠ مليون دولار منها ١١٠٠ مليون دولار منذ حرب حزيران ١٩٦٧(٢).

٣) **صندوق سندات اسرائيل** : وقد تأسس عام ١٩٤٩ ، وهو يجمع قروضا لتمويل خزينة الحكومة الاسرائيلية يدفع عليها فائدة مقدارها ٥ ٪ ، وقد ازداد ايضا حجم المبالغ التي يجمعها بعد حزيران ١٩٦٧ زيادة كبيرة تتجاوز مبلغ ٣٠٠ مليون دولار في السنة من الولايات المتحدة فقط .

ولا حاجة بنا الى القول ان كلا من هذه الهيئات الصهيونية تضع الاعلام على رأس قائمة اهتمامها وتقوم بنشاط اعلامي هائل ليس بين صفوف جماهيرها من اليهود فحسب ، بل على نطاق المجتمع العام الذي توجد فيه ، ونشاطها الاعلامي هذا لا يقتصر على اصدار صحف ومطبوعات خاصة بها او التأثير على الصحافة المحلية ووسائل الاعلام الاخرى من اذاعة وتلفزيون وعقد الصفقات مع رجال السياسة المحليين بل يشمل أيضا النشاطات الاجتماعية والفنية والثقافية ، مثل اقامة الحفلات والمعارض والندوات والمحاضرات والمؤتمرات الخ ... وقبل أن نختتم حديثنا عن المنظمات والمؤسسات التي نجحت الحركة الصهيونية في اقامتها لتنظيم صفوف المجتمعات اليهودية في انحاء العالم لا بد من الاشارة الى الدور الكبير الذي يقوم به « **اتحاد عام نقابات عمال اسرائيل ــ الهستدروت** » وهو يعتبر من أهم الهيئات العامة في اسرائيل اذ يبلغ عدد المنتسبين له زهاء ٩٠٠،٠٠٠ شخص ويدير قطاعا واسعا من النشاطات الاقتصادية في اسرائيل ، وهو بالاضافة الى رعايته الشؤون النقابية يرعى أشكالا عديدة من النشاطات المتعلقة بالتأمين الاجتماعي والنشاط الثقافي والتعليمي . وهو يصدر الى جانب صحيفة دافار اليومية الشهيرة ١٤ صحيفة ومجلة اخرى باللغات العبرية والانكليزية والفرنسية والاسبانية بعضها مخصص للاطفال أو النساء أو الشباب . **وقد أسس الهستدروت بالتعاون مع اتحاد عام نقابات العمال في الولايات المتحدة المعهد الافرو ــ آسيوي في تل أبيب الذي قام بتدريب نحو خمسة آلاف من كوادر الحركات العمالية في بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والوسطى** ، ويعد هذا المعهد من أنجح المجهودات الاعلامية الاسرائيلية . وأهمية الهستدروت في الاعلام الاسرائيلي والصهيوني عامة انه يقيم شبكة

واسعة من العلاقات المباشرة مع الحركات العمالية والنقابات والاحزاب السياسية العمالية في شتى انحاء العالم ، وهو بهذا يكسب اسرائيل مظهرا خادعا من التقدمية والديمقراطية الاجتماعية مما يساهم في تضليل الاوساط العمالية العالمية والليبرالية والاشتراكية وبالتالي الفوز بدعمها لاسرائيل وتأييدها لسياساتها التوسعية العدوانية العنصرية التي تتناقض جوهريا من حيث المبدأ مع ما ترمز اليه الحركات العمالية والليبرالية والاشتراكية والانسانية عامة من معان وقيم ، ومن المؤسف أن مجهودات الهستدروت والحركة الصهيونية عموما قد نجحت الى الحد الذي غدت معه القطاعات العمالية في كثير من بلدان اوروبا الغربية وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية بالاضافة الى الولايات المتحدة هي اشد المتحمسين لاسرائيل .

مؤسسات وأجهزة الاعلام الصهيوني

رغم ضخامة المجهود الاعلامي الصهيوني بصورة لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ورغم انه يعد أشد أنواع الاعلام دهاء ومكرا وذكاء ، كما انه أحرز من النجاح ما لم يحرزه اي اعلام آخر من قبل ، رغم هذا كله فان اسرائيل دولة الصهيونية وقاعدة الاعلام الصهيوني هي من الدول القليلة في العالم التي لا توجد فيها وزارة خاصة بالاعلام . غير ان في اسرائيل ولدى الحركة الصهيونية العالمية أجهزة ومؤسسات تمارس الاعلام بصورة أو بأخرى تفوق كثيرا في نشاطاتها ومجهوداتها مجرد وزارة اعلام وغير ذلك من الشكليات ... ومن أهم هذه الاجهزة والمؤسسات :

أولا : الاذاعة والتلفزيون في اسرائيل :

الاذاعة والتلفزيون في اسرائيل حكوميان ولكن تتولى الاشراف عليهما سلطة مستقلة لها شخصية اعتبارية كهيئة قانونية أنشئت عام ١٩٦٥ ، ويعين رئيس الدولة اعضاءها الواحد والثلاثين يختارهم من بين الاسماء التي تتقدم بها الحكومة بعد استشارة منظمات الكتاب والفنانين ومؤسسات التعليم العالي وأكاديمية اللغة العبرية وغيرها ... وتضم هيئة الاذاعة أربعة من موظفي الدولة فقط ، ومندوبا عن الوكالة اليهودية ، ويعين رئيسها ونائبه من بين الاعضاء الواحد والثلاثين شرط الا يكونا من موظفي الدولة . ومدة خدمة الهيئة المشرفة على الاذاعة والتلفزيون ثلاث سنوات غير قابلة للتجديد . وتبث الاذاعة الاسرائيلية (كول اسرائيل) برنامجين باللغة العبرية ــ برنامج عام وآخر موجه للجيش ــ علاوة على الاذاعات التعليمية والتربوية . ويذيع البرنامج العبري العام ١٩ نشرة اخبار في اليوم بالاضافة الى برامج سياسية متنوعة في الصباح وعند الظهر وفي المساء تشتمل على مناقشة لاهم الاحداث الجارية الخارجية والداخلية يشارك فيها المختصون على غرار برامج الاذاعة البريطانية في اذاعتها العالمية باللغة الانكليزية .

وتبث اذاعة اسرائيل برامج باللغات الانكليزية والهنغارية واليديش والفارسية واللادينو (العبرية الاسبانية) والافرنسية ولهجة شمال افريقيا والرومانية والعبرية المبسطة والروسية . وقد بدأ الاسرائيليون يشكون منذ مطلع عام ١٩٧٢ من وجود تشويش قوي على اذاعتهم باللغة الروسية داخل الاتحاد السوفييتي .

ولا ريب ان أهم برنامج تبثه اذاعة اسرائيل هو برنامجها باللغة العربية حيث تبلغ مدة البث (١٥) ساعة في اليوم تتضمن ١٢ نشرة اخبار . ويتولى هذا البرنامج شن الحرب النفسية على الجماهير العربية في الاقطار العربية وعلى سكان المناطق المحتلة وكذلك على فلسطينيي الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ . ويبلغ عدد موظفي البرنامج العربي ١٤٠ موظفا كثير منهم من يهود البلدان العربية .

وجدير بالذكر انه تم في عام ١٩٧١ تقوية بث البرنامج العربي اذ جرى تشغيل أجهزة الارسال الجديدة على الموجة المتوسطة التي تبلغ قوتها ٦٠٠ كيلووات وهي تسمع

بوضوح براديو ترانزستور على مسافة ٢٠٠٠ كيلومتر ، وقد أنشأتها شركة تليفونكن الالمانية الغربية . وكانت قوة اجهزة الارسال السابقة على الموجة المتوسطة ٢٠٠ كيلووات فقط . كذلك تم مؤخرا تشغيل اجهزة الارسال الجديدة على الموجة القصيرة التي تبلغ قوتها ٣٠٠ كيلووات ، وكانت قوة الاجهزة السابقة ١٠٠ كيلووات(٣). ويذيع البرنامج العربي عددا كبيرا من البرامج والتعليقات السياسية فيهـا جهد كبير ويمتاز معظمها بالخبث والذكاء الشديد في استخدام أساليب الحرب النفسية . ومما يؤسف له ان اذاعة اسرائيل باللغة العربية قد أفلحت في استقطاب اهتمام عدد لا يستهان به من المستمعين العرب نتيجة وجود فجوة التصديق بين المستمع العربي والاذاعات العربية بسبب روح المبالغة واللامسؤولية التي اتصفت بها معظم الاذاعات العربية في الماضي ، وعدم الاستفادة من أخطائها السابقة بدرجة كافيـة حتى الان . وكذلك يجري العمل لتقوية ارسال اذاعة اسرائيل وزيادة طاقتها بتركيب وحدتين اضافيتين احداهما للموجة المتوسطة وأخرى لقصيرة من النوع ذاته والقوة ذاتها المذكورة أعلاه لتقوية بث برامج اذاعة اسرائيل الموجهة للخارج بصورة عامة .

أما التلفزيون الاسرائيلي فقد أنشىء في وقت متأخر عن معظم البلدان العربية ، اذ جرى تشغيله في ربيع عام ١٩٦٨ في وجه معارضة دينية شديدة لانه يتعارض وتعاليم الديانة اليهودية . وحتى خريف عام ١٩٧٠ كان التلفزيون يتوقف عـن البث تماما لمدة أربع وعشرين ساعة كل اسبوع تقيدا بشعائر يوم السبت اليهودي من مساء الجمعة حتى مساء السبت . وقد تغلبت الحكومة على المعارضة الدينية لانشاء محطة للتلفزيون لانها تعللت بضرورة توجيه سكان المناطق المحتلة والاقطار العربية المجاورة مما يجعله ركنا أساسيا في اقرار الامن . وطبعا ضرورات الامن هي « البقرة المقدسة » في اسرائيل التي تبرر كل شيء حتى الاذن للصبيان والاطفال بحفر الخنادق والملاجىء يوم السبت عشية حرب حزيران . هذا ويبث التلفزيون الاسرائيلي برنامجا باللغة العربية لمدة ساعتين ، واذاعة اسرائيل عضو في رابطة محطات الاذاعة الاوروبية وتبث برامج هذه الرابطة كما ان اذاعات الرابطة الاوروبية تبث برامج اذاعة اسرائيل لا سيما في المناسبات المهمة مثل « عيد الاستقلال الاسرائيلي » . وترسل اسرائيل برامج مسجلة للاذاعات الاخرى في البلدان التي لا تسمع فيها برامج اسرائيل علـى الموجة القصيرة وذلك باللغـات الانكليزية واليديش والاسبانية والبولونية والبرتغالية والفرنسية ، **وهي تتعاون في ذلك مع (٦٦) محطة اذاعة في بلدان أمريكا اللاتينية و(٥٠) محطـة في الولايات المتحدة وكندا . وهنالك برامج خاصة باللغة الاسبانية ترسل الى اذاعة برشلونة لبرنامج شريط الانباء فيها . وقد أرسلت اذاعة اسرائيل في العام ١٩٧٠ نحو (٨٠٠) برنامج اذاعي مسجلة على أشرطة باللغتين الفرنسية والانكليزية لاربعين بلدا افريقيا .** وتشتمل هذه البرامج في كثير من الاحيان على اخبار من اسرائيل واستعراض لاحداث الشرق الاوسط. وكذلك تعد الاذاعة الاسرائيلية برنامج « هنا اسرائيل » باللغة العبرية يرسل كل اسبوع الى عدد من المحطات في الولايات المتحدة وكندا(٤).

ثانيا : أجهزة الاعلام في وزارة الخارجية الاسرائيلية :

تعتبر وزارة الخارجية الاسرائيلية بكاملها جهازا اعلاميا متكامل النشاطات بل هي ركيزة الاعلام الاسرائيلي الخارجي أي الموجه لدول وشعوب العالم الخارجي كما انهـا هي الموجه والمنسق لمجمل الاعلام الصهيوني في الخـارج الذي تتولاه الجمعيات والهيئات الصهيونية في المجتمعات التي تتواجد فيها جاليات او طوائف يهودية .

وفي عام ١٩٧٠ كان عدد موظفي وزارة الخارجية الاسرائيلية ٨٧٠ موظفا ديبلوماسيا نصفهم يعملون في ممثليات اسرائيل في الخارج ، يضاف الى ذلك الموظفون الذين يعينون محليا في تلك الممثليات وعددهم يساوي تقريبا الديبلوماسيين . وفي السنة ذاتهـا كان

لاسرائيل تمثيل ديبلوماسي في ٧٣ دولة ، كما كان يوجد لاسرائيل تمثيل غير مقيم في ٢٣ دولة . وكان توزيع ممثليات اسرائيل كالتالي : ٦٦ سفارة وأربع مفوضيات و١٨ قنصلية عامة وقنصليتان ، بينما هنالك (٥١) دولة فقط لهـا تمثيل ديبلوماسي في اسرائيل . وتوجد ٢٢ من البعثات الديبلوماسيـة في القدس و٢٤ في تل ابيب والباقي في عواصم خارج اسرائيل .

كذلك ، ان اسرائيل عضو في ٥٢ منظمة دولية ومهنية ومتخصصة أو حكومية بما في ذلك الامم المتحدة ووكالاتها المختصة . كما ان منظمات اسرائيـل ومعاهدها وهيئاتهـا الاقتصادية والعلمية والمهنية والثقافية تنتسب لعضوية قرابة ٦٠٠ من الهيئات الدولية والحكومية . وتتعامل الديبلوماسية الاسرائيلية في الخارج مع الجماهير اكثر منهـا مع الحكام . وتعتبر وزارة الخارجية الاسرائيلية بعثاتها الديبلوماسية في الخارج اجهزة تعمل على تشجيع الهجرة الى اسرائيل وهي تسعى بالذات لاستقطاب المتطوعين من الشبان اليهود الذين أنهوا خدماتهم العسكرية في البلدان المختلفة ، وايضا تنظيم أمور الجباية في الخارج لجمع المزيد من التبرعات المالية والمادية من اليهود وغيرهم . وكذلك توثيق عرى الترابط والتلاحم بين اسرائيل والمجتمعات اليهودية في الخارج بحيث تصبح اسرائيل قولا وفعلا هي الناطق بلسان اليهودية العالمية والممثل « الشرعي » لها .

واهم دوائر وزارة الخارجية الاسرائيلية التي تتولى النشاطات الاعلامية المتنوعة هي :

١) **دائرة الاعلام** : يمكن اعتبار دائرة الاعلام في وزارة الخارجية الاسرائيلية هي الجهة المسؤولة عن تخطيط وتنسيق نشاطات الاعلام الاسرائيلي والصهيوني عـامة في دول العالم الخارجي . وفي عام ١٩٧٠ شكل وزير الخارجية هيئة استشارية من الشخصيات العامة والمثقفين المختصين في وسائل الاعلام لمعاونة هذه الدائرة في رسـم الخطـط الاعلامية ويضيق المقام عن تفصيل انواع النشاطات الاعلامية التي تقوم بها او تعدها وترعاها . ومنها على سبيل المثال في العام ١٩٦٩ :

١) الاتفاق مع الصحف العالمية على اصدار ملاحق خاصة عن اسرائيل او اعداد خاصة عنها بلغ عددها ثلاثين ملحقا او عددا خاصا .

٢) تنظيم سلاسل من المقالات حول المناسبات الاسرائيلية الهامة مثل عيد الاستقلال او ذكرى الانتصار في حرب حزيران او ما الى ذلك ونشرها في اوسع نطاق .

٣) اعداد وتوزيع نحو ١٢٠ كراسا او كتيبا او كتابا جديدا طبع منها نحو ١٥٠٠٠٠٠ نسخة باللغـات الانكليزية والفرنسية والاسبـانية والالمانية كما هي العادة ، ولكـن زيدت عليها في تلك السنة اللغات الايطالية والبرتغالية والرومانية والسويدية والفنلندية واليابانية والتركية والامهرية (لغة الحبشة) واليونانية ولغة التاغلوغ (لغة الفلبـين الرسمية) والاسبرنتو وهي اللغة العالمية(٥).

٤) اصدار نشرتين دوريتين نصف شهريتين جديدتين احداهما بعنوان : « أخبار ومشاكل الشرق الاوسط » والثانية بعنوان : « صحائف حول خلفيات الاحداث » . وارسـال نشرات المكتب الصحفي التابع لرئاسة الوزراء لمكاتب الصحف ومحطـات الاذاعـة والتلفزيون مباشرة لا سيما في امريكا اللاتينية والاقطار الناطقة بالفرنسية .

٥) تنظيم جولات ١٥٠ معرضا جوالا في شتى الحواضر والمدن ، واضيف اليها في ذلك العام ١٥ معرضا جوالا جديدا تركز على الجوانب السياسية من اوضاع اسرائيل .

٦) اعداد ٢٥ مسلسلا جديدا من الصور الملونة (السلايدات) حول مختلف جـوانب الحياة الاسرائيلية .

٧) اعداد أفلام دعائية جديدة ومواصلة توزيع وتعميم سلسلة الافلام الوثائقية والدعائية الاسرائيلية في شتى أنحاء العالم .

٨) تنظيم جولات من المحاضرات لنحو ١٠٠ محاضر بينهم عدد من العرب لاقطار اوروبا الغربية وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وافريقيا وشرقي آسيا واستراليا .

٩) دعوة ما يزيد على مائتي صحفي من شتى انحاء العالم وكذلك عشرات من فرق التصوير التلفزيوني والمعلقين الاذاعيين والتلفزيونيين .

١٠) تنسيق الاتصالات مع المنظمات الطلابية في اسرائيل والخارج لتنظيم النشاطات الاعلامية التي تقوم بها . ومساعدة الطلاب الاسرائيليين على حضور الاجتماعات والندوات في الخارج ، وكذلك مساعدتها في نفقات طبع المطبوعات والملصقات التي يعدونها ، وايضا تنظيم المؤتمرات والندوات الطلابية العالمية في اسرائيل .

١١) تنظيم حملة اعلامية خاصة موجهة « لليسار الجديد » في صفوف الطلاب في اوروبا الغربية وامريكا الشمالية . وتنظيم ندوات « تصحيحية » بهذا الصدد في اسرائيل وفي الخارج . « وقد كان من أنجح هذه الندوات تلك التي عقدت في باريس في اوائل عام ١٩٦٩ وحضرها بصورة اساسية مجموعات من الشبان اليهود اليساريين »(٦) .

ب ــ **دائرة التعاون الدولي** : تتولى هذه الدائرة تنسيق ومتابعة برامج للتعاون الفني والعلمي والتدريب مع قرابة ٨٠ دولة في افريقيا وآسيا والشرق الاوسط وامريكا اللاتينية . وقد اسست هذه الدائرة في عام ١٩٥٨ لتنفذ برامج التدريب الحيوية للشباب من بلدان العالم الثالث لتتسلل من خلال هذه النشاطات الى شتى جوانب حياة هذه البلدان . وقد كان من عوامل نجاح مخططها هذا للنفاذ الى افريقيا وآسيا هو فتح طريق الملاحة أمامها عبر خليج العقبة ومضائق تيران اثر حرب السويس . وتشمل البرامج التي تنظمها هذه الدائرة التدريب على مهمات متنوعة عديدة ابتداء من اساليب مكافحة الافات الزراعية حتى الطب والهندسة وامور ادارة النقابات العمالية الخ ... **وحتى نهاية عام ١٩٧٠ بلغ عدد الشباب من بلدان العالم الثالث الذين تدربوا في اسرائيل بمقتضى هذه البرامج نحو ١٣٠٠٠٠ متدرب ، كما تم تدريب نحو (٦٠٠٠) آخرين حضروا دورات أعدتها اسرائيل في بلاد المتدربين انفسهم(٧). وفي المدة ذاتها اكمل نحو (٣٥٠٠) خبير ومدرب اسرائيلي مهمات تدريبية في بلدان العالم الثالث المشمولة بهذه البرامج** . وتتعاون دائرة التعاون الدولي في اعداد وتخطيط برامج التدريب هذه مع كل من : مركز التعاون والانماء الزراعي للبلدان النامية ، ودائرة التدريب الخارجي في وزارة الزراعة ، ودائرة التعاون والارتباط الخارجي في وزارة الدفاع ، ومع وزارة الصحة ومعاهد البحوث والتعليم العالي والهستدروت وحركات الاستيطان .

جـ ــ **دائرة العلاقات الثقافية والعلمية** : مهمة هذه الدائرة هي تطوير علاقات اسرائيل مع دول العالم الاخرى في المجالات العلمية والثقافية والفنية لخلق صورة عامة زاهية لاسرائيل في العالم ، فهي بالتالي ركن اساسي من اركان الاعلام الاسرائيلي والصهيوني ، وتقوم بما يلي :

١) عقد اتفاقيات التعاون العلمي والثقافي والفني مع بلدان العالم الخارجي ، ففي عام ١٩٦٩ كانت اسرائيل ترتبط بدول العالم الاخرى بثمانية وعشرين اتفاقية ثقافية تتضمن فتح مراكز ومعاهد في تلك البلدان لدراسة الثقافة الاسرائيلية ، وتخصيص كراسي للدراسات العبرية في جامعات تلك البلدان وما الى ذلك ...

٢) نشر التراث الادبي والفكري العبري بتوزيع الكتب العبرية وترجمتها للغات اخرى .

٣) توجيه الدعوات للمثقفين والعلماء والكتاب لزيارة اسرائيل وتنظيم زيارة اقرانهم الاسرائيليين لدول العالم الخارجي .

٤) رعاية المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية والفنية والثقافية في اسرائيل، وتشجيع العلماء والمثقفين والفنانين الاسرائيليين للاشتراك في مثل هذه الاحداث والمناسبات في الخارج مما يكسب اسرائيل مكانة رفيعة لدى الاوساط العلمية والفنية والثقافية في العالم.

٥) تنظيم زيارة الفرق الرياضية والمسرحية والموسيقية والراقصة الاسرائيلية لبلدان العالم الخارجي .

٦) تنظيم المعارض الثقافية والفنية في الخارج ، ولعل أشهرها من الناحية الدعائية معرض « مسادا » المتجول الذي عرض في شتى انحاء الولايات المتحدة ثم في اوروبا الغربية .

٧) اصدار المجلة الدورية « اريال » التي تعنى بشؤون الفنون والثقافة باللغات الانكليزية والفرنسية والاسبانية والالمانية .

د ــ **المكتب الصحفي بوزارة الخارجية** : ومهمته تزويد الصحافة المحلية والمراسلين الاجانب بالانباء يوميا ، وترتيب مقابلات الصحفيين لمسؤولي الخارجية الاسرائيلية وكذلك ارسال ملخص يومي بمحتويات الصحف الاسرائيلية لبعثات اسرائيل الديبلوماسية في الخارج وتنسيق ما يرده من البعثات الديبلوماسية الاسرائيلية من ملخص اقوال الصحف في البلدان الخارجية ، وتوفير خدمة صحفية طوال ٢٤ ساعة سواء للمراسلين المحليين او لوسائل الاعلام في الخارج بواسطة خط الهاتف الدولي المفتوح ليلا ونهارا .

هـ ــ **قسم رعاية الضيوف الرسميين** : يتولى هذا القسم اعداد برامج زيارات الضيوف الرسميين حسب رغبة وذوق واهواء كل منهم للفوز برضاهم . ففي عام ١٩٦٩ مثلا ، بلغ عدد ضيوف وزارة الخارجية الاسرائيلية الرسميين زهاء ١٥٠٠ ضيف من ٧١ بلدا(٨) جاؤوا في زيارات فردية او جماعية ، ومنها ما كان زيارات خاصة او لحضور مؤتمرات في اسرائيل، وكان من بين هؤلاء الزوار عدد من رؤساء الدول ورؤساء الوزراء ورؤساء المجالس النيابية والقادة العماليون والاساتذة الجامعيون والطلاب والكتاب والفنانون والصحفيون ورجال القانون والاقتصاد والعلماء والاطباء ورجال الدين واللاهوت .

ثالثا : مركز الاعلام في وزارة التربية :

هذا المركز هو ما كان يدعى سابقا مكتب المعلومات المركزي وكان تابعا لرئاسة الوزراء ، ولكن بعد نقاش وجدل طويلين جرى في الكنيست وعلى صفحات الصحف الاسرائيلية في عام ١٩٦٩ حول دمج الخدمات الاعلامية جميعها في وزارة واحدة يعهد بها الى اسرائيل غاليلي الوزير بلا وزارة والمقرب من غولدا مئير ، وازاء اصرار ابا ايبن على احتفاظ وزارة الخارجية بادارة وتوجيه الاعلام الخارجي وكذلك ازاء اصرار ييغال آلون وزير التربية والثقافة ونائب رئيسة الوزراء على اشراف وزارته على جانب من الاعلام لا سيما الاعلام الداخلي تقرر ابقاء اسرائيل غاليلي وزيرا بلا وزارة مسؤولا عن التصريحات الرسمية الصادرة عن رئاسة الوزراء وعن نشاطات « مكتب الحكومة الصحفي » التابع لرئاسة الوزراء كما يشرف على تطبيق قانون سلطة الاذاعة والتلفزيون بينما نقل « مكتب المعلومات المركزي » في شهر نيسان ١٩٧٠ من رئاسة الوزراء والحق بوزارة التربية والثقافة حيث سمي « مركز الاعلام » . وهو يتولى اعداد وتوجيه جانب أساسي من الاعلام الداخلي اي الموجه لسكان اسرائيل من اليهود والفلسطينيين الى جانب النشاطات والمواد الاعلامية العامة الموجهة للمجتمعات اليهودية في الخارج ولمجتمعات العالم الخارجي بوجه عام .

١ ــ تجنيد المتحدثين والخطباء في الاجتماعات التي تعقد في اسرائيل في المناسبات العامة مثل ذكرى مذابح اليهود على يد النازية او لاحياء ذكرى انتفاضة الغيتو اليهودي في

وارسو او غيرهما او لمناسبة « عيد الاستقلال » او الانتصار في حرب حزيران الخ ... وللحديث عن انجازات الدولة وسياستها من القضايا الحيوية مثل « قضية الامن » ومصير المناطق العربية المحتلة الخ ... وأيضا تنظيم محاضرات للسياح بلغات مختلفة ، وتنظيم لقاءات بين المهاجرين اليهود الجدد الى اسرائيل والمواطنين القدامى .

٢ ــ عرض الافلام التوجيهية والتربوية وغيرها في القرى والنواحي والمدن والاحياء والمنتزهات والميادين والقاعات العامة ، وكذلك تنظيم حفلات موسيقية ومسرحية في القرى والنواحي والمدن الصغيرة ، وايضا تنظيم احتفالات وتمثيليات وبرامج فنية لاحياء بعض المناسبات ، مثلا في عام ١٩٦٩ اقامة احتفال في « كفار جلعادي » (وهي مستعمرة في منطقة الحولة) احتفاء بمرور الذكرى الستين لتأسيس فرق الهاشومير (الحارس) فيها وهي احدى العصابات المسلحة الصهيونية ، او مثلا رواية قصة مدينة ايلات (العقبة) ببرنامج « الصوت والضوء » في عام ١٩٦٩ احتفاء بمرور عشرين عاما على ذكرى « تحريرها » . وفي عام ١٩٧٠ اعداد برامج « الصوت والضوء » احتفالا بالذكرى الثلاثين لتأسيس فرق الفتوة « الجدناع » والذكرى العشرين « لانقاذ » يهود العراق ، والذكرى الخامسة عشرة لتأسيس مدينة الناصرة العليا ، وما الى ذلك .

٣ ــ تنظيم جولات لزيارة المعالم الهامة داخل اسرائيل والمناطق المحتلة . ففي عام ١٩٦٩ نظم مركز الاعلام جولات من هذا النوع لحوالي مائة الف شخص من المهاجرين اليهود الجدد والطلاب والمتطوعين من الخارج ، وايضا لبعض هيئات موظفي المعاهد والمؤسسات العامة . وفي العام ذاته اشترك ما يقرب من ربع مليون شخص في النزهات التي نظمها المركز في غابات الصندوق القومي اليهودي والمتنزهات والحدائق العامة لمناسبة « عيد الاستقلال » . وفي « عيد الاضواء » اشترك خمسة آلاف شخص في جولات نظمها المركز لساحات القتال في حرب التحرير (الاغتصاب عام ١٩٤٨) وحرب الايام الستة (حزيران ١٩٦٧) .

٤ ــ تنظيم جولات سينمائية شهرية للقرى العربية ومضارب البدو في اسرائيل ، حيث يعرض فيها الجريدة السينمائية وفيلم طويل وافلام وثائقية . وأيضا تنظيم جولات داخل الارض المحتلة لفئات متنوعة من سكان القدس العربية .

٥ ــ تشجيع الطلاب الجامعيين وطلاب المعاهد العليا في اسرائيل والخارج على التطوع في مشروعات استيعاب المهاجرين ومساعدة قرى الحدود .

٦ ــ التركيز على الدعاية بين صفوف الاسرائيليين في الخارج وبين صفوف السواح .

٧ ــ تشكيل لجان اعلامية لخدمة منظمات مثل بناي بريث اليهودية الصهيونية والجمعيات الماسونية ونوادي الروتاري والليونز وعدد آخر من جمعيات الصداقة بين اسرائيل والدول الاخرى لتزويدها بسرعة بأكبر قدر من المواد الدعائية لتتولى توزيعها وتعميمها على مختلف فروعها في البلدان الاخرى .

٨ ــ تأمين الاعانات والمساعدات لقرى الحدود مثل توفير منح ومساعدات للدراسة العليا لابنائها وتزويدها بمعدات للملاجىء وملاعب رياضية واماكن للتسلية واللهو .

٩ ــ العناية بالمنظمات الدينية بتنظيم اجتماعات وحلقات دراسية وايضا تنظيم امسيات من الاناشيد والتراتيل الدينية للمزامير مساء السبت للسياح اليهود المتدينين لربط اليهود في الخارج دينيا وعاطفيا باسرائيل .

١٠ ــ توجيه السياح وبث الدعاية الاسرائيلية بينهم والسعي لاقناع اليهود منهم للاقامة في اسرائيل . وتنظيم امسيات من نوع « اسئلة واجوبة » للشبان السياح الذين يمضون فترات في الكيبوتزات ، ثم ارسال آلاف من بطاقات التهنئة بالسنة الجديدة وشهادات

التقدير من ادارة الكيبوتزات الى الشبان الذين عاشوا فيها بعض الوقت . وايضا تنظيم امسيات من « الاسئلة والاجوبة » للسياح في الفنادق حيث يقيمون كما توزع عليهم ايضا مئات آلاف النسخ من بطاقات ومنشورات الدعاية . وكذلك زودت بيوت الضيافة في القرى بمجموعات متنوعة من الصور الملونة (السلايدات) حول الحياة في اسرائيل والكيبوتزات الخ ..

١١ ــ توجيه عناية خاصة للعناصر الطلابية والجامعية الاسرائيلية للاستفادة منها في اغراض الدعاية بين صفوف الزوار والسياح ، وايضا توجيه عناية خاصة للعناصر الطلابية في الخارج ، **وقد تم بواسطة مكتب ارتباط طلابي في لندن تنظيم اتصالات مع جميع المراكز الطلابية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة ، وبرسل مكتب الارتباط المذكور في لندن النشرات الدعائية الاسرائيلية لحوالي ١١٠٠٠ طالب بانتظام .** وكذلك يتم توجيه جميع الطلبة الاسرائيليين المسافرين للدراسة في الخارج كما يتم توجيه مبعوثي الوكالة اليهودية المنتشرين في شتى الانحاء .

١٢ ــ استخدام فروع ومكاتب الشركات الاسرائيلية في الخارج في الاغراض الدعائية ، فهناك اتصال مستمر مع مكاتب شركة العال (الطيران الاسرائيلي) وشركة تسيم (الملاحة الاسرائيلية) وشركة سوليل بونيه (مقاولات البناء والانشاءات) العالمية النشاط وبنك ليئومي وغيرها حيث يتم تزويدها بالمواد الدعائية .

١٣ ــ اعداد مطبوعات ونشرات دعائية متنوعة لا سيما حول قضايا الساعة ، ففي عام ١٩٦٩ بلغ عدد النسخ المطبوعة من هذه الكراريس والمطبوعات الدعائية ٨٥٠،٠٠٠ نسخة ، وكان من بين الموضوعات التي عالجتها : « مقارنة بين قرى عربية على جانبي خط وقف اطلاق النار » ، « الحياة في قرى الحدود » ، « المنظمات الارهابية على حقيقتها » ، « محنة اليهود في البلدان العربية » ، « التغلغل السوفييتي في الشرق الاوسط » ، « اسرائيل ــ دولة ديموقراطية في الشرق الاوسط » .

١٤ ــ اعداد افلام دعائية تتناول موضوعات شتى مثل : « اسرائيل تتكلم » ، « اللواء ٤٥ عملياته في حرب الايام الستة » ، « مهاجر يتحدث الى مهاجر » الذي يعالج مشاكل المهاجرين والاستيعاب في اسرائيل . ويسجل الصوت على معظم هذه الافلام بسبع لغات مختلفة ، وبيع منها عام ١٩٧٠ نحو (٥٠٠) شريط ، وهي توزع للعرض مجانا في الخارج بواسطة مكاتب وزارة الخارجية او وزارة السياحة أو الوكالة اليهودية والهيئات اليهودية الخ ...

١٥ ــ اصدار نشرات منتظمة مثل النشرة الدورية للسياح بعنوان « بون فوياج » (رحلة طيبة) ، ونشرة سياسية بعنوان : « اعرف بماذا تجيب » وايضا « نشرة معلومات » .

رابعا : الاجهزة الاعلامية في وزارة الدفاع الاسرائيلية :

١ ــ **دائرة التعاون والارتباط الخارجي في وزارة الدفاع الاسرائيلية** : انشئت هذه الدائرة في وزارة الدفاع الاسرائيلية في عام ١٩٥٩ عشية تعاظم موجة الاستقلال في افريقيا . فاستغلت اسرائيل الفرصة التي اتيحت لها بفتح مضيق شرم الشيخ امام حركة ملاحتها من ميناء ايلات (العقبة) باتجاه اقطار افريقيا وآسيا اثر حرب السويس ، فاستبقت التطورات اللاحقة وهي حركة استقلال دول افريقيا وآسيا في موجة عارمة فخططت برامج تدريب في شتى فروع الادارة والاعمال مدركة ان هذا بالذات هو ما تحتاج اليه هذه الدول الافريقية والاسيوية الناشئة حاجة ماسة نظرا لافتقارها الى الكوادر المدربة الضرورية لتصريف أمور الدولة والقيام باعباء ادارتها وتنفيذ مشاريع التنمية فيها . وقد راهنت اسرائيل على ان هذه الدول الناشئة الحذرة من التعامل مع الدول الكبرى والحساسة من ناحية سيادتها الوطنية ستفضل التوجه الى اسرائيل طلبا للخبرة الفنية

والتدريب على اللجوء الى معونة الدول الاوروبية والامريكية الاخرى « فماضينا غير ملطخ بالاستعمار وميولنا ومبادئنا تحضنا على التعاون »(٩).

وأخذت اسرائيل ابتداء من عام ١٩٥٩ تستقبل جماعات من المبعوثين الافريقيين والآسيويين للتدرب فيها على شتى المهارات العسكرية كما اخذت اسرائيل ترسل مدربيها العسكريين الى بلدان آسيا وافريقيا لتدريب وحدات قواتها المسلحة الناشئة . **وحتى عام ١٩٧٠ قامت اسرائيل بتدريب نحو عشرين ألفا من الكوادر العسكرية من ثلاثة وثلاثين بلدا في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية على أنواع شتى من المهارات العسكرية** تدربت في عدد كبير من الاقطار مجموعات الرواد وأنشأت فرقا فيها على غرار فرق الناحال (شبيبة اسرائيل الطلائعية) في الجيش الاسرائيلي وهي فرق « المزارع ــ المقاتل » ، كما قامت ضابطات من فيلق النساء الاسرائيلي بتدريب الفتيات في عدد من البلدان على أصول النظافة الصحية والتدبير المنزلي والعناية بالاطفال وحتى أصول القراءة والكتابة .

وكذلك نظمت هذه الدائرة في اسرائيل خلال هذه الفترة ثماني دورات للتدريب على شؤون رعاية الشباب تخرج منها ٥٥٠ مدربا من ٤٧ بلدا آسيويا وافريقيا وامريكيا لاتينيا . وقد ساعد الخبراء والمدربون العسكريون الاسرائيليون في انشاء كلية للطيران وأخرى للبحرية في غانا وتدريب قادة وضباط الارتال في سيراليون ، كما قامت بتدريب القوات البرية والجوية في اوغنده ، وتدريب فرق المظلات في الكونغو كينشاسا ونيبال وأيضا أمدت جيش سنغافوره بالخبراء لتطويره .

ب ــ **دار النشر في وزارة الدفاع الاسرائيلية** : تقوم دار النشر التابعة للجيش بمهمات كبيرة في الاعلام الاسرائيلي الداخلي لا سيما الموجه منه لافراد الجيش . وهي الموزع الوحيد للكتب التي تصدرها الحكومة وكذلك مطبوعات ارشيف « ياد فشيم » أي (اليد والاسم) ومعظمها تتعلق بتاريخ اليهود ... وتتولى دار النشر هذه اصدار كتب متنوعة تتناول الموضوعات الجغرافية والتاريخية وأيضا الكتب العسكرية المتعلقة بمختلف الاسلحة . كذلك تصدر هذه الدار عددا كبيرا من المجلات الاسبوعية والشهرية الموجهة لمنتسبي مختلف اسلحة الجيش وأهمها مجلة « بماحانيه » أي (الثكنة) وهي مجلة الجندي الاسبوعية . غير أن جميع هذه المجلات لا توزع اكثر من ١٤٠،٠٠٠ نسخة . وفي عام ١٩٧٠ نشرت دار النشر هذه ١٩ كتابا جديدا طبعت منها ١٢٧،٠٠٠ نسخة . وجميع هذه الكتب تقريبا باللغة العبرية .

ج ــ **متاحف الجيش الاسرائيلي** : تهتم وزارة الدفاع الاسرائيلية بانشاء المتاحف العسكرية المتنوعة كوسيلة ناجعة من وسائل الاعلام الداخلي . وآخر ما أنشأته من متاحف « بيت الهاغناه » في تل أبيب ، وهنالك « متحف الهجرة غير المشروعة »، و«متحف البحرية » في حيفا ومتحف « بيت هاشومير » أي (بيت الحارس) في كفار جلعادي (قرب الحولة) وجميع هذه المتاحف تهدف الى تنمية الشعور القومي لدى الفرد الاسرائيلي وتوثيق عرى ارتباطه العاطفي بالجيش وبالقضية الصهيونية بشكل عام .

خامسا : أجهزة الاعلام في مكتب رئاسة الوزراء :

لقد نقل في نيسان ١٩٧٠ جهاز الاعلام الرئيسي وهو « مكتب المعلومات المركزي » من مكتب رئاسة الوزراء والحق بوزارة التربية حيث أصبح يدعى « مركز الاعلام » ، ولكن بقيت تابعة لرئاسة الوزراء أجهزة اعلامية صغيرة مسؤول عنها حاليا اسرائيل غاليلي الوزير بلا وزارة . واهم هذه الاجهزة :

ا ــ **مكتب الصحافة الحكومي** : وهو يقدم الخدمات الصحفية السريعة والفعالة لرجال

الصحافة المحلية والاجنبية ويضع تحت تصرفهم التسهيلات المناسبة مثل اجهزة التلكس والهاتف المتعدد الخطوط الخ .

ب ــ **قسم التعميم والنشر** : ومهمته تخطيط وتنفيذ الدعاية الحكومية الموجهة للمجتمع الاسرائيلي وتوجيه الرأي العام المحلي من خلال شتى وسائل الاعلام المتوفرة في البلاد.

سادسا : النشاطات الاعلامية لوزارة السياحة الاسرائيلية :

لا تنظر اسرائيل للسياحة كأحد المصادر الهامة للدخل القومي والعملات الصعبة فحسب بل كبؤرة صالحة لبث الدعاية الاسرائيلية والصهيونية ، ومما يشجع اسرائيل على المضي قدما في هذا السبيل ان تدفق السياح عليها هو في ازدياد منذ عام ١٩٦٧ . **ومنذ وقف اطلاق النار في شهر آب ١٩٧٠ زاد عدد السياح الوافدين الى اسرائيل زيادة كبيرة . ففي حين كان عدد السياح في عام ١٩٦٩ زهاء ٤٠٨٩٧٤ سائحا زاد في عام ١٩٧٢ على ٧٥٠ ألف سائح .** وكان دخل اسرائيل من السياحة عام ١٩٦٩ أكثر من (١٠٠) مليون دولار ، وتعتبر السياحة اكبر مصدر للعملات الصعبة . وتدرك اسرائيل ان الكثير من السياح يقومون عند رجوعهم الى بلادهم بالكتابة عن مشاهدتهم في اسرائيل او التحدث عنها في الاذاعة والتلفزيون أو يتحدثون عنها في الندوات والجمعيات والنوادي التي ينتسبون اليها ، ولذلك تحرص على ان تبث دعاياتها بين هؤلاء السياح بأشكال شتى ، فهي تنظم في اماكن تجمع السياح بالتعاون مع شركة العال للطيران وشركة تسيم للملاحة « أمسيات سياحية » تتضمن محاضرة للسياح عن اسرائيل وتفسح امامهم المجال لتوجيه الاسئلة والاستفسارات . وتكثر اسرائيل من طبع النشرات السياحية التي تضمنها دعايات سياسية ذكية مبطنة . **ففي العام ١٩٦٩ أعدت وزارة السياحة زهاء ٥٠ نشرة سياحية متنوعة وزعت منها في شتى انحاء العالم قرابة ستة ملايين نسخة ، هذا علاوة على الخرائط والصور والملصقات والبومات الصور والكلمات والتسجيلات الصوتية او الفنائية والافلام .**

ومن جهة اخرى تشجع اسرائيل عقد المؤتمرات فيها لشتى الاغراض طالما لا تتعارض والاستراتيجية الاسرائيلية لما لهذه المؤتمرات من قيمة دعائية كبرى ولانها تجلب الى اسرائيل اعدادا وافرة من الشخصيات المؤثرة . ففي عام ١٩٦٦ عقد في اسرائيل ٢٨ مؤتمرا دوليا أو اقليميا وما الى ذلك ، ولكن في عام ١٩٦٩ ارتفع عدد هذه المؤتمرات الى ٥٧ مؤتمرا .

وجدير بالذكر ان الفتيان والطلاب يشكلون نحو ربع عدد السياح الوافدين الى اسرائيل وهؤلاء بطبيعة الحال هم الجماعة الديناميكية المؤهلة للتأثير في المستقبل .

سابعا : الجامعات والمعاهد المختصة في اسرائيل :

تلعب الجامعات والمعاهد في اسرائيل دورا هاما في تنفيذ المخططات الاعلامية الاسرائيلية. وهي تساهم في المؤتمرات الدولية ، وتنشىء العلاقات مع المؤسسات العلمية والثقافية في الخارج وتستقبل الطلاب وتعد البرامج لتدريب آلاف الشبان من بلدان العالم الثالث على وجه الخصوص . وتساهم اجمالا في اكساب اسرائيل صورة عامة زاهية ومشرقة في أعين العالم الخارجي . وتعمل على غرس روابط عاطفية وثقافية وطيدة في نفوس المتدربين فيها من حيث ارتباطهم باسرائيل ومشاعرهم تجاهها ، بحيث يعود « المتدرب الخريج الى بلده وهو يشعر بحنين حاد لاسرائيل »(١٠) كما قال ليفي اشكول في أحد خطبه في مركز جبل الكرمل الدولي للتدريب .

وفي اسرائيل خمس جامعات اقدمها واهمها الجامعة العبرية في القدس التي تأسست عام ١٩١٨ ويوجد فيها كلية الطب ــ هداسا ، وهناك ايضا جامعة تل ابيب التي تأسست عام ١٩٥٣ وجامعة حيفا التي تأسست عام ١٩٦٣ ، وجامعة بار ايلان في

رامات غان قرب تل ابيب وقد تأسست عام ١٩٥٥ ، وجامعة النقب في بئر السبع وقد تأسست عام ١٩٦٩ . وفي اسرائيل كليتان علميتان لهما شهرة دولية هما : معهد التخنيون في حيفا (معهد اسرائيل للتكنولوجيا) وقد تأسس عام ١٩٢٤ ، ومعهد وايزمن للعلوم في روحوبوت الذي انشىء عام ١٩٤٥ . وهناك عدد من المعاهد المختصة أسستها اسرائيل خصيصا لتدريب الوافدين من بلدان العالم الثالث منها :

أ ـ **المعهد الافرو ـ آسيوي في تل ابيب** : وقد انشأه الهستدروت (اتحاد عام نقابات عمال اسرائيل) في تل ابيب بمساعدة اتحاد عام النقابات العمالية الامريكية ، وهو ينظم دورات تدريبية متنوعة للكوادر العمالية من بلدان افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية .

ب ـ **مركز جبل الكرمل الدولي للتدريب** : وقد انشأته بلدية حيفا بالتعاون مع اتحاد النساء السويدي وادارة العلاقات الثقافية بوزارة الخارجية الاسرائيلية . وهو يعقد دورات تدريبية في الزراعة وتنظيم الاسرة وشؤون الادارة للوافدين من بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

ج ـ **مركز الابحاث الافريقية** : وهو يختص بدراسة مشاكل البلدان الافريقية واقتراح الحلول لها .

وقبل اختتام الحديث عن استخدام اسرائيل أسلوب التدريب على نطاق واسع للشبان من بلدان العالم الثالث كوسيلة للدعاية لا بد من التأكيد على ان اسرائيل بتخطيطها هذه البرامج التدريبية تجني أعظم قدر من الفوائد بأقل قدر من التكاليف . فهي تسعى لاستقبال المتدربين من أكبر عدد من البلدان ، ولا يقضي هؤلاء في اسرائيل سوى مدد محدودة تتراوح بين أسبوع وستة شهور في معظم الحالات باستثناء اعداد قليلة تقضي مددا أطول من ذلك . ثم ان اسرائيل تمول معظم هذه المعاهد من التبرعات من الهيئات الخارجية في دول اوروبا الغربية وامريكا المتواطئة معها . ومن جهة اخرى تتخذ اسرائيل برامج التدريب هذه وسيلة للتسلل الى اقتصاد البلدان النامية والتغلغل في مرافقها الحيوية فتفتح أمام الشركات الاسرائيلية فرصا ضخمة للاستثمار والاستغلال ، وبالتالي ، فان هذه البرامج التدريبية ـ الاعلامية الاسرائيلية هي في مجملها ربح صاف لاسرائيل .

ثامنا : أجهزة الاستخبارات الاسرائيلية أو جهاز دعاية العنف :

قد يبدو غريبا للوهلة الاولى أن تدرج الاستخبارات الاسرائيلية ضمن أجهزة الاعلام الصهيوني ، غير ان المتتبع لتاريخ الحركة الصهيونية يجد ان الاستخبارات الصهيونية ثم الاسرائيلية بعد ذلك قد لعبت دورا أساسيا ليس في شن الحرب النفسية فحسب بل وفي تخطيط أعمال عنف منسقة ترتكب عمدا وبعد تخطيط دقيق لاثارة ردود فعل معينة أو للتأثير على اتجاهات الرأي العام بهذه الصورة او تلك او تغير هذه الاتجاهات وخلق واقع جديد . وقد لخص هذا الواقع دافيد بن غوريون ذات مرة قائلا : « ان مهمة وزارة الخارجية الاسرائيلية هي أن تبرر وتفسر للعالم المغزى الكامن وراء عمليات جيش الدفاع الاسرائيلي » .

والعنف والارهاب كانا دائما هما الوجه الآخر للديبلوماسية الصهيونية . واذا كان هدف الاعلام النهائي هو توجيه الرأي العام الوجهة المطلوبة لخدمة الاهداف النهائية للدولة ، فان العنف المخطط يؤدي بدوره الى تغيير الاتجاهات وتوجيه الرأي العام الوجهة المطلوبة خدمة للاهداف المتوخاة . وتتراوح اعمال العنف التي تمارسها دوائر الاستخبارات الاسرائيلية والصهيونية عامة بين التهديد كما يفعلون مثلا مع الصحفي أو السياسي الذي يسلك نهجا ضارا بهم وهذا أسلوب مارسوه مع معظم من ناصر القضية العربية من الكتاب والسياسيين الغربيين أو القيام بأعمال تخريب بقصد خلق حالة من

البلبلة في البلد او لافساد جو سياسي معين مثل العملية التي اشتهرت باسم لافون ، وهي عملية تخريب المنشآت الامريكيـة في مصر في عام ١٩٥٤ التي دبرتها اسرائيل في فترة كانت تقوم فيها علاقات وطيدة بين الحكم المصري والحكومـة الامريكية لتخريب هـذه العلاقات . وما نشهده هذه الايام من وضع الالغام والمتفجرات هنا وهناك او ارسال الطرود الملغومة ، وقد تشمل اساليب المخابرات الصهيونية الاقدام على اغتيال بعض الشخصيات لهذا الغرض او ذاك مثل اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في الشرق الاوسط في القاهرة عام ١٩٤٤ ، وقد اغتاله شابان من منظمة شتيرن الصهيونية في شوارع القاهرة للضغط على بريطانيا لفتح باب الهجرة اليهودية الى اسرائيل ولدفعها الى الرحيل عن فلسطين بعد ان نقلوا ولاءهم للامبريالية الامريكية الصاعدة آنئذ ، واغتيال وسيط الامم المتحدة السويدي الكونت فولك برنادوت في القدس في ٩/١٧/ ١٩٤٨ لادانته اليهود بانتهاك اتفاقية الهدنة . ولسنـا بعيدين عن الاخبار المتلاحقـة للارهاب الصهيوني المتمثل باغتيال الشهداء وائل زعيتر ومحمود الهمشري وحسين ابو الخير ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في روما وباريس وقبرص وعشرات الشبـان الفلسطينيين هنا وهناك وهنالك .

ومن أساليب الاستخبارات الصهيونية التي تستهدف منها تأثيرات اعلامية ونفسية معينة الاعتداءات المتكررة على حدود لبنان مثلا ورمي المنشورات على المناطق اللبنانية سعيا وراء زرع بذور التفرقة والشقاق بين الشعب اللبناني والفلسطينيـين او بين الجيش اللبناني ورجال المقاومة الفلسطينية الخ . . .

وتنظيم المذابح أيضا هو من الاساليب التي عمدت اليها الصهيونية لتحقيق أجواء نفسية معينة تحقق للصهيونيين أهدافهم . فمذبحة دير ياسين مثلا عام ١٩٤٨ ساهمت في خلق حالة نفسية أدت الى خروج اللاجئين الفلسطينيين من ديارهم ، وفي نهاية المطاف تأتي الحرب قمة دعاية العنف والحركة لتغيير الاتجاهات بصورة شاملة وخلق واقع جديد كما حدث في حرب حزيران وما خلقته من أجواء نفسية في طول البلاد العربية وعرضها .

ولقد سبق انشاء الاستخبارات الصهيونية اعلان قيام دولة اسرائيل بزمن طويل ، ومن المعروف ان الاستخبارات والجاسوسية هما سلاح الصهيونية الاول في الوصول الى أغراضها ومآربها وهو سلاح خبيث يتوافق وطبيعتها الخبيثة أتم التوافق . ومنذ ان بدأ الاستيطان الصهيوني في فلسطين على نطاق واسع اثر انتهاء الحرب العالمية الاولى مباشرة ظهر نشاط جهاز الاستخبارات الصهيونية فيها وكان يدعى حينئذ « نيللي » ، ثم اطلق عليه بعد ذلك اسم « شيروت يديعوت » أي خدمات المعلومات ، واشتهرت باسمها المختصر (ش.ي.) وتلفظ « شاي » وكانت تابعـة لقوات الهاغنـاه نواة الجيش الاسرائيلي قبل انشاء دولة اسرائيل . وبعد اعلان قيام دولة اسرائيل اصبحت تدعى « شيروتيه بطاحون » أي خدمات الامن واختصارها (ش. ب.) وتلفظ « شين بيت » وتتوزع نشاطـات الاستخبارات الاسرائيلية على عدة دوائر فهنـاك الاستخبـارات العسكرية التابعة للجيش والاستخبـارات السياسيـة التابعة لوزارة الخارجيـة والاستخبارات الداخلية الجنائية ، بيد أن هنالك هيئة عليا تنسق بين نشاطات مختلف دوائر الاستخبارات هذه تعرف باسم « الموساد » اي « المؤسسة » ، ويلقب المسؤول الاعلى عن دوائر الاستخبارات المتعددة هذه بلقب « الميمونية » ومعناها « المشرف » . وقد ابتكر هذا الاصطلاح دافيد بن غوريون يوم كان رئيسا للوزراء ، واطلقه لاول مرة على الجنرال أيسر هرئيل اول المشرفين على هيئة التنسيق بين دوائر الاستخبارات المختلفة . والمشرف حاليا على الموساد في اسرائيل هو الجنرال مئير عميت الذي يحيط بشخصيته الغموض .

تاسعا : معاهد الرأي العام والشؤون العربية في اسرائيل :

منذ البداية سعى الصهيونيون الى دراسة طبيعة فلسطين والمناطق العربية المجاورة لها الجغرافية والاجتماعية من جميع الوجوه لكي يرسموا خططهم بدقة وبناء على معطيات علمية موضوعية للاهتداء الى أقصر الطرق وأنجعها نحو أهدافهم العامة المرسومة . ومن هذا المنظار يمكن فهم الحافز وراء قدوم بعثة الاستكشاف الى فلسطين في الربع الاخير من القرن التاسع عشر حيث أجرت مسحا شاملا لفلسطين من جميع النواحي الجغرافية والاجتماعية ، أي ان الصهيونيين قد باشروا دراساتهم العلمية لواقع فلسطين حتى قبل ان يلتئم شملهم في مؤتمرهم الصهيوني الاول في بازل سويسرا ١٨٩٧ .

وفي اسرائيل اليوم عدة معاهد تتابع واقع عموم البلدان العربية وما يطرأ عليه من تطورات في شتى الميادين والنواحي أولا بأول وتحول ما تستخلصه من استنتاجات الى دوائر الدولة المختصة للاستفادة منها في تخطيط سياساتها ورسم خط سيرها . وأهم هذه المعاهد :

١ ــ **معهد الشؤون العربية في الجامعة العبرية** : ويعمل فيه خبراء ابحاث في الشؤون العربية يضعون دراسات خاصة بناء على طلب الجهات الرسمية الاسرائيلية .

٢ ــ **معهد روبين شيلواح** : ويقوم بمسح الصحافة الصادرة في جميع البلدان العربية ويستخلص منها الحقائق والوقائع والاستنتاجات المناسبة .

٣ ــ **معهد الاستماع الاذاعي** : وهو معهد تابع لرئاسة مجلس الوزراء في اسرائيل ومهمته تسجيل البرامج المذاعة من الاذاعات العربية جميعها ثم دراستها وتحليلها واستخلاص الاستنتاجات منها ووضعها ضمن الصورة السياسية للعالم العربي .

وقبل اختتام الحديث عن مؤسسات الاعلام الصهيوني واجهزته لا بد من التأكيد على واقع الترابط العضوي المتين القائم بين المؤسسة الحاكمة في اسرائيل والتنظيمات والهيئات الصهيونية المنتشرة في معظم انحاء العالم والتي تنظم صفوف المجتمعات اليهودية في شبكة مترابطة جيدة التنظيم . واسرائيل واجهزتها ومؤسساتها السياسية والاعلامية هي بمثابة الدماغ المفكر والمخطط في حين ان التنظيمات والهيئات الصهيونية المنتشرة في العالم هي بمثابة الاداة المنفذة لهذه الخطط الاعلامية والسياسية وهذا سر قوة الاعلام الصهيوني في العالم الغربي .

استراتيجية الاعلام الصهيوني

ليست استراتيجية الاعلام الصهيوني في اية مرحلة من المراحل التي اجتازها حتى الان سوى الوجه المعلن والمكشوف من الاستراتيجية السياسية للحركة الصهيونية في تلك المرحلة ، هذه الاستراتيجية السياسية التي هي بدورها مجرد جزء او طور من اطوار الاستراتيجية السياسية العامة للحركة الصهيونية كما تتبلور في اطار ظروف الزمان والمكان الملموسة في تلك المرحلة او ذلك الطور . فقد رسم المؤتمر الصهيوني الاول في بازل سويسرا ١٨٩٧ الخطوط العريضة للاستراتيجية الصهيونية العامة لانشاء الدولة اليهودية الحلم ، ومن خلال هذا الاطار العريض بدأ العمل لتنفيذ الخطط التفصيلية التي تؤمن بلوغ ذلك الهدف على مراحل متعاقبة وفق استراتيجيات سياسية مرحلية متعاقبة . واستراتيجية الاعلام الصهيوني في اي من هذه المراحل المتعاقبة لم تكن سوى انعكاس للاستراتيجية السياسية الصهيونية في تلك المرحلة ووليدتها . هذا مع العلم انه عند تطبيق الاستراتيجية الاعلامية في مرحلة من المراحل قد يلجأ الداعية او الدعاة الى تكتيكات ومناورات اعلامية يبدو ظاهريا انها تعارض الهدف العام المتوخى مثال ذلك ان وايزمن في فلسطين في مطلع فترة الانتداب البريطاني في اوائل العشرينات بذل جهدا كبيرا لتهدئة خواطر الزعماء الفلسطينيين والعرب في تلك الفترة وطمأنتهم بأن

الصهيونيين لا يضمرون شرا بالبلاد ولا بأهلها وذلك كسبا للوقت حتى يتاح للصهيونيين جلب المزيد من المهاجرين اليهود وكانوا في ذلك الوقت يشكلون قلة ضئيلة لا يتجاوزون المائة الف الا بقليل ، وما هذه المناورات والتكتيكات الاعلامية الصهيونية التي ما زلنا نعيش في دوامتها حتى اليوم سوى ضباب لاعماء العيون عن رؤية الغايات العدوانية التي يهدف الصهيونيون الى تحقيقها بخلق حقائق جديدة تصبح مع الزمن امرا واقعا . ومنذ قيام اسرائيل كان الهدف الاول والاكبر للسياسة الخارجية الاسرائيلية والاعلام الاسرائيلي هو **العمل على ان تصبح اسرائيل موجودة في الخارج كضرورة عالمية عن طريق خلق الاحساس لدى الرأي العام العالمي في كل مكان بأن سلام العالم وأمنه وتقدمه ورخاءه انما ترتبط جميعها ، الى حد كبير ، ببقاء اسرائيل والمحافظة عليها** . فلا يكفي الاعتراف الدولي بها لضمان وجودها من الخارج ، بل الضمانة هي في ان تصبح موجودة في الخارج : موجودة دائما ، وموجودة على كافة المستويات ، وموجودة في كل المجالات ، اي ان تصبح ليس ضرورة « يهودية » فحسب ، بل وضرورة « غربية رأسمالية » ، و « اميركية لاتينية » و « شرقية اشتراكية » و « آسيوية افريقية » ايضا . وقد مر الاعلام الصهيوني بأربعة ادوار رئيسية حتى الان هي :

أ) **مرحلة ما قبل صدور وعد بلفور** : وهي مرحلة اثارة المشكلة وطرحها في الساحة ، وكانت الاستراتيجية السياسية في تلك المرحلة هي :

١ ــ بث الشعور القومي الصهيوني في صفوف المجتمعات اليهودية العالمية ودعوة يهود العالم الى الهجرة الى فلسطين .

٢ ــ الحصول على تأييد دولي ودعم من الدول الرئيسية في ذلك الزمن لفكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

٣ ــ تنظيم صفوف اليهود في العالم في منظمات وهيئات صهيونية لتعبئة طاقات الجسم اليهودي العالمي ووضعها في خدمة المخطط الصهيوني .

٤ ــ تأمين المنافذ لتسرب الهجرة اليهودية الى فلسطين .

ب) **مرحلة ما بعد صدور وعد بلفور حتى اعلان قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨** : وهي مرحلة ارساء اسس الكيان الصهيوني المعتزم في فلسطين وتهيئة الاجواء الدولية والمحلية النفسية والديبلوماسية لاستقباله . واهم ملامح الاستراتيجية السياسية الصهيونية في تلك المرحلة هي :

١ ــ جلب اكبر عدد ممكن من المهاجرين اليهود الى فلسطين وتأمين استيطانهم واستقرارهم فيها .

٢ ــ بناء المؤسسات الصهيونية في فلسطين وتنظيم صفوف المستوطنين اليهود فيها لتشكيل نواة مؤسسات الدولة الصهيونية المعتزم اقامتها .

٣ ــ التصدي لمقاومة الشعب الفلسطيني للمخططات الصهيونية وقتل الارادة الوطنية للشعب الفلسطيني تمهيدا للاستيلاء على وطنه واقتلاعه من أرضه .

٤ ــ استكمال تعبئة الجسم اليهودي العالمي وتنظيم صفوفه وتأمين التفافه ودعمه للمخطط الصهيوني .

٥ ــ تأمين الحصول على المزيد من دعم القوى الدولية للمخططات الصهيونية ، وتهيئة الاجواء العالمية لاستقبال الجنين الصهيوني غير الشرعي الوشيك الولادة .

وفي هذه المرحلة وضح بجلاء ارتباط الاعلام الصهيوني بالاستراتيجية السياسية الصهيونية وتلازمه مع وسائل العمل الاخرى على النحو الذي تبلور فيه ذلك بصورة مركزة في برنامج العمل الذي اقره المؤتمر الصهيوني الامريكي (مؤتمر بيلتمور) الذي

عقد في فندق بيلتمور في نيويورك عام ١٩٤٢ ، وهو البرنامج المعروف باسم « برنامج بيلتمور » حيث برزت فيه الدعوة رسميا لانشاء « دولة يهودية في فلسطين كجزء لا يتجزأ من « العالم الديمقراطي » !! » ، وانشاء قوة عسكرية يهودية معترف بها تقاتل تحت علمها الخاص الى جانب الحلفاء بالاضافة الى رفض الكتاب الابيض (الذي اصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩) ، والمطالبة بهجرة يهودية غير محدودة الى فلسطين تتم باشراف الوكالة اليهودية التام .

واثر انتهاء الحرب العالمية الثانية اوشك الاعلام الصهيوني ان يدخل مرحلة جديدة عندما وجه المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرون في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ نداء دعا فيه الامم المتحدة وجميع دول العالم الى تأييد « الشعب اليهودي » في مطالبته بانشاء دولة له في فلسطين وفي عضوية « الاسرة الدولية » !!

وقد حقق الاعلام الصهيوني ، آنئذ ، نجاحا يفوق الوصف حتى بدت قضية فلسطين لدى الرأي العام الاوروبي والامريكي ، وهو الرأي العام الدولي الوحيد الذي كان فعالا حينئذ ، عشية طرحها على الامم المتحدة عام ١٩٤٧ وكأنها قضية « الشعب » اليهودي « المضطهد » الذي « يكافح من أجل الاستقلال » ويرغب في فتح أبواب « بلاده » للمشردين من « ابنائه » في اوروبا .

وجدير بالذكر هنا ان الخط الاعلامي الصهيوني الثابت الذي لم يتغير منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى الان هو التجاهل التام للطرف الاصيل في القضية وهو الشعب الفلسطيني .

جـ ــ **المرحلة الواقعة بين اعلان قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى حزيران ١٩٦٧** : في هذه المرحلة اعتمد الاعلام الصهيوني خط المراوغة من تطبيق قرارات منظمة الامم المتحدة المتعلقة بحقوق اللاجئين الفلسطينيين كسببا للوقت لتمتين وتثبيت قواعد الدولة الصهيونية . وكانت ابرز ملامح الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ــ الصهيونية في هذه المرحلة :

١ ــ بناء مؤسسات الدولة وتطويرها في شتى المجالات لتغدو « منارة العالم الغربي المتحضر المتقدم » على اطراف الشرق المتخلف ، وخلق القوة العسكرية الاسرائيلية القادرة على فرض مشيئتها على العالم العربي .

٢ ــ تأمين تدفق سيل المهاجرين اليهود الى اسرائيل وتأمين التفاف يهود العالم حول اسرائيل ودعمهم لها وخدمتهم اياها في شتى المجالات وكذلك الاستمرار في تنظيم صفوف الجسم اليهودي العالمي وتطوير منظماته وهيئاته لتعبئة طاقاته الى ابعد مدى ممكن .

٣ ــ تأمين اعتراف المجتمع الدولي قولا وفعلا « بشرعية » الكيان الاسرائيلي والفوز بتأييد ودعم اكبر عدد من دول العالم والتغلغل في صفوف المزيد من الشعوب لا سيما شعوب العالم الثالث لكسب الانصار لها بين هذه الشعوب .

٤ ــ الابقاء على تجزئة العالم العربي وبث الفرقة والشقاق في صفوفه وشل ارادته ومحاصرته وعزله دوليا وحرمانه من الاصدقاء وارغامه على الاقرار « بشرعية الوجود الاسرائيلي » واخضاعه لمشيئة اسرائيل وارادتها .

وبقيام دولة اسرائيل اصبحت جميع المؤسسات والهيئات وشتى نواحي الحياة الاسرائيلية في خدمة الاعلام الصهيوني ذلك ان موضوع الدعاية في العصر الحديث قد اصبح نشاط المواطن كله .

د ــ **المرحلة الراهنة ــ منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ حتى الان** : شهدت هذه المرحلة انقلابا في خط الدعاية الصهيونية في اكثر من مجال وان تكن الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية

ظلت تتقدم في الخط ذاته الـذي تسير عليه . وهـذا التناقض الشكلي الظاهري هو انعكاس لطبيعة المرحلة والظروف ولا ينفي التوافق والتلازم بين الاستراتيجية السياسية الصهيونية والاستراتيجية الاعلامية الصهيونية .

فعشية حرب حزيران ملأت اسرائيـل والصهيونية الدنيا صراخـا وعويلا على مصير اسرائيل الصغيرة وشعبهـا المسكين هؤلاء ابناء شعب الله المختـار الذين يواجهون « مسادا » جديدة(١١) . في حين اظهـرت الوقائع السياسية التي انكشفت بعد حزيران انه عندما اجتمع ليفي اشكول وليندون جونسون عام ١٩٦٧ في مزرعة الاخير في تكساس لوضع اللمسات الاخيرة على خطة العدوان على البلدان العربية كانت تقديرات المخابرات الاسرائيلية والامريكية المشتركـة تشير الى ان اسرائيـل ستحرز نصرا ساحقا على الجيوش العربية في غضون اسبوع واحد فقط وهو ما حصل فعلا ... ولكن رغم ذلك كان الخط الاعلامي هو المسكنة لتعبئة كل العالم الغربي والصهيونية العالميـة بالذات وراء اسرائيل .

اما بعد الانتصار الذي احرزته اسرائيل فأصبح التركيز على عظمة هذا البلـد الصغير الذي هزم العالم العربي الضخم كما هزم الراعي داود الصغير في الماضي جوليات جبار الفلسطينيين ، والتأكيد على شجاعة جنود جيش اسرائيل وجبن العرب وخستهم ومـا الى ذلك من تشهير بهم وبخلقهم . فوصفت يائيل دايـان انتصارات الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران بأنها كانطلاق جحافل الاسكندر الاكبر في التاريخ القديم ، كذلك لم يجد حاخام اسرائيـل الاكبر ما يقتطفه من التوراة ليهديـه الى جنود جيش اسرائيل عشية اقتحامهم للقدس العربية افضل من : « اضربوا بكر كل دابة وبكر كل امراة » ... غير ان اسرائيل لم تتخل نهائيا عن خطها المراوغ التقليدي فهي تغلف مطامعها التوسعية في تحقيـق مكاسب اقليمية والتملص من تطبيـق قرارات مجلس الامن بدعـوى ضرورة حصولها على ضمانات جغرافية توفر لها حدودا آمنة تضمن وجودها في المستقبل من اية محاولة عدوانية . بيد انه لم يعد بوسعها اليوم ان تغطي كليا اهدافها النهائية المتمثلة في بناء امبراطورية يهودية في الشرق العربي ... ولذلك ، فان استراتيجيـة اسرائيل السياسية في هذه المرحلة هي استمرار لاستراتيجيتها في المرحلة السابقة لحرب حزيران ولكن بتسارع اعظم نحو الهدف النهائي ، فقد نجحت الحركة الصهيونية نجاحا باهرا في تنظيم صفوف الجسم اليهودي العالمي بصورة مدهشة حتى اصبح يعمل في خدمة اهداف اسرائيل والحركة الصهيونية بدقة الالات الالكترونية . **ونجحت اسرائيل في الحصول على التفاف يهود العالم حولها ومساعداتهم لها قد تضاعفت وهجرتهم اليها في ازدياد وقدرتها الصناعية والاقتصادية والحربية في ازدياد سريع . وبمساعدة حلفائهـا الاستعماريين الامريكان وغيرهم وبالتعاون مع القوى العميلة داخل الوطن العربي يستمر بنجاح تطبيق سياسة تفريق صفوف العرب وتجزئتهم وشل ارادتهم ومحاصرتهم دوليا** . هذا بينمـا تسير اسرائيل قدما في تطبيق مخططها العام البعيد المدى في استكمال استيطان المناطق العربية المحتلة وتدعيم مواقع اسرائيل وقواها في شتى المجالات توطئة لقفزة توسعية جديدة في المستقبل لتحقيق الحلم اليهودي بكامله — امبراطورية يهودية تسيطر علـى الشرق العـربي عاصمتها اورشليم (القـدس) هي « الدولـة الكبرى » في المنطقة و « الدولة الاقوى » اقتصاديا وعسكريا تفرض وجودها على شعوب الشرق العـربي كأمر واقع لا تقهر ولا تزول ، وتجعل من المنطقة العربية بكاملها مجالا حيويا لاستثماراتها واستغلالها الاقتصادي — اي امبراطورية استعماريـة توسعية عنصرية تقوم علـى الاستغلال الاقتصادي والاذلال القومي للعرب .

ولذلك لا غرو اذن ان بن غوريون عندما اعلن قيام دولة اسرائيل مساء ١٩٤٨/٥/١٤ لم يحدد حدود هذه الدولة ، كما لا يوجد حتى الان اي تحديـد لهذه الحدود ، وما زالـت

اسرائيل تماطل في تنفيذ قرارات الامم المتحدة متعللة بذرائع وحجج واهية رغم كل ما قدمه بعض الزعماء العرب من تنازلات وتراجعات استسلامية ، وهي يقينا لن تقبل بأية تسوية لا تضمن لها مستقبلا السيطرة المباشرة وغير المباشرة على شتى انحاء المشرق العربي . وقد عبر عن ذلك حتى قبل عام ١٩٦٧ بنيامين اكزين استاذ العلوم السياسية والقانون الدستوري في الجامعة العبرية قائلا : « ان نقطة الارتكاز في سياسة اسرائيل الخارجية يجب ان تكون ضمان وجود اسرائيل في العائلة الدولية ، اما معاهدات الصلح فانها لا تضمن سلما دائما »(١٢) . والسلم الذي يعنيه طبعا هو السلم الاسرائيلي اي السيطرة الاسرائيلية العامة .

لمن يتوجه الاعلام الصهيوني ؟ ومن يخاطب ؟

يجهد الاعلام الصهيوني للوصول الى جميع الناس في شتى انحاء العالم ، بيد ان الفرص متاحة امامه للوصول الى بعض المجتمعات اكثر من غيرها . وبصورة عامة **يخاطب الاعلام الصهيوني الشعوب لا الحكومات فقط ، ويتوجه الى الجماعات المؤثرة كأصحاب المصالح والهيئات العمالية والطلابية مستهدفا الفوز بمناصرة الشعوب والجماهير لا مجرد الاكتفاء بتأييد الحكومات** ، ولذلك فان سياسة « كسب الانصار » تشكل ركيزة اساسية من ركائزه . ويمكن تقسيم الجمهور الذي يخاطبه الاعلام الصهيوني الى ثلاث فئات رئيسية ، وان كانت كل فئة منها تشتمل على عدد من الفئات الفرعية : أ) الجمهور صاحب القضية وهو الجمهور اليهودي ، ب) الجمهور المعارض العدو وهو الجمهور العربي ، ج) الجمهور المحايد ويشمل جميع الشعوب الاخرى بدرجات متفاوتة . ونستعرض فيما يلي مختلف فئات كل جمهور من هذه الجماهير لنتلمس اهم المداخل او الحجج والمبررات التي يطرحها الاعلام الصهيوني لكسب هذه الفئات والفوز بدعمها :

أ ــ الجمهور اليهودي : وهو يضم الاسرائيليين واليهود من افراد المجتمعات اليهودية خارج اسرائيل . والدعاية الموجهة الى اصحاب القضية تعتبر اعلاما داخليا لا خارجيا ، وهي تعد تعبئة قومية وتوعية وتوجيها اكثر منها دعاية .

واهم الافكار او الرسائل الاعلامية التي يوجهها الاعلام الصهيوني لليهود عامة ما يلي :

١) الهجرة الى فلسطين والمشاركة في بناء دولة اسرائيل هي استجابة لنبوءة التوراة وتحقيق للوعد الذي قطعه الرب على نفسه امام ابرام (ابراهيم) « **لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير** » اي نهر الفرات .

٢) الشعاران اللذان رفعهما بن غوريون وهما : ــ ان الحليف الوحيد الدائم المخلص لاسرائيل هو اليهود ، ــ ولا تكتمل يهودية اليهودي الا بالهجرة الى اسرائيل : « **كيف ترنم ترنيمة الرب في أرض غريبة ... ان نسيتك يا اورشليم تنس يميني ، ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك ، ان لم افضل اورشليم على اعظم فرحي** »(١٣) .

٣) لا سبيل للخلاص من لعنة اللاسامية التي ستظل ابد الدهر سيفا مسلطا على رقاب اليهود سوى بالتفافهم حول اسرائيل وهجرتهم اليها ودعمها . وما تنفك الدعاية الصهيونية تثير في نفوس اليهود والاسرائيليين مخزون معاناة وآلام اليهود الماضية من ايام السبي البابلي لتغرس في نفوسهم الحقد وتلهب حماسهم للالتفاف حول الحركة الصهيونية : « **يا بنت بابل المخربة طوبى لمن يجازيك الجزاء الذي جازيتنا . طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم الصخرة** » . [مزامير داود ، المزمور ١٣٧] .

٤) ان العرب يعدون العدة لابادة اسرائيل والاجهاز عليكم ايها الاسرائيليون ولا سبيل لنجاتكم الا بوحدة كلمتكم والتفافكم حول حكومتكم وتفانيكم في الخدمة والعطاء .

ب ــ **الجمهور العربي** : ولا تهمل الدعاية الصهيونية خصومها الثابتين وهم العرب ، بل

توجه لهم شطرا كبيرا من جهودها الدعائية ليس املا في كسبهم بل لتزرع في نفوسهم اليأس والخيبة وتبذر الشقاق فيما بينهم وتعمل على تفريق صفوفهم . وهذه الدعاية العنيفة الموجهة للعدو تدعى الحرب النفسية ، وتلعب اذاعة اسرائيل باللغة العربية دورا ناجحا في هذا الصدد ، وهي مع الاسف تجد مادة دسمة لبث سمومها في الفساد ومظاهر التخلف المتفشي في الاقطار العربية .

فالفلسطينيين الصامدين في اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ تقول : انزعوا من ادمغتكم شتى الاوهام القومية العربية ، وخير لكم ان تخلصوا في ولائكم لدولة اسرائيل ، فالعرب الاخرون باعوكم ، وليس امامكم من مجال سوى الاندماج باخلاص في الحياة الاسرائيلية والتشبع بالثقافة الاسرائيلية .

اما للسكان الصامدين في المناطق المحتلة فتقول : حذار ... حذار من المقاومة ، واياكم والتورط في حبائلها فتلقون بأنفسكم في التهلكة ، ولن يفيدكم من ذلك شيء ... ومن ينزلق للمقاومة لن يجني سوى الويل والخراب والدمار دون اية فائدة ترجى ... فالحكومات العربية لا خير فيها ... وهل نسيتم واقع التمييز في المعاملة الذي يتعرض له الفلسطينيون في شتى الديار العربية ... تعاونوا معنا خير لكم واجدى والا فان ذراع جيش الدفاع الاسرائيلي طويلة وقبضته شديدة .

اما بالنسبة للمجتمعات العربية عامة فالخط الذي تنهجه الحرب النفسية الاسرائيلية هو تحريض الشعوب على حكامها وحكوماتها خصوصا اذا كان هؤلاء الحكام ليسوا متواطئين معها ، كما انها تسعى الى بث البغضاء والمشاحنة بين ابناء الطوائف الدينية المختلفة وتحرض الاقليات كما تسعى الى تقسيم السكان الى مدنيين وعسكريين وقرويين ومدنيين والى بدو وحضر ، والى التحذير من مطامع بلد عربي في بلد اخر الخ .. ومن جهة اخرى تسعى الى كشف الفضائح العسكرية والسياسية والمالية والخلقية ليس حبا في الاصلاح بل لبث الهزيمة في النفوس ، مستفيدة في ذلك من الظواهر السلبية الكثيرة المتفشية في المجتمعات ... وهي في نهاية المطاف تستهدف ضعضعة الثقة بالنفس وغرس اليأس في نفوس مواطني البلدان العربية وان لا سبيل امامهم لقهر اسرائيل او مواجهتها وما عليهم الا الرضوخ للامر الواقع والاستسلام لمشيئة اسرائيل .

ج ـ **الجمهور المحايد** : وهذا يشمل معظم بلدان العالم ، ويمكن تقسيمه الى ثلاث فئات رئيسية : **أولا** : بلدان العالم الغربي وتشمل اوروبا الغربية والامريكتين واستراليا ونيوزيلنده والمجتمعات العنصرية البيضاء في افريقيا ، **ثانيا** : بلدان العالم الاشتراكي ، **ثالثا** : بلدان العالم الثالث في آسيا وافريقيا .

اولا : بلدان العالم الغربي : حقق الاعلام الصهيوني في هذه البلدان نجاحا فائقا الى الحد الذي اصبحت معه هذه البلدان تشكل احتياطيا شبه ثابت لضمان الوجود الاسرائيلي ، واهم المداخل او الاوتار التي ضرب عليها الاعلام الصهيوني لكسب شعوب هذه البلدان هي :

١) ان اسرائيل هي مشعل الفكر الغربي ومنارة الحضارة الغربية وقاعدة الديمقراطية الغربية على اطراف الشرق المظلم المتخلف الاستبدادي .

٢) ان اسرائيل هي رأس جسر للمصالح الاقتصادية الغربية في الشرق الاوسط وهي قاعدة حماية لهذه المصالح وللدفاع عنها في وجه حركة التحرر العربي ، كما ان اسرائيل قاعدة غربية متقدمة ضد اي تغلغل سوفييتي في المنطقة . وحملة التهويل حول النفط العربي التي تشنها الصحافة الصهيونية والغربية الاستعمارية هذه الايام هي مثال حي على اساليب الصهيونية لتسميم افكار ابناء المجتمعات الغربية وتحريضهم ضد العرب واعدادهم نفسيا لتقبل كل هجوم اسرائيلي واستعماري على البلدان العربية وثرواتها .

٣) تمجيد « المعجزات » التي حققتها اسرائيل في « الصحراء » التي كان اسمها فلسطين والتي اهملها « الغزاة » العرب و « دمروا » معالم الحضارة العبرانية القديمة والحياة فيها ، بينما الاسرائيليون حولوا هذه « الصحراء » الى جنات مزهرة !!

٤) التذكير المتواصل بفظائع النازية التي ارتكبت ضد اليهود والاضطهاد الاوروبي ، عبر التاريخ ، لليهود ، وان تجميع اليهود في فلسطين هو الحل التاريخي المناسب للمشكلة اليهودية للخلاص من لعنة اللاسامية .

٥) ان قيام دولة اسرائيل هو تحقيق لنبوءة «التوراة ــ العهد القديم » تأكيدا للوعد الذي قطعه الرب على نفسه امام ابرام (ابراهيم) « لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير » . والنبوءة الانجيلية القائلة بعودة المسيح ليخلص العالم بعد بناء دولة اليهود ، وكذلك التأكيد على ان مسيحية المسيحي لا تكتمل الا اذا آمن بما جاء في العهد القديم .

٦) التأكيد على «الحق التاريخي» لليهود في فلسطين استنادا الى انشاء دولة العبرانيين فيها في التاريخ القديم ثم طردهم منهـــا ، واليهود اليوم لهم الحق في استعادة « بلادهم » من « الغزاة » العرب . وهي بهذا الصدد تضرب على اوتـــار التحامل الديني والثقافي والسياسي الذي تضمره الدوائر الاستعمـــارية والعنصرية الغربية تجـــاه الحضارة العربية الاسلامية .

ثانيا : بلدان العالم الاشتراكي : رغم العسر الذي تتصف به ، منذ زمن ، العلاقات بين اسرائيل ومعظم بلـــدان العالم الاشتراكي فان السياسة الخـــارجية الاسرائيلية تتميز بالرغبة في عدم قطع شعرة معاوية بينها وبين هذه الدول مهما كانت هذه الشعرة واهية . وهي تتبع في خطها السياسي تجاه هذه الدول ما يعـــرف بسياسة الصبر الفاعـــل او المتحرك الذي يتمثل في العمل الـــدائب الصبور وعـــدم تفويت اية فرصة للاتصال او الصداقة يمكن الحصول عليها ، لانها تأمل في عدم تحول هذه الدول الى اعداء سافرين لها ولوجودها بصورة نهائية ، كما انها تأمل في الاحتفـــاظ ، ولو بأدنى قدر من العلاقات حتى لا يتحول الرأي العام التقدمي في العالم ضدها بصورة نهائية ، ومن جهة اخرى هي ترغب في تأمين استمرار هجرة اليهود من هذه الدول اليها . رغم انها شنت في السنوات الاخيرة حملة اعلامية وسياسية هائلة على الاتحاد السوفييتي بالذات لترغمه على الاذن لليهود السوفييت بالهجرة ولتعاقبه على مساعدته لشعـــوب البلدان العربية وتثنيه عن مواصلة هذه المساعدة ولدق اسفين من عدم الثقة بين الاتحاد السوفييتي والشعـــوب العربية .

وتؤكد اسرائيل في مخاطبتها لحكومات الدول الاشتراكية وشعوبها على ما يلي :

١) ابراز ما تعتبره « خصائـــص انسانية تقدمية » في الحركـــة الصهيونية والمجتمـــع الاسرائيلي . فالنظام الاجتماعي الاسرائيلي يستفيد من التجـــارب الاشتراكية ويطبـــق بعضها . وان تجربة « الكيبوتزات » هي مـــن الامثلة الجلية علـــى الملامح الاشتراكية للمجتمع الاسرائيلي .

٢) التذكير بالتحالف الوثيق الذي كان بين اليهود وشعوب البلدان الاشتراكية في مقاومة النازية ، والتذكير بالمعاناة والالام المشتركة التي عاناها كل منهما على يد هذه النازيـــة بينما كان العرب يتوجهون بأفئدتهم حينئذ للتعاون والتحالف مع النازية .

٣) ان العرب قوم معادون للعقيدة الشيوعية بينما اسرائيل تسمح للاحزاب الشيوعية بحرية العمل بصورة علنية .

ثالثا : بلدان العالم الثالث في آسيا وافريقيا : لقد حققت اسرائيل في هذه البلدان نجاحا

لم يكن من الواجب او المنطقي ان تحظى به ، ولعل مرد ذلك الى سلبية البلدان العربية في التعامل مع هـذه البلدان وتطوير العلاقـات معها ، بينما توجهت اسرائيـل بنشاط وفعالية وذكاء لتطوير العلاقات مع هذه البلدان في كل ميدان ممكن ، وخلق انصار ثابتين لها في صفوف شعوب هذه البلدان بواسطة برامج التدريب في اسرائيل وبعثات المدربين الاسرائيليين اليها وتبادل الزيارات واقامة المشاريع والاستثمارات وصنوف الدعـاية والاتصالات الشخصية الخ .

ولعل اهم الافكار التي تؤكد عليها اسرائيل في مخاطبتها لحكومات وشعوب هذه البلدان ما يلي :

١) التأكيد على « وحدة التجربة التاريخية النفسية للشعبين اليهودي والافـريقي » . وهي تتوسل بذلك ملامسة نـواح حساسة في نفوس الافريقيين وهي مسألـة التمييز العنصري بسبب اللـون والجنس التي عـانى منهـا الافريقيون وابـراز ان اليهود والافريقيين يجمعهما معا الشعور بالمعاناة من الاضطهـاد والتمييز ضدهما مما يجعل بينهم تقاربا روحيا وعاطفيا قويا .

٢) التأكيد على ان العرب عنصريون ويحتقرون سود اللون ويميزون ضدهم وان العرب هم تجار العبيد الذين كانوا يديرون عمليات بيع الرقيق الافريقي للمستغلين الاوروبيين والامريكيين طوال فترة العصور الوسطى حتى مستهل العصر الحديث .

٣) التأكيد على اهمية التجربة الاسرائيلية « الفريدة والرائدة » في انماء الدول الافريقية والاسيوية الناشئة .

٤) التأكيد على خلو علاقات اسرائيل بدول افريقية وآسية من الاطماع السياسية التي عرفتها في الدول الاوروبية الاستعمارية ، وان اسرائيل ليست دولة كبرى فـلا تنطوي على تهديد لامن وسلامة البلدان الافريقية والاسيوية الناشئة الحريصة على استقلالها .

٥) التأكيد على الدور الهام الـذي بوسـع دول افريقية وآسية ان تضطلع به لتحقيق السلام بين اسرائيل والعرب بسبب علاقتها بكلا الطرفين ، وهذا يرضي طموح الـدول الافريقية والاسيوية التواقة لان تلعب دورا عالميا مهما يرضي مطامحها القومية .

أساليب الاعـلام الصهيوني

أساليب الاعلام الصهيوني متنوعة وعديـدة ووافرة تغطي كـافة جوانب النشاطـات الانسانية ، الا انها مثل كل اعلام اخر يمكن ان تصنف في فئتين رئيسيتين هما :

أولا : الدعاية بالكلمة : وهذه تشمل الصحف والمجلات والنشرات والكراريس والكتيبات والمطبوعات الدورية والكتب والاشعار والقصص والمسرحيات والخطابـات والاحاديث والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والافلام السينمائية والتلفزيونية والبرامج الاذاعية والملصقات والاعلانات .

ثانيا : دعاية الحركة اي الدعاية بالاعمال والافعال : وهذه تنقسم الى قسمين رئيسيين هما :

١) دعاية الحركة الهادئة البناءة : وهذه تشمل برامج التدريب والتعليم واقامة المعاهد الثقافية والنوادي الاجتماعية والمشروعـات الاقتصادية او الصحية واجراء الابحـاث العلمية وعقد الدورات او الحلقات الدراسية واقامة المعـارض الفنية او الاقتصادية او الثقافية او عروض الازياء والحفلات الاجتماعية والبرامج السياحية وتوجيه الدعوات والزيارات والاستقبالات وتسمية المباني او الحدائق والغابات والشوارع باسماء معينة تكريما لمن يطلق اسمه عليها سواء كان شخصا او بلدا الخ ...

ب) دعاية العنف والارهاب : وهذا نوع هام من انواع الدعاية برع فيه الصهيونيون حتى انهم فاقوا فيه اية جهة اخرى عرفها التاريخ لا سيما وانهم يستعملون هذا النوع من الدعاية في وقت وصلت فيه الانسانية الى استخلاص قيم واعراف ومفاهيم تضبط قواعد السلوك البشري والدولي وتضبط اصول التصرف الانساني ، ويتمثل ذلك في شرعة حقوق الانسان ومنظمة الامم المتحدة والعديد من الهيئات والروابط الدولية . وهذا النوع من الدعاية يدرج عادة ضمن اساليب الحرب النفسية ، او بالاحرى هو اعلى اشكال الحرب النفسية . ويستخدم الصهيونيون هذا النوع من الدعاية مع الخصوم الصلبين لهم ، فاذا فشلوا في كسب شخص او جهة الى جانبهم او فشلوا في حمله على السكوت بوسائل الترغيب والاغواء والاقناع والاغراء التي يتقنونها عمدوا الى استخدام العنف معه . ويتخذ العنف اشكال ممارسة الضغط المالي او النفسي او الانذار والتهديد الشخصي او وضع القنابل والمتفجرات واعمال النسف او محاولة الاغتيال او التصفية الجسدية او القيام بالاعتداء على الحدود كما هو معروف في علاقات اسرائيل بالدول العربية المجاورة او اعمال التهديد بالطيران بحركاته الاستعراضية في اجواء البلدان العربية او شن الاعتداءات او ارتكاب المجازر وآخرها مجزرة الطائرة الليبية . واعلى اشكال الدعاية بالعنف هي شن الحروب على نطاق عام وواسع ومعلن ... وهذه كلها اساليب استخدمها الاسرائيليون والصهيونيون عامة في شتى انحاء العالم .

مراكز قوة الاعلام الصهيوني

هنالك عدد من مناهج العمل او الخطط السياسية — الاعلامية نجح الصهيونيون في انتهاجها وتطبيقها في عدد كبير من البلدان لا سيما في العالم الغربي مكنتهم من نقل رسالتهم الاعلامية بنجاح كبير حتى اصبحت لهم الكلمة العليا في بعض البلدان . ونستطيع أن نعتبر هذه مراكز قوة الاعلام الصهيوني لان نجاحهم في اقامتها وتطبيقها هو الذي اكسب اساليبهم الاعلامية الفعالية وكلل مجهوداتهم الاعلامية بالنجاح الباهر .

واهم مراكز القوة في الاعلام الصهيوني هي :

أولا : سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام :

ليس سرا ان الصهيونيين واليهود عامة يسيطرون سيطرة كبيرة على معظم وسائل الاعلام في العالم الغربي اما بامتلاك هذه الوسائل امتلاكا مباشرا او بالسيطرة عليها بصورة غير مباشرة بواسطة المحررين والكتاب الصهيونيين فيها او بغير ذلك من الوسائل كأساليب الضغط المالي او النفسي وما الى ذلك بحيث يضمنون مسايرتها لهم وتقيدها بخططهم . ولم تقتصر سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربي ، بل انهم يسعون الى التغلغل في وسائل الاعلام في الكثير من بلدان العالم الثالث وقد قطعوا في هذا الاتجاه خطوات واسعة . فقد اصبحوا يسيطرون على عدد كبير من الصحف في افريقيا وتركيا وايران والهند واليابان وغيرها ، ناهيك عن بلدان امريكا اللاتينية حيث سيطرتهم تامة .

وادراك الصهيونيين لاهمية السيطرة على وسائل الاعلام في تنفيذ مخططاتهم ليست وليدة الامس القريب ، فقد وعوا ذلك منذ البداية . ففي عام ١٨٦٩ أي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول وتأسيس الحركة الصهيونية رسميا بنحو عشرين سنة **قال الحاخام رايشورون في براغ : « اذا كان الذهب هو القوة الاولى في العالم فالصحافة هي القوة الثانية ، ولكن الثانية لا تعمل من غير الاولى »** . ولا حاجة الى القول ان اليهود قد أصبحوا اليوم هم أهل الاولى والثانية معا .

وفيما يلي عرض موجز لبعض مظاهر سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام في العالم الغربي :

أ) **الصحافة اليهودية** : المقصود بالصحافة اليهودية هنا الصحافة التي يملكها اليهود ويصدرونها خصيصا لمخاطبة اليهود انفسهم لتكون لسان حال المجتمعات اليهودية والعاملة على تجانس آرائهم وافكارهم . وهذه لا تشمل الصحف التي يملكها يهود ولكنها موجهة للجمهور العام مثل جريدة « نيويورك تايمز » في الولايات المتحدة مثلا . فهذه تدرج ضمن الصحافة العامة ، وبسبب ذلك تؤدي دورا اعلاميا اهم واخطر من الصحافة اليهودية المعروفة التي معظم قرائها من اليهود . وقد اهتم الصهيونيون ، منذ البداية ، باصدار أكبر عدد ممكن من الصحف . ففي عام ١٨٨٠ كان عدد الصحف والمجلات اليهودية ١٠٣ ، جلها كانت تصدر في اوروبا في ذلك الوقت المبكر الذي لم تكن فيه الصحافة قد ازدهرت على النحو الذي نراه حاليا . **اما اليوم فيبلغ عدد المطبوعات اليهودية المنتظمة التي تصدر في العالم بشتى اللغات ٩٥٤ جريدة ومجلة اسبوعية وشهرية وفصلية او دورية** . وهي تصدر في ٧٧ بلدا منها ٤١٤ باللغة الانكليزية و٢١٨ باللغة العبرية و١١١ بلغة اليديش و٥٩ باللغة الفرنسية و٤٩ بالاسبانية و٣٧ بالالمانية والباقي بلغات اخرى ، ومعظم المطبوعات بالعبرية تصدر في اسرائيل التي تصدر فيها اليوم نحو ثلث الصحافة اليهودية في العالم ٣٢٥ ، ويصدر في الولايات المتحدة ٢٨٤ وفي اوروبا ١٩٠ وفي امريكا الجنوبية والوسطى ٧٩ وكندا ٢٨ وافريقيا ٢٧ واستراليا ونيوزيلنده ١٦ وآسيا ٥(١٤).

ب) **الصحافة العامة** : يستخدم الصهيونيون الصحافة اليهودية لتعبئة الراي العام اليهودي وتجنيده في خدمة الحركة الصهيونية ، ولكنهم يمارسون تأثيرهم على الجمهور العام في البلد من خلال التغلغل في الصحافة العامة التي يقرأها الناس ... جمهور الناس ... كل الناس . وهم يسيطرون عليها اما بامتلاكها كما هو الحال مع بعض كبريات الصحف في العالم مثل « نيويورك تايمز » و« الهيرالد تريبيون » و« الديلي تلغراف » اللندنية وغيرها من اهم الصحف والمجلات ... وبعضها يملكون حصة فيها . اما التي لا يملكونها فيسيطرون عليها بواسطة المحررين والكتاب الصهيونيين فيها من جهة وكذلك بوسائل الضغط والاغراء كاستخدام الاعلانات او حجب الاعلانات عنها وايضا حملة من رسائل القراء باسماء مزيفة تثني على اراء كاتب يتعاطف معهم وحملة رسائل استنكار لمقالات كاتب آخر يناوئهم ... وهم يلجأون من أجل السيطرة على الصحيفة والتأثير على اتجاهها الى شتى وسائل الاغراء والتهديد ، ومن هذه محاولة التشهير بأخلاق كاتب يعارضهم يكشف بعض اسرار حياته الخاصة والتشهير به بشتى الوسائل . وهذا اسلوب اتبعوه في الغرب على نطاق واسع . فحملتهم على ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا العمالي عقب الحرب العالمية الثانية معروفة لانه لم يجارهم في كل اطماعهم . وكذلك حملة التشهير التي شنوها على فورستال الوزير الامريكي الذي عارض مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ التي قادت الرجل الى الانتحار .

وهناك وكالتان صهيونيتان للانباء هما وكالة عتيم التابعة للحكومة الاسرائيلية و«وكالة البرق اليهودية» التي اسست في لندن عام ١٩١٩ ثم نقلت الى نيويورك ، وهنالك عدة وكالات انباء صهيونية اخرى اقل اهمية منهما .

ج) **الاذاعة والتلفزيون والسينما** : في الولايات المتحدة مثلا حيث محطات الاذاعة والتلفزيون هي شركات خاصة غير حكومية يملك اليهود معظم هذه المحطات واهمها محطة كولومبيا للاذاعة والتلفزيون التي لها شبكة تغطي جميع انحاء الولايات المتحدة . وعندما تكون الاذاعة والتلفزيون حكوميتين لا يعدم الصهيونيون الوسائل للتغلغل بهما

كما هو الحال في الاذاعة البريطانية العالمية الشهرة والتلفزيون البريطاني ... وهنالك امثلة عديدة وكثيرة على اساليب الدس الخبيث لصالح الصهيونية واسرائيل في اخبار هيئة الاذاعة البريطانية وبرامجها في اذاعتها العالمية ، وهذا يتناقض مع الانطباع العام الخاطىء عن موضوعية الاذاعة والتلفزيون البريطانيين . اما في ميدان السينما فسيطرتهم الواسعة في هوليوود هو أمر معروف ، وهم متغلغلون ايضا في ميدان السينما الاوروبية .

د) **دور النشر** : توجد معظم دور النشر الكبرى في الولايات المتحدة في مدينة نيويورك ، ويملك اليهود معظمها بل الاغلبية الساحقة منها . وقد أصبح معروفا في العالم الغربي ان كل من يكتب كتابا مناوئا لاسرائيل او الصهيونية يجد صعوبة بالغة في نشره . واذا اجتاز كتاب جميع الصعوبات والعراقيل التي توضع امام نشره وصدر فيعمد الصهيونيون الى محاولة سحبه من الاسواق واخفائه . اما اذا صدر كتاب لصالحهم فيبالغون في الدعاية له بشتى الوسائل ليجلبوا انتباه القراء له .

ليس من قبيل المبالغة أن يقال أن للصهيونيين اليد العليا على جميع وسائل الاعلام في شتى انحاء العالم الغربي لا سيما في الولايات المتحدة حيث سيطرتهم تامة وفي بريطانيا والمانيا الغربية وبلجيكا وهولندا ولكنهم لم يكتفوا بذلك ، فقد أفلحوا في التسلل الى وسائل الاعلام لا سيما الصحافة في عدد من بلدان افريقيا وآسيا .

ثانيا : جماعات الضغط

والمركز الثاني من مراكز قوة الاعلام الصهيوني والديبلوماسية الصهيونية هي سعيهم في كل بلد ، يتوفر لهم فيه شيء من النفوذ الى تشكيل جماعات ضغط هي عبارة عن مجموعات من الشخصيات النافذة التي ينجحون في استمالتها الى جانبهم ، وهم من اجل هذا يسعون الى التغلغل في اوساط السياسيين وفي اوساط رجال الاعمال وفي هيئات المهنيين الاختصاصيين كالمحامين والاطباء والمهندسين والاقتصاديين واتحادات الكتاب والصحفيين والفنانين . بحيث يستميلون اكبر عدد منهم واهم شخصياتهم ليستخدموهم مطية يمارسون الضغط بواسطتهم على أي مسؤول في الدولة يناوىء سياستهم . وهم أيضا يسعون للسيطرة على الهيئات الادارية لنقابات العمال واتحادات الطلاب باعتبار هاتين الفئتين من الجماعات الديناميكية في المجتمع وكذلك يسعون لاستمالة قادة الاحزاب السياسية او قسم منهم على أقل تقدير .

ويستخدم الصهيونيون مثل هذه الشخصيات والهيئات الفعالة ذات النفوذ في تشكيل لجان او جماعات لهذا الغرض او ذاك . فهذه لجنة من اجل يهود سوريا وتلك من اجل يهود العراق وثالثة من اجل يهود الاتحاد السوفييتي الخ ...

وقد أصبح الصهيونيون يسيطرون بواسطة الجماعات الضاغطة هذه سيطرة تامة على معظم ان لم يكن كل الهيئات والقوى والمراكز الفعالة في تشكيل ما يدعى بالرأي العام في الولايات المتحدة الامريكية . كما أنهم نجحوا في استخدام هذا الاسلوب الى حد بعيد في معظم بلدان العالم الغربي . وهم يحاولون ان يشتروا العملاء لهم هنا وهناك في بلدان آسيا وافريقيا ويستغلون برامج التدريب لخلق فئات مرتبطة باسرائيل روحيا وماديا تكون جماعات ضغط لصالحها وقاعدة يعتمد عليها في الدفاع عن المصالح الاسرائيلية والصهيونية .

ثالثا : رجال الكواليس الصهيونيون « للتطبيقات » السياسية

يتخذ هؤلاء أحيانا شكل رجال علاقات عامة واحيانا اخرى شكل رجال صحافة او رجال اعمال ، ولكنهم في واقع الامر سماسرة رسميون تستخدمهم الحركة الصهيونية لشراء

رجال السياسة والدولة واولي الامر و« تطبيقهم » ، فهم الذين يقومون بعمليات جس نبض السياسيين والشخصيات المؤثرة ويجهدون لاقناعهم بشتى وسائل الترغيب والاغراء او التهديد والوعيد اذا اقتضى الامر . وينشط هؤلاء المحاورون في صفوف مجالس النواب لتطبيق النواب للضغط على الحكومة في اتجاه معين اذا قررت الحكومة انتهاج سياسة لا توافق الصهيونيين . ولعل ابرز هؤلاء المحاورين الصهيونيين « سي كينين » العميل الاسرائيلي المعروف في واشنطن الذي يدير ما يدعى « لجنة العلاقات العامة الاسرائيلية — الامريكية » ومهمته تطبيق رجال الكونغرس الاميركي (مجلسا النواب والشيوخ) ، فشكل مثلا لجنة الاثني عشر في مجلس الشيوخ ستة منهم من كل من الحزبين الجمهوري والديموقراطي مهمتها متابعة مصالح اسرائيل داخل الكونغرس الاميركي ومع دوائر الحكومة الاميركية .

وهنالك محاورون صهيونيون في شتى البلدان بعضهم يعمل علنا وآخرون سرا . وهم بجهودهم هذه يمهدون السبيل أمام نجاح الاعلام الصهيوني والمخططات السياسية الصهيونية .

أهم أساليب الاعلام الصهيوني

اولا : دعاية الكلمة :

منذ سنوات طويلة والصهيونيون يعتمدون سياسة اغراق العالم بسيل من الدعايات المكتوبة والمسموعة والمرئية بشتى وسائل الاعلام بحيث تكون وجهة النظر الصهيونية هي الوحيدة امام كل الناس ، وهذا ينطبق على العالم الغربي بصورة عامة وعلى الولايات المتحدة بصورة خاصة . واستعراض نشاطات الصهيونيين في هذا الصدد قد لا تكفي مجلدات لعرضه بصورة شاملة ، ولكننا نلمس آثاره فيما يبدو انه غسيل دماغ كامل قد جرى لشعوب بلدان العالم الغربي ، وهو ما نتحمل عواقبه الان فيما تلقاه اسرائيل والصهيونية من تأييد في بلدان الغرب . ونكتفي هنا بالتأكيد على ملاحظة ان الدعاية الصهيونية لا تمسك الثور من قرنيه على حد تعبير ليدل هارت وانما تتغلغل الى اذهان الناس وعقلهم الباطن بطريقة غير ملحوظة في معظم الاحيان .

ثانيا : دعاية الحركة او الدعاية بالاعمال والافعال :

وهذه كما ذكرنا منها الدعاية الهادئة البناءة ذات النفس الطويل التي تدفع اليوم القليل لتجني في المستقبل الكثير . ومنها ما يتخذ مظاهر العنف بشتى اشكاله وصوره .

أ) دعاية الفعل الهادئة البناءة :

ومن اهم اساليب الصهيونيين في هذا المجال :

١ — الضيافة : فهم يكثرون من توجيه الدعوات للشخصيات الهامة النافذة او التي تبشر بمستقبل لامع . ومعظم هذه الدعوات توجه لزيارة اسرائيل اما بصورة زيارات رسمية او غير رسمية .

٢ — تخليد الصداقات : يعمل الصهيونيون اكتسابا للصداقات وتدعيما لها الى تخليدها بوسائل شتى منها :

أ) اطلاق أسماء بعض الشخصيات او الدول على بعض الشوارع ، مثل شارع بلفور في حيفا الخ . .

ب) غرس الاشجار والغابات تكريما لبعض الدول او الشخصيات مثل : غابة أبطال الباراغواي وغابة السلفادور . واخر ما تم في هذا الصدد اثناء زيارة وزير خارجية البرازيل ماريو جبسون باربوزا في مطلع شهر شباط ١٩٧٣ الحالي الذي قام بغرس

الاغراس الاولى في غابة انشئت قرب « ايدموديعيم » تكريما لذكرى مرور ١٥٠ سنة على استقلال البرازيل ، وايضا اطلاق اسم ملكة بريطانيا اليزابيت الثانية على احدى الغابات في اسرائيل مؤخرا .

جـ) اقامة النصب التذكارية تكريما للشخصيات الصديقة مثل : « النصب التذكاري وغابة السلام » في القدس الذي اقيم عام ١٩٦٦ تكريما لجون كينيدي ، ومركز ترومان لخدمة السلام في القدس ايضا ، و« معهد وينغيت » للتربية الرياضية نسبة الى هذا القائد العسكري البريطاني زمن الانتداب على فلسطين وخدماته الجلى للصهاينة .

د) اقامة المباني باسماء بعض الدول مثل « مبنى المكسيك » في جامعة تل ابيب ، و« بيت بلجيكا » في الجامعة العبرية .

هـ) شارع الصالحين من غير اليهود : وهو شارع في القدس خصص لتكريم اصدقاء اسرائيل من غير اليهود وتزرع فيه اشجار تسمى باسمهم .

ز) ميداليات الصالحين من غير اليهود : وهي ميداليات تحمل صورة اصدقاء الصهيونية من غير اليهود تصك تكريما لهم .

٣ ــ ترجمة الاعمال الادبية لبعض زعماء ومشاهير العالم النامي : مثل الرئيس الكيني جومو كينياتا ورئيس زامبيه كينيث كاوندا والرئيس السنغالي سنغور وملك نيبال ماهيندرا وغيرهم لتملقهم واكتساب ودهم .

٤ ــ استغلال السيّاحة والسياح الوافدين لاسرائيل في بث الدعاية لاسرائيل والصهيونية .

٥ ــ تصدير الخبراء واستغلالهم في الدعاية في بلدان العالم الثالث .

٦ ــ عرض الانتاج العلمي والثقافي والفني الاسرائيلي على اوسع نطاق في العالم .

٧ ــ تنظيم المعارض المتنوعة من تجارية وفنية وثقافية وسياسية الخ...ومنها معارض جوالة ينقلونها من بلد الى آخر .

٨ ــ اقامة معاهد للثقافة الاسرائيلية في مختلف البلدان لتشجيع التعاون والتبادل الثقافي بين اسرائيل وذلك البلد ونشر الثقافة الاسرائيلية والدعاية لاسرائيل بصورة عامة في ذلك البلد .

٩ ــ اقامة جمعيات الصداقة المشتركة بين اسرائيل وبلدان العالم الخارجي وقلما يوجد بلد يعترف باسرائيل دون ان لا تكون هناك جمعية خاصة به ، وهناك جمعيات صداقة اسرائيلية مع بلدان لا تعترف باسرائيل .

١٠ ــ الاكثار من اقامة الحفلات الاجتماعية والسهرات وعروض الازياء وما الى ذلك واستغلالها لاغراض الدعاية .

١١ ــ استغلال الكوارث الدولية واستخدامها لاغراض الدعاية . فما ان تحدث كارثة طبيعية في بلد من البلدان كزلزال او فيضان الخ،حتى تبادر اسرائيل الى ارسال المعونات والمتطوعين لمساعدة ذلك البلد فتكسب بالتالي تقدير اهلها .

ب) **دعاية الحركة العنيفة ــ العنف كأسلوب دعائي صهيوني :**

أصبح هذا الاسلوب من أساليب الدعاية الصهيونية معروفا جيدا في العالم العربي كجزء من الحرب النفسية الشديدة التي تشنها اسرائيل والصهيونية على العرب . ولكن استخدام الصهيونيين للعنف كأسلوب دعائي لا يقتصر على العرب او العالم العربي بل يستخدمونه مع كل جهة تقف في طريقهم ويفشلون بالوسائل الاخرى في نهيها

عن مقاومتهم والوقوف في طريقهم فقد استخدموه مع اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في القاهرة واستخدموه بعد ذلك مع الكونت فولك برنادوت وسيط الامم المتحدة السويدي عام ١٩٤٨ . وبين حين وآخر تنقل وكالات الانباء بعض أعمال العنف التي تقترفها رابطة الدفاع اليهودية التي يرئسها الحاخام مئير كاهانه الموجود حاليا في اسرائيل . فهذه الرابطة سلطت حملتها منذ سنوات على المكاتب السوفييتية في الولايات المتحدة وأوروبا وفجرت فيها القنابل والالغام عشرات المرات . ان الكثيرين من الامريكيين والاوروبيين المعادين للصهيونية لا يجرؤون على اظهار عدائهم هذا خوفا من سوء العاقبة على يد هؤلاء الاوباش . وهكذا خلق الصهيونيون الذين ملأوا الدنيا عويلا على ضحايا النازية من اليهود نازية جديدة أشد مكرا ودهاء وأشد منها وحشية .

الاعلام الصهيوني ــ غسيل دماغ جماعي

يلاحظ المتحدث مع كثير من الاشخاص الغربيين من غير اليهود أنهم يتحدثون عن القضية الفلسطينية والنزاع العربي ــ الاسرائيلي بصورة عامة بمنطق ينافي جميع الوقائع والحقائق المتصلة بهذه القضية ، فيبدو من حديثهم وكأن اسرائيل كانت هنا منذ الازل وليست ابنة خمسة وعشرين عاما فقط ، كما يبدو وكأن العرب هم المعتدون الظالمون الذين لا يرغبون في السلام ويضمرون السوء بجارتهم اسرائيل ، وهم قساة القلوب لا يعرفون الرحمة الى آخر هذه الاسطوانة التي تلصق بالعرب عموما صفات الوحشية والبدائية الخ ... وقد لا يكون مثل هؤلاء الاشخاص متحاملين بالضرورة على العرب او يحملون تجاههم كرها غريزيا ، ولكنهم بالتأكيد قد وقعوا تماما تحت تأثير الدعاية الصهيونية ، لا سيما ان ما يمهد السبيل امام استحواذ الدعاية الصهيونية على الناس في الغرب بصورة تامة توافقها وانسجامها مع الدعاية الاستعمارية ومع مشاعر الكراهية والبغضاء الاستعمارية تجاه الشعوب العربية والحضارة العربية وهي مشاعر أصبحت متوارثة تاريخيا .

ان بلوغ الدعاية والاعلام الصهيوني هذا المستوى من النجاح لا يمكن وصفه الا بأنه غسيل دماغ بكل ما في الكلمة من معنى ، وحيث ان هذا الاعلام الصهيوني قد نجح في التأثير بصورة تامة على مجتمعات بأسرها مثل المجتمع الامريكي ، فهو اذن غسيل دماغ جماعي .

وقد تحقق للاعلام الصهيوني بلوغ هذا المستوى من النجاح بفعل العوامل التالية :

١ ــ الاغراق بالمواد الاعلامية من شتى الاصناف والالوان وبشتى الوسائل والطرق .

٢ ــ الاغراق بالنشاطات الاعلامية في كل الاوقات وشتى الاماكن .

٣ ــ اختلاق الوقائع من أولها الى آخرها . ولعل آخر مثال على ذلك ادعاء سلطات اسرائيل فورا بعد اسقاط الطائرة الليبية ، ان ذلك قد حدث بسبب التباس حصل نتيجة تهديدات سابقة من « المخربين » أي الفدائيين الفلسطينيين بأنهم سيقدمون على تفجير طائرات ركاب مدنية محملة بالمتفجرات فوق المدن الاسرائيلية . ولم يحصل ان وجد مثل هذا التهديد اطلاقا .

٤ ــ قلب سياق الوقائع والاحداث وتشويهها مثل ادعاءاتهم المتكررة والمتواصلة بأن مصر هي التي بدأت القتال صباح الاثنين الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، وان اقدام الرئيس عبدالناصر على اقفال خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية قد تم بنية الهجوم على اسرائيل علما بأن هذا انما جرى ردا على تهديدات ليفي اشكول والزعماء الاسرائيليين الآخرين المتكررة باجتياح سوريا واحتلال دمشق .

٥ ــ التركيز المتواصل والمستمر على وجهة نظرهم دون مناقشة وجهة النظر العربية

وتكرار روايتهم للاحداث بكل ما تتضمنه عادة من اختلاقات او تزوير للحقائق وتشويه للوقائع بصورة مستمرة مثل ادعائهم بأن اهالي قرية دير ياسين قد تحرشوا بهم واعتدوا عليهم .

٦ ــ الايحاءات اللاعقلية غير المباشرة في الاعمال الادبية والفنية حتى وان كانت هذه الاعمال لا علاقة بين موضوعها والنزاع العربي الاسرائيلي . وبواسطة هذه الايحاءات التي تصور عالم العرب بأنه عالم جوار أصبحت صورة الانسان العربي في الذهن الغربي مضحكة فهو مثال البلادة والغباء والبدائية ، وهو شهواني بصورة حيوانية بينما غريزة اليهودي محولة . وبعبارة اخرى نجح الصهيونيون في استخدام الرموز الدعائية ، وربطوا بين اسرائيل وكل ما هو ايجابي كما ربطوا بين العرب وكل ما هو سلبي فالفدائيون الفلسطينيون « مخربون » وهم « ارهابيون من أسوأ الانواع في التاريخ الانساني » على حد قول ريتشارد نيكسون . هذا في حين عمدت وسائل الاعلام الغربية الى تمجيد شجاعة وبطولة ومهارة رماة الجيش الاسرائيلي الذين اجتاحوا طائرة السابينا في مطار اللد في شهر أيار ١٩٧٢ وقتلوا الفدائيين فيها مهددين سلامة الركاب للخطر . وافلام « الخروج » (اكسودس) و« بن حور » و« الوصايا العشر » و« داخاو » حافلة بالامثلة عن تمجيد اليهودي والحط من شأن العربي او الالماني او اي انسان آخر يعادي الصهيونية .

٧ ــ تشويه الحضارة العربية الاسلامية وهذه مهمة برز فيها بشكل واضح المستشرقون الذين منهم عدد كبير من الصهيونيين .

واخيرا وليس آخرا ، لقد وصل الصهيونيون بالاعلام وأساليبه الى القمة ، فما من جهة أخرى من قبل نجحت في استخدامه بفعالية الى هذا الحد . ولا ريب ان الاعلام الصهيوني كان وما يزال من الركائز الاساسية التي تعتمد عليها قوة الحركة الصهيونية واسرائيل في العالم . وقوة الاعلام الصهيوني هذه تشكل واحدة من أخطر المخاطر ليس على كيان العالم العربي ومصيره فحسب بل وعلى مصير السلم العالمي ايضا .

بيد ان الاعلام الصهيوني على قوته ليس بالقدر المحتوم الذي لا يمكن رده ، فحبل الكذب قصير والثورة التي شهدتها وسائل الاتصالات لم تعد تسمح باخفاء الحقائق كلها عن الناس مهما بلغت سيطرة الصهيونيين على وسائل الاتصالات هذه وتسخيرها لاغراضهم في بعض مناطق العالم .

ان اسرائيل تكشف عن طبيعتها العدوانية التوسعية العنصرية يوما بعد آخر وانصار الحقيقة والحرية والعدالة في العالم كثيرون ، وبالتعاون مع هؤلاء يستطيع العرب ان يتصدوا لاسرائيل والصهيونية ليس اعلاميا فحسب وانما سياسيا واقتصاديا وعسكريا لتصحيح منطق الاشياء في هذه المنطقة من العالم ، وذلك كله يتوقف على مدى نجاح العرب في التخلص من سلبيات واقعهم المتردي الراهن حيث يستشري الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وبالتالي العسكري ، وايضا الخلاص من الفرقة والتجزئة والتشتت وأجواء الكبت والارهاب المسلط على الجماهير والتخلص من الافكار الغيبية والميتافيزيقية والذهنية الديماغوغية الغوغائية وروح اللامسؤولية والتواطؤ تجاه القضية القومية والاستنكاف عن التصريحات الطفولية الغبية ، الم يصف موشي دايان التصريحات العنترية العربية عشية حرب حزيران بأنها « كانت تساوي اربع فرق عسكرية تحارب الى جانب اسرائيل » ؟

الحواشي :

١ — Taylor, Alan R.: *Prelude to Israel*, The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1970, p. 25.

٢ — *American Jewish Year-Book*, Vol. 72, 1971, p. 191.

٣ — *Israel Government Year Book* 5731 (1970-71), Central Office of Information, pp. 377-380.

٤ — *Ibid.*, p. 378, 379.

٥ — *Israel Government Year Book* 5730 (1969-70), p. 241.

٦ — *Ibid.*, p. 242.

٧ — *Ibid.*, p. 239.

٨ — *Ibid.*, p. 243.

٩ — *Israel Government Year Book* (1970-71), p. 104.

١٠ — مجلة **المصور** القاهرية في ١٩٦٨/٤/١٢ .

١١ — اشارة الى انتحار بضع مئات من اليهود في فلسطين في قلعة مسادا قرب البحر الميت التجأوا اليها بعد ان سحق الرومان ثورة اليهود في فلسطين عام ٧٠ ميلادية ، ولما ضيق الرومان الحصار عليهم في القلعة اثروا الانتحار الجماعي على التسليم .

١٢ — الدكتور منذر عنبتاوي ، **اضواء على الاعلام الاسرائيلي** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٤٨ .

١٣ — مزامير داود ، المزمور ١٣٧ .

١٤ — Josef Fraenkel, *The Jewish Press of the World*, the Cultural Department of the World Jewish Congress, London, W. 1, Seventh Edition, pp.7-11.

فلسفة الدعاية الاسرائيلية

بقلم

الدكتور حامد عبدالله ربيع

منشورات مركز الابحاث

ص. ب ١٦٩١ — بيروت

٢٢٤ صفحة

سعر النسخة ٣ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي :

٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه

٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

التجارة الخارجية في الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧

الدكتور محمد فريد البستاني

نهدف في دراستنا لاوضاع التجارة الخارجية في الاراضي المحتلة بعد حـــرب حزيران ١٩٦٧ ، ما عدا الجولان ، الى تحديد الاتجاهات الاخيرة لحجم التبادل التجاري بين الاراضي المحتلة من جهة وبين اسرائيل والاردن وبقية البلدان من جهة اخرى . وبصورة ثانيا ان تحليلنا لارقام التجارة الخارجية يظهر العجز في الميزان التجاري للاراضي المحتلة وبصورة أدق فائض الاستيراد على التصدير وكيف يمكن ان يكون هذا العجز سبيلا لسيطرة اسرائيل الاقتصادية على الاراضي المحتلة وبالتالي الى الاستيلاء على الثروات الطبيعية والاراضي الزراعية الخصبة .

ان الارقام الواردة في هذه الدراسة مستقاة بصورة أساسية مـــن النشرات الشهرية الاحصائية للاراضي المحتلة الصادرة عن مكتب الاحصاء الاسرائيلي وكذلك النشرات السنوية الاحصائية الصادرة عن هذا المكتب .

التجارة الخارجية مع اسرائيل

١ ــ استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل :

من الصعب جدا تحديد اتجاه واضح لعمليات التبادل التجاري بين الاراضي المحتلة واسرائيل نظرا لصغر الفترة المدروسة ولكن الارقام تدل دلالة واضحة على المخطط الاسرائيلي الهادف الى ربط الاراضي المحتلة ، اقتصاديا ، باسرائيل . وفي الواقع بلغت نسبة استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل في عـــام ١٩٧٠ حوالي ٨٤ ٪ من مجمـــل الاستيراد ولقد سجلت هذه النسبة تزايدا ملحوظا في الفترة الواقعة بين ١٩٦٨ و١٩٧١ اذ ازدادت من ٧٦ ٪ الى ٨١ ٪ .

استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل
١٩٦٨ ــ ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
الاسعار الجارية		٪		٪		٪		٪
انتاج زراعي	٤٩٫١	٢٦	٣٨٫٢	١٥	٥٨٫١	٢٠	٦٥٫٧	١٨
منتجات صناعية	١٣٨٫٣	٧٤	٢١٦٫٦	٨٥	٢٣٢٫٨	٨٠	٢٩٠٫٣	٨٢
المجموع	١٨٧٫٤		٢٥٤٫٨		٢٩٠٫٩		٣٥٦	
الاســـعار الثابتة (سنة الاساس ١٩٦٨ = ١٠٠)								
المجموع	١٨٧٫٤		٢٤٧٫٣		٢٧٢٫١		٢٩٣٫٧	

مخطط رقم (١)

استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل

١٩٦٨ — ١٩٧١

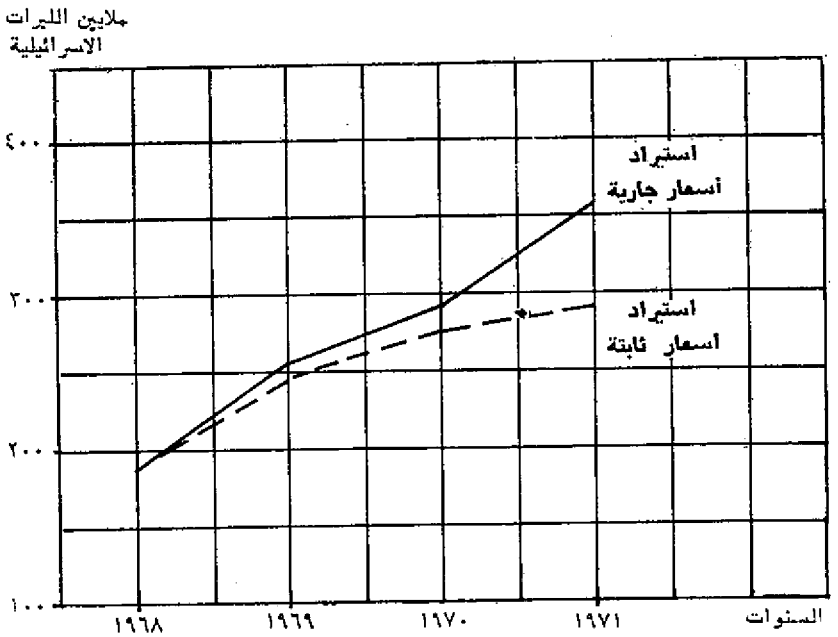

التطور الزمني لمستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل : ازداد مقدار ما تستورده الاراضي المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء) من اسرائيل من ١٨٧٫٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٣٥٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢٤ ٪ . لا بد لنا من الاشارة الى ان دراسة تطور المستوردات بالاسعار الجارية ليست ذو دلالة علمية أكيدة وذلك بسبب ارتفاع مستوى الاسعار وبالتالي التضخم المالي في اسرائيل الذي أثر على القيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية ولهذا نجد أنه من الضروري النظر الى المستوردات بالاسعار الثابتة .

ونظرا لافتقارنا للارقام القياسية للتجارة الخارجية ، استعملنا الارقام القياسية الاستهلاكية — النشرة الشهرية للاراضي المحتلة الصادرة عن مكتب الاحصاء الاسرائيلي — وذلك انطلاقا من ان الجزء الاكبر من المستوردات موجه الى تأمين الحاجات الاستهلاكية للمجتمع في الاراضي المحتلة . وعلى هذا نجد ان استعمالنا للارقام القياسية الاستهلاكية (سنة الاساس ١٩٦٨ : ١٠٠) اعطينا التطور الزمني للمستوردات صورة أكثر واقعية وبحيث كانت نسبة الزيادة السنوية ١٦ ٪ . اما عن عام ١٩٧٢ فالمعلومات غير متوفرة عن كامل العام وكل ما لدينا هو المستوردات عن الاشهر الثلاثة الاولى والتي تبلغ ٨٧٫٤ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية وانطلاقا من ان نسب توزع المستوردات خلال العامين ١٩٧١ و ١٩٧٢ يمكن ان تكون متشابهة ، نستطيع ان نقدر مستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل لعام ١٩٧٢ بحوالي ٤٣٩ مليون ليرة اسرائيلية والذي يعتبر رقما متواضعا نسبة الى ارتفاع الاسعار وانخفاض القيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية واذا حاولنا تقييم الاستيراد لعام ١٩٧٢ بالاسعار الثابتة ، نجد أنه يبلغ ٣١٨ مليون ليرة اسرائيلية .

نوعية مستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل : يغلب على المستوردات طابع المنتجات الصناعية بحيث شكلت المنتجات الصناعية حوالي ٨٢ ٪ من مجمل المستوردات من اسرائيل ، في عام ١٩٧١ مقابل ٧٤ ٪ في عام ١٩٦٨ مما يدل على حاجة الاراضي المحتلة للسلع المصنعة وعمل اسرائيل على تأمين معظم الحاجات الاستهلاكية للاراضي المحتلة، هادفة الى السيطرة الاقتصادية بالاضافة الى الاحتلال العسكري .

يلاحظ من المخطط رقم (٢) التزايد المستمر للمستوردات المصنعة في اسرائيل مع بعض التباطؤ في الفترة ٧٠/٦٩ وقد سجلت المستوردات المصنعة تزايداً سنويا قدره ٢٨ ٪ خلال الفترة ١٩٧١/٦٨ . ان هذا التزايد بالاسعار الجارية لا يعكس حقيقة تطور المستوردات من اسرائيل ولكن يمكننا القول ان اسرائيل ، انطلاقا من سياستها الاقتصادية العامة الهادفة الى زيادة أرقام صادراتها الصناعية وذلك عن طريق البحث عن أسواق استهلاكية جديدة ، فهي ولا شك تسعى الى زيادة صادراتها الى الاراضي المحتلة بصورة محسوسة وتقليص التعامل التجاري (الاستيراد) للاراضي المحتلة مع الاردن . اما بالنسبة للمستوردات الزراعية فقد ازدادت خلال الفترة ١٩٦٨ — ١٩٧١ بمعدل ١٠،٣ ٪ سنويا وذلك بغض النظر عن الهبوط الحادث في عام ١٩٦٩ اذ تناقصت مستوردات الاراضي المحتلة من الانتاج الزراعي لاسرائيل من ٤٩،١ مليونا الى ٣٨،٢

مخطط رقم (٢)

استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل

(انتاج زراعي — منتجات صناعية)

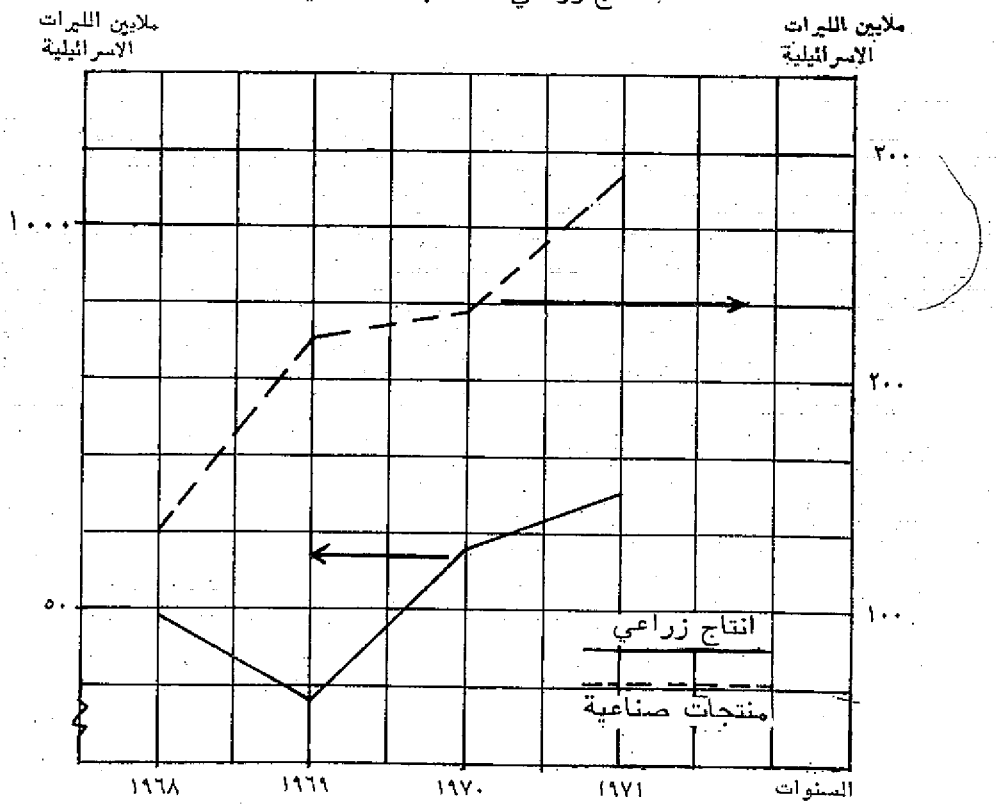

مليونا . اذن نلاحظ ان مستوردات الاراضي المحتلة من المنتجات الصناعية ازدادت بصورة أكبر بكثير مما ازدادته المستوردات من الانتاج الزراعي وهذا ما يعكس الطبيعة الزراعية للاقتصاد في الاراضي المحتلة .

استيراد الضفة الغربية وقطاع غزة من اسرائيل : يشكل استيراد الضفة الغربية من اسرائيل حوالي ٦٤ ٪ من مجمل استيراد الاراضي المحتلة . وقد ازداد استيراد الضفة الغربية من اسرائيل من ١٩٠،٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ الى ٢٢٧،٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ (بالاسعار الجارية) اي بما يعادل ١٩ ٪ مقابل ٥ ٪ بالاسعار الثابتة وهي نسبة لا ترضي ، بالطبع ، مطامع اسرائيل الاقتصادية .
اما الصفة المميزة لمستوردات الضفة الغربية من اسرائيل فهي صفة المنتجات الصناعية اذ تشكل حوالي ٨٢ ٪ من مجمل استيراد الضفة الغربية .

استيراد الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء من اسرائيل
١٩٧٠ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٢

السنوات / المناطق	١٩٧٠			١٩٧١		
	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع
الضفة الغربية	٣٧،٣	١٥٣،٤	١٩٠،٧	٣٩،٧	١٨٧،٧	٢٢٧،٤
قطاع غزة وشمال سيناء	٢٠،٨	٧٩،٤	١٠٠،٢	٢٦،٠	١٠٢،٦	١٢٨،٦
المجمـــوع	٥٨،١	٢٣٢،٨	٢٩٠،٩	٦٥،٧	٢٩٠،٣	٣٥٦

قطاع غزة وشمال سيناء يختصان بـ ٣٦ ٪ من مستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل وقد ازداد استيرادهما من ١٠٠،٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ الى ١٢٨،٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ اي ما يعادل زيادة قدرها ٢٨ ٪ (بالاسعار الجارية) و١٣ ٪ بالاسعار الثابتة . وكما هي الحال في الضفة الغربية نجد ان غالبية المستوردات هي منتجات صناعية وتبلغ حوالي ٧٩ ٪ من مجمل استيراد قطاع غزة وشمال سيناء .

٢ — صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل :

بلغت نسبة صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل في عام ١٩٧٠ حوالي ٤٦ ٪ من مجمل صادرات الاراضي المحتلة ومن الجدير بالذكر أن هذه النسبة خضعت لتغيرات هامة اذ بلغت قيمة صغرى وقدرها ٣٦ ٪ في عام ١٩٦٩ . أما في العامين ١٩٦٨ و١٩٧١ فقد كانت بحدود ٤٣ ٪ . ان هذه التموجات في تغير نسبة صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل الى المجموع العام للصادرات تعبر عن عدم تمتع الاراضي المحتلة بحريتها الاقتصادية في تصديرها أو في استيرادها وهي خاضعة بدون شك لما ترغبه اسرائيل ضمن الاطار العام لمطامعها الاقتصادية والاجتماعية . فالتصدير يتم عن طريق مؤسسات التسويق الاسرائيلية . اذن فالمزارعون الفلسطينيون يضطرون لبيع محاصيلهم بأسعار أقل بكثير من الاسعار العالمية. والمزارعون الاسرائيليون قادرون على التلاعب بالاسعار في الاراضي المحتلة عن طريق اغراق السوق بالمحاصيل الزراعية الاسرائيلية .

صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٣

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
الاسعار الجارية								
		٪		٪		٪		٪
انتاج زراعي	١٩٠٢	٣٦	١١٠٤	٢٢	١٦٠٩	٢٤	١٨٠٠	١٧
منتجات صناعية	٣٤٠٤	٦٤	٤٠٠٩	٧٨	٥٦٠٣	٧٦	٨٧٠٥	٨٣
المجموع	٥٣٠٦		٥٢٠٣		٧٣٠٢		١٠٥٠٥	
(١٩٦٨ = ١٠٠) الاسعار الثابتة								
المجموع	٥٣٠٦		٥٠٠٧		٦٨٠٩		٨٧	

التطور الزمني لصادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل : ازدادت صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل من ٥٣٠٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٠٥٠٥ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ اي بتزايد سنوي قدره ٢٥٠٣ ٪ وذلك بالاسعار الجارية وبغض النظر عن التناقص الحادث في الفترة ١٩٦٨/١٩٦٩ والبالغ ١٠٣ مليون ليرة اسرائيلية . لا يمكننا بالطبع اعطاء دلالة علمية اكيدة لتطور الصادرات بالاسعار الجارية وذلك بسبب هبوط القيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية ولهذا سنعمد الى دراسة التطور عن طريق النظر الى الصادرات بالاسعار الثابتة مستعملين الارقام القياسية الاستهلاكية*. واعتبارا من هذا المنطلق نجد ان التطور الزمني للصادرات اقترب من الواقعية التي تفرضها الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعيشها الاراضي المحتلة وسجل تزايدا سنويا قدره ١٧٠٦ ٪ .

اما صادرات عام ١٩٧٢ فهي متوفرة للاشهر الثلاثة الاولى فقط وتبلغ حوالي ٢٧٠٨ مليون ليرة اسرائيلية وباعتبار ان صادرات كل من ١٩٧١ و ١٩٧٢ قد تكون ذات توزع زمني متشابه فاننا استطعنا تقدير صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل لعام ١٩٧٢ بحوالي ١٥١ مليون ليرة اسرائيلية اي حوالي ١٠٩ ملايين ليرة اسرائيلية بأسعار عام ١٩٦٨ .

نوعية صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل : يلاحظ من الجدول رقم (٣) ان هناك اتجاها متزايدا للاهمية النسبية للصادرات الصناعية الى اسرائيل فقد ازدادت النسبة من ٦٤ ٪ في عام ١٩٦٨ الى ٨٣ ٪ في عام ١٩٧١ . اذن فالصفة الصناعية هي الغالبة على صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل ويمكن ان تفسر هذه الظاهرة بأن تكلفة التصنيع المعتدلة هي التي تدفع التجار الاسرائيليين الى شراء السلع المصنعة من

---

* بالرغم من ان الارقام القياسية الاستهلاكية غير صالحة في مجال الصادرات وذلك بسبب الفارق بين سعر التصدير وسعر الاستهلاك (بغض النظر عن طبيعة الهيكل التركيبي للصادرات) ، هذا الفارق الذي سببته المفاهيم الاقتصادية النظرية من جهة وثانيا التدخل الاسرائيلي في التسويق بالنسبة لمنتجات الاراضي المحتلة ، فاننا مضطرون لاستعمالها لعدم توفر الارقام القياسية للتجارة الخارجية .

الاراضي المحتلة بالاضافة الى تحكم اسرائيل بأسعار التصدير بالاراضي المحتلة وخاصة للسلع نصف المصنعة التي يتم تصنيعها في اسرائيل ثم يعاد تصديرها اما الى الاراضي المحتلة او الى بقية بلدان العالم . ويلاحظ من المخطط رقم (٤) الاتجاه المتزايد المستمر للصادرات الصناعية اذ بلغت النسبة الوسطية للزيادة السنوية للصادرات حوالي ٣٧ ٪ وذلك خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ . بالطبع ان هذا التزايد للصادرات بالاسعار الجارية لا يعكس الواقع الفعلي للصادرات وكل ما يمكنه القول ان صادرات الاراضي المحتلة من جهة وصادراتها الى بقية البلدان والاردن من جهة ثانية ترتبط بما تجنيه اسرائيل من منافع مباشرة وغير مباشرة من اعتماد الاراضي المحتلة ، اقتصاديا ، على اسرائيل . اما الصادرات الزراعية فتطورها غير منتظم فقد هبطت بمقدار ٧٫٨ مليون ليرة اسرائيلية خلال عام واحد ، اي خلال الفترة ٦٨/٦٩ . ثم عادت الى التزايد المتباطىء بعد ذلك . ومن الجدير بالذكر ان الاهمية النسبية للصادرات الزراعية هي بتناقص مستمر اذ هبطت نسبة الصادرات الزراعية من ٣٦ ٪ في عام ١٩٦٨ الى ١٧ ٪ في عام ١٩٧١ .

مخطط رقم (٣)
صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل
١٩٦٨ — ١٩٧١

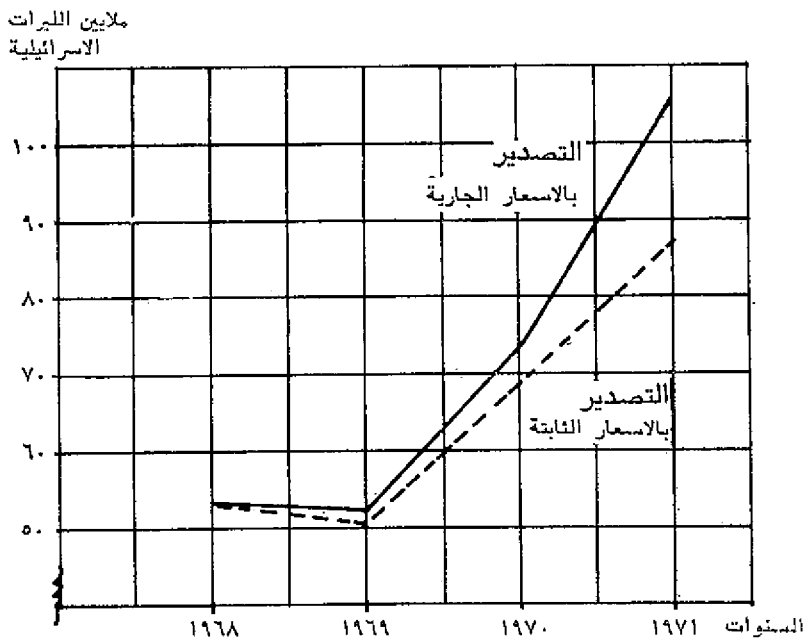

صادرات الضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل : تصدر الضفة الغربية الى اسرائيل حوالي ٧٤ ٪ من مجموع صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل وقد ازدادت هذه الصادرات من ٥٧٫١ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٠ الى ٧٧٫٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ . ومن المرجح ان جزءا لا بأس به من صادرات الضفة الغربية الى اسرائيل هو عبارة عن اعادة تصدير — أي ان بعض المنتجات الصناعية (كالاسمنت)

المستوردة من الاردن يتم اعادة تصديرها الى اسرائيل عـــن طريق بعض التجـــار الفلسطينيين في الضفة الغربية ـــ .

مخطط رقم (٤)

صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل

(انتاج زراعي ، منتجات صناعية)

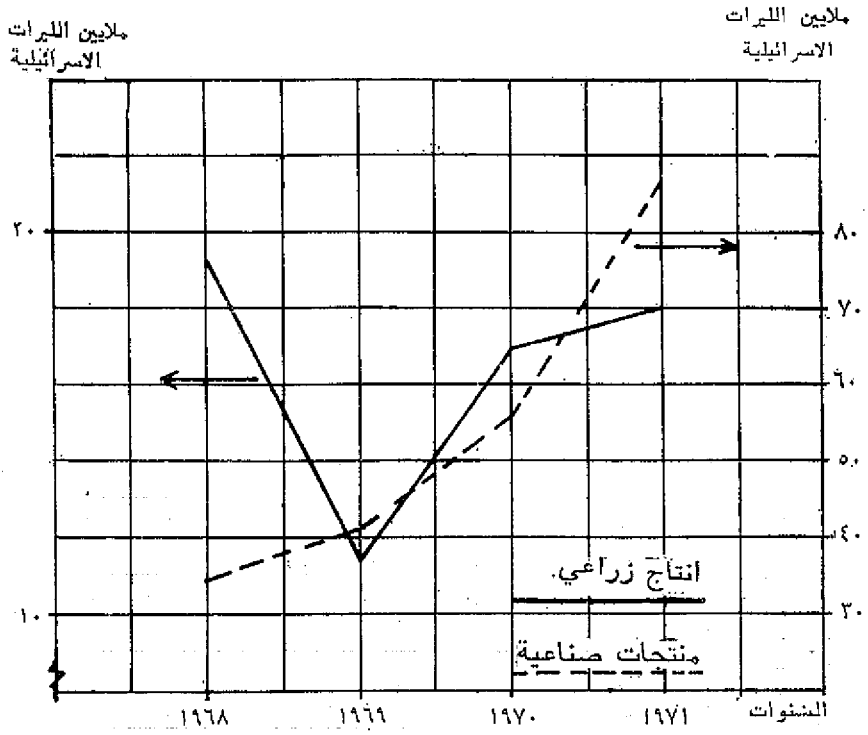

صادرات الضفة الغربية وقطاع غزة وشمال سيناء الى اسرائيل

١٩٧٠ ـــ ١٩٧١

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٤

المناطق/السنوات	١٩٧٠			١٩٧١		
الاسعار الجارية						
	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع	انتاج زراعي	منتجات صناعية	المجموع
الضفة الغربية	١١٤٧	٤٥٤٤	٥٧٤١	١١٤٩	٦٥٤٧	٧٧٤٦
قطاع غزة وشمال سيناء	٥٤٢	١٠٤٩	١٦٤١	٦٤١	٢١٤٨	٢٧٤٩
المجموع	١٦٤٩	٥٦٤٣	٧٣٤٢	١٨	٨٧٤٥	١٠٥٤٥

(١) « ان الاسرائيليين حينما أنشأوا خط بارليف ، احتاجوا للحديد ، فقام التجار الفلسطينيون في الضفة الغربية الذين اصبحوا من اصحاب الملايين ، بتزويد اسرائيل بالحديد الذي جمعوه من لبنان والاردن وسوريا ... مع العلم ان مصنع الترابة الذي يملكه رياض المفلح والذي يقع قرب القصر الملكي في الاردن ، يصرف ٦٥ ٪ من انتاجه في اسرائيل ... علما ان الاسمنت مادة استراتيجية خاضعة للرقابة العسكرية » . حديث للسيد ياسر عرفات في لقاء مع الاحزاب اللبنانية . المحرر في ١٩٧٣/٥/١٧ .

(٢) « قالت منظمة المقاولين في أشدود اليوم ان المقاولين سيضربون خلال اسبوعين عن حركة البناء في أشدود ليوم واحد ، اذا لم يتم التوصل حينذاك الى حـل للنقص الخطير في الاسمنت . وفي ندوة صحفية جرت في أشدود ادعى المقاولون انهم مضطرون للتوجه الى السوق السوداء لشراء الاسمنت ، وان الامر متعذر ايضا هناك على الرغم من يزيد في هذه عن ٥٠٠ ليرة اسرائيلية للطن الواحد من الاسمنت ... » — رصد اذاعة اسرائيل العدد رقم ٢٢٥ في ١٩٧٣/٥/١٧ — .

اذن الصفة المميزة لصادرات الضفة الغربية هي صفة صناعية وتشكل حوالي ٨٣ ٪ من مجموع صادراتها . اما قطاع غزة وشمال سيناء فيصدران حوالي ٢٦ ٪ مـن مجموع صادرات الاراضي المحتلة الى اسرائيل وقد ازدادت صادراتها من ١٦ر١ مليون ليرة اسرائيلية الى ٢٧ر٩ مليون ليرة اسرائيلية وذلك من ١٩٧٠ الى ١٩٧١ .

(٣) « يصدر قطاع غزة السردين الى مصانع التعليب الاسرائيلية وتسعى نقابة صيادي الاسماك في اسرائيل الى تقليص هذا التعامل التجاري . — أنظر صفحة ١١٨ من هذه الدراسة » .

وكما هي الحال فطبيعة صادرات قطاع غزة وشمال سيناء هي صناعية وتشكل حوالي ٧٥ ٪ من كامل صادرات القطاع الى أسرائيل .

٣ — ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع اسرائيل وفائض الاستيراد :

يلاحظ من الجدول رقم (٥) ان ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع اسرائيل هو بعجز مستمر فاستيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل هي اكبر بكثير من تصديرها ولقد ازداد فائض الاستيراد على التصدير من ١٣٣ر٨ مليون ليرة اسرائيلية في عـام ١٩٦٨ الى ٢٥٠ر٥ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ (بالاسعار الجارية) أي حوالي ٩٠ ٪ خلال ثلاث سنوات . أي ما يعادل ٥٤ ٪ بأسعار ١٩٦٨ الثابتة .

فائض استيراد الاراضي المحتلة مع اسرائيل

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٥

اسعار جارية/في السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
فائض الاستيراد على التصدير	١٣٣٫٨	٢٠٢٫٥	٢١٧٫٧	٢٥٠٫٥
اسعار ثابتة/في السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
فائض الاستيراد على التصدير	١٣٣٫٨	١٩٦٫٦	٢٠٣٫٢	٢٠٦٫٧

وان كانت اسرائيل تغطي عجز ميزانها التجاري بالمنح والتبرعات التي ترد اليها من جميع يهود العالم فان الاراضي المحتلة ليست كذلك وكل ما نخشاه انها تزداد من يوم الى آخر ارتباطا بالاقتصاد الاسرائيلي وأصبحت العوبة لتحقيق أهدافه عن طريق ـ اعادة التصدير ـ وتهدف اسرائيل الى امتلاك المؤسسات الصناعية العربية في الاراضي المحتلة متبعة أساليب مختلفة منها : فرض الضرائب الباهظة التي لا يتحملها رجل الاعمال الفلسطيني ، اغراق الاسواق بالسلع للمنافسة وايقاع المؤسسات الصناعية بالعجز المالي ، سحب اليد العاملة الماهرة العربية واستخدامها في اسرائيل ، مما يؤدي الى رفع تكلفة الانتاج في الاراضي المحتلة بسبب فقدان اليد العاملة . اما من جهة الزراعة فان قبول العمال الفلسطينيين العمل مع الاسرائيليين يؤدي الى ترك مساحات من الاراضي الزراعية الخصبة دون زرع ـ بيارات البرتقال في قطاع غزة ـ وبالتالي الى هبوط الانتاج الزراعي من جهة والى اعطاء الوسيلة الى اسرائيل لمصادرة هذه الأراضي باعتبارها مهملة من جهة أخرى .

التجارة الخارجية مع الاردن

١ ـ استيراد الاراضي المحتلة من الاردن :

من المخطط رقم (٥) نلاحظ التناقص المستمر لاستيراد الاراضي المحتلة من الاردن وبالفعل فالاهمية النسبية لمستوردات الاراضي المحتلة من الاردن بالنسبة للاستيراد العام تناقصت من ٧ ٪ في عام ١٩٦٨ حتى ٣ ٪ في عام ١٩٧١ . اذن فاستيراد الاراضي المحتلة من الاردن هو ضئيل جدا وهو موجود ما دامت المصالح الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل غير متضررة وأكثر من ذلك منتفعة فمثلا تستعمل اسرائيل الاسمنت المستورد من الاردن لبناء وتحصين قواعدها العسكرية في الضفة الغربية ، لبناء مستعمراتها الواقعة على الحدود وفي مرتفعات الجولان .

التطور الزمني لاستيراد الاراضي المحتلة من الاردن : تناقص الاستيراد من ١٨ر٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ وذلك بالاسعار الجارية أي بنقصان قدره ٢٠ ٪ كما يلاحظ وجود ارتفاع في استيراد الاراضي المحتلة من الاردن في عام ١٩٦٩ اذ ازداد بمقدار ٦ر٧ مليون ليرة اسرائيلية ، انظر جدول ٦ . هذا

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن
١٩٦٨ ـ ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٦

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
أسعار جارية								
		٪		٪		٪		٪
انتاج زراعي	١٣٫٣	٧٣	١٧	٦٩	٥٫٢	٤٠	٥٫٠	٣٦
منتجات صناعية	٤٫٩	٢٧	٧٫٩	٣١	٧٫٧	٦٠	٩٫٠	٦٤
المجموع	١٨٫٢		٢٤٫٩		١٢٫٩		١٤٫٠	
أسعار ثابتة (سنة الاساس ١٩٦٨)								
المجموع	١٨٫٢		٢٤٫١		١٢		١١٫٥	

عائد بالطبع لانخفاض استيراد الاراضي المحتلة من اسرائيل بمقدار ١٠ر٩ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ وضرورة سماح اسرائيل للاراضي المحتلة بتعويض هذا النقص عن طريق الاردن (انظر جدول رقم ١) . اما استعمالنا للارقام القياسية الاستهلاكية كوسيلة لتقييم الاستيراد بأسعار عام ١٩٦٨ فقد أعطى نقصان الاستيراد أهمية أكبر اذ تناقص من ١٨ر٢ مليون في عام ١٩٦٨ الى ١١ر٥ مليون في عام ١٩٧١ أي بمعدل نقصان قدره ٣٧ ٪ .

اما بالنسبة للاستيراد في عام ١٩٧٢ فهو غير متوفر لكامل العام وكل ما لدينا ارقام الاستيراد من الاردن للاشهر الثلاث الاولى ، حيث بلغ الاستيراد حوالي ٤ر١ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية ونظرا لعدم وجود اتجاه معين لتطور الاستيراد من الاردن فانه من الصعب تقدير استيراد ١٩٧٢ وكل ما يمكن قوله ان اسرائيل تساعد بصورة غير مباشرة على تنمية التبادل التجاري للاراضي المحتلة مع الاردن وان هناك اتجاها لازدياد الاستيراد وخاصة للمنتجات الصناعية .

مخطط رقم (٥)

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن

١٩٦٨ — ١٩٧١

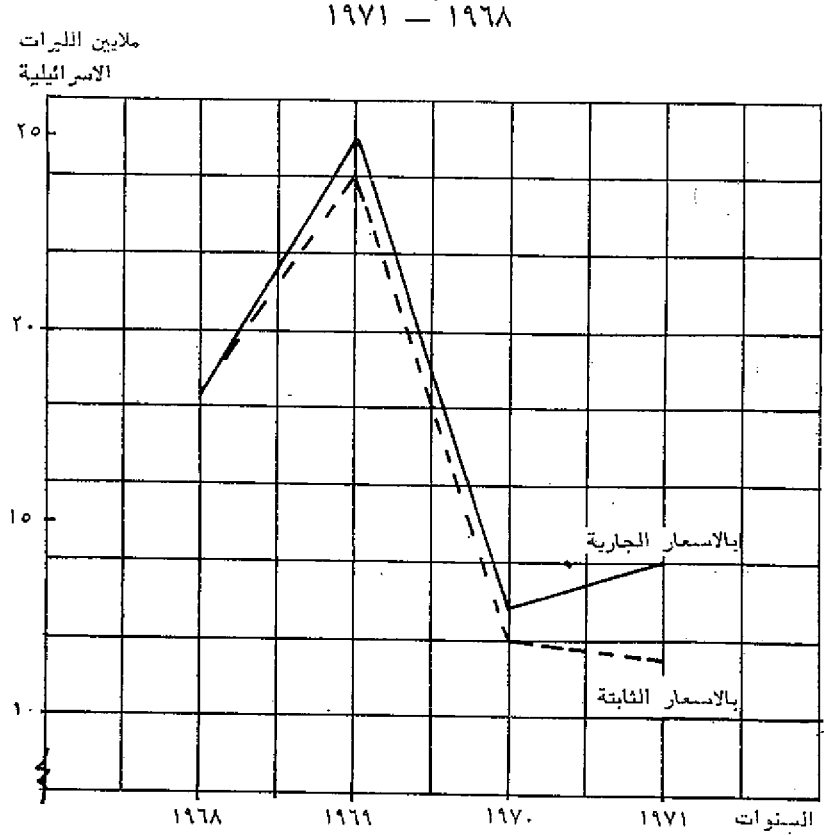

نوعية استيراد الاراضي المحتلة من الاردن : يلاحظ من الجدول رقم (٦) تزايد الاهمية النسبية للمستوردات ذات الطبيعة الصناعية ، فقد ازدادت من ٢٧ ٪ في عام ١٩٦٨ الى ٦٤ ٪ في عام ١٩٧١ وبالفعل فقد ازدادت مستوردات المنتجات الصناعية للاراضي المحتلة

من ٤٫٩ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٩ ملايين ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢٨ ٪ بالاسعار الجارية . وتشمل مستوردات المنتجات الصناعية : الافلام السينمائية والتصويرية ، الآلات واجزاؤها ، الملابس والمنتجات القطنية ، الورق ومتطلبات الطباعة ، الزيوت ، الالبان ومشتقاتها ، القهوة ومنتجات أخرى وعلى الاغلب تشمل « منتجات أخرى » كل ما لم يرد يذكـــره في فئات السلع المذكورة سابقا وخاصة المواد التي يعاد تصديرها الى اسرائيل أو التي تستهلك من قبل المؤسسات والمستعمرات الصهيونية في الاراضي المحتلة ـــ انظر جدول ٧ ـــ .

مخطط رقم (٦)

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن

(انتاج زراعي ـــ منتجات صناعية)

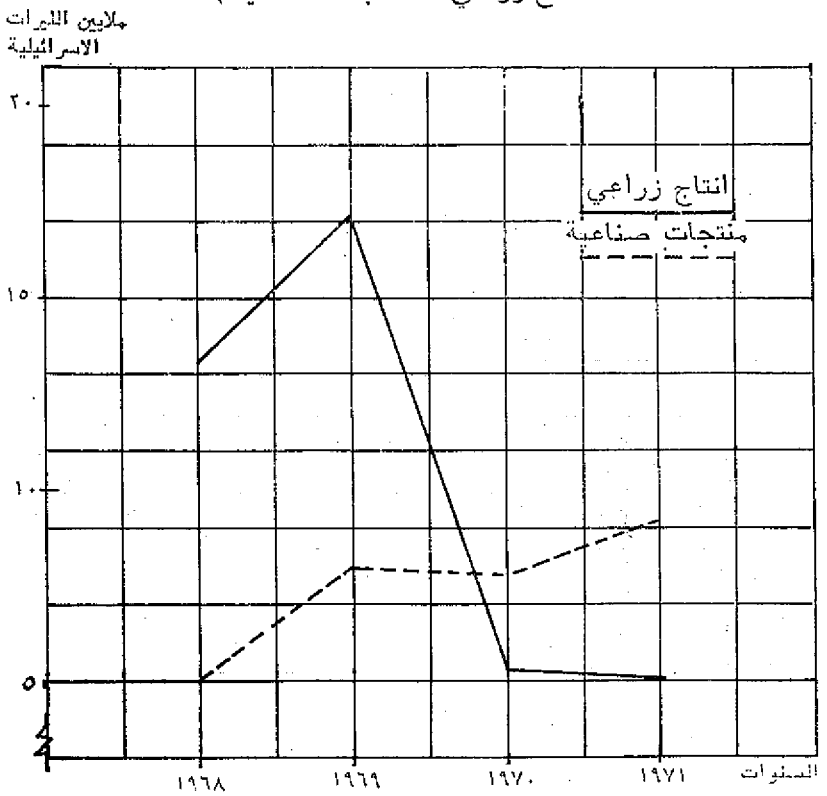

اذا تركنا جانبا الفئة « منتجات اخرى » والتي تشكل حوالي ٥٩ ٪ من المستوردات الصناعية لعام ١٩٧١ ، نجد ان فئة « الزيوت » تشكل نسبة مرتفعة من مستوردات المنتجات الصناعية للاراضي المحتلة من الاردن اذ تبلغ حوالي ٢٦ ٪ لنفس العام ومن الجدير بالذكر التنويه ان هذه النسبة كانت حوالي ١٢ ٪ في عام ١٩٦٨ . وتأتي بعدها فئة « الملابس والمنتوجات القطنية » وتشكل حوالي ٥ ٪ من المستوردات المصنعة . وأعتقد ان هذه النسبة طبيعية لان اسرائيل يمكن أن تتكفل لوحدها بحاجات الاراضي المحتلة من الملابس والمنتوجات القطنية .

اما المستوردات الزراعية فهي تميل الى التناقص اذ بلغت في عام ١٩٧١ حوالي ٥ ملايين ليرة اسرائيلية مقابل ١٣ر٣ مليون ليره اسرائيلية في عام ١٩٦٨ . الا انه في عام ١٩٦٩ ارتفعت المستوردات الزراعية من الاردن الى ١٧ مليون ليرة اسرائيلية وهذا عائد الى انخفاض مستوردات المنتجات الزراعية من اسرائيل ، اذ بلغت ٢ر٣٨ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ مقابل ١ر٤٩ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ — انظر جدول رقم ١ — .

استيراد الاراضي المحتلة من الاردن
المنتجات الصناعية
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بآلاف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٧

فئات السلع الرئيسية/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
الافلام السينمائية والتصويرية	١٤٨	٣٧٤	٢٦٣	٩٢
الآلات واجزاؤها	٢٢١	٧٠٠	٤٤٦	٢٢٢
الملابس والمنتوجات القطنية	٣٣٠	٥١١	٤٧٤	٤٧٣
الورق ومتطلبات الطباعة	١٤٩	٢٧٩	٢٣٣	٢٨٥
الزيوت	٥٨٣	٩٨٢	٨٠٥	٢٤١٤
الالبان ومشتقاتها	٥٤٩	٢٥٨	٢١٦	٢٦٥
القهوة	٣٠١	١٦٢	٣٩	٢٠
منتجات اخرى	٢٦١٤	٤٦٦٤	٥١٥٢	٥٤١٥
المجموع	٤٨٩٥	٧٩٣٠	٧٦٢٨	٩٠٨٦

٢ — صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن :

شكلت صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن حوالي ٣٣ ٪ من مجمل صادرات الاراضي المحتلة لعام ١٩٧١ . وتعتبر صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن عاملا ايجابيا في تجارة الاراضي المحتلة اذ بلغت خلال الفترة ١٩٦٨ — ١٩٧١ حوالي ٤ أمثال استيراد الاراضي المحتلة من الاردن وهذا ما يدل على ان الاراضي المحتلة وخاصة الضفة الغربية تشكل العامل الحيوي والرئيسي في اقتصاديات الاردن .

التطور الزمني لصادرات الاراضي المحتلة الى الاردن : ازدادت صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن من ٣ر٥٤ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٦ر٨٠ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ وذلك بتزايد سنوي قدره ٥ر١٥ ٪ . بصورة عامة هناك اتجاه متزايد لصادرات الاراضي المحتلة الى الاردن ، عدا الفترة ١٩٦٩/١٩٧٠ حيث نقصت الصادرات ٨ر٨ مليون ليرة اسرائيلية والسبب عائد لنقص في تصدير المنتجات الصناعية في هذه الفترة . أما استعمال أسعار عام ١٩٦٨ لتقييم الصادرات وذلك عن طريق استعمال الارقام القياسية الاستهلاكية وهي : ١٠٠ لعام ١٩٦٨ ، ١٠٣ لعام ١٩٦٩ ، ١٠٦ر٩ لعام ١٩٧٠ واخيرا ١٢١ر٢ لعام ١٩٧١ نجد نسبة الزيادة السنوية للصادرات الى الاردن أصبحت بحدود ٧ ٪ وهي أكثر واقعية في تقييم تطور قيمة الصادرات الى الاردن .

صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٨

السنوات	١٩٦٨		١٩٦٩		١٩٧٠		١٩٧١	
أسعار جارية								
		٪		٪		٪		٪
انتـــاج زراعي	٢٦٫٣	٤٨	٢٩٫٧	٤٣	٣١٫٦	٥٢	٢٩٫٦	٣٦
منتجات* صناعية	٢٨٫٠	٥٢	٣٩٫٣	٥٧	٢٨٫٦	٤٨	٥١٫٠	٦٤
المجموع	٥٤٫٣		٦٩٫٠		٦٠٫٢		٨٠٫٦	
اسعار ثابتة ١٩٦٨ = ١٠٠								
المجموع	٥٤٫٣		٦٧		٥٦		٦٦٫٥	

مخطط رقم (٧)
صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن

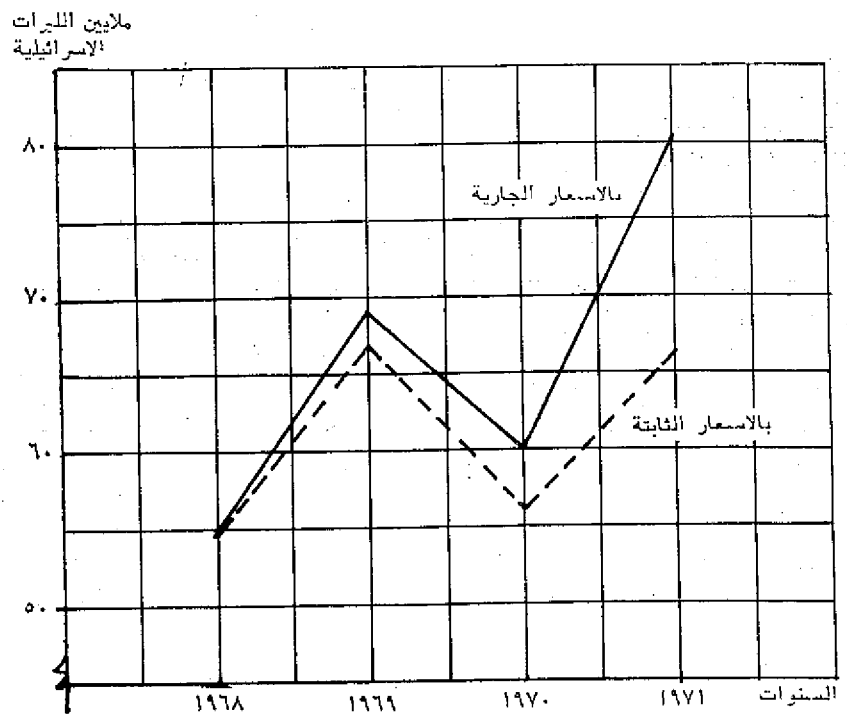

* تشمل : ١ — المنتجات الزراعية نصف المصنعة . ٢ — الانتاج الصناعي .

نعود لنذكر مرة ثانية بأن استعمالنا للارقام القياسية الاستهلاكية في تقييم التصدير بالاسعار الثابتة ، ناتج عن عدم توفر الارقام القياسية للتجارة الخارجية التي تكون غالبا مختلفة عن الارقام القياسية للاستهلاك وذلك بسبب اختلاف التركيب السلعي للارقام من جهة أولى ثم اختلاف الاسعار الداخلة في حساب الارقام من جهة ثانية ولكن استعمالنا لهذه الارقام يعطي صورة أكثر واقعية لتطور حجم التبادل التجاري .

نوعية صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن : يلاحظ من الجدول رقم ٨ انه في بداية الفترة المدروسة اي في عام ١٩٦٨ كانت الاهمية النسبية لصادرات المنتجات الزراعية مقاربة لمثيلتها في صادرات المنتجات الصناعية الى الاردن ٤٨ ٪ للصادرات الزراعية ولكن يظهر هناك اتجاه لتراجع الاهمية النسبية للصادرات الزراعية اذ تبلغ في عام ١٩٧١ حوالي ٣٦ ٪ من مجمل الصادرات الى الاردن . مـــا هي المنتجات الزراعية المصدرة الى الاردن ؟

صادرات الاراضي المحتلة من المنتجات الزراعية الى الاردن
حسب فئات السلع الرئيسية
(بآلاف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ٩

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
الحمضـــيات	٩٧٨٥	١١٦١١	١٨٤٧٥	١٨٦٢٢
فواكه اخرى	٦٦٧٠	٨٤٩٩	٦٢٥١	٦٣٤٤
الزيتـــون	٨٢٨	٣٢٠	٢٦	١٤٤
الخضراوات	٧٦٧٠	٨٥٤٣	٦٣٣٨	٢٩٨٧
منتجـــات أخرى	١٣٢٩	٧٥٦	٥١٥	١٥٤٤
المجمـــوع	٢٦٢٨٢	٢٩٧٢٩	٣١٦٠٥	٢٩٦٤١

الحمضيات : صدرت الاراضي المحتلة الى الاردن ، في عام ١٩٧١ ، ما قيمته ١٨ر٦ مليون ليرة اسرائيلية من الحمضيات الى حوالي ٦٣ ٪ من مجمـــل صادراتها الزراعية الى الاردن . اما في عام ١٩٦٨ فقد بلغت قيمة الصادرات ٩ر٨ مليون ليرة اسرائيلية الى حوالي ٣٧ ٪ من الصادرات الزراعية . يشير هذا التطور النسبي الى أهمية الحمضيات وانتاجها بالنسبة لصادرات الاراضي المحتلة . ولهذا لا بد مـــن أن نقف قليلا عنـــد الحمضيات لنرى ما هي اهمية الحمضيات بالنسبة لاسرائيل وكيف تسعى اسرائيل الى مصادرة الاراضي الخصبة والبيارات في الاراضي المحتلة . ذكر لاي لوك وود في مقاله الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي المنشور في العدد ٢٠ من شؤون فلسطينية انه « بين عام ١٩٤٩ و ١٩٦٧ ، أسهم انتاج الحمضيات وبشكل مستمر بحوالي ١٥ ٪ من مجمل الانتاج الزراعي في اسرائيل وفي عام ١٩٦٧ أسهمت منتجات الحمضيات بـ ٥ر١٩ ٪ من مجمل الانتاج الزراعي . أما بالنسبة للصادرات ، استمرت الحمضيات بأن تشكل نسبة مرتفعة من اجمالي الصادرات الزراعية وقد كانت هذه النسبة حوالي ٥ر٩٩ ٪ عام ١٩٤٩ وأصبحت ٧٩ ٪ عام ١٩٦٧ » . ولهذا فان اسرائيل تسعى حاليا الى مصادرة الاراضي الخصبة والبيارات في قطاع غزة والضفة الغربية وخاصة ان قطاع غزة يساهم بـ ٤٦ ٪ من انتاج الحمضيات في الاراضي المحتلة ، بينما ٦ر٢٩ ٪ لنابلس و ١ر٢٣ ٪ لطولكرم . وهذه هي بعض الوقائع التي تشير الى مصادرة الاراضي مقتبسة من مقال عنوانه « الليل الطويل يبدو بلا نهاية ... ولكن الشعب الفلسطينـــي صامد كجبال القدس » المنشور في جريدة المحرر ، الاربعاء ١٦ أيـار ١٩٧٣ : « .. والواقع ان السلطات صادرت حتى الان مساحات واسعة جدا من الاراضي العربية . ففي منطقة

نابلس وحدها صودر ٤٠ الف دونم ، و١٠ آلاف دونم في قرية طوباس ، و ٢٠ الف دونم في قرية عقربة ، و١٠ آلاف دونم في قرية بيت فوريك . وقام الاسرائيليون بقطع ٣٠ ألف شجرة حمضيات في مدينة قلقيلية . وفي مكان آخر بالمنطقة أحرقت سلطات الاحتلال ٣٠٠ دونم من الاراضي المزروعة بالحمضيات » .

فواكه أخرى : وهي تتضمن الموز والعنب والمشمش ... وتساهم بنسبة لا بأس بها من الصادرات الزراعية اذ بلغت حوالي ٢٢ ٪ في عام ١٩٧١ مقابل ٢٥ ٪ في عام ١٩٦٨ ومن المناطق المصدرة لهذه الفواكه هي الخليل وجـــرش وذلك بالنسب التالية ٥١ ٪ و ٤٨ ٪ .

الخضروات : وتحل المرتبة الثالثة بين الصادرات الزراعية وقـــد بلغت مساهمتها في الصادرات الزراعية حوالي ١٠ ٪ في سنة ١٩٧١ مقابل ٢٩ ٪ في عام ١٩٦٨ ومن المناطق المصدرة للخضروات نابلس بنسبة ٥٥ ٪ من الخضروات المصدرة بينما طولكرم بنسبة ٢٢ ٪ والباقي لمختلف المناطق .

اما الزيتون فنسبته ضعيفة وقد تناقصت في السنوات الاخيرة والاكثر ان تناقص تصدير الزيتون عائد الى استعمال الزيتون في الصناعة وتصدير زيت الزيتون كمنتجات زراعية مصنعة .

بصورة عامة هناك اتجاه متزايد للصادرات الزراعية للاراضي المحتلة الى الاردن وقد ازدادت الصادرات الزراعية من ٢٦٫٢٨٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٢٩٫٦٤١ مليون ليرة في عام ١٩٧١ وقد كان من المفروض ان يكون التزايد اكثر سرعة

مخطط رقم (٨)

صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن

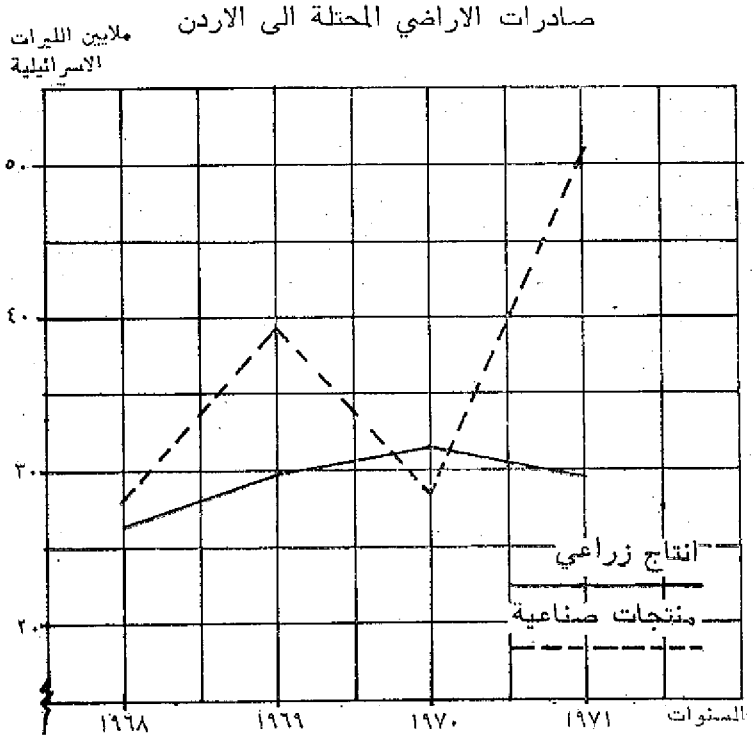

لولا التراجع في الصادرات الزراعية لعام ١٩٧١ اذ تناقصت الصادرات الزراعية الى الاردن بحوالي مليوني ليرة اسرائيلية خلال عام واحد ٧١/٧٠ — انظر مخطط رقم ٨ — . اما بالنسبة لصادرات الاراضي المحتلة ، من المنتجات الزراعية نصف المصنعة ، الى الاردن فهي واردة في الجدول رقم ١٠ . ويلاحظ ان صادرات الاراضي المحتلة من زيت الزيتون ازدادت من ٨ر٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٤ر٩ مليون ليرة في عام ١٩٧١ . اذن بالرغم من التموجات التي خضعت لها صادرات زيت الزيتون الى الاردن فان الزيادة الوسطية بلغت حوالي ٩ر٦ ٪ سنويا .

صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن
منتجات زراعية نصف مصنعة
١٩٦٨ — ١٩٧١
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٠

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
زيت الزيتون	٨٫٧	١٧٫٢	٥٫٨	١٤٫٩
منتجات أخرى	١	٢٫٩	١٫٣	٥٫٥
المجموع	٩٫٧	٢٠٫١	٧٫١	٢٠٫٤

بالنسبة لعام ١٩٧٢ فالارقام العائدة للصادرات الزراعية الى الاردن وكذلك الصادرات الزراعية نصف المصنعة تخص الاشهر التسعة فقط وقد بلغت ٥ر٥٣ مليون ليرة اسرائيلية من الصادرات الزراعية و ٥ر٨ مليون ليرة اسرائيلية بالنسبة للصادرات الزراعية نصف المصنعة . يلاحظ من الرقمين السابقين ان صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن ، من المنتجات الزراعية والمنتجات الزراعية نصف المصنعة للعام ١٩٧٢ ستكون أعلى بكثير من مثيلاتها في عام ١٩٧١ وقد توصلنا الى تقدير صادرات الاراضي المحتلة من المنتجات الزراعية والمنتجات الزراعية نصف المصنعة لعام ١٩٧٢ بحوالي ٧١ مليون ليرة اسرائيلية و ٣٤ مليون ليرة اسرائيلية على الترتيب — تقدير يعتمد على ان التوزيع الزمني للصادرات يمكن ان يتشابه خلال العامين ١٩٧١ و ١٩٧٢ — .

اما الصادرات من الانتاج الصناعي الى الاردن فهي تتضمن فئات السلع الرئيسية التالية : الالبان ومشتقاتها ، الصابون ، الحلويات والشوكولاه ، الاحجار ، منتجات بلاستيكية ومنتجات أخرى وهذا ما يظهره الجدول رقم — ١١ — .

تساهم الالبان ومشتقاتها بنسبة مرتفعة من صادرات الاراضي المحتلة الى الاردن وقد بلغت هذه النسبة حوالي ٥١ ٪ من مجمل الصادرات الصناعية الى الاردن في عام ١٩٧١ وقد ازدادت صادرات الالبان ومشتقاتها من ٦ر٨ مليون ليرة في عام ١٩٦٨ الى ١٥ر٥ مليون ليرة في عام ١٩٧١ اي بمقدار ٨ر٧ مليون ليرة اسرائيلية خلال ثلاث سنوات . وتعتبر نابلس المنتج والمصدر الاول للالبان ومشتقاتها اذ تساهم بأكثر من ٨٠ ٪ من صادرات الالبان ومشتقاتها الى الاردن .

واذا تركنا جانبا الفئة « منتجات أخرى » والتي تحتل المرتبة الثانية في الجدول — ١١ — نجد أن صناعة الصابون في الاراضي المحتلة تلعب دورا هام نسبيا في الصادرات الصناعية اذ ازدادت صادرات الصابون الى الاراضي المحتلة من ٤ ملايين ليرة اسرائيلية

في عام ١٩٦٨ الى ٦ر٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ أي ان الاهمية النسبية لصادرات الصابون هي ٢١ ٪ من مجمل الصادرات الصناعية الى الاردن ، وتعتبر منطقة نابلس المنتج والمصدر الاول للصابون اذ تساهم بـــ ٩٣ ٪ من مجمل صادرات الصابون .

صادرات الاراضي المحتلة من المنتجات الصناعية الى الاردن

(بآلاف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١١

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
الالبـــان ومشـــتقاتها	٦٨٤٩	٨٩٨٥	١٠٨٣٧	١٥٥٣٣
الصـــابون	٤٠٤٢	٤١٧١	٤٥٨٧	٦٦٥٣
حلويات وشوكولاه	٨٨١	٨٩٥	١٠٤٨	١٦٣٨
أحجـــــار	١٤٨٥	١١٦١	٨٠٥	٤٧٥
منتجـــات بلاســـتيكية	٦٦٩	٧٢٣	٧٧٨	١٤١٦
ســـلع أخـــرى	٤٤١٨	٣١٢٦	٣٥٠٠	٤٧٦٢
المجمـــوع	١٨٣٤٤	١٩٠٧١	٢١٥٥٥	٣٠٤٧٧

اما الفئة « حلويات وشوكولاه » والتي تساهم بـــ ٥ ٪ من الصادرات الى الاردن في عام ١٩٧١ . فقد أظهرت تزايدا ملموسا من ٨٨١ ألفا عام ١٩٦٨ الى ١٤١٦ الفا في عام ١٩٧١ . ومدينة رام الله تصدر ٩٩ ٪ من مجمل الصادرات من فئة « حلويات وشوكولاه » .

اما المنتجات البلاستيكية والتي تنتجها وتصدرها مدينة بيت لحم (٩٩ ٪) فلها تقريبا نفس الاهمية النسبية لفئة « حلويات وشوكولاه » وخضعت الصادرات منها الى زيادة قدرها ٧٤٧ الفا من الليرات الاسرائيلية . وأخيرا الاحجار التي تناقص تصديرها الى الاردن والسبب يعود الى حاجة اسرائيل لمواد البناء « أحجار ، اسمنت ... » في شق الطرق العسكرية في قطاع غزة والتي اخترقت مخيمات اللاجئين وشردتهم للمرة الثانية. وتنتج الخليل ٥٥ ٪ من صادرات الأحجار اما نابلس فـ ٢٧ ٪ فقط .

اذن ، بصورة عامة ، خضعت الصادرات الصناعية للاراضي المحتلة الى الاردن الى تطور تموجي متزايد وذلك خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ وبالفعل في عام ١٩٧٠ تناقصت هذه الصادرات الى ٢٨ر٦ مليون ليرة اسرائيلية ـ انظر الجدول رقم ٨ ـــ وسبب هذا النقصان في الصادرات هو نقصان صادرات زيت الزيتون اذ بلغت ٨ر٥ ملايين ليرة في عام ١٩٧٠ مقابل ٢ر١٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ . اما تزايد هذه الصادرات فقد كانت ـــ بالاسعار الجارية ـــ حوالي ٢٢ ٪ سنويا .

اما بالنسبة لعام ١٩٧٢ فلدينا الصادرات الصناعية الى الاردن من أجل الاشهر التسعة الاولى والتي بلغت حوالي ٩ر٢٨ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية واعتبارا من ان صادرات الاراضي المحتلة من الانتاج الصناعي الى الاردن لها نفس التركيب الزمني خلال العامين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ يمكن ان تقدر صادرات عام ١٩٧٢ من الانتاج الصناعي وبالاسعار الجارية بحوالي ٥ر٤٠ مليون ليرة اسرائيلية مضافا اليـــه ٣٤ مليون ليرة اسرائيلية من المنتجات الزراعية نصف المصنعة أي أن صادرات الاراضي المحتلة مـــن

المنتجات الصناعية في عام ١٩٧٢ تقدر بـ ٧٤٫٥ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية .

٣ ـ ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع الاردن ـ وفائض التصدير

يلاحظ من الجدول رقم (١٢) ان ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع الاردن هو رابح دوما وان فائض التصدير على الاستيراد يزداد بصورة منتظمة وبالفعل فقد ازداد هذا الفائض بمقدار ٣٠٫٥ مليون ليرة اسرائيلية بفترة ثلاث سنوات وذلك بالاسعار الجارية ، أما بأسعار عام ١٩٦٨ فنقدر الزيادة خلال هذه الفترة بـ ١٨٫٨ مليون ليرة اسرائيلية . والواضح ان هذا الفائض لا يعوض الا جزءا يسيرا من عجز ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة ، والاراضي المحتلة ، بالاضافة الى انها سوق استهلاكية للسلع الاسرائيلية ، فانها تشكل جسرا تعبر عليه اسرائيل للحصول على اسواق استهلاكية جديدة .

فائض التصدير على الاستيراد للاراضي المحتلة مع الاردن

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٢

السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
فائض التصدير على الاستيراد	٣٦٫١	٤٤٫١	٤٧٫٣	٦٦٫٦
أسعار ثابتة				
فائض التصدير على الاستيراد	٣٦٫١	٤٢٫٨	٤٤٫٤	٥٤٫٩

التجارة الخارجية للاراضي المحتلة مع بقية البلدان

١ ـ استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان :

استوردت الاراضي المحتلة في عام ١٩٧١ ١٣ ٪ من مجمل مستورداتها من « بقية البلدان » جميع البلدان عدا اسرائيل والاردن ـ والملاحظ ان هذه النسبة تناقصت خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ حيث كانت ١٦ ٪ في عام ١٩٦٨ . وبالفعل تسعى اسرائيل الى تأمين مستوردات الاراضي المحتلة ـ أنظر صفحة ٩٢ ـ وبالتالي تقليص استيراد الاراضي المحتلة من الاردن وبقية البلدان .

استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان

١٩٦٨ ـ ١٩٧١

(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٣

السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
منتجات غذائية	٢٣٫٧	٢٦٫٨	٣٠٫٩	٣٩٫٢
منتجات أخرى	١٥٫٤	١٠٫٩	١٣٫٦	٢٩٫٥
المجموع	٣٩٫١	٣٧٫٧	٤٤٫٥	٦٨٫٧

التطور الزمني لمستوردات الاراضي المحتلة من بقية البلدان : ازداد مقدار ما تستورده الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » من ١ر٣٩ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٧ر٦٨ مليون ليرة في عام ١٩٧١ ، أي بمعدل زيادة قدرها ٧٦ ٪ خلال ثلاث سنوات . طبعا ان هذه الزيادة هي بالاسعار الجارية وهي ليست ذات دلالة علمية اكيدة نتيجة ارتفاع اسعار التصدير في البلاد المصدرة الغربية والشرقية أيضا . ان محاولتنا تقدير تطور المستوردات بأسعار عام ١٩٦٨ معتمدين على الارقام القياسية الاستهلاكية في الاراضي المحتلة تعطي صورة غير واقعية عن التطور وذلك بسبب الفارق بين الاسعار من جهة والدور البسيط الذي تلعبه المستوردات من « بقية البلدان » في رفع مستوى الاسعار الاستهلاكية المحلية . اذن كل ما يمكن قوله هو ان الزيـــادة الفعلية لهذه المستوردات هي اقل مما تظهره الارقام بالاسعار الجارية .

مخطط رقم (٩)

استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان

١٩٦٨ — ١٩٧١

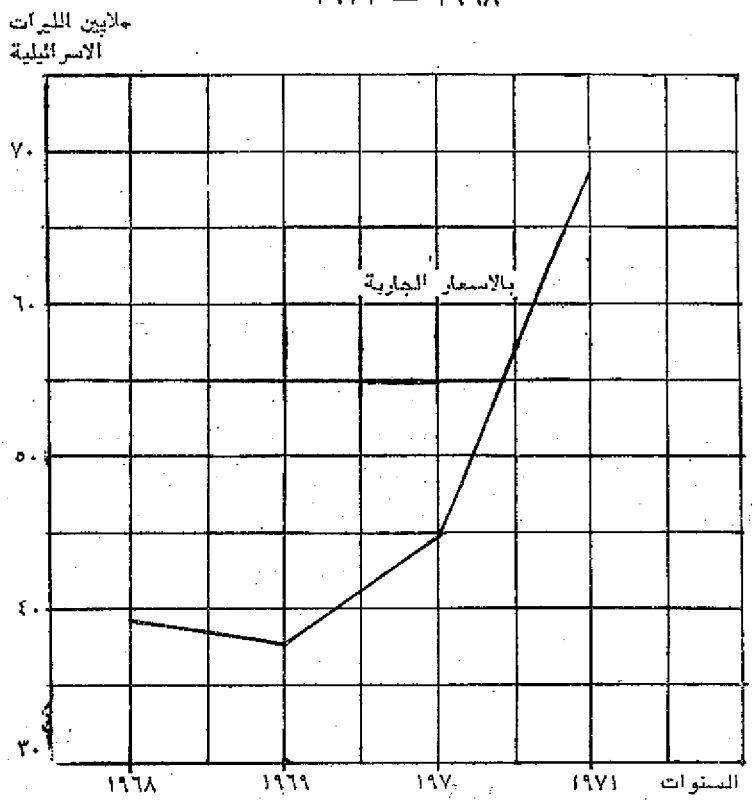

نوعية مستوردات الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » : يلاحظ من الجدول (١٣) ان مستوردات الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » صنفت الى فئتين : فئة منتجات غذائية وتشمل حليب البودرة ، الحبوب ، الطحين ، الزيوت ، السكر . وفئة منتجات اخرى وتشمل الصابون ، الملابس وسلع اخرى وسندرس فيما يلي أهمية هذه السلع .

مستوردات الاراضي المحتلة من بقية البلدان
١٩٦٨ — ١٩٧٠
(بآلاف الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٤

فئات السلع/السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
أسعار جارية				
منتجات غذائية				
حليب بودرة	٢١١٣	١٠٥٠	١٤٧١	٢٩٠١
حبوب	٣٨٣٩	١٩٠٤	١٩٤٩	١٤٨٥
طحين	١٢٣٦٥	١٧٥٧٩	٢١٢٨٠	٢١٨٢١
زيوت	٤٩٢٩	٥٦٩٦	٦٠٨٧	١١١٠١
سكر	٤٤٨	٥٤٣	١٠٧	١٩٠٤
منتجات أخرى				
صابون	٦٤١	١	٧	٣٠
ملابس	٥٧٩٢	٢٧٨٣	٢٠٤٥	٣٢٤٢
سلع أخرى	٩٠١٠	٨١٠٠	١١١٥٣	٣٦٢٥٣
المجموع	٣٩١٢٧	٣٧٦٦٢	٤٤٤٦٩	٦٨٧٣٧

يلاحظ من الجدول رقم (١٤) أن المستوردات من الطحين تحتل المرتبة الاولى — بغض النظر عن فئة « السلع الاخرى » — . وبالفعل فقد ازداد استيراد الطحين من ١٢٫٤ مليونا الى ٢١٫٨ مليون ليرة اسرائيلية اي بزيادة مطلقة قدرها ٩٫٤ ملايين خلال ثلاث سنوات . أما الاهمية النسبية لهذه السلعة فهي تساهم بـ ٥٥ ٪ من مجمل مستوردات « منتجات غذائية » و ٣١ ٪ من مجمل المستوردات . يأتي في المرتبة الثانية « الزيوت » حيث ازدادت مستوردات الاراضي من الزيوت من ٤٫٩ ملايين ليرة في عام ١٩٦٨ الى ١١٫١ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ وتبلغ أهميتها النسبية حوالي ٣٠ ٪ من مجمل مستوردات المنتجات الغذائية . اما بالنسبة لحليب البودرة فقد خضع استيراده الى هبوط خلال العامين ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ثم عاد الى الارتفاع لعام ١٩٧١ حيث بلغ ٢٫٩ مليون ليرة اسرائيلية . بالنسبة للحبوب فاستيراده متناقص باستمرار اذ هبطت المستوردات من ٣٫٨ ملايين ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٫٥ مليون ليرة في عام ١٩٧١ . بالنسبة للسكر حصل ارتفاع في استيراده في عام ١٩٧١ حيث بلغت قيمة المستوردات ١٫٩ مليون ليرة اسرائيلية . بصورة عامة تتصف مستوردات « المنتجات الغذائية » للاراضي المحتلة من « بقية البلدان » بتطور متزايد منتظم حيث ازدادت هذه المستوردات من ٢٣٫٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٣٩٫٢ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ اي بتزايد سنوي قدره ١٧ ٪ .

اما بالنسبة لمستوردات « منتجات أخرى » فاستيراد الملابس يظهر تناقصا من أجل العامين ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ثم بعض الارتفاع اذ بلغ في عام ١٩٧١ حوالي ٣٫٢ ملايين ليرة اسرائيلية وقد تناقصت الاهمية النسبية لمستوردات الملابس من ٣٧ ٪ من مجمل مستوردات « منتجات اخرى » في عام ١٩٦٨ الى ١٠ ٪ من مجمل هذه المستوردات في عام ١٩٧١ . اما التطور العام للمستوردات « منتجات اخرى » فهو غير منتظم اذ حصل هبوط في عام ١٩٦٩ حيث بلغت هذه المستوردات ١٠٫٩ ملايين ليرة اسرائيلية . ومع ذلك فقد تضاعفت مستوردات الاراضي المحتلة لـ « منتجات اخرى » من بقية البلدان خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧١ .

اما بالنسبة للاستيراد في عام ١٩٧٢ فالارقام المتوفرة لدينا هي عدا الاشهر الثمانية الاولى حيث بلغت مستوردات الاراضي المحتلة من « بقية البلدان » ٣٨ر٦ مليون ليرة اسرائيلية ، موزعة كما يلي : ١٤ر٢ مليون ليرة اسرائيلية من المنتجات الغذائية و٢٤ر٤ مليون ليرة اسرائيلية من منتجات أخرى وباعتبار ان التركيب الزمني لهذه المستوردات يمكن ان يكون واحدا خلال العامين ١٩٧١ ، ١٩٧٢ يمكن التوصل الى تقدير المستوردات من « بقية البلدان » للمنتجات الغذائية بحوالي ٦٦ مليون ليرة اسرائيلية .

مخطط رقم (١٠)

استيراد الاراضي المحتلة من بقية البلدان

١٩٦٨ — ١٩٧١

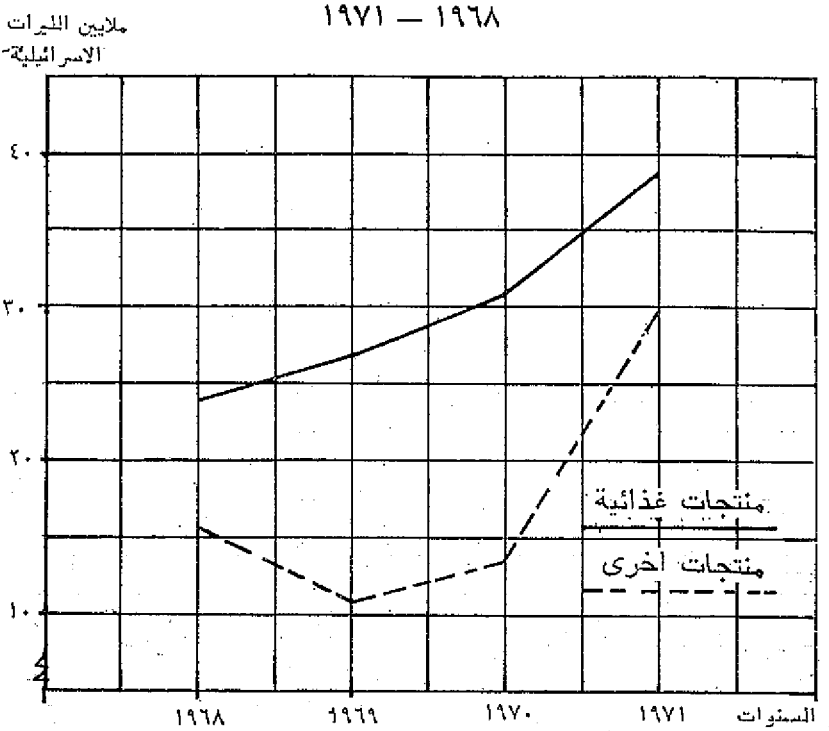

٢ ــ صادرات الاراضي المحتلة الى « بقية البلدان » :

تحتل صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان المرتبة الاخيرة ، اذ ساهمت بـ ٢٣ ٪ من مجمل صادرات الاراضي المحتلة لعام ١٩٧١ مقابل ١٣ ٪ في عام ١٩٦٨ .

والغالب ان زيادة الاهمية النسبية لصادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان . يرجع الى زيادة صادرات الحمضيات في السنوات الاخيرة وبالضبط اعتبارا من عام ١٩٧١ .

التطور الزمني الصادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان : ان تطور صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان يتصف بنمو متزايد باستمرار وقد ازدادت هذه الصادرات من ١٦ر٣ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٥٦ر٦ مليون ليرة اسرائيلية لعام ١٩٧١. أي بزيادة ٤٠ر٣ مليون ليرة خلال ثلاث سنوات وكانت السنة الاخيرة هي المسببة لمثل هذه الزيادة اذ ازدادت الصادرات من ٢٤ر٩ مليونا الى ٥٦ر٦ مليون ليرة اسرائيلية . طبعا ان هذه الزيادة بالاسعار الجارية لا تصور الزيادة الفعلية لرقم الصادرات الى بقية

البلدان وذلك بسبب ارتفاع الاسعار وكل ما نستطيع تأكيده ، في هذا المجال وبسبب عدم توفر الارقام القياسية للتجارة الخارجية ، ان الزيادة هي أقل بكثير مما تصوره الاسعار الجارية . اما عن عام ١٩٧٢ فقد بلغت الصادرات من اجل الثمانية اشهر

صادرات الاراضي المحتلة الى « بلدان اخرى »
انتاج زراعي ، منتجات صناعية
(بملايين الليرات الاسرائيلية)

جدول رقم ١٥

السنوات	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١
الاسعار الجارية				
انتـــاج زراعي	١٥٫٤	٢٠٫٨	٢٣٫٥	٥٤٫٦
منتجـات صناعيـة	٠٫٩	١٫٣	١٫٤	٢٫٠
المجمـوع	١٦٫٣	٢٢٫١	٢٤٫٩	٥٦٫٦

مخطط رقم (١١)
صادرات الاراضي المحتلة الى بقية البلدان
١٩٦٨ — ١٩٧١

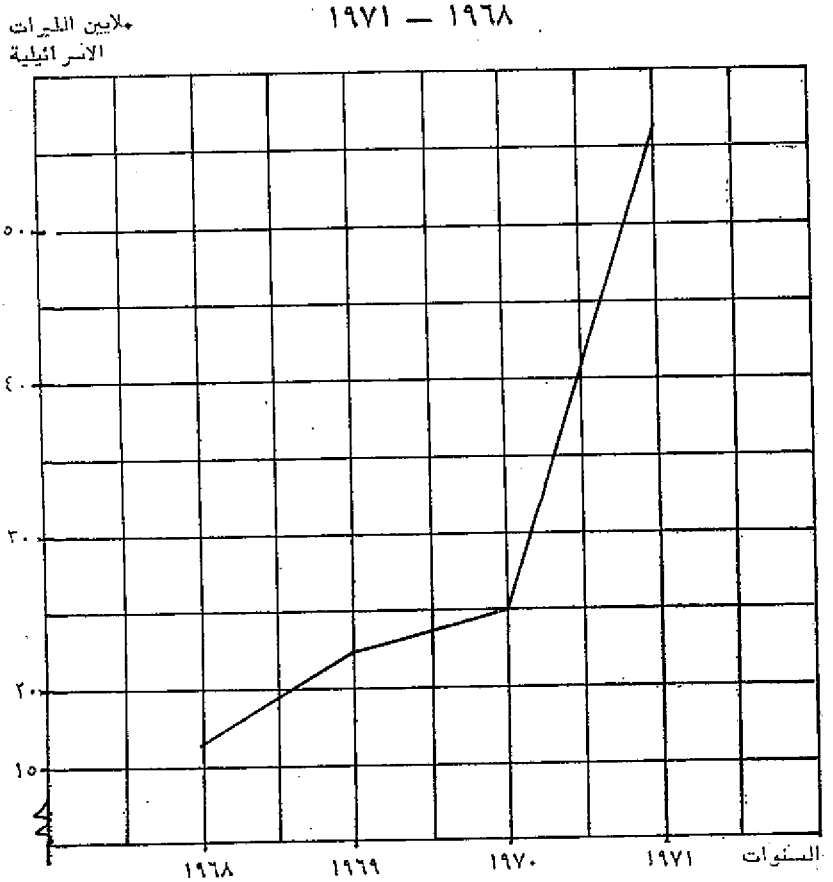

مخطط رقم (١٣)
استيراد الاراضي المحتلة
١٩٦٨ — ١٩٧١

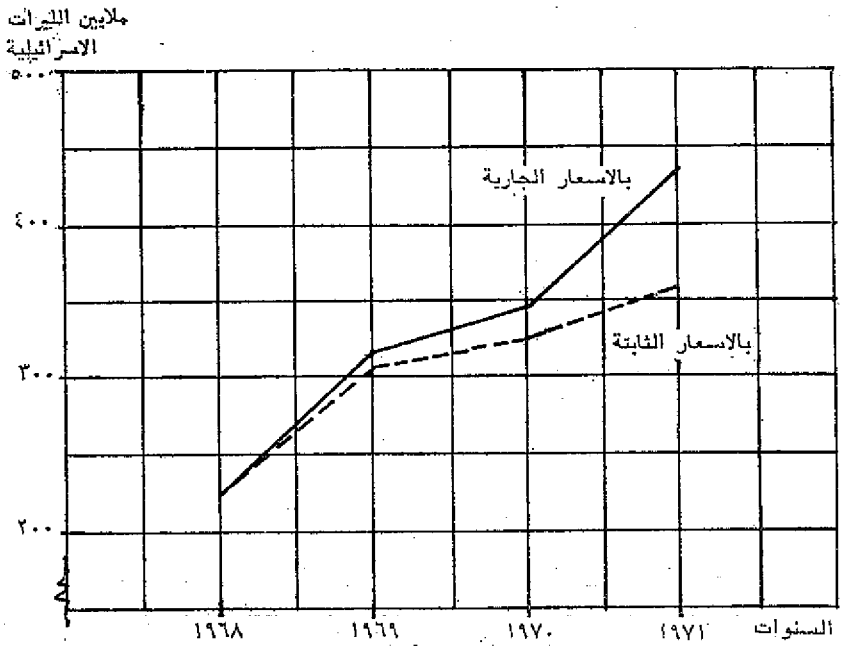

اما في دراستنا لمجمل التجارة الخارجية للاراضي المحتلة فاننا نسعى الى اعطاء صورة واضحة وكاملة عن استيراد المنطقة ، تصديرها وعجزها التجـــاري ، ومؤكدين على ضرورة انقاذ الاراضي المحتلة مهما كانت التضحيات والثمن .

التطور الزمني لاستيراد الاراضي المحتلة : يظهر من المخطط (١٣) ان مجمل الاستيراد هو أكثر انتظامية في تطوره بالرغم ان تباطؤ سرعة تزايد المستوردات بين ١٩٦٩ و١٩٧٠ وقد ازدادت المستوردات من ٢٢٤ر٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ٤٣٨ر٧ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧١ اي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢٤ر٩ ٪ بالاسعار الجارية .

أما تطور المستوردات بالاسعار الثابتة ، أي باستعمال اسعار عام ١٩٦٨ عن طريق استخدام الارقام القياسية الاستهلاكية ، فهو أكثر تواضعا اذ بلغت الزيادة السنوية ١٧ر٢ ٪ وتعبر بصورة أكثر واقعية عن ازدياد القيمة الفعليـــة لمستوردات الاراضي المحتلة . في الواقع ان الاتجاه التزايدي والمنتظم لمجمل مستوردات الاراضي المحتلة هو طبيعي جدا لان ازدياد السلع المستوردة ناتج عن الازدياد السكاني للاراضي المحتلة وبالتالي ازدياد الطلب على السلع الاستهلاكية . فاسرائيل يمكن أن تفرض علـــى الاراضي المحتلة عدم استيراد بعض السلع من بلدان معينة ولكنها تسمح باستيراد نفس السلع من بلدان أخرى أو تقوم هي بتصدير هذه السلع الى الاراضي المحتلة وبهذا تحافظ المستوردات بصورة عامة على المنحني التزايدي في تطورها الزمني . اما بالنسبة لتقدير مجمل مستوردات عام ١٩٧٢ فهناك بعض الصعوبة : فالتقديرات العائدة لمستوردات

الاراضي المحتلة من الاردن غير متوفرة لعام ١٩٧٢ ولدينا تقديراتنـــا الواردة في هذه الدراسة لمستوردات الاراضي المحتلة من اسرائيل ومن بقيـــة البلدان . ولهذا فاننا سنستخدم معدل الزيادة السنوية للمستوردات وقدرهـــا ٢٤ر٩ ٪ في تقدير مجمـــل المستوردات لعام ١٩٧٢ . اذن تقدر مستوردات الاراضي المحتلة لعام ١٩٧٢ بحوالي ٥٤٨ مليون ليرة اسرائيلية بالاسعار الجارية وتهبط هذه القيمة الى حوالي ٤٠٠ مليون ليرة اسرائيلية بأسعار عام ١٩٦٨ (الرقم القياسي الاستهلاكي لعام ١٩٧٣ هو ٢ر١٣٨).

مخطط رقم (١٤)

صادرات الاراضي المحتلة

١٩٦٨ — ١٩٧١

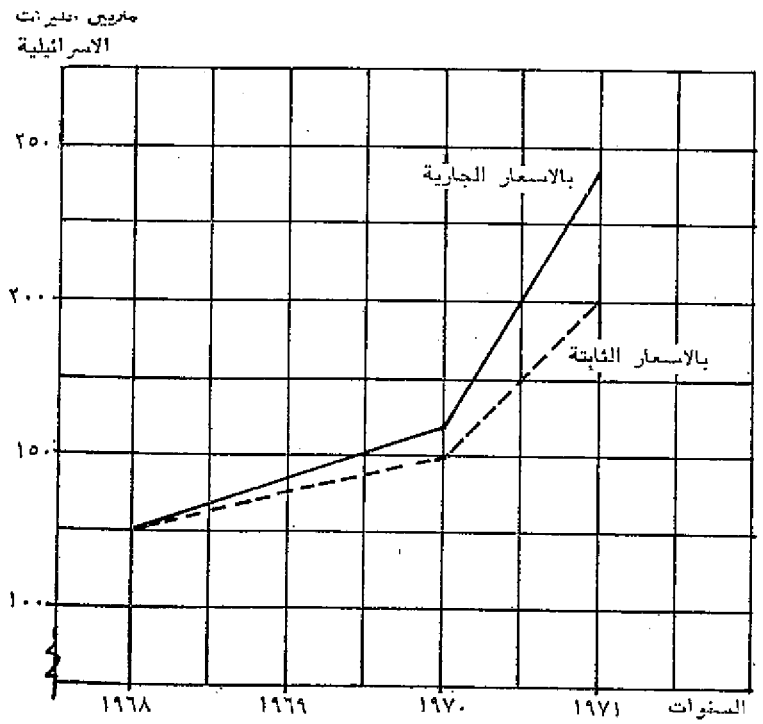

التطور الزمني لجمل صادرات الاراضي المحتلة : كان ازدياد الصادرات سريعا في السنة الاخيرة ١٩٧٠/١٩٧١ اذن ازدادت صادرات الاراضي المحتلة بمقدار ٤ر٨٤ مليون ليرة اسرائيلية . اما قبل ١٩٧٠ فكان التزايد بطيئا اذ بلغت الزيادة خلال الفترة ١٩٦٨ ، ١٩٧٠ حوالي ١ر٣٤ مليون ليرة اسرائيلية اما بالنسبة لوسطي الزيادة النسبية فهي تقريبا ٢٧ ٪ في السنة بالاسعار الجارية . اما تطور الصادرات بأسعار عام ١٩٦٨ فهو أكثر واقعية وذلك خلال السنة الاخيرة — انظر المخطط رقم ١٤ — اذ ازدادت الصادرات بمقدار ٥٢ مليون ليرة اسرائيلية . أما بالنسبة للزيادة السنوية فقد كانت بمعدل وسطي قدره ١٨ ٪ .

من الصعب جدا تحديد اتجاه الصادرات في الاراضي المحتلة ولكننا نعتقد ان الصادرات تميل الى التناقص خلال الاعوام المقبلة وخاصة بالنسبة للصادرات الزراعية ، نظرا لما

تقوم به اسرائيل من مصادرة للاراضي الخصبة وحرق للمزروعات واتلاف لبيارات البرتقال . كما ان اسرائيل تضع قيودا حول تصدير السلع من الاراضي المحتلة الى اسرائيل ، مثلا تقليص بيع السردين القادم من غزة لمصانع التعليب الاسرائيلية « استجابت كل من وزارتي الدفاع والزراعة لطلب نقابة صيادي الاسماك الرامي الى تقليص بيع « السردين » من قطاع غزة الى صناعة المعلبات في اسرائيل وبأن يسمح بهذا الامر فقط طبقا لتراخيص . وقد حصل الصيادون على وعد ايضا بتقليص استيراد الاسماك التي تستخدم كمواد خام للصناعة طالما لم يضمن استيعاب السردين من الصيد المحلي ... » — المصدر رصد اذاعة اسرائيل ، العدد رقم ٢٢١ تاريخ ٤/٣٠/ ١٩٧٣ والصادرة عن مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية — .

التطور الزمني لفائض الاستيراد على التصدير : يلاحظ من الجدول رقم (١٧) ان ميزان التجارة الخارجية هو بعجز دائم وخاصة بالنسبة للاسعار الجارية وبالفعل فلقد ازداد العجز من ١٢٠٫٥ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٨ الى ١٩٦ مليون ليرة اسرائيلية في عام ١٩٧٢ . ولكن يلاحظ تناقص سرعة التزايد في الفترة الاخيرة . اما بالنسبة لتطور العجز بأسعار عام ١٩٦٨ فقد حدث تناقص ملحوظ خلال السنة الاخيرة . على كل حال من الصعب رسم اتجاه واضح للميزان التجاري للاراضي المحتلة وخاصة ان تبادلها التجاري لا ينبع من سيادتها الذاتية وأوضاعها الاقتصادية وانما يخضع لمطامع اسرائيل الاقتصادية وأهدافها التوسعية . فاسرائيل التي تلعب بالنسبة للعالم الغربي دور الدولة ذات المهارات الفنية العالية والتي دخلت عالم التصدير من أبوابه الواسعة « ان الماس الصناعي ، مثلا ، هو أهم الصادرات الاسرائيلية ، حيث عاد عليها بـ ١٩٠ مليون دولار في عام ١٩٦٦ . فاسرائيل تستورد الماس الخام ، تقطعه ، وتصقله وتعيد تصديره الى بلدان البنلكس ، وسويسره ، وهونغ كونغ ، واليابان والولايات المتحدة ، بربح سنوي قدره ٥١ مليون دولار . أما صادرات الحمضيات الطازجة ، التي يباع معظمها في أوربا الغربية ، فقد جلبت ٧٩ مليونا في عام ١٩٦٦ ، وحققت الفواكه المعلبة ٢٠ مليونا اخرى . كما دخلت اسرائيل في السنوات الاخيرة عالم المنافسة في الازياء الرفيعة، فجنت ١٥ مليونا من صادرات الملابس عام ١٩٦٦ »*. ولهذا فهي تسعى الى السيطرة الاقتصادية على أسواق استهلاكية جديدة وأكثر من ذلك فهي تسعى الى اضعاف الوضع الاقتصادي في الاراضي المحتلة عن طريق اغراقه بالديون ، عن طريق خفض انتاجه الزراعي والصناعي وبالتالي صادراته وتكون النتيجة الاستيلاء الحيوي المباشر على المرافق الاقتصادية من مشاريع صناعية وزراعية .

حول اضعاف اسرائيل للاقتصاد العربي في الاراضي المحتلة : بالاضافة الى السيطرة العسكرية لاسرائيل على الاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، تحاول اسرائيل شتى الطرق اضعاف اقتصاد الاراضي المحتلة حتى يبلغ درجة اليأس وتكون النتيجة اعطاء صبغة قانونية لاستيلاء اسرائيل على أراضي زراعية خصبة بحجة الاهمال وعلى مشاريع صناعية بحجة افلاسها وعدم استطاعتها وفاء ارتباطاتها المالية والتجارية . ما هي الطرق التي تسلكها اسرائيل لتحقيق أهدافها الاقتصادية في الاراضي المحتلة ؟

١ — يقوم الاسرائيليون باستخدام العمال العرب داخل اسرائيلية بأجور أقل بكثير من العمال اليهود وخاصة في قطاع البناء وبحيث تبقى هذه الاجور أعلى من الاجور المتفق عليها داخل الاراضي المحتلة وهي بذلك تضمن خفض كلفة الانتاج مع المحافظة على

---

* من مقال « الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي » بقلم لاري لوك وود — شؤون فلسطينية رقم ٢٠ نيسان ١٩٧٣ .

مخطط رقم (١٥)

عجز ميزان التجارة الخارجية للاراضي المحتلة

١٩٦٨ — ١٩٧١

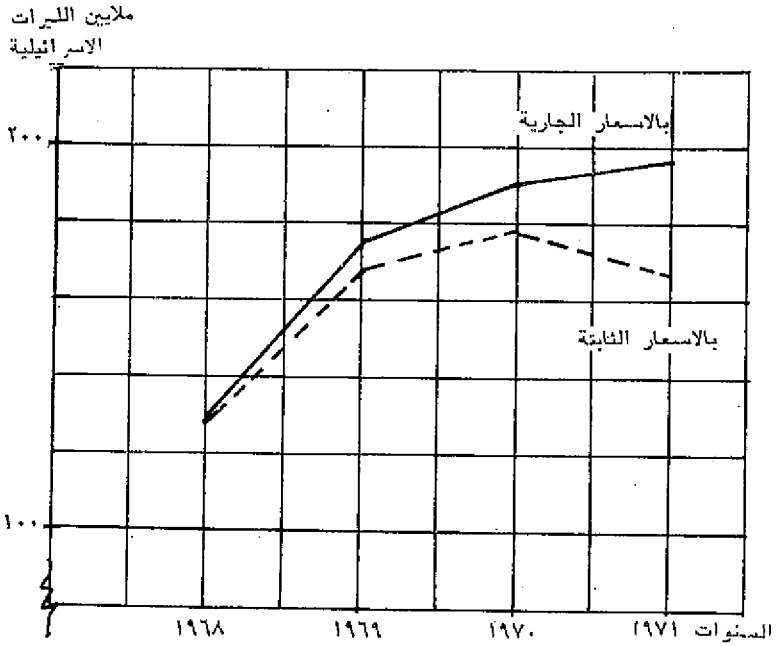

مستوى نوعية الانتاج لانها تقوم بدورات تدريبية للعمال العرب. « بدأت الدائرة العربية في الهستدروت بمعالجة شؤون عمال المناطق العاملين في اسرائيل ويقوم ممثلو الدائرة بزيارة أماكن العمل ويقومون بتنظيم محاضرات بالتعاون مع مصلحة الاستخدام . ومن المقرر ان يعمم منشور على أعضاء لجان العمل في أماكن العمل المختلفة للاهتمام بعمال المناطق . هذا ما أدلى به الى مراسلنا رئيس الدائرة العربية في الهستدروت يعقوب كوهين . من جهة أخرى ، أقامت مدرسة نشيطي الهستدروت دورة لخمسين عاملا عربيا في المناطق وستشرف على هذه الدورة الدائرة العربية في الهستدروت، وسيشترك فيها مواطنون من طولكرم وقلقيلية وغزة ، وهدف الندوة هو اعداد جهاز لتشغيل دوائر الهستدروت في المناطق »* . وبالطبع لا تستفيد الاراضي المحتلة وأجور العمال المستخدمين في اسرائيل لان معظمها ينفق في اسرائيل بسبب ارتفاع مستوى الحياة . وبذلك تفقد الاراضي المحتلة وخاصة قطاع غزة العمال اللازمين في قطاع الزراعة والصناعة وبالتالي تبقى كثير من الاراضي الزراعية مهملة وتغلق كثير من المشاريع الصناعية بواقع ندرة العمال وارتفاع أجورهم ووقوعها بالعجز المادي ولهذا تجد اسرائيل الفرصة سانحة للاستيلاء والمصادرة . « أما في الضفة الغربية فان الوضع الاقتصادي لا يقل سوءا عنه في قطاع غزة ، فهناك حوالي ٢٠ الف عامل يتوجهون الى اسرائيل كل يوم للعمل في تشييد الابنية والحصول على أجور مرتفعة نسبيا وهذا ما

---

* المصدر : رصد اذاعة اسرائيل ، العدد رقم ٢٢١ . حول « الهستدروت تقيم دورة لخمسين عاملا من المناطق المحتلة » .

أدى الى حرمان الارض من الفلاحين واليد العاملة الزراعية ويضطر الاشخاص الذين يواصلون زرع أراضيهم الى تحمل تكاليف هائلة متزايدة سواء على شكل أجور عمال أو على شكل ضرائب وسلع مرتفعة الاثمان ... »*.

٢ — ما هو مصير العمال العرب الذين يعملون في اسرائيل ؟ لا بد لنا أن نتساءل ما هو مصير العمال الذين يعملون في قطاع البناء في اسرائيل والى متى يستخدم الاسرائيليون العرب الفلسطينيين من الاراضي المحتلة . اننا نعتقد ان اسرائيل ستستخدم الضغط الاقتصادي لتحقيق أهدافها العامة وهي تهجير الفلسطينيين من بلدهم ومن أراضيهم . اقتصاديا وبغض النظر عن كل مخطط تهجيري آخر ، لا يمكن لقطاع البناء في اسرائيل ان يتابع استخدامه للعمال العرب لفترة طويلة ولا بد من حد تقف عنده حاجة اسرائيل للعمال العرب من الاراضي المحتلة وعندها لا بد من البحث عن عمل ولكن أين ؟ في مزارع صادرها الاسرائيليون لانها أهملت ، في مؤسسات تجارية أو صناعية أفلست لانها لم تتحمل التكاليف الباهظة التي فرضتها ظروف ارتباط الاراضي المحتلة باسرائيل . في مجتمع لا يؤمن مستوى الاجور التي اعتادوا عليها خلال فترة العمل في اسرائيل . اذن سيبحثون عن مجال جديد خلف الضفة الشرقية لنهر الاردن أو في بلد عربي آخر وبهذا يتحقق ما ترغبه وتسعى اليه اسرائيل ، هجرة ظاهرها ارادي ولكن سببها مدروس ومخطط .

٣ — تحاول اسرائيل من جهة ثانية حماية اليهودي الاسرائيلي من الناحية الاقتصادية . ولهذا فتصدير الاراضي المحتلة الى اسرائيل أولا والى الاردن وبقية بلدان العالم ، يتم ضمن دائرة مصلحة التاجر والمصدر الاسرائيلي . فالاسرائيليون قادرون على تسويق محاصيلهم الزراعية ضمن الاراضي المحتلة ، وباستطاعتهم اغراق الاسواق ببضائعهم دون رقابة او خوف ويهدفون بذلك المضاربة التجارية للانتاج المحلـــي وبالتالي ايقاع المزارعين والتجار بالعجز المادي وخاصة ان المزارع العربي لا ينال معونات مادية في حالة خسارته كما يحدث مع المزارع الاسرائيلي . وهذا ما يدفع بكثير من المزارعين الى اليأس والتسليم بواقع الضياع وعدم القدرة على المتابعة ، فيعمد الى بيع أرضه كخطوة أولى ثم الرحيل بعدها .

هذا هو المخطط الاسرائيلي حاليا وهو اعطاء صفة شرعية لبقاء الاحتلال وبالتالي لضم أراضي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى اسرائيل .

كيف ننقذ الاراضي المحتلة : الحقيقة ان انقاذ الاراضي المحتلة لا يتم الا عن طريق التحرير واستعادة هذه الاراضي وفلسطين الى الحظيرة العربية ولكن حتى يوم التحرير ، الذي لن يكون بعيدا ، لا بد لنا من خطوات اقتصادية نضمن بهـــا استمرار بقـــاء الكيان الفلسطيني العربي في الاراضي المحتلة . فكما ان الاقتصاد الاسرائيلـــي يعتمد على المعونات والتبرعات التي ساعدت بصورة أكيدة على تأمين المساكن والعمل للمهاجرين اليهود الى فلسطين « بين الاعوام ١٩٥٠ — ١٩٦٧ أمنت الاشكال العامة لواردات رأس المال الى اسرائيل ٤ر١٩ بليون دولار — هبات المؤسسات ، التعويضات الالمانية، العون المباشر والقروض المختلفة —»**. طبعا ان هذه الهبات والتبرعات ليست فقط حصيلة تبرع الرأسماليين الاميركيين والاوروبيين وانما شارك في ذلك جميع يهـــود العالم .

---

* مقطع من مقال نشر بجريدة **المحرر** . الاربعاء في ٧٣/٥/١٦ « الليل الطويل يبدو بلا نهاية ... ولكـــن الشعب الفلسطيني صامد كجبال القدس » .

** الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي » ، لاري لوك وود ، **شؤون فلسطينية** ، عدد رقم ٢٠ ، نيسان ١٩٧٣.

فالمزارع الاسرائيلي لا يخسر فالدولة تؤمن له كل شيء ، البذار والماء للري وتعطيه المساعدات المالية حتى يحافظ على الارض الذي يعمل بها ويرتبط بها ارتباطا وثيقا لا يفصله عنها الا الموت فالارض له كل شيء ، حاضره ومستقبله .. واكثر من ذلك لا يعمل بالارض الا العامل اليهودي ولا تورث الا ليهودي . ولقد ورد في عقود ايجار الصندوق القومي اليهودي او « كيرن كايميت لاسرائيل ليمتد » ما يشير الى ذلك « ... ينبغي ان لا يستلم الارض أحد من غير اليهود ، فاذا توفي المستأجر اليهودي ولم يكن وريثه يهوديا فيحق للصندوق ان يسترد الارض بشرط ان يعطى الوارث مهلة ثلاثة اشهر قبل الاسترداد ، ويشترط على الوارث خلال هذه المدة ان ينقل حقوقه الى يهودي ، والا فيسترد الصندوق الارض دون ان يكون للوارث حق الاعتراض »*. اذن فعلينا نحن العرب جميعا وعلى الدول العربية الغنية بصورة خاصة ان تضع مخططا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاراضي المحتلة هادفة بذلك الى رفع معنويات الفلسطينيين العرب هناك ، ومقدمة جميع وسائل الانتاج ورؤوس الاموال العربية لتحسين الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، بانشاء المشاريع الصناعية والتجارية ، تخلق فرص العمل انجيدة امام اليد العاملة الفلسطينية وذلك بأجور تؤمن للعامل العربي حياة كريمة تزيده ارتباطا بوطنه بأرضه وقريته . اما المزارع فبهذه المساعدة المادية التي تعوض خسارته ان حدثت ، تخلق عنده الامل بأرضه وبوطنه فلن يكون مضطرا لاهمال أرضه او بيعها . الصعوبة في ذلك ، ان المساعدات التي يمكن ان تقدمها الدول العربية للاراضي المحتلة والمشاريع التي يمكن انشاؤها قد تذهب الى فائدة وصالح الاقتصاد الاسرائيلي وخاصة ان اسرائيل تسيطر عسكريا على المنطقة وتستخدمها كوسيلة لتحقيق مطامعها الاقتصادية . السبيل الوحيد هو الاشراف الدولي على استفادة العرب الفلسطينيين من المساعدة المادية وتأمين الحرية الاقتصادية لاصحاب الاعمال الفلسطينيين ، في انتاجهم، في تصديرهم واستيرادهم . طبعا ان مثل هذا الحل هو موقت والغاية منه اعطاء الامل للفلسطينيين العرب متابعة النضال والتمسك بالارض والوطن ، اما الحل الوحيد فهو اعداد واستخدام الطاقات العربية المادية والبشرية من أجل معركة التحرير ، معركة العودة ، معركة الكرامة العربية .

---

* **الاقتصاد الاسرائيلي** ، الدكتور يوسف عبدالله صايغ ، ص ٣٤ .

الصهيونية في السينما

مصطفى درويش

الصورة اصدق انباء من الكلمة ، ولا غرابة في هذا لان الصورة تعبر عن الواقع بالواقع في حين ان الكلمة لا تعدو ان تكون تعبيرا عنه بالرمز . ولعله مما يؤيد ذلك تلك الصورة التي استهلت بها مجلة « كراسات السينما » الفرنسية عددها عن ديسمبر عام ١٩٦٣ المكرس للسينما الامريكية(١). فما الذي جاءت به هذه الصورة من انباء تعبر عن الواقع تعبيرا اصدق من الكلمة ، بل فيه غناء عنها ؟

ان الصورة عن هوليوود عام ١٩١٨ اي في عهد الرواد الاوائل الذين بنوا مصنع الاحلام . وهو عهد يمتد من عام ١٩١٣ حتى عام ١٩١٩ . وفي الصورة نخبة من هؤلاء الرواد لا تزيد عن سبعة رجال وامراة واحدة هي « جلوريا سوانسون » نجمة السينما الصامتة الذائعة الصيت . ولا يهمنا من الرجال السبعة سوى ثلاثة شاءت الصدفة بل قل الحكمة ان يتراصوا الى جوار بعض محيطين بالنجمة المتدثرة بمعطف من فرو اسود ثمين . فمن هم هؤلاء الرجال الثلاثة الذين وقفوا الى جوار بعض متساندين ؟

أولهم الى يسار الصورة هو « هربرت روتشيلد » يليه « ادولف زوكور » ثم « سيسيل ب دي ميل » ، اي الممول فالمنتج فالمخرج . وقد لعب كل واحد منهم دوره الهام وبتنسيق تام في بناء المصنع الذي ظل ينتج الافلام لمدة خمسين عاما او ما يزيد من عمر الزمن . ويبدو لمن لا يحكم على الامور الا بمظاهرها ان دور « ادولف زوكور » و « سيسيل ب دي ميل » في بناء مصنع الافلام هو الدور الرئيسي . الاول باعتباره الرائد المجري الذي اسهم في تأسيس شركة « بارامونت » — تلك الشركة التي تعد بحق أهم احتكارات هوليوود وأكثرها تأثيرا في مسار السينما الامريكية — والذي نحت عبارة «الجمهور لا يخطىء ابدا»(٢) لتتخذ منها هوليوود شعارا لسلعها التي غزت بها القلوب والجيوب ، وتبريرا لانتاج سوقي لا يراعي حرمة لصدق او لفن .. واكتشف نظام النجوم ترصع به سماء عاصمة السينما ليتحول الى سديم بدايته « ماري بيكفور » فتاة بريئة معبودة للجماهير ونهايته « مارلون براندو » ابا روحيا عدوا للجماهير . ولانه ما زال يعيش ليطفىء يوم السابع من يناير الماضي مائة شمعة(٣).. ومن حول رأسه الذي اشتعل شيبا ابطال هم في حقيقة الامر بقايا كعبة السينما تحولت الى اطلال .. ولو دققت في وجوه هؤلاء الابطال لتعرفت بعد عناء على شارلتون هستون وجريجوري بك وبوب هوب وبت ديفيز وجروشو ماركس وغيرهم ممن كانوا نجوما في سالف الاوان .

والثاني « دي ميل » باعتباره الرائد الامريكي الذي أسهم بجرأته وحذقه في انتاج واخراج سبعين فيلما(٤) بدأت صامتة « بزوجة الهندي » (١٩١٣) وانتهت متكلمة « بالوصايا العشر » (١٩٥٦) .. واستباح الاديان والقصص في الكتاب المقدس فاظهر « موسى » على الشاشة مرتين صامتا مرة (١٩٢٣) ومتكلما مرة اخرى (١٩٥٦) والسيد المسيح في « ملك الملوك » (١٩٢٧) و « شمشون ودليلة » (١٩٤٩) . واستحدث بعض القواعد لتحريف التاريخ وتشويهه .. ما تزال جمهرة مخرجي

هوليوود تسير على هديها لا تحيد عنها في جميع الافلام التي تنتج باسم التاريخ وبالاهدار له . ولانه هو الذي نشر اسطورة معجزة السينما الامريكية وذلك بدوام الزهو والتباهي بالحيل السينمائية التي استعملها مرة ايام السينما الصامتة في «جواد لوب» بكاليفورنيا ومرة ثانية ايام السينما المتكلمة « بابي رواس » بالبحر الاحمر لتصوير بحر الاساطير وهو ينشق بارادة الرب ليفسح طريقا لقوم « موسى » خروجا من مصر ثم وهو يغش فرعون مصر وجنده مع الاصرار على الامتناع عن افشاء سر هذه الحيل وكأنها سر الهي لم يوح به الا للمخرج الامريكي .. ولن يوحى به لاحد سواه(٥).

ولكن الدور الرئيسي كان — في حقيقة الامر — من نصيب اقل الثلاثة اتصالا بالفن السابع ، وأقلهم اعلانا عن نفسه ، كان من نصيب هربرت روتشيلد . ولا عجب في هذا لانه من اشهر بيت مال : بيت الروتشيلد الذي يعرف متى وأين يستثمر رأس المال ولاي غاية يكون الاستثمار ، والذي منه قدم البارون دي روتشيلد الدعم المالي للمستعمرات الصهيونية الاولى في فلسطين . وليس صدفة ان كتاب وزير خارجية بريطانيا ارثر جيمس بلفور المؤرخ ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧ والذي اصطلح على تسميته « بوعد بلفور » قد وجه الى اللورد والتر روتشيلد عميد فرع بيت المال المذكور في انجلترا ولم يوجه الى شخص اخر .

غير ان الصدفة شاءت ان تجري احداث قضية « دريفوس » التي اتخذت منها الصهيونية وقودا لازكاء نار الدعوة « للعودة الى أرض الميعاد » خلال عام ١٨٩٥ وهو نفس العام الذي اكتشفت فيه السينما وظهرت أول صور لها وهي تتحرك على شاشة بيضاء لاشية فيها داخل قبو بمقهى كبير بشارع كابوشين بمدينة النور .

وبالنظر الى ان تلك القضية ادت الى انقسام المجتمع الفرنسي الذي لم يكن له من حديث الا عن « دريفوس » سواء بالحق او بالباطل لذلك لم يكن غريبا ان يقع اختيار « جورج ميلييس » المخرج الفرنسي على مأساة هذا الرجل لتكون موضوعا لاول فيلم طويل له(٦). وهو الفيلم الذي اخرجه تحت اسم « دريفوس » خلال عام ١٨٩٩ اي بعد ثلاثة اعوام من تأليف تيودور هرتزل لكتابه « الدولة اليهودية » وقبل ثلاثة اعوام من تأليفه لكتابه الثاني « الارض القديمة الجديدة » .

وأغلب الظن ان النجاح الذي حازه فيلم جورج ميلييس عن « دريفوس » قد نبه قادة الحركة الصهيونية ودعاتها — ومنذ وقت مبكر — الى اهمية السينما باعتبارها اداة دعاية سريعة وفعالة للفكر الصهيوني .

وكان أول ما ظهر من سينما مباشرة في خدمة الصهيونية فيلم اسمه « حياة اليهود في أرض الميعاد »(٧) ليعقوب بن دوف وهو مخرج صهيوني من اصل روسي استقر به المقام بفلسطين قبل نشوب الحرب العالمية الاولى . وقد أخرج هذا الفيلم خلال عام ١٩١٢ اي في الفترة التي اشتد فيها ساعد الصهيونية بهزيمة ثورة ١٩٠٥ بروسيا القيصرية ، وبدء موجة الخروج من « سجن الشعوب » تلك الموجة التي عرفت باسم « الهجرة الثانية » .

ومن بعد صدور الوعد أصبحت الصهيونية ازاء وضع جديد كل الجدة يتطلب الاسراع بتهجير عدد متزايد من اليهود الى فلسطين لتيسير انشاء الوطن القومي الموعود . وفي سبيل بلوغ هذا الهدف اعتمد دعاة الصهيونية على الاستغلال الدعائي لامرين : أولهما الدين من خلال قصص العهد القديم واساطير الاولين ، والثاني: الطاعون النازي وما يحمله من فكر عنصري معاد للسامية .

ولسنا نتعرض في هذا المقام بالتفصيل لاستغلال دعاة الصهيونية للدين فذلك غير خاف على كل من له علم — ولو قليل — بنشوء الحركة الصهيونية ، وانما ما نريد ان نتعرض له ونقف عنده وقفة يسيرة هو استغلال الصهيونية للدين في السينما .

من المسلم في الدين اليهودي ان « عودة » اليهود مـــن الشتات الى جبل صهيون في « اورشليم » (القدس) أمر حتمي . ومن المسلم في التاريخ اليهودي ان حنين اليهود وبالذات فقرائهم الى الارض الام في فلسطين ان هو الا رد فعل عاطفي لفظاعة الحياة واليأس من صلاح الاحوال في المنفى . ولعل خير تعبير عن هذا الحنين هو نشيدهـــم الذي يجري بهذه الكلمات : « لا نزال مشردين في هذا العالم ، ولكن في العام القادم سنكون في أورشليم .. ولا نزال عبيدا في هذا العام .. ولكن في العام القادم سنكون اناسا احرارا » .

ومفهوم هذا النشيد ان ما يعذب في الشتات هو التشرد والعبودية ، وان ما يبعث الامل هو العمل لا من أجل حرية اليهود في الارض التي بها يعيشون وانما من اجـــل الخروج للعودة الى اورشليم .

ولا يسع من يقرأ التوراة الا ان يعترف بما في قصة موسى وهو يقود شعبه من أرض الفراعنة الى أرض اللبن والعسل من معان ورموز تستطيع الصهيونية ان تطوعهـــا لخدمة الدعوة بين يهود الشتات للتحرر من العبوديـــة والخوف « بالعودة الى أرض الميعاد » . ويتضح من القصة انها تفيد الصهيونية لو احسن اخراجها في لغة السينما ففيها التشرد والعبودية والامل والعمل من أجل الخروج والعودة « بالشعب المختار » الى الارض « الموروثة » . ومن هنا وقوع اختيار شركة بارامونت لصاحبها ادولـــف زوكور على قصة موسى لتنتجهـــا تحت اسم « الوصايا العشر » مرتين المرة الاولى صامتة بلا الوان عام ١٩٢٣ في أيام قل فيها أقبال بني اسرائيل على الهجرة الى أرض الانبياء . والمرة الثانية ناطقة بالالوان عام ١٩٥٦ عقب اعلان قيام دولة اسرائيل في ايام انحسرت فيها موجة هجرة ابناء « الشعب المختار » .

وفي كلا الفيلمين كان « سيسيل ب دي ميل » هو المخرج وفي كليهما كان لا هم للمخرج الامريكي — الذي شاهدناه الى جوار ادولف زوكور وهربرت روتشيلد في صورة ترجع الى أيام الرواد عقب ارسال الوعد الى لورد روتشيلد بقليل — الا ان يتنـــاول قصة موسى وبني اسرائيل اثناء وجودهم في أرض مصر ثم اثناء الخروج منها على وجه مشوه يراد به باطل هو تصوير أهل مصر وكأنهم ابناء شعب منبوذ كتب عليه ذل العيش في اغلال العبودية لفرعون وقومه الظالمين .

وهذا السبيل الذي سلكه « دي ميل » لا يثير دهشة أحد ، فالتاريخ ليس من الامور التي يهتم بها او يهتز لها ، آية ذلك انه لما اعترض النقاد على استعمال اسم الاميرة « نفرتيري » أو « نفرتيتي » في الوصايا العشر رغـــم ان التاريخ يقول ان هـــذه الاميرة عاشت في غير عصر موسى ، لم يعر اعتراضهم التفاتا وزاد من حيرة نقاده حين قال في استهتار بين ان ثمة اميرتين بهذين الاسمين يفصل بينهما قرن ونصف من عمـــر مصر القديمة . وان الاميرة العاشقة (آن باكستر) لموسى (شارلتون هستون) في الفيلـــم هي نفرتيري ونفرتيتي في آن واحد . وانه في فيلمه عن السيد المسيح « ملك الملوك » القى مسئولية موت المخلص على كايفاس بدلا من يهوذا مراعاة منه لشعور اليهود(٨) . وانما الذي يثير الدهشة ان يجيء « دي ميل » الى مصر خلال عام ١٩٥٤ ليصور فيلمه في ربوعها ، وان يشارك الجيش المصري في بعض المشاهد لشعب مصر سيما مشهـــد البحر الاحمر وهو ينفلق كالطود العظيم لينجو موسى ومن معه اجمعين ثم يغرق الله الاخرين أي فرعون ومن معه من الجنود المصريين . وان يلعب « عباس البغدادلي » — وهو ضابط مصري سابق من سلاح الفرسان — دور سائق عربة رمسيس فرعـــون مصر (يـ ل براينر)(٩) . وان يتوج ذلك كله بحفل افتتاح كبير يعرض فيه فيلم « الوصايا العشر » بمدينة نيويورك يوم التاسع من نوفمبر عام ١٩٥٦ أي فور اجتيـــاح القوات الاسرائيلية لشبه جزيرة سيناء بأيام بل قل ساعات معدودات(١٠) .

واذا ما تطرقنا الى استغلال الصهيونية للطاعون النازي في السينما خدمة لما ترسم وتخطط من مشروعات لتبين لنا ان الصهيونية لم تعاد في النازية سوى معاداتها لليهود، وانها اتخذت من هذا العداء ذريعة لانشاء وطن قومي للشعب اليهودي .

وفي الحق ان ما فعلته النازية في يهود اوروبا فعلت اكثر منه بكثير في شعوب الاتحاد السوفييتي ويوجوسلافيا وغيرها من شعوب شرق اوروبا ، ولكن الصهيونية لا تركز في السينما الا على فعلة النازية في حق اليهود .

ولا جدال في أن النازية برجعيتها السوداء وتأكيدها على نقاء العنصر الآري من خلال الحط من شأن العنصر السامي قد مهدت الطريق الى رجعية سوداء اخرى تؤكد على نقاء « شعب الله المختار » من خلال تحقير الشعوب الاخرى لا سيما الشعوب العربية. فمن يرى الافلام المعادية للسامية التي انتجتها المانيا الهتلرية وبخاصة « اليهودي الخالد » لصاحبه الدكتور « فريتز هيبلر » و « اليهودي سوس » لصاحبه « غايت هرلان « لا بد وان يصاب بالغثيان من وباء العنصرية وكيف فقد حكام المانيا كل صواب . فما يعيب اليهود في نظر السينما الهتلرية هو ما يعيب الشعوب المتخلفة كافة وبخاصة الملونة منها(١١).

وهذا الجنون العنصري كان لا بد وان تفيد منه الصهيونية .. فبفضله بثت الذعر في قلوب اليهود ودفعت جموعهم الى الانتماء الى الحركة المنادية « بالعودة الى الوطن المختار » « للشعب المختار » . وبدأت هوليوود تنتج افلاما تركز على اضطهاد اليهود في اوروبا المحتلة بقطعان النازية وبالتجاهل لاي اضطهاد آخر .

والراجح ان الفيلم الذي استهل حركة التنوير باضطهاد اليهود ابان العهد النازي وافادت منه الصهيونية دون وعي من صاحبه او بوعي لا يصل الى درجة التواطؤ مع الفكر الرجعي الصهيوني هو « الدكتاتور العظيم » (١٩٤٠) .

الا أنه منذ الدكتاتور العظيم ، وبعد أن كشف النقاب عن جرائم الهتلرية ، والسينما حيثما للصهيونية نفوذ لا تركز عند التعرض للاحداث ابان فترة احتلال قطعان هتلر لاوروبا الا على اضطهاد اليهود .

على ان من الخطأ البين ان نعتقد ان الصهيونية في السينما وقفت عند حد التركيز على محنة اليهود تحت سلطان هتلر . انها منذ اندحار المانيا النازية وقيام اسرائيل على أرض فلسطين وهي تعدد انواع الاضطهاد لهم في كل ارض غير « أرض الميعاد » كيما تهيئهم نفسيا « للخروج من منفاهم في الشتات نحو الفردوس الموعود » !

وهكذا بدأت افلام تتكلم عن العنصرية ضد اليهود في الولايات المتحدة من بينها فيلم « النار المتشابكة » (١٩٤٧) لصاحبه ادوار ديمترك وهو المخرج الذي ذهب الى « اسرائيل » عام ١٩٥٣ حيث اخرج فيلم « المحتال » الذي قام باداء الدور الاول فيه كيرك دوجلاس . وفيلم « اتفاقية الجنتلمان » او « الحائط الخفي » (١٩٤٧) لصاحبه ايليا كازان الذي وقع اختياره على جريجوري بك ليؤدي فيه احد الادوار الرئيسية .

ولعل خير فيلم يضرب به المثل على ان الصهيونية في السينما حريصة غاية الحرص على تنبيه اليهود الى خطر العيش خارج « اسرائيل » هو « الخروج » (١٩٦٠) . فهذا الفيلم — وهو عن قصة للاديب الصهيوني « ليون اوريس » — يصف بتفصيل وباسلوب شاعري غنائي ميلاد اسرائيل(١٢). وقد اختارت هوليوود لانتاجه — وهو انتاج ضخم لان الصهيونية ارادت له ان يكون فيلما من مائتي دقيقة وان يكون شأنه بالنسبة « لاسرائيل » شأن فيلم « ميلاد أمة » بالنسبة « للولايات المتحدة » — « دالتون ترامبو »

وهو واحد من عباقرة فن كتابة السيناريو بعاصمة السينما ، وانو برنجر الذي يعتبر واحدا من أهم مخرجي السينما الامريكية المعاصرة ، وبول نيومان لانه اكثر النجوم شهرة وأشدهم تعصبا للصهيونية . وبعد الفراغ من انتاجه وقبل توزيعه وقع الاختيار عليه ليكون الفيلم الذي يفتتح به مهرجان « كان » عام ١٩٦١ .

وأننا لو شاهدنا هذا الفيلم لوجدنا فيه كل جراثيم الدعاية الصهيونية التي نجد بعضا منها في الافلام المعاصرة او التالية له . ولفهمنا سر الاهتمام به .

فالاسم المختار له هو « الخروج » ذلك اللفظ السحري الموغل في القدم والذي تستثمره الصهيونية للايحاء لليهود بان الخروج من العالم المحيط باسرائيل لازم بل فرض كما كان الحال ايام فرعون حين قاد موسى بني اسرائيل خروجا من مصر . اما موضوعه فينساب في خطين مرتبطين الاول عن محاولة دخول الباخرة «الخروج» فلسطين بما تحمل من بقايا يهود معسكرات الاعتقال النازي الناجين من الابادة الجماعية ومقاومة السلطات البريطانية عودة يهود « الخروج » **الذين كتبت لهم النجاة** من فرعون المانيا الى « أرض الميعاد » . والثاني ميلاد دولة **اسرائيل وشروع العرب في وأد المولود الجديد** بشن الحرب التي انتهت بانتصار الاسرائيليين « **بفضل** ايمانهم وتقدمهم على العرب الغزاة »(١٢) .

ونحن بعد مشاهدة « الخروج » نحس من أول لقطة اننا **بازاء فيلم صهيوني قح** لا عهد لنا بمثله من قبل في تاريخ السينما فهو **يدخل** في عداد افلام الانتاج الضخم . ومخرجه يعرض للتاريخ القريب على هدى ما رسمه شيخ المخرجين « سيسيل ب دي ميل » لمخرجي هوليوود منذ ما يقرب من نصف قرن أي بالتشويه والتحريف .

فعند مخرج « الخروج » لا حياة لليهود في عالم غير اليهود لان هذا العالم فاسد ولا يحمل ناسه لابناء « **الشعب المختار** » **الا الكراهية** لا فرق في ذلك بين من كان حليفا بالامس (الانكليز) وبين **من كان عدوا فالكل سواء في الحقد** والبغضاء ولذلك فمن الحق لليهود بل ومن الحق عليهم **ان يعودوا الى « أرض الميعاد »** حتى ولو أدت هذه العودة الى اقتلاع شعب فلسطين **من مكانه . لان الشعب المختار** له من الحقوق ما ليس للشعوب الادنى منه منزلة ! **ولا نظير فيما اعرف من افلام** لهذا التبجح على التاريخ الا في الافلام النازية أو في الافلام الامريكية التي عرضت لمأساة الهنود الحمر على وجه يسيء الى نضالهم بحيث يبرر ابادتهم .

وقد نكون مبالغين اذا قلنا ان « الخروج » احاط بكل الافكار الصهيونية . ولكن لا شك في انه عرض لجوهرها . وليس غريبا ان يكون الخروج — وهو فيلم امريكي توزعه شركة الفنانين المتحدين الامريكية — مطابقا في افكاره السائدة للدعوة الصهيونية من الفها الى يائها فجنسيته في الواقع أقرب الى الجنسية الاسرائيلية منها الى الجنسية الامريكية او بمعنى أصح أقرب الى الجنسية المزدوجة الجانحة في جموح الى الجنسية الاسرائيلية .

وهذه الجنسية المزدوجة يتمتع بها الكثير من أفلام السينما الصهيونية سواء أكانت منتجة داخل هوليوود أو خارجها ، ومصداق ذلك ما جاء في قاموس السينما والتلفزيون لموريس بيس وجان لويس شاردان بباب التعريف بالسينما الاسرائيلية . فمما يلفت النظر في التعداد الوارد في هذا الباب لبعض الافلام الاسرائيلية أن من بينها أفلاما كان يقال عنها فيما مضى انها أمريكية فلما آن الاوان أعلن انها افلام اسرائيلية ومن أهم هذه الافلام « مذكرات آن فرانك » و« الخروج » .

ومهما يكن من أمر الجنسية أهي واحدة أم مزدوجة فالشواهد تدل على ان فيلم « الخروج » يعتبر نقطة تحول في تاريخ الصهيونية في السينما داخل اسرائيل وخارجها .

فمن قبله كانت السينما الاسرائيلية في المهد ما تزال ، فاللسان العبري لم يكن قد انطلق بالكلام في كل الافلام . وعدد الافلام الروائية الطويلة لم يكن ليتجاوز أصابع اليد الواحدة (ثلاثة أفلام عام ١٩٥٣) لان أغلب الاهتمام كان موجهـا للافلام القصيرة وبخاصة الوثائقية منها باعتبارها المدرسة المثلى لتعليم النشء لغة السينما هذا الى أن مستوى السينما الاسرائيلية لم يكن قد وصل بعد الى المستوى العالمـي الذي يسمح لافلامها بالخروج من أرض اسرائيل انطلاقا الى العالم الفسيح للدعاية بين اليهود وغير اليهود .

اما بعد « الخروج » فقد تحولت جميع الافلام الاسرائيلية الى الكلام بلغة التوراة. ولم يقف الامر عند هذا الحـد بل تجاوزه الى فرض العبرية علـى بعض مشاهد الافلام الامريكية لا سيما الغنائية منها . فنحن نفاجأ بجولي أندروز في فيلم « ميلي » لصاحبه جورج روي هيل (١٩٦٧) وهي تتمايل طربا في فرح يهودي بنيويورك وتغني للعريس وعروسته بلسان عبري . كما نفاجأ « بماريسا بيرسون » و « فريتز ويبر » في فيلم « كاباريه » لصاحبه بوب فوس (١٩٧٢) وهما يتزوجان في المعبد اليهودي بلغة العهد القديم .

وزاد عدد الافلام الاسرائيلية على مهل ليصل الى عشرة أفلام روائية طويلة عام ١٩٦٦ والى خمسة وعشرين فيلما روائيا طويلا خلال عـام الاحتفال بمرور عدد معادل من الاعوام لهذا العدد من الافلام على ميلاد الدولة الصهيونية . ومن بين هذه الافلام ما هو بالابيض والاسود وما هو بالالوان ، هذا بالاضافة الى أفلام قصيرة كثيرة بعضها روائي والبعض الآخر تسجيلي والبعض الثالث تجريبي .

وبدأ خروجها الى العالم خارج أسوار اسرائيـل ، وهو خروج توج بمنح الفيلـم الاسرائيلي « فجوة في القمر » لصاحبه أورو زوهار جائزة أحسن فيلم أول في مهرجان كان عام ١٩٦٥(١٤) وبمنح الفيلم الاسرائيلي « ثلاثة أيام وطفل » جائزة أحسن ممثل للطفل (أودد كوتلر) في مهرجان كان عام ١٩٦٧ وكان ذلك قبيل معارك حزيران بأيام .

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المجال واقعتين حدثتا أثناء هذا المهرجان لما في ذكرهما من بعض بيان لمدى عناية الصهيونية بالدعاية للسينما الاسرائيلية ومن بعض تذكرة لمدى اهتمامها بلغة السينما لما لها من سحر وتأثير .

من المعروف ان ثمة تقليدا في مهرجان « كان » من مقتضاه أن يعرض الفيلـم بصالة الاحتفال الكبرى ثم تعقد ندوة عنه يحضرها النقاد ومن يكون موجودا من فناني الفيلم وبخاصة مخرجه في صالة صغيرة أطلقوا عليها اسم الشاعر « جان كوكتو » ، وقد لوحظ عند الاطلاع على برنامج اليوم المخصص لندوة الفيلم الاسرائيلي ان ثمة لقاء بين رجال الصحافة وبين الممثل الكوميدي « جيري لويس » الشهير بصهيونيته . وان موعد هذا اللقاء قد حدد بحيث يكون تاليا مباشرة للندوة . وحكمة التحديد على هذا الوجه واضحة وهي أن تزدحم الصالة بجمهور جيري لويس وهو جمهور كبير فيفيد من هذا الازدحام الفيلم الاسرائيلي . وقد تحقق ما رسم له مخططو الدعاية فازدحمت الصالة الى الحد الذي اضطر معه بعض الصحفيين والنقاد الى الوقوف أو الى الجلوس أرضا أثنـاء الندوة في انتظار لقاء النجم الكوميدي .

ولم تكتف الدعاية للفيلم الاسرائيلي بهذا القدر من النجاح ، وانما نظمت الامور بحيث يدخل النجم الصهيوني الصالة قبيل انتهاء الندوة فيبدو وكأنه قد فوجيء بوجود المخرج الاسرائيلي وكأنه لم يقابله من قبل . وهنا ينبري الناقد « روبير بينايون » فيعرف النجم بالمخرج وسط التصفيق والتهليل .

اما الواقعة الثانية فهي خاصة « بالرجل العجوز والطفـل »(١٥)، لصاحبه المخرج « كلود بيري » . وهو فيلم تدور أحداثه في فرنسا ابان الاحتلال النازي حول طفل يهودي

(آلن كوهين) تريد أسرته العاملة أن تنقذه من الذبح العظيم علـــى يد هتلر وقومه الكافرين فتعطيه الى صديقة لتذهب به الى الريف بعيدا عن المدينة ليعيش بمنجاة في حماية والدها (ميشيل سيمون) وهو ثري عجوز يكره اليهود وسيرتهم . وبالطبع ينبه على الطفل أن يخفي دينه عن الرجل العجـــوز المتعصب وان يظهر بمظهر الكاثوليكي المؤمن بالمسيح عدو اليهود . وتختلف على العجوز والطفل وعلى فرنسا الاحداث ويتعلق قلب العجوز بالطفل . وتنتهي الحرب بانحسار النازية وتطلب الاسرة العاملة طفلها . ويعرف العجوز ان الطفل يهودي . ورغم ذلك لا يرتد عن حبه له. وفي آخر الفيلم يوضع الطفل في قطار يمضي به الى أهله في مكان مجهول ثم نحن لا نعلم من أمره بعد ذلك شيئا.

وقد حاول أنصار الصهيونية في السينما الفرنسية ـــ وهم كثر ـــ ان يؤثروا على لجنة اختيار الافلام فيدفعوها دفعا الى اختيار «الرجل العجوز والطفل» لمهرجان «كان». فلما فشلوا أثاروا ضجة من أجل تكريم ميشيـــل سيمون . وكان لا مناص مـــن الرضوخ لحماسهم الذي يراد به باطل لان أحدا لا يستطيع أن ينكر عطاء ميشيل سيمون للسينما الفرنسية . وهكذا رتبت الامور بحيث صعد الممثل العجوز على خشبة المسرح بصالة العرض الكبرى يوم اختتام المهرجان ليتسلم جائزة تكريمه من يد الطفل آلن كوهين وسط التصفيق والتهليل .

وبعد ، فقد يكون من الخير أن نذكر قبل أن نتحدث عن الاتجاهات السائدة في السينما الصهيونية في المرحلة التالية لفيلم الخروج ، ان نصيب السينما الاسرائيلية في مهرجان فينيسيا عام ١٩٧٢ ـــ وهو المهرجان الذي يختتم به موسم المهرجانات السينمائية في أوروبا ـــ كان خمسة أفلام من بينها فيلمان روائيان طويلان ، فاذا أضيف الى ذلك فيلم « تحيا أورشليم » وهو فيلم تسجيلي صهيوني لصاحبه المخرج الفرنسي هنري شابييه و« كاباريه » وهو فيلم موسيقي صهيوني لصاحبه المخرج الامريكي « بوب فوس » وهما الفيلمان اللذان وقع عليهما الاختيار الاول لتستهل بـــه عروض الافلام الوثائقية التي تسجل مشاكل عصرنا والثاني ليفتتح به المهرجان رسميا ؛ فان نصيب الصهيونية في السينما يكون ، والحالة هذه ، سبعة أفلام . هذا في الوقت الذي لم يكن للامة العربية من المحيط الى الخليج في المهرجان سوى فيلمين احدهما تسجيلي قصير لمصر لا يتجاوز عرضه عشر دقائق والثاني روائي طويل للكويت ليس فيه من الدعاية للعرب شيء(١٦) .

والآن ماذا عن الاتجاهات السائدة داخل تيار الصهيونية في السينما بعد فيلم «الخروج»؟ ان أول ما يلاحظ من متابعة أفلام هذا التيار ان موجة الافلام الصهيونية المستوحاة من التوراة ومن أساطير الاولين التي طغت على أفلام هوليوود الضخمة المنتجة بهدف الابهار بعد اعلان قيام دولة اسرائيل بقليل ـــ هذه الموجة قد انحسرت من بعـــد عرض فيلم « الخروج » عام ١٩٦١ .

فعقب قيام تلك الدولة بادرت هوليوود الى انتاج « شمشون ودليلة » من اخراج سيسيل ب دي ميل وتمثيل فيكتور ماتيور وهيدي لامار (١٩٤٩)و«داود وباتشيبع» تمثيل جريجوري بك وسوزان هيوارد (١٩٥١) و« خطايا ايزابل » ، تمثيل بوليت جودارد (١٩٥٣) و« الوصايا العشر » (١٩٥٦) و« سليمان وملكة سبأ » من اخراج كنج فيدور (١٩٥٩) و« استر والملك » لمخرجه راؤول والسن (١٩٦٠) و« سدوم وعاموره » للمخرج روبرت الدريس (١٩٦١) .

اما بعد « الخروج » فلم تنتج هوليوود من أفلام هذا النوع سوى فيلم واحد ضخم هو « التوراة في البداية » للمخرج الشهير جون هوستون (١٩٦٦) الذي أخرج من بعده فيلمين أحدهما « خطاب الكرملين » وهو فيلم معاد للاتحاد السوفييتي والثاني « رحلة مع الحب والموت » وهو فيلم اختير له آساف ديان ، ابن موشي ديان ، ليؤدي دور محارب يموت من أجل السلام .

وفي الواقع فغيلم جون هوستون عن التوراة يعتبر واحدا من أهم الافلام التي مهدت عن طريق الدين والاساطير للتوسع الاسرائيلي عام ١٩٦٧ فهو يتوقف من منتصفه حتى نهايته أي زهاء تسعين دقيقة عند ابراهيم ليؤكد في ذهن المشاهد تارة بالتصريح وتارة بالتلميح ان اسماعيل هو أبو العرب ومن نسل العبيد لانه عن ام آمة (هاجر) وان اسحق هو ابو اليهود ومن نسل السادة لانه عن أم أميرة (سارة) وان أرض اسرائيل تمتد من الفرات الى النيل بالوعد من الله الى ابراهيم .

وعلى كل فان الصهيونية في السينما — ومنذ فيلم الخروج — وهي تسلك طرقا أخرى تهدف الى التحذير من الحياة في الشتات والى التذكير بالحق في العودة بالوعد مع التركيز على ان العرب عبيد بلا حق وذلك من خلال موضوعات معاصرة لا ترتد الى عصور الرسل والانبياء بل قل من خلال أفلام مرحة متشحة بثوب الرقص والغناء .

وظاهرة استغلال هذا النوع الاخير من الافلام للدعاية لاهداف الصهيونية وتطلعاتها قد استهلت بفيلم « ميلي » ١٩٦٦ الذي غنت فيه جولي أندروز باللسان العبري دعاية . ثم ازداد الجنوح اليها بعد هزيمة حزيران فكان أن انتجت هوليوود فيلم « فتاة مرحة » لصاحبه ويليم ويلر والذي مثلته بربارا ستريسند مع عمر الشريف (١٩٦٨) وفيلم « هيللو دوللي » من اخراج جين كيللي واداء نفس ممثلة فتاة مرحة (١٩٦٩) وفيلم « كاباريه » اداء ليزا مينيللي وفيلم « عازف على السطح » وقد أخرجه نورمان جوديسون وقام باداء أهم أدواره ممثل اسرائيلي الجنسية اسمه « حاييم توبول » . وهذه الافلام الاربعة قد انفق على انتاجها مبالغ تجاوزت الخمسين مليون دولار . وهي في مجموعها تدور وجودا وعدما حول أحد أمور ثلاثة تميز شعب الله المختار او اضطهاده في الشتات أو عودته الى أرض الميعاد : ففي « فتاة مرحة » تجاهر بربارا ستريسند وتفاخر بيهوديتها . وفي « هيللو دوللي » تعود في دور خاطبة يهود « دوللي ليفي » ، وهو دور يرمز به في نظر الناقد الفرنسي جان جيلي الى انتصار القيم اليهودية بما تتسم به من يقظة وانطلاق وسحر وخيال وسعي الى النجاح المادي . وخير مثل على هذا الانتصار هو عودة «دوللي ليفي» — وبعد غياب طويل — الى الحدائق التي تنتمي اليها . . حدائق الهارمونيا حيث تقابل بالترحاب من الملأ الذي يحييها منشدا كلمات تتغنى بتألقها وبقوتها .

وفي « كاباريه » الكل فاسد وشاذ عدا فتاة «ماريسا بيرسون» من أسرة ثرية يهودية تحب فتى غير يهودي . الا انها تضحي بهذا الحب من أجل دينها . وتتتابع الاحداث فيعلن المحب انه كان يهوديا من قبل أن يكون مسيحيا ويعود الى الدين الحق ويتزوج من حبيبته في المعبد اليهودي المحاصر بقطعان النازية التي كانت تتهدد اليهود في برلين قبيل استيلاء هتلر على السلطة .

وفي « عازف على السطح » يعيش تيفي مع زوجته وبناته الخمس في احدى قرى روسيا القيصرية حياة ترفرف عليها السعادة لا يعكر من صفوها سوى فقر يحتمل وحب لا يحتمل من احدى بناته لشاب غير يهودي . وتمر الايام هادئة والنفوس مطمئنة الى أن تهب عاصفة عنصرية مميتة فتودي سمومها بالامل ، أي أمل في أن تعيش اسرة « تيفي » كما كانت تعيش من قبل . ويبزغ فجر أمل جديد من خلال عودة الوعي بالخطر الذي يتهدد الاسرة في الشتات ويبدأ الخروج .

وغني عن البيان انه ما كان يمكن للصهيونية في السينما أن تكتفي بالافلام الاستعراضية أداة لبث دعايتها وبخاصة عقب عدوان حزيران . انها من بعده وهي تستعمل جميع أشكال التعبير بالصورة المتحركة وعلى نطاق واسع يمتد من الفيلم الوثائقي الى الفيلم الروائي سواء أكان قصيرا أو طويلا .

والامثلة على ذلك كثيرة في مجال الفيلم الوثائقي لعل أهمها أفلام ثلاثة أولها لفردريك روسيف مخرج فيلمي « ثورة اكتوبر » و« الموت في مدريد » . وهو في فيلمه الصهيوني يصور العرب دعاة حرب مستسلمين واليهود دعاة سلام محاربين من خلال عرض زائف لتاريخ الصراع بين الشعوب العربية والصهيونية . وقد أطلق عليه اسم « حائط أورشليم » (١٩٦٩) وضمنه مغالطات عديدة من بينها لقطة لموشي ديان أمام حائط المبكى خاشعا داعيا الله أن يجيب الدعاء ويعيد السلام الى أرض السلام .

والفيلم الثاني لهنري شابييه وهو ناقد فرنسي اختار القدس موضوعا لفيلمه الذي أسماه « تحيا أورشليم » (١٩٧٢) كما اختار الاديب الفرنسي الصهيوني « جوزيف كيسيل » ليقدم له . والفيلم ذو نزعة صوفية جوهرها ان القدس عادت الى «أصحابها» بعد طول « اغتصاب » وان حلم الانسان في السلام قد تحقق بتلك العودة . والفيلم الثالث لصاحبه « مارسيل اوفلس » ابن المخرج الالماني الشهير ماكس اوفلس الذي يؤرخ لمدينة فرنسية هي كلير مونت فيران اثناء الاحتلال من خلال « الاسى والشفقة » (١٩٦٩) وهو فيلم يطول عرضه لاكثر من أربع ساعات ويحكي فيه ضمن ما يحكي عن محنة اليهود أيام الحكم النازي وكيف ان أهل فرنسا كانوا أكثر جنوحا الى كراهية اليهود من سلطات الاحتلال وأشد جموحا في تنفيذ عملية اصطيادهم لارسالهم الى معسكرات الاعتقال حيث الحل النهائي القائم على تطهير القارة من يهودها .

اما بالنسبة للافلام الروائية فقد يكون ما فيها من صهيونية واضحا لكل من له عينان كما هو الحال في « مذكرات آن فرانك » للمخرج الامريكي « جورج ستيفنز » و« حدائق فيندي كونتيني» (١٩٧١) للمخرج الايطالي «فيتوريو دي سيكا» و «بيك وبيك وكولجرام» (١٩٧٢) للمخرجة الفرنسية « راشيل فينبرج » وهي أفلام تعرض لمحنة اليهود نساء ورجالا على يد هتلر ، تلك المحنة التي تنتهي في فيلمي « جورج ستيفنز » و « فيتوريو دي سيكا » بآن فرانك وميكول فينزي كونتيني الى أفران كان يباد فيها اليهود .

وقد لا يكون ما في الافلام الروائية من صهيونية بمثل هذا الغلو في الوضوح . ولنضرب المثل على ذلك بثلاثة أفلام أولها للمخرج الفرنسي « هنري فرنيي » والثاني للمخرج السويدي « انجمار برجمان » والاخير للمخرج الاسرائيلي « باروخ ديهار » .

في الفيلم الاول واسمه « اللصوص » يتنازع البطولة « جان بول بلموندو » و « عمر الشريف » الاول في دور لص شريف خفيف الظل حاضر البديهة والثاني في دور ضابط غير شريف خائن لواجبه كضابط واسمه زكريا . وينجح اللص الشريف في سرقة مجوهرات تصل قيمتها الى المليون جنيه . ولكن الضابط غير الشريف بالمرصاد للص الشريف لانه يريد كل الحلى المسروقة لنفسه ويحاول اللص الشريف اقناعه باقتسام المسروقات مناصفة بينهما غير ان محاولاته تضيع سدى لان رغبة شرهة جامحة تدفع الضابط زكريا الى رفض الاقتسام . وفي ختام الفيلم يغلب اللص الشريف الضابط غير الشريف وجنده المدججين بأرقى الاسلحة وأحدثها ويهلك عمر الشريف الرافض للاقتسام غرقا في أمواج بحر من القمح .

وواضح من هذا السياق ومن اختيار عمر الشريف ليمثل دور ضابط غير شريف اسمه زكريا ان الفيلم زاخر برموز منها ما هو مستوحى من اسطورة داود يغلب جوليات بالمقلاع ، ومنها ما هو مستوحى من قصة ابتلاع اليم لفرعون وجنوده . وان هذه الرموز تستهدف اتهام الرافضين للاقتسام وتبرير احتلال عموم فلسطين .

وفي الفيلم الثاني « اللمسة » — وهو أول فيلم للمخرج السويدي يموله الرأسمال الامريكي — البطل اسرائيلي الجنسية هاجر مع عائلته من المانيا النازية الى نيويورك ثم منها الى اسرائيل . وهو في الفيلم يبعثة حفريات أثرية الى السويد حيث يكشف التنقيب عن تمثال خشبي للعذراء وابنها له من العمر خمسمائة عام .

وفي البداية نرى هذا التمثال جميلا لا عيب فيه . وقرب النهاية نرى في احنائه حشرات جميلة كامنة أيقظها النور فهي تقضي عليه . وظاهر من هذا العرض الموجز ان فيلم انجمار برجمان زاخر هو الآخر بالرموز . وفي أغلب الظن انه يرمز بدافيد — وهو اسم البطل — الى نور الصدق . ويرمز بتمثال العذراء الى ظلام الكذب لا يستطيع ان يصمد للنور . والنور هنا آت من اسرائيل .

وفي الفيلم الاخير واسمه « خد اثنين » (١٩٧٢) البطل مخـــرج اسرائيلي يقاوم مطاردات فتاة امريكية مولعة بالسينما تريد أن تتدرب معه على أصولها ثم يرضخ في النهاية بالاستجابة الى رغبتها أن تكون مساعدة له . وتتبعه كظله الا انها لا تفهم مما يفعل شيئا . فهو يصور أمامها مشهد اطفال داخل مخبأ بمزرعة تعاونية (كيبوتز) على الحدود في فترة يسود فيها السلام . ثم اذا بها بعد تركيب الصوت على الشريط تفاجأ بسماع أصوات مدافع يتحول المشهد بفضلها الى مشهد حرب . وهو يصور أمامها في مطار اللد رجلا ملتحيا مهاجرا من الاتحاد السوفييتي يحمل حقيبة كبيرة يزعم ان بها رفات ابيه الذي أوصاه بنقلها الى الارض المقدسة .

ثم اذا بها تفاجأ — وهي في طريق المطار منتظرة عربة الاستديو — بالمهاجر الروسي يخرج من العربة ويخلع لحيته ويتبادل النكات والتهاني علـــى حسن تقمصه للدور . فتغضب لهذا الزيف . وعبثا يحاول المخرج ان يردها الى صوابها بأن يذكرها بأصول لغة السينما وما تقتضيه من اعادة بناء الماضي عبثا لانها لا تستطيع أن تفهم .. ولا تستطيع معه صبرا .

---

١ — مجلة **كراسات السينما** ، مجلد ٢٥ ، عدد عدد ١٥٠ — ١٥١ ، ديسمبر ١٩٦٣ — يناير ١٩٦٤ ، ص ٧ .

٢ — سيرة ادولف زوكور تحت عنوان « **الجمهور لا يخطىء ابدا** » .

٣ — مجلة **باري ماتش** ، عـــدد ١٢٣٨ — ٢٧ يناير ١٩٧٣ ، ص ٦٤ .

٤ — كتاب **سيسيل ب دي ميل** من تأليف ميشيل مورليه « طبعة سجرز » ، ص ١٦١ وما بعدها .

٥ — كتاب **الدين في السينمـــا** من تأليف ايفان بتلر ، ص ١٢ وما بعدها .

٦ — كتاب « **جورج ميليس** » من تأليف جورج سادول « طبعة سجرز » ، ص ١٨٤ ومـــا بعدها .

٧ — كتاب **تاريخ السينما العالمية** مـــن تأليف جورج سادول ، ص ٥١١ .

٨ — كتاب **الدين في السينما** سالف الذكر .

٩ — كتاب سيسيل ب دي ميل **سالف الذكر** .

١٠ — كتاب سيسيل ب دي ميل **سالف الذكر** ، ص ٥٢ .

١١ — كتاب **السياسة والفيلم** من تأليف ليبف فور هامر وفولك ايزاكسو « طبعة ستديو فيستا » ص ١١٦ وما بعدها .

١٢ — **انسيكلوبديا السينمـــا** من تأليف جـــورج بوسينو ، ص ٥٢٦ .

١٣ — مجلة **كراسات السينما** ، مجلد ٢٠ ، عدد ١٢٠ ، يونيه ١٩٦١ ، ص ٣٦ .

١٤ — **قاموس السينما والتلفزيون** الجزء الثالث، من تأليف موريس بيس وجان لويس شاردان ، ص ١٠٩ .

١٥ — كتاب « ميشيل سيمـــون » تأليف جـــاك فانستن « طبعة سجرز » ، ص ١٨٣ .

١٦ — مجلة « **فينيسيا ٣٣** » .

نظرة على سباق التسلح في الشرق الاوسط

هشام عبدالله

انعكس تطور الاسلحة في الدول الكبرى ، على الدول الصغرى بشكل عام ، وعلى الدول الصغرى في المناطق الملتهبة من العالم بشكل خاص ، مثل الهند الصينية والشرق الاوسط ، وقد ابرز طول امد الصراع في المنطقة العربية هذا بشكل واضح ، حتى بات السعي للحصول على احدث الاسلحة هم حكومات معظم دول المنطقة ، الامر الذي ادى الى قيام سباق تسلح بين اسرائيل والدول العربية ، خاصة تلك المحيطة بها .

وقد انتقلت حمى التسلح الى ليبيا ثم امتدت الى دول النفط العربية في الخليج على اثر تسليح ايران ، وفي الوقت الذي تمكنت فيه ايران من الحصول على ما تريد من مصادر امريكية وبريطانية ، بموجب صفقات ضخمة ضمن طائرات من طراز فانتوم و « ف ـ ٥ » ، ودبابات « تشيفتن » البريطانية ، ومئات طائرات الهيلوكبتر ، وتمكنت ليبيا من الحصول على ما تريد من مصادر فرنسية ، فان الكويت والسعودية لم تتمكنا حتى الان من الحصول على ما تريدان من الولايات المتحدة، وتترددان في الوقت نفسه في اخذ هذه الاسلحة من مصادر غربية أخرى .

وقد سايرت الدول العربية التي تتسلح من الدول الشرقية مثل مصر وسوريا والعراق وتيرة تطور الاسلحة بشكل جيد ، فانتقلت هذه الدول من الميغ ١٥ و ١٧ الى الميغ ١٩ ثم الميغ ٢١ ف وبعدها الميغ ٢١ ف ، هذا بالاضافة الى المحاولات الجارية للحصول على الميغ ٢٥ ـ وهي التي رابطت بضع طائرات منها في مصر وكانت تعرف بالميغ ٢٣ ـ وانتقلت كذلك من دبابات ت ـ ٣٤ و ت ـ ٥٤ الى ت ـ ٥٥ ثم ت ـ ٦٢ ، والحال كذلك بالنسبة للصواريخ ارض ـ جو ، وسائر الاسلحة . وسار الامر على وتيرة موازية بالنسبة لاسرائيل ايضا ، فحصلت على طائرات ميستير واريغان ثم السوبر ميستير فالميراج ، واخيرا الفانتوم ، وهناك حديث عن اثارة طائرات غرومان توم كات لاهتمام المسؤولين الاسرائيليين، وانتقل سلاح المدفعية من المدافع المقطورة الى المدافع ذاتية الحركة من مختلف العيارات ، وحصلت كذلك على المعدات الالكترونية الحديثة والذخائر الخاصة .

اما بالنسبة للسعودية والكويت ، فلم تساعد طريقة المعاملة الامريكية على ايجاد وتيرة منتظمة ومتوازنة لتسليح هذه الدول ، ففي الوقت الذي طالبت فيه الكويت مثلا بطائرات من طراز « فانتوم » ، عرضت الولايات المتحدة طائرات « كروسيدر » القديمة ، فاذا عرفنا ان الكويت تمتلك طائرات من طراز « لايتنغ » الاحدث ، وجدنا ان العرض الامريكي يشكل تراجعا الى الوراء في مجرى تحديث سلاح الطيران الكويتي .

ومن الاهمية بمكان المحافظة على وتيرة منتظمة في التسلح ، لان هذا الامر يقدم افضل الحلول لمجابهة التحديات، واصدق مثال على ذلك ، سباق التسلح بشكل عام بين مصر وسوريا والعراق من جهة واسرائيل من جهة اخرى ، وحوار الارادات خلال حرب الاستنزاف ، ففي الوقت الذي اشتدت فيه كثافة الغارات الجوية على مصر ، ازدادت قوة الدفاع الجوي بصواريخ سام ٢ وسام ٣ السوفياتية ، وحين زودت الولايات المتحدة اسرائيل بطائرات التشويش الالكتروني وصواريخ « شرايك » المضادة للرادار زودت مصر بالوسائل الكفيلة بمقاومة صواريخ « شرايك » والتخلص من التشويش الالكتروني .

وحين قامت طائرات من طراز ميغ ٢٥ (٢٣ سابقا) برحلات استطلاعية فوق الاراضي المحتلة ، بقيت القوة الجوية الاسرائيلية عديمة الحيلة

تجاهها ، فلم تكن تمتلك مقاتلات او اسلحة قادرة على التصدي لهذه الطائرة ، ولم يكن لديها القدرة الفنية على تطوير وسائل قادرة على محاربتها بشكل يضمن تفوق اسرائيل الجوي . عندها تكفلت الخبرات الامريكية بايجاد الحلول اللازمة ، فقامت بتطوير صواريخ جو — جو من طراز سايدوندر AIM-7F قادرة على التصدي للطائرة المذكورة ووضعت اسرائيل في رأس الدول التي ستتزود بها.

ولسنا بحاجة الى القول ان هذا ما كان ليتم في ظل الظروف التي تفرضها الدول الغربية عامة على بيع الاسلحة الى الدول العربية ، وهذا يطرح احدى اهم مشاكل التسلح في المنطقة ، فقد يكون مهما ان تحصل اي دولة عربية على طائرات من طراز فانتوم ، ضمن شرطين : أولهما ان تحصل عليها اليوم بالذات ، وفي اوضاع التسلح الحالية ، وليس بعد ثلاث او اربع سنوات ، حين تكون الموازين قد اختلفت ، والقيم قد انقلبت . فما هي قيمة سلاح الطيران الاردني مثلا المسلح بطائرات من طراز هوكر هنتر ، وستارفايتر (على الرغم من ان سرعتها هي ضعف سرعة الصوت ، الا ان تجهيزها وقدراتها تضعها في مرتبة ادنى من الطائرات الحديثة التي لها سرعة مماثلة) في مواجهة طائرات الفانتوم الاسرائيلية ، وما هي اهمية الحصول على طائرات من طراز نورثروب ف — ٥ اي وسرعتها ١،٦ سرعة الصوت ، ان كانت اسرائيل ستحصل في الوقت نفسه على طائرات التفوق الجوي من طراز « توم كات » وسرعتها ٢،٣٥ ماك . اما الشرط الثاني فهو التأكد من قدرة هذه الاسلحة تقنيا على المشاركة في معركة العرب المصيرية ، ووجود الارادة القتالية لدى الدولة العربية المعنية ، والا غدا شراء الاسلحة تبذيرا لا معنى له .

ومن المهم جدا ان نشير الى تردد المصادر الغربية في تسليح الدول العربية « الصديقة » في المنطقة ، هذا التردد الذي تعبر عنه الشروط والتعقيدات والتحفظات المتعلقة بالبيع والتسليح والاستخدام . اما حين تقرر تسليحها فانها تماطل في التسليم ، بماطلة تصل الى ثلاث او اربع سنوات احيانا — في حين يختلف الامر اختلافا بينا عندما يتعلق الامر باسرائيل — وهكذا فلا يكاد يتم تسليم الصفقة واستيعابها في القوات المسلحة الا وتكون اسلحة اخرى احدث قد اخذت الصف الاول مكانها .

لقد غرض تطور الاسلحة المستمر في الدول الصناعية الكبرى ، واعتماد دول المنطقة الالزامي على هذه المصادر في تسليحها ، على الدول العربية الخضوع الى حد معين لقواعد سباق التسلح في المنطقة ، هذا مع الاخذ بعين الاعتبار الابعاد غير الضرورية احيانا لهذا السباق ، مثل الانجراف في متاهات سباق التسلح ،كالركض وراء وسائل الحرب الالكترونية الشديدة التعقيد، وفي الوقت نفسه اهمال مصادر قوة رئيسيةاخرى. واذا كانت مصر وسوريا والعراق تتبع مراحل هذا السباق بدقة ، فان من المناسب ان تتبع باقي الدول العربية هذه القواعد — لصالح المعركة مع العدو الاسرائيلي — ، والا فانه لن يكون هناك قيمة تعطي نتائج ايجابية لبرامج تسلح هذه الدول ، حيث لن تكون هذه الاسلحة الا مجرد معدات جميلة وبراقة . وليست وسائل حقيقية اختيرت بعناية وذكاء للرد على وسائل العدو ، خاصة وانه ليس هناك اسلحة تصلح لكل زمان وظرف .

لذا فمن المنطقي ان تسعى الكويت والسعودية للحصول على الاسلحة الملائمة للرد علىالتحديات الخارجية المحتملة ، خاصة وان الاسلحة ليست سوى وسائل عسكرية للرد على وسائل عسكرية معادية او ردعها . وبالتالي فان الحصول على الوسائل الفعالة والكفيلة لتحقيق هذا الهدف يجب ان تكون العامل الاول في تحريك سياسة التسلح في اي بلد ، مع اعطاء ادنى اعتبار ممكن للاعتبارات السياسية المتعلقة بشراء الاسلحة — باستثناء تلك التي تحدد الاستخدام ضد اسرائيل اذا كان هذا الاستثناء ممكنا — . خاصة وان مجال الاختيار واسع أمام الدولتين . وكما يتضح فان التطور المستمر للاسلحة يفرض ان لا يكون شراء الاسلحة حدثا فريدا يحدث مرة كل جيل ، فهذا يتعارض مع قوانين التطور، وحوار الارادات، فاسلحة تشترى بهذه الطريقة معرضة لان تصبح كلها بعد فترة معينة من اسلحة الصف الثاني ، او ان تصبح عديمة الفاعلية في مواجهة الاسلحة الاحدث . وتفرض كذلك وجود تناسق في انواع وكميات الاسلحة التي يتم الحصول عليها . فما هي قيمة وجود قوة جوية متضخمة في الوقت الذي تنعدم فيه امكانية حراسة الشواطيء او الحدود

البرية . وتفترض ايضا امكانية استيعاب هذه الاسلحة ووضعها في الخدمة الفعلية .

ان مواكبة التطور لا تعني بالضرورة الحصول على « اشهر » انواع الاسلحة ، بقدر ما تعني الحصول على الاسلحة المناسبة . فاشتهار الفانتوم في المنطقة لا يعني أنها افضل الطائرات للمتطلبات العربية ، واشتهار الميراج على اثر حرب حزيران لا يعني بان الحصول عليها كفيل بحل كل المشاكل العسكرية المتعلقة بتحرير الاراضي المحتلة . فقد تناسب طائرة الفانتوم الطيران الاسرائيلي بسبب حمولتها الضخمة من المواد الحربية ، وتركيز الاستراتيجية الاسرائيلية على الحملات النفسية وعمليات الردع مثلا ، وقد لا تناسب في الوقت ذاته القوات الجوية العربية ، ربما بسبب الكميات الهائلة من الذخيرة التي تصرفها ، او بسبب عدم القدرة على استيعابها بسبب تعقيدها او بسبب تكاليف استخدامها وصيانتها . ولا تعني كذلك الحصول على اكثر المعدات الالكترونية تعقيدا . بقدر ما تعني الحصول على الوسائل التي تنسجم مع الخطط الرامية لتحقيق الاهداف العسكرية الاستراتيجية للدولة . فحصول اسرائيل مثلا على طائرات « توم كات » يلزم القوة العربية باستنباط الوسائل لمكافحتها ، وقد تكون هذه الوسائل الحصول على طائرة أخرى في مستوى هذه الطائرة ، او اسلحة لضربها ، او تدابير لاتقاء قصفها .

ان وضع دول العالم الثالث ، ودول منطقة الشرق الاوسط المتخلفة في مجال صناعة الاسلحة المتطورة ، يضعها دوما في مرتبة التبعية لتطور الاسلحة في الدول المتقدمة . وهذا ما يجعل من المستحيل متابعة التطور دون وجود تعاون صادق بين الدول الصناعية المتطورة ودول المنطقة ، وفي حين كان التعاون بين دول الكتلة الشرقية وبعض الدول العربية صادقا الى حد كبير ، وقد اهتز هذا التعاون في مصر بعد اخراج السوفييت منها ، وكذلك الحال بالنسبة للتعاون بين الولايات المتحدة واسرائيل ، فقد اتسمت سياسة الدول الغربية لتسليح الدول العربية الاخرى بالمراوغة، في محاولة للتوفيق بين مصالحها في المنطقة والتزاماتها بالمحافظة على الكيان الاسرائيلي . وقد تغاضت سياسة بعض الحكومات العربية عن وسائل التحايل الغربية ، واظهرت ضعفا كبيرا في استخدام المصالح الغربية في المنطقة كاداة للضغط على هذه الدول واجبارها على انتهاج سياسة تتمشى مع المصالح العربية العامة.

والتعاون بين الدول المتطورة والدول النامية ليس العامل الوحيد في القدرة على ملاحقة تطور الاسلحة ، فهناك امور اخرى مهمة مثل وضع البلد الاقتصادي وقدرته على دفع ثمن الكميات الضرورية من الاسلحة ، مع التأثير بأقل ما يمكن على خطط التنمية والتصنيع في البلد .والاستيعاب الجيد للاسلحة المتطورة للمحافظة على مستواها، حتى لا ينخفض هذا المستوى نتيجة سوءالاستخدام بسبب النقص في التدريب .

وقد تمكنت الدول النامية ذات الانظمة السياسية القوية من مواكبة تطور الاسلحة باتباع وسائل بسيطة وفعالة ، في الدفاعوالهجوم والتعامل مع المعدات الحديثة . فكانت حرب الشعب التي تركز على مصادر القوة المتوفرة في الدولة وتستغلها افضل استغلال . وتجدر الاشارة الى ان حرب الشعب لا تهمل كليالمعدات الحديثة المتطورة — ولا تجعلها همها الاول في الوقت نفسه — فقد استخدمت فيتنام في حربها مع القوات الامريكية والحليفة الصواريخ المضادة للطائرات والدبابات واحيانا الطائرات ، بنسب تتكافأ مع قدراتها الاقتصادية والبشرية . هذا الاستخدام الذي انطبع بالفهم الكامل لحقيقة دور الاسلحة في الصراع .

ان سباق التسلح في الدول النامية امر تحكمه قوانين علمية معروفة تتعلق باقتصاد هذه الدول، وقدراتها العلمية والتقنية ، ومدى ارتباطاتها السياسية مع الدول الصناعية ، والاستراتيجية التي تبناها الدول النامية في مواجهة عدوان الدول الامبريالية المتطورة صناعيا او الدول الدائرة في فلكها والمنفذة لسياساتها والمدعومة من قبلها بقوى عسكرية متقدمة . بالاضافة الى تعلقها بحقيقة القوى الموجودة في البلدان الناميةوامكانية استخدامها لقلب ميزان القوى العام في الصراع لصالحها ، وكل هذه امور لا بد لمخططي سياسات التسليح العربي من اخذها بعين الاعتبار والا كانت صفقات الاسلحة كلها قطرة ماء تغوص في صحراء رملية .

تقرير عن
الارهاب الصهيوني الامبريالي
ودور الشرطة والاعلام الفرنسيين فيه

زياد عبد الفتاح

في مقدمة مكثفة ومختصرة نستطيع ان نقول ان الارهاب هو قتال غير عادل يقوم به طرف ليس له قضية عادلة وعلى العكس من ذلك تماما بأن القتال العادل من اجل قضية عادلة ليس ارهابا وانما هو نضال عادل . ودائما وعلى مر العصور ارتبط الارهاب بهذه المعادلة . فالشعوب التي قاتلت عبر التاريخ من اجل حريتها والمقاتلون الذين خاضوا على امتداد الزمان والمكان قتالا ضاريا من اجل انتزاع الحرية لشعوبهم ليسوا ارهابيين لانهم يقاتلون من اجل قضية عادلة . اما الذين يقاتلون من أجل التحكم في مصائر الشعوب ومن أجل احتلال الاراضي التي تقف عليها هذه الشعوب فهم لا شك ارهابيون . وسواء اتخذ القتال طابع العنف والتصفية أو لم يتخذ وسواء كان على شكل حرب شاملة او كان على شكل تصفيات فردية فانه يظل قتالا تحكمه المعادلة السابقة . فهو ان كان في سبيل قضية غير عادلة ارهاب وهو ان كان في سبيل قضية عادلة نضال .

وربما كان لا بد لي من هذه المقدمة المختصرة والمكثفة وانا بصدد الحديث عن الارهاب الصهيوني الذي بدأ ينثر نفسه عبر عواصم العالم مستهدفا المناضلين فلسطينيي الهوية وآخرهم كان المناضل الجزائري الفلسطيني الشهيد محمد بوديا الذي اغتالته المخابرات الصهيونية والامبريالية في باريس يوم ١٩٧٣/٦/٢٨ .

ولقد وقع في ذهني ان توضيح هذه القضية هو مهمة اساسية وملحة بعد أن بدا ان الكثير من الحديث من حول الارهاب يحاول جادة وبشراسة الاتجاه نحو الفلسطينيين عبر حملة عالمية تتزعمها الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية الامبريالية.

محمد بوديا الجزائري الفلسطيني لم يكن ارهابيا لا حيث كان في باريس يقاتل من اجل انتصار الشعب العربي الجزائري ولا حيث كان يناضل في صفوف الثورة الفلسطينية بعد ذلك . ومحمود الهمشري الفلسطيني أيضا لم يكن ارهابيا لا حيث كان في الارض المحتلة يقاتل من اجل انتصار ثورة الشعب العربي الفلسطيني ولا حيث كان في باريس يناضل من أجل انتصار قضية الثورة . ولا وائل زعيتر الذي اغتيل في روما كان ارهابيا . ولا محمد سامي ابو الخير الذي نسف بعبوة صهيونية متفجرة في فندقه بقبرص كان ارهابيا . وكذلك الشهداء القادة الثلاثة ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ليسوا ارهابيين . فكل هؤلاء كانوا يقاتلون بالعنف الثوري من اجل قضية عادلة وهم اذن ليسوا ارهابيين . وعلى العكس من ذلك، دايان وبارليف وأهارون ياريف وكل قادة وزعماء العدو الصهيوني ارهابيون لانهم يقاتلون من اجل قضية غير عادلة ولانهم يحتلون ارض شعب وأرض أمة دونما حق أو عدل .

وكذلك فان نيكسون عندما شن غاراته على فيتنام وكمبوديا ولاوس كان ارهابيا ، ولانه يزود العدو الصهيوني بأدوات الدمار يقتل بها أبناء أمتنا وشعوبنا فهو ارهابي . ولا يمكن ان تكون الامبريالية الا ارهابية مجرمة ذلك لانها تقاتل بالعنف من اجل استثمار الشعوب واحتكارها ، ومن أجل اخضاعها لسيطرتها .

هذه نقاط أولية أوردتها حتى لا يقع في خاطر أحد ان الارهاب الذي تثيره الامبريالية من حول

الشعب الفلسطيني يمكن ان يخلق الاحساس بالارهاب او عقدة الارهاب لدى الشعب الفلسطيني. هذا من الزاوية الاولى . أما من الزاوية الثانية فقد أردت أن أضع أمام القارىء نقطة ضوء تقوده ليتبين بوضوح لماذا ان الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي شاركا الصهيونية الاسرائيلية في جرائمها الارهابية ضد المناضلين الفلسطينيين فوق الارض الفرنسية فالامبريالية هي الامبريالية مهما تعددت مواقعها وأساليبها . والقضية في النتيجة هي قضية مبادىء يقوم عليها هذا النظام او ذاك وليست قضية تكتيكات معينة تتبعها هذه الدولة او تلك .

*

هل كانت الصدفة المحضة هي التي جمعت بين توجيه نبأي مصرع كل من الشهيد محمود الهمشري والشهيد محمد بوديا ليسيرا في نفس القناة يؤديان ذات الغرض والهدف ؟؟

هذا تساؤل وضعناه في الواقع للمناقشة أكثر مما قصدنا به ان يكون استفسارا نطرحه على الحكومة الفرنسية وبالتحديد على قيادة البوليس الفرنسي ، او حتى على جهاز من اجهزة الاعلام الفرنسي .

قال اول نبأ خرج من باريس عن مصرع الشهيد محمود الهمشري صبيحة يوم الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٧٢ ان محمود الهمشري وهو أحد قادة منظمة فتح وممثلها في باريس قد أصيب اصابات بالغة في انفجار وقع في بيته . وأضافت وكالة الانباء الفرنسية التي أوردت النبأ الاول عن اصابة الشهيد الهمشري ان مصادر البوليس قد ذكرت أنه أصيب عندما كان يقوم بتركيب متفجرات في بيته فانفجرت به وأدت الى اصابته بجروح بالغة ...

ثم مضى ذلك اليوم كاملا وتلاه يومان آخران قبل أن تخرج عن مصادر البوليس الفرنسي بعض الرواية الحقيقية لاصابة الشهيد الهمشري وذلك بعد أن كشفت مصادر منظمة فتح ومصادر أصدقاء الشهيد وزوجته عن الطريقة التي أصيب بها الشهيد .

ولعلنا لسنا بحاجة الى اعادة سرد الرواية الكاملة تفصيلا ولكنه من المفيد كثيرا ان نذكر أن الشهيد الهمشري قد أصيب كما ثبت من التحقيقات على مختلف المستويات والمصادر نتيجة انفجار عبوة ناسفة تم تركيبها اسفل الطاولة التي وضع عليها جهاز الهاتف وأوصلت بسماعة الهاتف حتى اذا ما انطلق رنينه ورفعت السماعة انفجرت العبوة الناسفة لتحدث أثرها المطلوب . وتبين بما لا يدع مجالا للشك ان ايدي المخابرات الصهيونية كانت وراء مصرع الشهيد الهمشري . كما تبين ان البوليس الفرنسي قد قصر في حماية الشهيد خاصة وان وكالات الانباء ومصادر البوليس الفرنسي قد ذكرت قبل ذلك بحوالي ست وثلاثين ساعة انه تم القبض على اثنين من الاسرائيليين بالقرب من بيت الشهيد الهمشري بعد أن هشما بسيارتهما احد رجال البوليس الفرنسي الذي اعترضهما حين أثارا شبهته وهما يحومان حول بيت الشهيد !!..

وعلى نفس الاسلوب وبنفس الطريقة ... قال أول نبأ خرج من باريس عن مصرع الشهيد الجزائري الفلسطيني محمد بوديا ان محمد قد لقي مصرعه اثر انفجار متفجرات كان يحملها بسيارته ... واضافت وكالة الانباء الفرنسية التي نقلت النبأ عن مصادر الشرطة الفرنسية ان محمد بوديا لقي حتفه عندما كان يزمع الانطلاق بسيارته التي كان يحمل بها المتفجرات وذكرت انه كان احد اعضاء جبهة التحرير الجزائرية كما أفادت بأن من المعتقد ان يكون محمد بوديا عضوا في منظمة أيلول الاسود !!

وفوق هذا ذهبت محطة اذاعة **رانتانتر** الفرنسية الى أبعد من ذلك فذكرت عن سابق اصرار وعمد وبعد نصف ساعة من الانفجار الذي ذهب ضحيته الشهيد محمد بوديا وبالتحديد في الساعة الحادية عشرة والنصف من ظهر يوم الحادث ٦/٢٨ ، ذكرت ان شخصا جزائريا يسمى محمد بوديا لقي حتفه في حادث انفجار سيارة بالحي اللاتيني قبالة كلية العلوم وأضافت انه من المرجح ان يكون عضوا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومنظمة أيلول الاسود . غير ان نفس المحطة عادت في الساعة الواحدة من ظهر نفس اليوم لتقول ان محمد بوديا كان احد قادة الفدائيين الذين توجهوا الى (اسرائيل) عام ١٩٧٠ في مجموعة مشكلة منه ومن اثنين من الفتيات للقيام بالعديد من العمليات في تل ابيب وقالت انه فيما بعد اصبح عضوا في جماعة أيلول الاسود وانه كان على أهبة نقل بعض المتفجرات غير انها

انفجرت عندما هم بالانطلاق بسيارته .

وفي الحقيقة فان الامر لم ينته عند هذا الحد بمحطة **فرانس انيتر** الفرنسية فقد أضافت الى ذلك قولها ان محمد بوديا هو المسؤول عن المظاهرات المضادة والصدامات مع البوليس الفرنسي مساء يوم الخميس ١٩٧٣/٦/٢١ واتهمته بتسليم وثائق ومخططات الصدام الى عضو في المكتب السياسي للعصبة الشيوعية .

على أي حال لنقف طويلا قبل ان نستطرد مع سرد ما قيل بعد ذلك عن الشهيد محمد بوديا وذلك بعد ان وضعنا الصور متقابلة تتيح لنا الاجابة الموضوعية عن ذلك التساؤل الذي طرحناه في بداية هذا المقال هل هي الصدفة المحضة هي التي جمعت بين توجيه نبأي مصرع كل من الشهيد محمود المهشري والشهيد محمد بوديا ليسيرا في نفس القناة يؤديان نفس الغرض والهدف ؟!؟

ثمة نقطة نود أن نثير من حولها الكثير من الضوء قبل ان نبدأ في التحليل واستخلاص النتائج مترتبة على المقدمات : نقطة تقع في صميم فن الاعلام او علم الاعلام الذي ازداد اعتماده في السنوات الاخيرة على الدراسات النفسية للرأي العام والذي وصل في بحثه عن أقصر الطرق للتأثير في هذا الرأي الى تكريس عشرات ومئات المعاهد لدراسته ضمن تقسيم هذا الرأي العام الى أوروبي وآسيوي وافريقي ... الخ .

ولقد ثبت بالتجربة ومن خلال الدراسات النفسية ان الرأي العام الاوروبي بشكل خاص يتأثر تأثرا واسعا بالخبر الاول فهو يرسخ في الذهن وتجري عليه ومن حوله التحليلات والتعليقات ويأخذ مداه واسعا بين أوساط الرأي العام بحيث ان اية اخبار تأتي بعده مصححة له تحتاج الى فترة زمنية كبيرة نسبيا لتمحو آثاره. **فيفقد بذلك الحادث الذي شوهه الخبر الكثير من سخونته وتتبدد معظم شحنات صداه ويضيع في زحمة الاحداث التالية له وهي كثيرة كثيرة في عالم اليوم الذي اختصره التطور الذي طرأ على وسائل الاتصال ليستحيل الى قرية صغيرة يطير النبأ الى كل فرد فيها بسرعة البرق كما يقولون .**

هذه النقطة الهامة أردنا ان تكون نقطة توضيح ضرورية قبل أن نبدأ التحليل اذ انه على أساسها بنت أجهزة المخابرات الصهيونية وبعض الدوائر الضالعة مع هذه الاجهزة في الشرطة الفرنسية وبعض اجهزة الاعلام الفرنسي فلسفتها العملية في تضليل الرأي العام الاوروبي والعالمي .

هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى فاننا سوف نحتاج هذه النقطة بالتحديد أثناء الاسطر المتأخرة في هذا المقال لنوضح لماذا تراجعت اوساط الشرطة الفرنسية الضالعة مع المخابرات الصهيونية وكذلك أجهزة الاعلام الضالع منها مع نفس المخابرات عن الرواية الاولى لمصرع الشهيدين محمود المهشري ومحمد بوديا وأيضا كيف تراجعت هذه الاوساط والاجهزة الضالعة !!

بعد هذه المقدمات جميعها ، وهي مقدمات ضرورية ، نقول : هل ان الشرطة الفرنسية وهي أول من تمكن من دخول منزل الشهيد المهشري بعد دقائق من وقوع الانفجار فيه وهي ايضا ضربت ستارا من حوله ولم تسمح لاحد على الاطلاق باستثناء المحققين الشرطيين ، هل كانت عاجزة عن اكتشاف الحقيقة ... حتى يخرج النبأ من مصادرها كاذبا مضللا ومغالطا ؟!

نبادر الى الاجابة في زاويتين فنقول :

انه من وجهة النظر الاولى فان وسائل الكشف والتحقيق العلمية اصبحت تتيح للمحققين حتى في البلدان المتخلفة امكانية بناء نظرياتهم على أسس علمية تتفادى بنسبة ساحقة الخطأ حتى في أعقد الجرائم ارهابية كانت أو غير ارهابية **فكيف في بلد متقدم كفرنسا وكيف في جريمة يفترض ان ضحيتها واحد من المناضلين البارزين الذين تتصيدهم المخابرات الصهيونية اناء الليل واطراف النهار ؟!**

ثم الم تعترف الشرطة الفرنسية ذاتها بأنها قبضت على اثنين من الاسرائيليين كانا يحومان حول بيت المهشري قبل الحادث الارهابي بأقل من ست وثلاثين ساعة ؟

اذن لماذا لم تفترض الشرطة الفرنسية اغتيال محمود المهشري قبل أن تفترض انه كان يصنع المتفجرات ؟!

سؤال قد لا يحتاج الى اجابة .

ثم ، ومن وجهة النظر الثانية ، فان ما أصيب من الشهيد محمود المهشري كان رجلاه وأجزاء من بطنه واسفل ظهره . اما صدره ووجهه فكانت الاصابات فيهما خدوشا . وأمام هذا كيف يمكن

تفسير هذا الامر لدى حتى ابسط انسان !.. هل كان يقتنع اي واحد مهما بلغت سذاجته ان انسانا ينكب على تركيب متفجرات يستعمل فيهـا يديه ويدقق فيها بعينيه . ألا تتأثر يداه ويتشوه وجهه وعيناه تشويها ما بعده تشويه؟ **ان وضع المتفجرات تحت منضدة الهاتف في بيت الشهيد محمود الهمشري هو الذي حمى وجه محمود وحمى يديه وأعلى الصدر والظهر وأحدث الاصابات البالغة برجليه.**

فهل غاب ذلك حقا عـن المحققين الفرنسيين المشهورين بالفطنة والذكاء ... حتى يصدر النبأ الاول عن الشرطة الفرنسية ومن أتيح لهم من رجال الاعلام الفرنسي (عن قصد) نقل النبأ أن يوجهوا النبأ بأن محمود الهمشري اصيب نتيجة انفجار متفجرات كان يقوم بتركيبها في بيته ؟!!

ثم ان نفس الامر مع الشرطة الفرنسية يتكرر ، وبعد شهور فقط من الحادث الارهابي الذي تعرض له محمود الهمشري ...

هل كانت بعض أوساط الشرطة الفرنسية لا تعلم ان الشهيد محمد بوديا قد لقي مصرعه نتيجة حادث ارهابي مدبر حتى صدرت الخبر بمشاركة بعض العاملين في اجهزة الاعلام الفرنسي على ان بوديا لقـي هذا المصرع نتيجة انفجـار متفجرات كان يحملها بسيارته ويزمع ان ينفذ بها أمرا ما !!!

لنناقش هذه المسألة كذلك : من وجهة نظر أولى نقول ان اي انسان يحمل متفجرات فـي سيارته او حتى في حقيبته يفترض ان يكون عالما بكيفية استعمال هذه المتفجرات وخاصة في حالة الشهيد بوديا الذي كان مناضلا بارزا في حركة التحرير الوطني الجزائري ثم تجاوز نضاله الوطني الى نضال قومي بل الى نضال عالمي في مواجهة العنصرية الصهيونية والامبريالية .

فهل يمكن ان يكون استنتاجا يمكن احترامه في اوساط الشرطة الفرنسية ان تنفجر المتفجرات من تلقاء نفسها ؟ ألا ينبغي ان تفترض الشرطة على الاقل ان الشهيد كان قد نزع صاعق المتفجرات حتى يصل الى هدفه لو صح انه يحمل المتفجرات ؟

ثم ومن وجهة النظر الثانية فان الانفجار وقع في مقدمة السيارة وبالتحديد تحت المقعد الذي يجلس عليه الشهيد خلف عجلة القيادة فهل وضعه هو تحت مقعده جاهزا للانفجار ؟! أم وضعه بجانبه على مرأى من الفضوليين وغير الفضوليين ؟!

لا نعتقد ان الذين صدروا النبأ مـن اوساط البوليس الفرنسي كانوا على هذا الوجه مـن الغباء .

واذن فان تصدير النبأ على هذا النحو مقصود. واذن ليس مصادفة على الإطلاق ولا يمكن ان يكون مصادفة تصدير النبأين في قضيتي محمود الهمشري ومحمد بوديا على نفس النحو وفي ذات القنـاة لا سيما اذا اخذنا بالاعتبار نقطة التوضيح التي أوردناها في سطور المقال السابقة وأكدنا مـن خلالها ان النبأ الاول هو الذي يحكم التصورات وردود الافعال .

ولكن ، لماذا لجأت مصادر الشرطة الفرنسية وبعض اجهزة الاعلام الفرنسي الى هذا الامر ولماذا صدرت المسألة على هذا النحو ؟ الاجابة عن هذا السؤال فيما نعتقد وهي قد باتت واضحة بعد كل ما أوردناه من ايضاحات وتساؤلات هي ان هناك في أوساط الشرطة الفرنسية من شاركوا المخابرات الصهيونية في جريمتها الارهابية كما ان هناك في اجهزة الاعلام من هم أكثر تواطؤا ومشاركة .

ويقينا فان المشاركة تبدو واضحة بكثير من الحدة اذا اجرينا قراءة سريعة للدور الذي قامت بـه الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي عقب الحادث الارهابي المجرم الذي تعرض له المناضل محمـد بوديا والذي كان بتدبير المخابرات الصهيونية ـ كما سنثبت بعد قليل ـ وأودى بحياته .

١ ـ بعد ان اعلنت اوساط الشرطة الفرنسية نباأها الاول زاعمة فيه ان بوديـا لقي مصرعـه بفعل انفجار متفجرات كان يحملها في سيارتـه وكان يزمع اخفاءها .

وبعد ان حملت وكالة الانباء الفرنسية هـذا النبأ وحملته معها محطة اذاعة فرانس موزعة اياه على اوسع نطاق ، بدأت حملة اعلامية مكثفـة وسريعة لتغطية من هـو محمد بوديا ضمن مـا تريده الصهيونية العنصرية . فقد قالت محطـة الاذاعة الفرنسية فرانس انتر من ضمن ما قالته ما يلي : ان محمد بوديا الجزائري الجنسية كان عضوا في جماعة ايلول الاسود وان له نشاطـا واسعا في جميع اوروبا حيث كان ينقل المتفجرات ويخطط لاعمال العنف .

هل كانت الاذاعة الفرنسية في هذا تريـد ان تثبت في ذهن الرأي العام الفرنسي والعالمي أن

بوديا كان ارهابيا وانه يستحق المصير الذي لقيه ؟؟.

يبدو انه لا يمكن لاثنين الاختلاف على ذلك خاصة وان المعلومات التي اوردتها الاذاعة الفرنسية هي معلومات مخابرات وليست معلومات اجهزة اعلام . بل انها معلومات مخابرات معادية هي المخابرات الصهيونية على وجه التحديد والا فكيف يكون بوديا كل هذا والاذاعة الفرنسية وابسط الصحف تعلم بمن يكون ويبقى حرا طليقا يتجول في فرنسا كيف شاء ؟.

٢ — كان مانشيت صحيفة لورور الفرنسية فيأول عدد يصدر لها بعد استشهاد المناضل بوديا وهو عدد التاسع والعشرين من حزيران كما يلي :— « احد قادة ايلول الاسود يقتل باحدى قنابله » وليس هذا فحسب بل ان الصحيفة ابرزت صورة كبيرة للشهيد كانت قد وزعت من قبل البوليس الفرنسي اثناء حرب التحرير الجزائرية للبحث عنه . فهل كانت صحيفة لورور التي خلصت في المقال الذي كرسته للتحدث عن محمد بوديا كارهابي الى المطالبة بطرد العرب عامة والفلسطينيين خاصة من فرنسا لكي تظل فرنسا أرضا محايدة — على حد تعبير الصحيفة — .. هل كانت هذه الصحيفة بعيدة عن التواطؤ ؟ والا فكيف يمكن تفسير ان تطالب الصحيفة بطردالعرب والفلسطينيين حتى تكون ارض فرنسا ارضا محايدة ؟. هل اصبح الوضع مقلوبا الى الحد الذي يطالب معه بطرد الذين يتعرضون لجرائم الارهاب في الوقت الذي ينبغي فيه المطالبة بطرد رواد واساتذة الارهاب الصهاينة العنصريين ؟!!

٣ — كرس كل من الصحفيين الايطاليين فيليب بارتوربه وكلود جونيك من ايطاليا مقالا فريدا للحديث المغالط عن الجريمة الارهابية التي تعرض لها الشهيد محمد بوديا . فقد جاء في المقال ما يلي : « منذ ثمانية اشهر والاحداث الغريبة تتدافع وتتلاصق في فرنسا ولم تضع الحربالسرية اوزارها بين (المخربين) الفلسطينيين والمخابرات الاسرائيلية فبعد مقتل محمود الهمشري وباسل القبيسي جاء دور محمد بوديا احد قادة منظمة ايلول الاسود لينقل بعض المتفجرات التي انفجرت عندما كان يفكر في اخفائها » !!

ويضيف المقال : « لقد قيل ان محمد بوديا لا يوجد له اثر على الاطلاق في فرنسا الى ان جاء يوم ٢٨ حزيران ليزيد اللغز تعقيدا ، لقد لاحظت السلطات السويسرية وجوده في جنيف منذ اشهر وقد قدم خصيصا لتسليم بعض المعدات لمجموعات من المخربين ازمعت القيام ببعض العمليات التخريبية وخاصة في النمسا حيث كان من المقرر تفجير المكان الذي ينزل فيه اليهود السوفيات المهاجرون الى اسرائيل . انه من الغريب واللامعقول ان يتمكن ارهابي عالمي من هذا النوع ان يتحرك داخل العاصمة الفرنسية بكل حرية الى ان لقي حتفه يوم الخميس » !!

يبدو بالفعل اننا أمام جهاز مخابرات متكامل يتحرك على نحو ما ويخطط لتغطية هذه القضية بما ينسجم وما تريده الصهيونية .

ان الصحفيين الايطاليين اللذين كتبا للصحف الفرنسية هذا المقال ما كان يمكن ان يكونا من البراءة بحيث يمكن حمل كلامهما على محمل حسن النية .. فالمعلومات التي اورداها حول بوديا لو صحت فهي معلومات مخابرات ، لقد علمنا عن عملية في النمسا ضد اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل تتبعنا ذلك على وكالات الانباء والصحف والاذاعات قبل شهور ولكن احدا لم يقحم اسم بوديا في هذه العملية بل ان اسم بوديا لم يرد في اية عملية أخرى ولم تتسلط عليه الاضواء الكثيفة او حتى الباهتة فكيف حصل الصحفيان الايطاليان على كل هذه المعلومات وفي اقل من اربع وعشرين ساعة بعد مصرع الشهيد بوديا ؟

٤ — كتبت صحيفة لورور الفرنسية مقالا من تل ابيب في عددها الصادر في الثلاثين من الشهر الماضي اي بعد مصرع الشهيد محمد بوديا بيومين قالت فيه ما يلي : « ان بوديا لقي مصرعه عندما كان ينقل بعض المتفجرات داخل سيارته وان مثل هذه الحوادث كثيرا ما تقع ولا يسلم منها حتى كبار الاخصائيين والمحترفين في المتفجرات، وقد ... تأكد لنا ان بوديا كان من اكبر اخصائيي المتفجرات في منظمة ايلول الاسود !! »

ماذا ارادت صحيفة لورور ان تقول وان تثبت؟ هل كانت تريد ان تقول غير ان الشهيد محمد بوديا كان من اكبر الارهابيين العالميين ؟

نعتقد اننا من خلال هذه القراءة استطعنا ان نخلص الى ما نريد وهو تأكيد التواطؤ بين اوساط

في البوليس الفرنسي والاعلام الفرنسي وبين المخابرات الاسرائيلية في كل من قضيتي الشهيد محمود الهمشري والشهيد محمد بوديا .

لكن هل كان دور الاعلام والشرطة واحدا ، أم كان لكل دوره ؟ في الحقيقة فان هذه النقطة بالغة الاهمية لانها تتيح كثيرا من الحديث عن الهدف الذي تحقق او الذي اريد تحقيقه عبر قضيتي الشهيد الهمشري والشهيد بوديا . ونستطيع ان نقرر من خلال التحليل ان دور الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي لم يكن دورا واحدا وانما كان لكل دور . غير ان ذلك لا يمنع من تكامل الادوار بل ان هذا التكامل اكيد بالتحليل كذلك .

فماذا كان دور الشرطة الفرنسية ؟ ثم ماذا كان دور الاعلام الفرنسي ؟

لنأخذ قضية الشهيد بوديا لانها اقرب من حيث الزمان اولا ولان ما يترتب عليها ثانيا ينسحب على قضية الشهيد الهمشري .

ولقد كان دور الشرطة الفرنسية ان تقرر مصادرها ان عملية الاغتيال الذي تعرض لها الشهيد بوديا قد حدث بسبب متفجرات كان يحملها في سيارته لتنفيذ امر ما — والمقصود طبعا القيام بعمل ارهابي — ثم تترك بعد ذلك للاعلام المعني ان يسترسل في التحليل والتضليل بناء على ما اذاعته مصادر الشرطة .

والشرطة الفرنسية لا تستطيع ان تستمر في روايتها المغالطة طويلا والا تعرضت لازمة قد تودي بالعديد من كبار ضباط الشرطة لا سيما واننا لا نستطيع ان نقرر في اي الاحوال ان قيادة الشرطة الفرنسية كلها ضالعة في تشويه هذه القضية كما اننا لا نستطيع ان نفترض ولو للحظة ان الداخلية الفرنسية عميلة للمخابرات الصهيونية . واذن فانه كان لا بد للشرطة الفرنسية ان تعود عن روايتها وفي وقت مبكر قبل ان يفتضح امر المتواطئين فيها وقد حدث ذلك بالفعل يوم الثالث من هذا الشهر اي بعد ثلاثة ايام فقد ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » كما ذكرت وكالة رويتر من باريس يوم الاول من شهر تموز الحالي « ان الشرطة الفرنسية قد تراجعت عن قولها السابق بأن محمد بوديا قتل بانفجار قنبلة كان ينقلها بسيارته وعادت مصادر الشرطة الى القول بأن محمد بوديا تعرض لعملية اغتيال » .

لماذا فعلت الشرطة الفرنسية ذلك . نفهم التواطؤ في ذلك ويقودنا اليه التحليل ولكن ما هو الهدف ؟

الهدف كما تشير اليه كل الدلائل والمقدمات هو تجنب الانعكاسات الحادة التي يثيرها عادة مثل هذا الحادث في اوساط الرأي العام الفرنسي وهو مطلب قد يبدو فرنسيا يخدم الشرطة الفرنسية غير انه في الحقيقة مطلب صهيوني يبتعد بالصهيونية عن السخط الفرنسي ثم العالمي عليها لارتكابها جريمة ارهابية يرفضها الرأي العام .

والهدف كذلك اتاحة فرصة من الوقت تنشط فيها الدوائر الاعلامية المعنية والمجندة لتقوم بالمهمة او الدور الذي كرست له .

وفي الحقيقة فان دور الشرطة ينتهي عند هذا الحد في هذه المرحلة اذ لا تملك الشرطة ان تستمر طويلا في اخفاء الحقائق . غير ان للشرطة دورا اخر هو دور اسدال الستار على الجريمة الارهابية وقيدها ضد مجهول . وان من يستعرض تاريخ الشرطة الفرنسية في هذا المجال سوف يكتشف انه امام الكثير من حوادث القيد ضد مجهول خاصة في جرائم الارهاب التي يتعرض لها الفلسطينيون والعرب . فاغتيال المهدي بن بركة المناضل المغربي العربي العالمي الفذ واغتيال المناضل البطل محمود الهمشري واغتيال المناضل البطل باسل الكبيسي كل هذه الاغتيالات التي تمت فوق الارض الفرنسية قيدت ضد مجهول وجميعنا يذكر ان قضية المهدي بن بركة رغم تدخل اعلى السلطات الفرنسية في محاولة منها للوصول الى الحقيقة ورغم ان كثيرا من خيوط الجريمة طرحت نفسها امام المحققين الفرنسيين الا انها قيدت في النتيجة ضد مجهول وانتصر في فرنسا تيار رجال الشرطة المجندين لصالح الامبريالية الامريكية والصهيونية والرجعية العربية .

واذن فاننا نستطيع ان نستبق كل الزمن في قضية اغتيال المناضل محمد بوديا ونؤكد بكل يقين بأن قضيته سوف تقيد ضد مجهول ثم سوف يسدل عليها نفس الستار الذي اسدل على قضية الشهيد محمود الهمشري والشهيد باسل الكبيسي .

هذا عن دور الشرطة الفرنسية . اما عن دور الاعلام الفرنسي ، وهو قد مهدت له الشرطة

الفرنسية اوسع تمهيد ، فهو يتمثل في التركيز على ان الشهيد محمد بوديا هو ارهابي عتيد وانه كان يحاول الانطلاق بسيارته حاملا المتفجرات لتنفيذ عملية ارهابية فوق الارض الفرنسية .

وفي الحقيقة فقد قام الاعلام المجند بهذه المهمة خير قيام . فمن مقالات كرست كلها للحديث عن بوديا رجل ايلول الاسود القائد والذي يحمل فوق كتفيه وفي طيات ملابسه شحنات المتفجرات ، الى مقالات تحدثت عن عمليات تربستا وعملية محاولة نسف اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل في النمسا الى عمليات دخول الارض المحتلة للضرب في كل مكان من هذه الارض !!

لقد صورت الصحافة الفرنسية الرجل على انه اسطوري وساهمت اسرائيل في هذا التصوير عبر المقالات الفرنسية التي اكسبت محمد بوديا ثوبا خرافيا وهميا هو اقرب الى الجيمس بوندية منه الى دور المناضل الفذ .

اننا ندرك اهمية الرجل . نفهم انه المناضل الذي تجاوز حدود الوطن الجزائر ليصبح مناضلا قوميا وعالميا غذا . غير ان تصويره على هذا النحو الذي صور به تصويرا مفرغا من المحتوى النضالي الشامخ الذي كان يشحن ذاته الفذه فيه محاولة خبيثة للاساءة الى الرجل المناضل ووصفه بالارهابي العالمي بدل المناضل العالمي الفذ ...

لقد ارادت اوساط اجهزة الاعلام الفرنسي الضالعة في التآمر في قضية اغتيال المناضل بوديا ان تمتص النقمة الفرنسية والعالمية على اغتياله بيد اساتذة الارهاب ورواده من الصهاينة فأمعنت فيه تشويها وتضليلا حتى يقول المواطن الفرنسي ان محمد بوديا نال ما يستحقه .

ونعتقد اننا قد اوردنا من الامثلة ما يكفي لتوضيح مهمة الاعلام الفرنسي ولكننا لم نورد بعد امثلة عن الصفات الاسطورية التي اسبغت على الشهيد محمود بوديا بواسطة الاعلام الفرنسي .

تقول صحيفة لورور الفرنسية في عددها الصادر يوم الاول من شهر تموز (يوليو) ١٩٧٣ وفي مقال لها من تل ابيب ما يلي : « لم تخف الاوساط الاسرائيلية ان بوديا لقي مصرعه على يد محترفين من اليهود الذين وضعوا تحت كرسي سيارته قنبلة فريدة من نوعها ومتطورة وذات خصائص عدة لعل اقلها ان القنبلة تنفجر قبل ان يهم السائق بدفع المحرك يضاف الى هذا انها تنفجر بواسطة الضغط وبدون حاجة الى تركيب اسلاك او ساعة توقيت » .

وتقول صحيفة لورور في مقال لمراسلها من تل ابيب ان جولدا مئير كانت تصف الرجل بانه « ذو المائة وجه » ... وتضيف بان اهارون ياريف (الارهابي الاول في الكيان الصهيوني) وصف محمد بوديا بأنه الرجل « ذو اللحية الزرقاء » .

ويقول الصحفيان الايطاليان اللذان اتينا على ذكرهما في السطور الماضية « لقد لاحظت السلطات السويسرية وجود بوديا في جنيف منذ اشهر وقد قدم خصيصا لتسليم بعض المعدات والمتفجرات لمجموعات من المخربين ازمعت القيام ببعض العمليات التخريبية . وخاصة في النمسا !! » . ويضيف الصحفيان : « انه من الغريب واللامعقول ان يتمكن ارهابي عالمي من هذا النوع ان يتحرك داخل العاصمة الفرنسية بكل حرية الى ان لقي حتفه يوم الخميس » .

هل كان هناك من هدف لكل هذه الاقوال التي انفجرت في الايام الثلاثة التالية لمصرع الشهيد محمد بوديا غير تكريس بوديا على انه ارهابي عالمي ومخرب دولي يستحق ما لقيه تماما ؟!. ان من يتمعن التوازي في ابراز ذات المعنى وذات الصفات على محمد بوديا سوف يخرج بالتأكيد بهذه النتيجة .

لقد صور الاعلام الفرنسي والصهيوني بوديا على انه أسطورة . (جولدا مئير قالت عنه الرجل ذو المائة وجه وأهارون ياريف قال عنه الرجل ذو اللحية الزرقاء) ... ماذا يعني هذا غير محاولة وصف الرجل بالاسطورة ، بالجيمس بوند او بغير ذلك وبالتأكيد ؟.

ان الذي يتنقل عبر عواصم اوروبا يظهر فجأة في مكان ليظهر فجأة ايضا في مكان اخر وعاصمة اخرى هو بالتأكيد اسطورة . ولكن ماذا بعد ذلك مما قالوه عن بوديا . قالوا بوديا الارهابي العالمي الذي كان يحمل المتفجرات الى المخربين لنسف اليهود المهاجرين السوفييت في جنيف . وقالوا عنه الرجل الذي قتل باروخ كوهين رجل المخابرات الصهيونية في مدريد . وقالوا عنه الذي

كان يريد ان ينفذ العمليات الارهابية في باريس على الارض الفرنسية وفي جنيف على الارض السويسرية وفي تريستا على الارض الايطالية ، وفي غيرها من الاماكن . واذن فالرجل جيمس بوند في اساليبه ولكنه مجرم في ممارساته . هكذا اراد الاعلام الفرنسي او بالتحديد اوساطه الضالعة مع الصهيونية والامبريالية ان تصور الشهيد .

الهدف دفع الرأي العام الفرنسي والاوروبي والعالمي للحقد عليه ، وتشويه صورته ثم تصديق حكم الموت فيه . والابتعاد بالارهاب الصهيوني عن شبهة الارهاب ، بل التصفيق لهذا الارهاب الصهيوني الذي صفى ارهابيا عالميا .

هذا كان دور اوساط الاعلام الفرنسي المتواطئة مع الارهابية الصهيونية . وهو دور خطير وقذر استطاع فعلا ان ينجح في امتصاص اصداء الجريمة الارهابية ليحولها الى عملية مكافحة للارهاب الذي نادى بمكافحته الرئيس الامريكي نيكسون في العام الماضي ليمزز للمخابرات المركزية المبرر الذي يمكنها من المشاركة في الارهاب .

ولكن بعيدا عن هذا كله ، ماذا كان بوديا ؟. اين كان يقف ؟ ومن هو الرجل في سجل التاريخ المعاصر للامة العربية ؟

بوديا كان الانسان الفنان والمناضل . ولم يكن على الاطلاق كما وصفته المخابرات الصهيونية والمركزية يتخفى وراء المسرح لينفذ مهماته النضالية . كان يعيش حياته النضالية بعمق وشموخ النضال في ذاته متجاوزا بذلك نضاله الوطني في الجزائر نحو آفاق الثورة القومية والعالمية .

مناضل دفع الى النضال بكل ما يملك وكرس له حياته المتعددة الفذة . وحتى عندما غادر بوديا الجزائر متوجها الى باريس بعد انتصار الثورة الجزائرية وبعد ان عمل في الجزائر مديرا للمسرح الوطني فيها فانه لم يكف عن النضال في الوقت الذي لم يكف فيه عن تكريس جزء من حياته للمسرح . فالفن كان الوجه الثاني للحياة الشامخة التي عاشها بوديا اعطاه ما اعطى للنضال على التوازي وبنفس القدر . كان الانسان المناضل بشموخ مثلما كان الانسان الفنان بعظمة وبعمق .

ولعل ما ذكرته عن الشهيد محمد بوديا مديرة مسرح باريس الغربي بعد مصرعه بساعات يعبر تعبيرا حقيقيا عن بوديا الانسان المناضل والفنان اين كان يقف من هذا الانسان وذاك .

قالت مديرة مسرح باريس العربي بعد يومين من استشهاد بوديا لصحيفة الفرنسوار ما يلي : « ان نشاطات بوديا ومواقفه السياسية لم تكن تخفى على اي كان فالكل يعرف انه كان من كبار رجال حركة التحرير الوطني الجزائرية في فرنسا اثناء حرب التحرير الجزائرية . وكان لا يخفي عداءه للامبريالية مهما كان مصدرها ولذلك فان تأييده ووقوفه الى جانب المقاومة الفلسطينية ونضاله من خلالها لا يمكن نكرانه ، غير ان الرأي القائل بأن بوديا كان ارهابيا لا يخضع لاي منطق. ان مقتل بوديا خسارة جسيمة للمسرح ثم انه خسارة جسيمة ايضا للنضال لا تقل خسارة عن خسارة المهدي بن بركة ... »

*

بعد الحديث عن وقائع الارهاب الصهيوني الامبريالي الاخيرة بشكل مفصل في قضيتين بارزتين اخترنا لهما الارض الفرنسية كمقال اوردنا من خلاله مشاركة اوساط البوليس الفرنسي والاعلام الفرنسي سواء في التمهيد لهذا الارهاب والمساعدة على تنفيذه او في التغطية له من ضمن حملة التشويه التي عملت على تصوير الارهاب على انه عمل مشروع ، نرى انه لا بد من ترتيب النتائج النظرية التالية كما ثبتت من خلال المقدمات التي طرحنا .

١ — لا يمكن في الواقع الفصل كثيرا بين هذا النظام الامبريالي او ذاك رغم ما قد يبدو من فوارق بين الانظمة الامبريالية .

صحيح ان السنوات الاخيرة قد اظهرت تحسنا في الموقف الفرنسي عموما تجاه القضايا العربية الا ان هذا التحسن يظل يسحب نفسه على صعيد المناورة اكثر منه على صعيد المبادىء الثابتة . فالامبريالية ايا كان شكلها وموطنها تقف في ذات الموقع من قضايا الشعوب العادلة بحكم مصالحها الاحتكارية وبحكم ارتباطاتها المصلحية مع الامبريالية العالمية . ومن هنا فان تحرك الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي في كل قضايا الارهاب التي تعرض لها المناضلون في الثورة الفلسطينية فوق الارض الفرنسية منسجم بأمانة مع الدور الذي كرسته له الدوائر والمؤسسات الامبريالية . على انه

يجب ان نوضح ان هناك فرقا بين الاعلام الفرنسي الرسمي او المرتبط بالدوائر والمؤسسات الامبريالية الاخرى وبين الاعلام الذي يصدر عن الاحزاب والقوى التقدمية الفرنسية والذي ساهم، منسجما ايضا مع نفسه ومن مواقعه التقدمية ، في شجب الارهاب الصهيوني الامبريالي وفضحه .

٢ — ان الاعلام والدعاية الامبريالية اكدت في قضية بوديا وقضية الهمشري وغيرها من القضايا الارهابية الاخرى انها مع الصهيونية دون تردد وذلك من واقع كون الصهيونية جزءا من الامبريالية وان المصالح الامبريالية والمصالح الصهيونية مرتبطة ارتباطا عضويا يحتم وقوف كل منهما في ذات الخندق الاعلامي والسياسي والاقتصادي والعسكري . وان العالم مقسوم الى جبهتين على وجه التحديد جبهة الشعوب والجبهة المعادية للشعوب وفي كل بلد من العالم تنطبق هذه القسمة .

وعلى صعيد الجبهة المعادية للشعوب تقوم الدوائر الامبريالية بتعزيز جبهتها وبتخويف البرجوازية من الثورة مكرسة في ذلك كل جهدها لتشويه حقيقة الثورات وتصويرها على انها حركات ارهابية .

وهذا يفسر بالضبط لماذا تشيع الدوائر الامبريالية حملة عالمية على الارهاب الموهوم والمزعوم والذي تركز مؤخرا على الثورة الفلسطينية وذلك كي تمارس ضمن اوسع قناعة للبرجوازية الاوروبية ارهابا على المناضلين والثوار يتمثل بالتصفية الجسدية لهؤلاء .

اما على صعيد جبهة الشعوب فان القوى التقدمية والوطنية في العالم تبذل نضالات يومية متلاصقة من اجل تعزيز مواقعها ومن اجل هدم المزاعم والمساعي الامبريالية ولقطع دابر الارهاب الصهيوني الامبريالي الذي يتستر في ممارسته للارهاب تحت ستار الحملة العالمية التي تثيرها الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية لمكافحة الارهاب الموهوم والمزعوم .

٣ — ان القتال من اجل قضية عادلة والنضال من اجل حق الشعوب في تقرير مصيرها هو قتال ونضال عادل وشريف وان اطلاق الارهاب عليه ليس سوى بدعة امبريالية لتفادي حقيقة الارهاب الذي تمارسه ولكي توقع في الاذهان بأن ارهابها ليس سوى مكافحة للارهاب .

وليست دعوة نيكسون التي اطلقها في العام الماضي لمكافحة ما اسماه بالارهاب العالمي الا خطوة على طريق تبرير الارهاب الذي تصدره الامبريالية الامريكية والصهيونية للشعوب المناضلة وللمناضلين في سبيل الحرية في العالم .

٤ — ان الفلسطينيين ليسوا ارهابيين على الاطلاق ايا كان مسرح نضالهم السياسي والعسكري بل انه لا يمكن على الاطلاق اعتبارهم كذلك لانهم يقاتلون من اجل قضية هي من اكثر القضايا المعاصرة عدالة ...

ان الظلم الفادح والارهاب الشرس الذي تعرض له الشعب الفلسطيني والذي تمثل باقتلاع معظم هذا الشعب من ارضه واحتلالها واستيطانها يجعل للفلسطينيين الحق في ان يخوضوا اوسع اشكال النضال عنفا وصولا الى حقوقهم الطبيعية في الحياة والتحرير والحرية .

واخيرا ، فان قضيتي محمد بوديا ومحمود الهمشري الارهابيتين اللتين كانت الاراضي الفرنسية مسرحهما سوف تظلان شاهد الاثبات القوي الذي يثبت تآمر الشرطة الفرنسية والاعلام الفرنسي على المناضلين الفلسطينيين وعلى النضال الفلسطيني . وسوف تظلان شاهد اثبات كذلك على ان الامبريالية هي الامبريالية اينما وجدت وحيثما تكون ارضها ...

مراجعات

سميح القاسم ، مراثي سميح القاسم ، (دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٣)

في « الموت الكبير » رسم سميح القاسم دائرة تحركه الشعري . فلقد استطاع ان يجمع تجربته الشعرية كلها . وان يعيد صياغتها في توقيعات غنائية ، يقصد رسم الحلم الفلسطيني من خلال التركيز على مفاصل المعاناة الشعبية ، عبر استعارات واسعة من الغناء الشعبي وعبر الاحاطة بالموضوعات الكبرى ، الموت ، الحزن ، النضال .. غير ان دائرة القاسم الشعرية بقيت ضمن الاطارات التي رسمها الشعر القادم من الارض المحتلة . فالتجربة الشعرية هي عبارة عن تلخيص مكثف لعلاقة الشاعر بشعبه عبر التركيز على العلاقة بالارض بوصفها الرحم والنعش في آن معا . تجربة القاسم الشعرية فعل ايمان بالجماهير . فالشعر ليس زخرفا يعيش على هامش ممارسة الحياة . انه عودة اصيلة الى الجذور . فالشاعر ، يريد أن يستجمع جميع اوتار الوعي الشعبي ليضرب عليها تقاسيمه الخاصة . انه ارادة اندماج بحركة الجماهير ، بحياتها الواقعية ، حيث يعود الشعر الى القبيلة تعبيرا عن مصلحتها الجماعية ورقصا احتفاليا امام أحداث الكون الكبرى . من هنا ينكسر الشعر امام الواقع . وتصير اللغة هي الام التي تدور حول ثديها حركة الاطفال دورة لا تنتهي . على هذه القاعدة كانت العلاقات داخل القصيدة الواحدة ومن خلال مجموع القصائد مكشوفة وغير متعرجة. فالخطوط تتوازى او تتقاطع لكنها لا تتشابك . فالواقع حين يعود وينغرس في القبيلة يصبح بسيطا وشفافا . ولا حاجة الى تفسيره . ودخول الشعر عالم الواقع ليس محاولة لتفسير هذا الواقع او للنسج حوله . انه يدخله كي يعيش في وسطه بكل بساطة .

حول هذه القاعدة صار لشعر الارض المحتلة هذه الشعبية الكاسحة . فالجماهير الخارجة من هزيمة حزيران عادت لتكتشف وعبر المقاومة الفلسطينية احساسها القومي « الصافي » . ورأت في المقاومة طريقا الى القتال الذي حرمت منه طويلا . فجاء الشعر الفلسطيني ليعبىء فراغا احدثه ضمور الحركة الشعرية الحديثة وتراجعها في عملية بحث عن الذات ليس الان مجال دراستها او تقييمها . فكان الشعر الفلسطيني هو شعر الواقع الجديد وهو صوت المرحلة الثورية الرومانسية الوليدة . غير أن الاندفاعية الجماهيرية سرعان ما بدأت تصطدم بعقبات جدية. وسرعان ما بدا ان الواقع الذي اعتقدناه واضحا عشية حزيران هو اكثر تعقيدا مما تصورنا . وأن ثورة الشعب الفلسطيني لا بد لها من تفهم العلاقات التي تعيش وسطها كي تستطيع تجاوز حقول الالغام المزروعة امامها. هكذا كان الشعر الفلسطيني مواجها بمصيره الفني . فالدائرة التي رسمها سميح القاسم سرعان ما بدا ضرورة تجاوزها . فالواقع المعقد يرتسم في الافق والشعر لا يستطيع ان ينسج نفسه خارج دائرة الواقع وعلاقاته . واذا كانت القصيدة فعلا تاريخيا بمعنى انها ترصد اكثر الروافد عمقا في حركة الواقع ، فان خطابية المرحلة الاولى بدأت تتفتت . وبدا أن الشعر يستطيع ان يكتشف لنفسه دورا خارج التحريض المباشر .

و « مراثي سميح القاسم » هي محاولة لكسر الدائرة هذه . فالقاسم يتخلى عن خطابيته القديمة. ليعتلي عرش النبوة المأساوية مستعيرا صوت مأساوية المدو في « مراثي ارميا » وطارحا صوته الذي ينتظر الميلاد . ففي نهاية مراثيه يرفع القاسم صوته لينتظر الميلاد :

« الاضواء الاقدام الاجراس
الصحف الالات الموسيقى

الاعلام الاعياد
الميلاد
انتظر الميلاد
ها انذا .. انتظر .. الميلاد .. »

يعود الشاعر الى نقطة الصفر . الى الوقوف في أعلى الجبل منتظرا في حزن الميلاد الذي لم يأت .

ان مراثي القاسم تعبر عن نقطتين :

١ — من جهة اولى ينكسر الشعر بين يديه . فالشاعر الفلسطيني ، يعود الى تاريخ عدوه ويتداخل مع مراثي ارميا حيث تصل النجيعة اليهودية الى أعلى مراحلها . فمراثي ارميا هي قصائد شعبية يهودية كتبت بعد السبي سمتها الغالبة شعور مأساوي عميق . وتطلع الى الرب الذي ترك شعبه يسحق تحت ضربات الامم . فحين يستعيد القاسم مأساة عدوه . فانه يصل الى ذروة المأساة . انها المأساة المستلبة الكاملة التي تعود فتنسكب في مآسي العدو . حيث يجد الانسان العربي نفسه محاصرا من جميع الجهات. مراثي القاسم هي مراثي الحصار .

« عصرنا جماجمنا في التراب ، اندغمنا ، اندثرنا
وعدنا سنابل بعض السنابل
ليأمن سادنك الكهل شر الغوائل
وجعنا كثيرا عرينا كثيرا ومتنا كثيرا
ولكن شكرنا
اردت .. فماذا تريد ؟ »

حالة الحصار لها شكلها الخاص في القسم الاول من القصيدة نرى الشاعر يتكيء مباشرة على التراث الشعري المأخوذ من التوراة حيث نتذكر مزامير داود وصوت سليمان الحكيم . وحيث الصورة الشعرية هي تتابع للفعل الانساني في حركته باتجاه الخالق . هذا التتابع يأخذ عند القاسم شكلا نثريا ، لانه تتابع رتيب . فالشعر ينفلت من الضوابط الداخلية . والصورة الشعرية تتمدد على مساحة شاسعة تفقد معها قدرتها على الايحاء . والواقع ان القاسم يريد ان يعبر عن واقع يتلاشى . لكن الجملة الشعرية حين تتلاشى عنده فان تلاشيها ليس متوتر النبرة . انه تلاش انهياري . لكنه لا يعيش داخل الانهيار . يعيش على حافته . لذلك فانه يضطر الى شحن هذا التلاشي بالصور القديمة التي يستعيدها القاسم من كتاباته السابقة .

« هو العار حتى الضحى
أو هو النوم حتى الجريمة
... تناسل اذن يا كلام الجرائد
تناسل اذن يا ذباب المقاعد »

٢ — من جهة ثانية يعود القاسم الى استعارة القضايا الكبرى « الغضب ، الحزن ، الغربة » هي الموضوعات التي تشكل خلفية القصيدة الطويلة . فالشاعر ، حين يضع نفسه ، في مركز النبوة . فانه يقوم في الواقع بحركتين متناقضتين. من جهة يبتعد عن شعبه ، ليدخل في لعبة الحلم من طرف واحد ومن جهة جهة ثانية فانه يحاول أن يكون في ابتعاده ضمير شعبه وصوته. هذه الحركة في اتجاهين متناقضين تعطي القصيدة ، توترا عالي النبرات ، يسمح للشعر ان يصل في اكتشافاته نحو اعماق مأساة شعبه ، لكن القاسم عوض ان يذهب في اللعبة الى نهايتها فانه يتوقف في منتصف الطريق . رؤيته النبوية لا تستطيع ان تصل الى مرحلة تفكيك الواقع ، سحقه واعادة بنائه . بل تتوقف عند الحد الفاصل بين الحلم النبوي والواقع الظاهري . وتعود الى الدائرة نفسها التي تحاول القصيدة كسرها . فيعود الى « أبواب الامم المتحدة (او غير المتحدة) » ويغرق في معاملة وصفية مع قضيته ناسيا البعد الذي حاولت القصيدة ان ترسمه في بدايتها.فتغرق الرؤية النبوية في سطح الواقع. تقوم بحركات متسارعة تحرك هذا السطح ولا تصل الى اعماقه . فتفقد القصيدة عمقها وتتمدد على مسافات طويلة من الورق في حركة دائرية . والواقع ان القاسم حاول ان يخترق هذه الحركة الدائرية باستعماله صورا ناشفة « صلعة الكون » مثلا . والمراد بهذه الصور حرق المساحات المنخفضة في القصيدة واعادة شحنها بالانفعال ، عبر كسر توازن القاريء المستسلم لحركة القصيدة . لكن هذه الصور بتناثرها عبر القصيدة وبعدم قدرتها على التتابع في خطوط مستقيمة متوالية افقدها قدرتها المفترضة على الايحاء الانفعالي . فجاءت محترقة قبل اشتعالها ، ولم تستطع ان تفجر في القصيدة تداعيات انفعالية تفترضها نقطة انطلاق القصيدة نفسها .

« ... ها انذا ، يا نافخ الارواح
في جثث البذار
ها انذا وحدي على الاسوار

مئذنة مهجورة
نبتا جحيميا بلا ثمار »

هكذا يلخص القاسم مأساته أمام مأساة شعبه. وهو هنا يحاول ان يعيد جمع طرفي المعادلة التي دخل فيها . ويستطيع عبر اسطر صغيرة ومكثفة في حجمها الانفعالي ان يضعنا في قلب المأساة . وان يعيد ترتيب الواقع انطلاقا من المأساة التي يحاول أن يتغلغل في داخلها كما تغلغلت في داخله. ويوالي سميح القاسم نسج قصيدته على هذا المنوال . فاذا بنبوته المفترضة تتحول الى حركة داخلية لا تستطيع التعامل مع الذات ، فتخرج الى الموضوع وتعيد صياغته مجددا وتحاول ان تعيد رسم اطاراته .

في القسم الاخير من قصيدته ، يحاول القاسم ان يعيد صياغة الماضي ، بعيني الطفل ووعي المسافة التي تفصل دفء الطفولة عن برودة الواقع. فاذا به في رثائه لطفولته ، يتحول الى شاهد للمأساة دون ان تتدخل شهادته في صياغة هذه المأساة . فالمأساة تتحول الى واقع ساخر .

« في طفولتي اشترت لي أمي قبعة
فاصبحت بحارا انجليزيا
واشترى لي ابي قميصا
فأصبحت احد رجال الكيبوتس » .

هذه السخرية الحارة،تحيل البسمة التي ترتسم على طرف الشفتين الى شعور بالانسحاق امام فداحة ما يجري فتعيد الطفولة رسم الواقع من زاويتها هي . ويركض الشاعر من هذا المنطلق ليرثي الطريق فاذا به يتمدد « ممزقا بين التفاحة والحجر والوطن » . وحين يرثي نفسه ، فانه لا يرى سوى الجثة الممددة والبندقية المكسورة امام الزوجة الناظرة الى الوديان حيث يصهل جواده الابيض . ثم حين يرثي الجندي المجهول والذين لم يموتوا بعد .. فان ابصاره تنشد صوب يوحنا . حيث يرتد المسيح الذي سوف يولد المراثي وتعود حركة التاريخ لتكتشف توجهها نحو المستقبل . وتتساقط المراثي أمام حلم الميلاد الذي سوف يأتي .

حين يستعيد القاسم « مراثي ارميا » ويدخل في اعماق مأساة شعبه عبر مأساة العدو . فانه يقوم في الواقع بمحاولة اختراق متكاملة للجدار الذي يفصل بين الحلم والفجيعة . والواقع ان الشعر الفلسطيني حاول ان يمد جسرا بين واقع التشرد الذي يعيشه الشعب الفلسطيني وبين اساطير التوراة . لكن « مراثي سميح القاسم » هي اول محاولة متكاملة لكسر هذا الجدار . ومحاولة الدخول الى العقل المأساوي الجماعي في توجه يريد تدمير الذات في الواقع . تمهيدا للميلاد الذي ننتظره . والذي بدأ صوته يعلو من حنجرة يوحنا .

غير أن محاولة الوصول الى الهدف تصطدم عند القاسم بالعديد من العقبات .

فهو **اولا** بقي مترددا بين الدخول في النبوة الحقيقية وبين الاطارات القديمة التي ميزت شعره السابق . فلم تتحقق القفزة النوعية في بنية القصيدة . حيث بقي الخيط الواحد يشد جميع الاجزاء المتناثرة . ولم يستطع الشاعر ان يبعثر وجوه المأساة التي يرثيها . بل بقيت بوجه واحد ولو تلطخت بالدماء في احايين كثيرة .

ولم يستطع **ثانيا** ان ينقل الازمة التي تحيط بمجمل العملية الفنية التي دخلها . فبقيت الازمة على سطح الرؤية الفنية . وبقي التعامل معها خارجيا في مجمله . رغم بعض المقاطع التي تتصف بالكثافة الفنية وبالتنوع الموسيقي والتي لعبت دورا هاما في انقاذ القصيدة من التساقط .

وثالثا لم يستطع الشعر ان يتعارك مع اللغة عراكا فعليا. فبقيت اللغة بنية تتوالى حول الانفعال تنقله بالكلمات الناجزة ، اي ليس هناك بحث عن اللغة الجديدة التي تستطيع ان تشتعل أمام مرثية تحترق فيها الانفعالات وتشدها هندسة البناء الشعري استطاعت ان تحيط بالعديد من هذه الانفعالات . وتصل المراثي الى الازمة . فالشعر الفلسطيني يمر في مرحلة انتقالية صعبة . انه يحاول اليوم ان يجد لنفسه مكانا متميزا تحت سقف خريطة الشعر العربي . وهذه المرحلة مشروعة بمقدار ما هي اصيلة . أي بمقدار ما تستطيع ان تعبر عن تحولات فعلية داخل رؤية القضية من زواياها المختلفة . فالشعر الفلسطيني يحاول ان يتجدد في اتجاه المغامرة الفنية . أي داخل اكتشاف الابعاد المتجددة في الرؤية الفنية نفسها . الشعر ليس عملا سياسيا دعاويا او تعبويا فقط . انه ابتعاد عن الواقع في محاولة للدخول في مغامرة اعادة اكتشافه. وهو بهذا المعنى يكتشف ثوريته بارتباطه بالواقع الثوري في حركته وليس بتجميد هذا الواقع لحظة العمل الفني .

من هنا فهو يرتبط بالطبقات الثورية عبر الالتحام بحركتها ، وبمقدار قدرة هذا الالتحام ان يكون جذريا ، تصبح القصيدة تاريخا متحركا .

غير ان محاولة سميح القاسم تكتسب مشروعيتها من اطار آخر . فهي نسج حول الذات ينفلت من البداية ويغرق في الماضي الفني لسميح القاسم . أي ان الشعر ينكسر امام اطاراته القديمة. فعوض ان تنفجر القصيدة داخل حدود الحلم فانها تلتمع التماعات خاطفة ثم تطفو . فمشروعية محاولة القاسم وان كانت جزءا من محاولة البحث عن مخارج جديدة للشعر وعن دور له ، فانها تبقى مشدودة ضمن الرؤية الفنية السابقة . الخيط الواحد الذي يمتد عبر القصيدة بأسرها . والتوتر الانفعالي الذي يأتي من علاقة الاشياء ببعضها . والتضمينات الكثيرة التي تحاول ان تعطي القصيدة شعرا ممتلئا . والتتابع في ايقاع الشعر الذي يخبو تدريجيا . يعلو في وسط القصيدة امام علاقة الشاعر ـ النبي بشعبه . ثم يعود ليخبو ، تاركا المجال للصور المتلاحقة التي تذكرنا بالتتابعية الوصفية عند الماغوط . لكن تتابعية القاسم لا تمتلىء بهذا الطموح ، لان الشاعر يعود للتدخل بعنف ولا يترك للصور مهمة حمل رؤيته الفنية كما يفعل الماغوط عادة .

تدخلنا « مراثي سميح القاسم » في اشكالية بالغة الغنى والتعقيد . فهي تطرح بعنف مشكلة العلاقة بين الشكل والمضمون . ليس على مستوى سطح هذه العلاقة . بل على مستوى اعماقها . أي على مستوى قدرة الشكل على التغلغل داخل رؤية المنطلق واستيعابه لها في عملية التبلور التشكيلي الذي يرافق القصيدة . والواقع ان الذي يطرح هذه المشكلة هو تردد الشاعر في تعامله مع اللغة ، وامساكه لطرف لعبة التشكيل في القصيدة من الوسط . هذا التردد هو في المقابل دليل على أزمة جدية . أزمة القدرة على البقاء داخل الوعي الجماعي المتبلور حول نقطة الهدف. والنظر الى هذه النقطة بوصفها نتاجا لعملية معقدة . فرؤية المنطلق عند سميح القاسم يدمرها اصراره على ان يبقى محافظا على اشكاله القديمة . لذلك يحاول ان يتداخل مع انجازات الحركة الشعرية المعاصرة ، طالما لا تمس هذه الانجازات الذات الفني الذي بناه الشاعر لنفسه . اي انه لا يقفز في الهواء . يبقى على الارض . ويدرس كل خطوة يخطوها الى الامام بحواسه الخمس . ولا يترك لعلاقته الوجودية بحركة الجماهير ان تكتشف لنفسها طريقا . هكذا تخفت القصيدة . فهي حين تنطلق من ذروة الاوجاع الجماعية التي في « مراثي ارميا » ترسم لنفسها عمقا خاصا لا يلبث ان يطفو ويطفو أمام الصيغ الجاهزة . ولا ينقذ القصيدة سوى العودة الى الغنائيات المكثفة التي طالعنا بها الشعر الفلسطيني في بدايات انطلاقه .

المراثي تتجمد امام طرفي المعادلة الفنية . فالمضمون الجديد يحطم الشكل القديم . والشكل القديم ولو لبس ثياب المزامير او استعار لهجة القرآن ، فانه لا يستطيع ان يتحمل الرؤية الفنية. لذلك فهو يجمدها في مكانها ولا يسمح لها بالوصول الى وجدان القارىء .

تحمل مراثي « سميح القاسم » الما عميقا ، ورؤية مأساوية نادرة . وهي في اشكاليتها الفنية تلقي العديد من الاضواء ، لان اهميتها التاريخية هي كونها تجريبية الطابع . تقف أمام المنعطف ولا تدخله لكنها تطرح المشكلة عبر معاناة حقيقية . انها بداية تستطيع ان تتقدم اذا تغلبت على سطح العلاقات التي تمنعها من التقدم . فنحن لم نعد نقبل ان يكون الشعر الفلسطيني شدا لابصارنا نحو الارض بل نطمح ان يكون توترا طليعيا يحمل الحياة ويضمنا داخل العملية الثورية .

الياس خوري

محمد أديب العامري ، **عروبة فلسطين في التاريخ**
(منشورات : المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، ١٩٧٢)

مقدمـــة :

كثر الحديث عن عروبة فلسطين كما تناولتها شتى الاقلام بأبحاث مستفيضة ــ على أن جل ذلك كان بطريقة اجمالية ، والى درجة ما ، عاطفية ــ وكانت هذه الابحاث على العموم لا تعدو الثلاثة عشر قرنا الماضية ، أي منذ عهد الفتوحات العربية الاسلامية . واما ما كان منها يعود الى ما قبل هذا التاريخ فلم يكن يستند الى الاسس العلمية والمكتشفات الاثرية التـي تثبت حقيقـة عروبة فلسطين ، حتى جاء الاستاذ العامري بكتابـه النفيس هذا (عروبة فلسطين في التاريخ) يجلو الحقائق ويقيم البراهين المحسوسة على صحة عروبة فلسطين منذ أقدم الحقب ، مستندا في ذلك الى مخلفات العصور وآثار الدهور مـن الواح وحجارة ونصب صماء وتماثيل عجماء ، ولكنها على صمتها ، كانت الناطق الصادق ، اذ أنها لا تحور حقيقة ولا تطمس واقعا ولا تزيف صحيحا ، فلا يرقى ادنى شك الى ما تقدمه لنا من معلومات كما كثيرا ما يحدث عـد كتابة التاريخ من قبل ذوي النزعات المتباينة .

وقد كان الحافز الاساسي للمؤلف لدى قيامه بهذا العمل الجليل ، سد الفجوة الواسعة في تاريخ فلسطين القديم ــ تلك الثغرة التي تملؤها الدعاية الصهيونية بما أطلقت عليـه (الوعد الالهـي) و(الحق التاريخي لليهود في ارض فلسطين) ــ دعاية مكنت القوم ، نظرا لاحتكارهم وسائل الاعلام في كثير من اقطار العالم ، من نشر وجهة نظرهم الخاطئة ، فتقبلها جزء لا يستهان به من عالمنا على انها الحقيقة حتى أصبحت الغالبية مـن سكانه (ينظرون الى الفلسطينيين بعيون الاسرائيليين) على حد تعبير المؤرخ الثقة « ارنولد توينبي » .

ميزات الكتاب :

لهذا المؤلف النفيس ميزات جمـة لعل أبرزها القيمتان الآتيتان :

١ ــ انتهاج الاسلوب العلمي الدقيق المعتمد على الوثائق والمكتشفات الاثرية الصادقة ، في خدمة أصحاب البلاد الفلسطينية الاصلاء .

٢ ــ القيمة الوطنيـة : ففيه يجد القارىء العربي ما يقوي انتماءه الى وطنـه وحضارته القديمة .

وليس بخاف ان معظم الكتاب والباحثين وخاصة الغربيين منهم يربط صلة العرب بفلسطين بالثلاثة عشر قرنا الماضية أي منذ عهد الفتوحات العربية الاسلامية فحسب ــ مع العلم ان اقامة ثلاثة عشر قرنا في بقعة ما ، ليست بالامر اليسير ــ فجاء المؤلف يثبت بكتابه هذا ، ان صلة العرب بفلسطين أقدم من ذلك بكثير وانها تعود الى فجر التاريخ ، فقد وجد العرب المسلمون عند فتحهم لفلسطين ، ان سكانها المقيمين فيها مـن مسيحيين وسواهم يمتون اليهم بصلة الدم وانهم عربيو الاصـول والجذور ، وان هذه البلاد لم تكن ــ كما تحاول الدعاية الصهيونية ان تظهر اليوم ــ يهودية على وجه الاطلاق . ومما ساعد الدعاية الصهيونية على ذلك انتشار التوراة بين سكان العالم الغربي بوجه خاص ، فقد غرست في أذهانهم ان اليهود هم فلسطين ، وان فلسطين هي اليهود ، فجاءت الحفريات الحديثة تنقض هذا الزعم بل وتثبت ان ظهور العبرانيين في فلسطين جاء متأخرا بالنسبة للهجرات التاريخية القديمة ، كما وتؤكد ان اقامتهم فيها كانت متقطعة بل هـي اشبه بالغـزوات الطارئة ، جماعات موزعة هنا وهناك ، وزمـر محدودة العدد دونما استقرار حقيقي ، حتى أن ملكهم الموطد في بعض أجزائها لم يتجاوز سبعين عاما (أيام ملكيهم داود وسليمان) ــ وقد لقوا في هـذه الغزوات مقاومة عنيفـة من العـرب (الاسلاف) ، كما يلقون اليوم من (الخلف) وقد أدت هذه المقاومة في السابق الى انهاء الغزو ، والامل معقود ان تكون نتيجة المقاومة الحديثة كما كانت القديمة .

لقد اعتمد المؤلف على الحقائق العلمية المحضة فكان بحثه موضوعيا ، وأبعد ما يكون عن العاطفة المجردة وذلك برجوعه الى :

١ ــ الحفريات الاصلية كما كتبها القائمون بها في عهودهم السحيقة المختلفة .

٢ ــ اخصائيي علوم الاثار بشروحهم ما اكتشفه زملاء لهم ، وجلهم ، ان لم نقل كلهم ، من الاجانب الذين لا يمتون للعرب والعروبة بأيـة صلة ولا

تجمعهم بهم وبها رابطة ما .

وعلى هذا ، جاءت دراسته من هذه الناحية دراسة علمية محضة لا مكان فيها لهوى في النفس، او لعاطفة عرقية ، او نزعة خاصة .

الاقوام التي أمت فلسطين (في قسمين) :

أولا : المستوطنون المستقرون : — وهم الذين خرجوا من شبه جزيرة العرب واستقروا في فلسطين — وأقدمهم العموريون حوالي عام (٣٥٠٠ ق.م) وأكثر ما استقروا في القسم الجبلي من فلسطين ، والكنعانيون حوالي عام (٢٥٠٠ ق.م) واستقر معظمهم في سهول وأغوار فلسطين ، واليبوسيون وهم بطن من الكنعانيين في القدس وما حولها. وقد تداخلت هجرات العموريين والكنعانيين الذين لم يغادروا فلسطين مطلقا — وهنا نجد تحيز المراجع الاجنبية تحيزا واضحا ، اذ لا نكاد نجد فيها ذكرا ولا ربطا لصلة الكنعانيين بالماضي والمستقبل — عكسها في ذلك عندما تتحدث عن العبرانيين فكأنهم فلسطين ، وكأنما فلسطين هم . وهجرة الكنعانيين الواسعة جعلتهم السكان الاساسيين في فلسطين حتى ان اقدم اسم عرفت به هو (ارض كنعان) . ويستشهد الكاتب بما يذكره المؤرخ اوريلي : (ان في حالة فلسطين ما يحمل على الاعتقاد بأن أكثرية الفلاحين الحاليين هم أحفاد من جاء قبل الاسرائيليين) . كما اثبتت الحفريات ان مساكن الكنعانيين تشبه الى حد بعيد مساكن عرب فلسطين في المدن والقرى اليوم . ثم جاء الآراميون فكانت هجرتهم متأخرة عن الكنعانيين وقد انبثق اسمهم من استيطانهم المرتفعات (آرام).

وبعدهم قدم العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي كموجة جديدة تميزت عن سابقاتها بدعوة دينية عالمية ، فأنهت الاحتلال الفارسي والروماني وحررت اهل البلاد الاصليين وهم ذوو قرباهم ، وبقي الكنعانيون يشكلون سواد سكان فلسطين باندماجهم بالعرب المسلمين .

ثانيا : الدخلاء الغزاة : وقد قدموا من جهات متعددة واحتلوا فلسطين أو جزءا منها ثم جلوا عنها — وهم : العبرانيون والفرس واليونان والرومان والصليبيون والاتراك وآخرهم البريطانيون ، واليوم الصهيونيون . ولن يكون مصيرهم خيرا من مصير من سبقهم .

السامية والساميون :

للمؤلف في كتابه هذا فضل كبير في جلاء كثير من الغموض الذي فرضه معظم المستشرقين في موضوع (السامية) و(الساميين) ، فقد قامت هذه التسمية في معظم نواحيها على بواعث عاطفية ، اذ ليس هناك أسس علمية لهذه التسمية . فهي تنسب الى (سام) أكبر أبناء (نوح) . ومن الثابت ان قصة نوح التوراتية لها سابقات في الاساطير السومرية . ولذا يرى المؤلف انه من الافضل استبدال كلمة (سامي) بـ « عربي » و(سامية) بـ « عروبة » و(الشعوب السامية) بـ « الشعوب العربية » . وعلى هذا يتوجب اهمال التسمية الاولى والتمسك بالثانية فهي أدق وأصح علميا ، اذ أن الموطن الاصلي لهذه الشعوب هي شبه جزيرة العرب ، سيما بعد أن أصبحت كلمة (السامية) ذات مدلول (يهودي) وليس الا وخاصة في أوروبا وأميركا .

العبرانيون — اصولهم وأوضاعهم العامة :

المنتشر في العالم اليوم، عن طريق المستشرقين، انهم (ساميون) وانهم من بني العمومة . ويوضح الكتاب أن أصولهم غير صافية ولا معلومة تماما فلا يمكن والحالة هذه ان يقرنوا مع الكنعانيين مثلا لان هؤلاء ذوو أصول عربية واضحة . وقد أصبح من الثابت اليوم بعد ظهور المكتشفات الحديثة ان جماعة (العبيرو) أي « العبرانيين » هم عبارة عن خليط من :

١ — الجنس السامي : وهي الجماعات التي قدمت من الشمال وصحراء سوريه ، ومصر بدليل ان قسما منهم يتميز بالانف الدقيق (السامي) .

٢ — الجنس الهندي الاوروبي : من الحثيين والحوريين وسواهم ، بدليل ان قسما منهم يتميز بالانف الضخم الاقنى (الجتي) .

وقد دلت الدراسات الحديثة والوثائق المكتشفة مؤخرا انهم ذوو أصول متنوعة جدا ومختلفة للغاية بحيث لا يمكن اطلاق اسم (الامة) عليهم ولا يمكن الاعتراف بهم كجماعة تنتسب الى جنس واحد . وحتى التوراة تصفهم دوما (بالغرباء) ولا تحدد لهم أصولا معروفة اذ تعمم ولا تخصص عندما تذكر (ان أصلهم من البرية) او من (الخلاء) او (القفر) . ويستشهد المؤلف بالاقوال التالية للثقاة من المؤرخين وعلماء الآثار في تبيان الوضع

العام (للعبيرو) او (العبرانيين) :

١ ــ الدكتورة كثلين كنيون : « لا يمكن الاعتراف (بالعبيرو) كجماعة تنتسب الى جنس واحد لاننا لا نرى لهم أسماء خاصة تدل عليهم . هذا ولا يمكن ان نقول انهم يحترفون حرفة محددة ، لاننا نراهم أحيانا جنودا محترفين ، وأحيانا عمالا عاديين ، وأحيانا عبيدا مستخدمين . والصفة الوحيدة المشتركة بينهم هي أنهم أجانب أو غرباء ــ عصابات مغامرة وجنود يسعون وراء الكسب ــ مرتزقة زمن الحرب ، وعمال وعبيد زمن السلم ــ وعادة تكون مثل هذه الجماعات ذات أصل مختلط . وقد كان طواف (العبيرو) واقامتهم غالبا في بلاد سامية ولذلك اقتبسوا التراث السامي » .

٢ ــ البروفسور جون برايت : « ان المصطلح « عبيرو » مهما كان مصدره ... لا يرجع في الاصل الى وحدة عرقية ، وانما الى طبقة في المجتمع ــ اية طبقة من الناس ليس لها جنسية ، ودون مكان في تركيب المجتمع القائم . يحيون أحيانا حياة قائمة على الغزو ، وأحيانا يؤجرون انفسهم كجماعة غير منتظمة ، او يقدمون انفسهم عبيدا ».

٣ ــ بروس : « يوصف (العبيرو) كغرباء أعداء أينما ذكروا . وقد درج استعمال هذا المصطلح بمعنى « أعداء » أو « ثوار » او « قوم غير محترمين » . »

٤ ــ مارتن نوث : « عندما يذكر الاسم (عبرانيون) نجد شعبا من أصول متنوعة جدا ، ذا مستوى وضيع وموارد ضئيلة في وسط البلاد المتمدنة في الشرق القديم ، يؤدون الخدمات ويمثلون عناصر متنقلة قلقة لا جذور لها في الارض » .

ولعل أبرز الآثار التي تبرز أصول العبرانيين ووضعهم الاجتماعي هي :

أولا : محفوظات (ماري) : وماري هذه هي عاصمة العموريين الواقعة على ضفة الفرات الاعلى والى الجنوب من مصب نهر الخابور . وقد اكتشف فيها أكثر من (٢٠) ألف لوح بالكتابة المسمارية تعود الى القرن التاسع عشر ق.م وفيها وصف للعبيرو انهم (سراقون نهابون) .

ثانيا : لوحات (نوزي) او (نوزو) : وكانت (نوزو) هذه من أشهر مدن مملكة (ميتاني) التي أسسها الحوريون في الجزء الشمالي من ما بين النهرين ، وتقع جنوبي شرقي كركوك حاليا ، وقد اكتشفت فيها في الثلث الثاني من القرن الحالي (٤٠٠٠) لوحة أثرية بالخط المسماري ترجع الى القرن الخامس عشر ق. م. وفيها ذكر (للعبيرو) انهم « غرباء » وانهم : « مرتزقة يتعاطون اعمال الخدمة والشغل لدى الدولة او الافراد » . ويستخلص من هذه الالواح ان كلمة (عبيرو) مرادفة لـ « مهاجر بائس » .

ثالثا : ألواح سهل البقاع : اكتشفت في السنوات العشر الاخيرة بضع لوحات من الطين المشوي في قرية (كامد اللوز) في سهل البقاع ، بينها رسالتان من ضمن مراسلات تل العمارنة تشيران الى قبائل (العبيرو) وتذكران ان «أفرادها كانوا من جنسيات مختلفة ، واعتبروا بصورة عامة جنودا يدفع بهم للحرب أحيانا ، والقيام بثورات ضد أسيادهم والاستيلاء على الحكم في المدن أحيانا أخرى » .

وخلاصة ما جاء في هذه الآثار اجماع على ان القوم لم يزيدوا على كونهم مرتزقة وانهم جوابو آفاق وغرباء عن كل مكان يحلون فيه ، وتؤيد التوراة (غربتهم) هذه في معظم أسفارها وتكثر من ترددها .

هجرات العبرانيين وعدم استقرارهم :

١ ــ ابرهيم وبسلالته : يعتبر اليهود ابرهيم أباهم الاول وتذكر التوراة انه كان (عبرانيا) وقد خرج مع ابيه (تارح) وابن اخيه (لوط) من مدينة (أور) في جنوبي العراق فتنقلوا بجماعتهم ومواشيهم شمالا حتى (الرها) ثم انتقلوا جنوبا حوالي عام (١٩٠٠) ق.م الى سوريه طلبا للرزق والمرعى حتى وصل بهم المطاف (أرض كنعان) حيث كان العرب الكنعانيون مستقرين منذ قرون طويلة ، وسرعان ما ارتحلوا الى مصر ثم عادوا منها بعد غيبة قصيرة حوالي عام (١٨٥٠) ق.م فاستوطن ابرهيم وجماعته جبال القدس والخليل ، وابن أخيه لوط جنوبي البحر الميت بعد اختصام رعاتهما ، حسب رواية التوراة ، وهذا دليل على انهم بقوا يحيون حياة البداوة ، واكبر دليل على انهم لم يملكوا في فلسطين أرضا ان (ابرهيم) اشترى مدفنه (ارض مغارة المكفيله) من رجل حتي ــ فحتى التوراة ، التي هي ملاذ دعواهم ، تثبت اقامتهم المنقطعة في فلسطين وعدم امتلاكهم أراضيها وتذكر دوما عن ابرهيم (غربته) ــ فكيف تكسبه هذه الاقامة المتقطعة وقومه حقوقا في

البلاد !! ازاء حقوق أهلها المقيمين والمستقرين فيها والمالكين لها منذ فجر التاريخ وهم العرب الكنعانيون .

٢ — **موسى وقومه** : ترك ابرهيم قسما من جماعته في مصر فاستخدمهم المصريون عبيدا وأجراء فظهر فيهم بعد نحو خمسة قرون أي في اواخر القرن الرابع عشر ق.م ، موسى وقادهم الى (أرض كنعان) ليخلصهم من حياتهم الحقيرة . وقد أصبح من الثابت بعد الاكتشافات الاثرية الحديثة ، ان جماعة (العبيرو) هذه ، بقيادة موسى ، كانت تشتمل على عبيد من سائر الاصناف وانهم خرجوا من مصر مطرودين ضمن جماعات (الهكسوس) وصادف خروجهم من مصر ، تحرك جماعات من (العبيرو) في شرقي الاردن وهجومها عبر نهر الاردن على اريحا التي افتتحوها في اوائل القرن الثاني عشر ق.م بعد مشقات هائلة فقد كان لسكان فلسطين المقيمين من عموريين وكنعانيين ويبوسيين (وبني عناق) أي العمالقة — وكلهم عرب — رهبة في نفوسهم وبقوا يلاقون منهم اشد المقاومة حتى انهم لم يستطيعوا فتح القدس الا حوالي عام (١٠٠٠) ق.م. وقوم موسى هؤلاء يمكن اعتبارهم اصل ما اصبح بعدئذ (اسرائيل).

٣ — **مملكتهم** : لم يستطع العبرانيون تأسيس مملكة لهم في الاراضي الفلسطينية الا بعد أن احتل داود القدس (عام ١٠٠٠ ق.م) أي بعد دخولهم البلاد بنحو ثلاثة قرون . واستطاع ان يوسع رقعة ملكه ولكنها لم تتجاوز جبال الكرمل شمالا والخليل جنوبا (بينما بقي السهل الساحلي من شمالي يافا الى جنوبي غزة بايدي الفلسطينيين) على ان هذه المملكة كانت الى درجة كبيرة واقعة تحت سيطرة ، بل وخاضعة أيضا ، للفينيقيين العرب في لبنان ، كما وللحكام المصريين . وحكم بعده ابنه سليمان (٩٦٣ — ٩٢٣ ق.م) فلم يستطع في هذه الفترة ان يسيطر على فلسطين كلها ، وبقي النفوذ الفينيقي والمصري في ايامه كما كان في عهد ابيه . وعلى هذا لم يدم ملكهم هذا على بعض اجزاء فلسطين أكثر من ثلاثة ارباع القرن . وبعد موت سليمان انقسمت مملكته الى مملكتين صغيرتين : مملكة اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة وقد قضى عليها نهائيا ملك اشور سرجون الثاني عام ٧٢٢ ق.م وسبي أفضل رجالها الى ميديا وأتى بقبائل من بلاد بابل وعيلام وسوريه وبلاد العرب لتحل محلهم . والاخرى مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس وقد قضى عليها الملك الكلداني نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م وسبى العظماء من سكان المدينة والبلاد المجاورة لها ، ودمر كل مدينة ذات شأن في مملكة يهوذا ولم يبق فيها الا جماعات من البائسين وظلت كذلك عدة قرون . ولا بد من الاشارة انه في جميع تلك الفترات ، أي زمن هذه الممالك اليهودية الصغيرة ، لم يكف سكان فلسطين الاصلاء وهم من العرب عن حرب الاستنزاف حتى حصروا المملكتين ضمن حدود ضيقة فانحصرت في بضع مئات من الاميال المربعة حول القدس والسامرة حتى لم تكونا في الواقع اكثر من (ممالك مدن City-Kingdoms) وفي احدى الهجمات استطاع اليبوسيون العرب استعادة القدس عام ٨٩٥ ق.م وحكموها فترة من الزمن . وبالقضاء على هاتين المملكتين الصغيرتين تنتهي قصة سيطرة العبرانيين على هذه الاجزاء القليلة من أرض فلسطين ، ولما عادوا من السبي بعد نحو نصف قرن على يد كورش الملك الفارسي ، عارض السكان العرب المقيمون في فلسطين هذه العودة وقاوموهم مقاومة عنيفة لدى محاولتهم ترميم أسوار القدس فأخذوا يهاجمون العمال اليهود حتى اضطر نصفهم الى حمل السلاح لحماية النصف الاخر ليقوم بالترميم . وفي هذه الفترة نجد التوراة تستعمل كلمة (العرب) بدلا من (الكنعانيين) . الا ان اليهود بعد عودتهم من السبي لم يكن لهم أي شأن سياسي فتوزعوا بأعداد ضئيلة مختلطين بالسكان الكنعانيين العرب (الذين لم يبرحوا الاراضي الفلسطينية قط منذ استيطانهم لها من فجر التاريخ) ، يحكمهم الفرس فاليونان فالرومان الذين دمروا هيكلهم سنة ٧٠م. ومنعوهم من الاقامة في مدينة القدس فتشتتوا في الارض وأخذوا يخرجون من فلسطين تدريجيا ، حتى لم يبق منهم فيها في نهاية الحروب الصليبية (أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) أكثر من مائتي يهودي كما يذكر الرحالة (بنيامين توديلا) الاسباني الذي زار بلادنا في تلك الحقبة .

وبعد الفتوحات العربية الاسلامية اي منذ القرن السابع الميلادي امتزج العرب المسلمون بذوي قرباهم من سكان فلسطين العرب الآخرين من كنعانيين وعموريين ويبوسيين وغيرهم ممن لم يبرحوا أرض فلسطين منذ فجر التاريخ فكانوا الاكثرية الساحقة في فلسطين حتى نكبة عام ١٩٤٨.

الشعوب الاجنبية القديمة في فلسطين :

أقامت في فلسطين في العصور القديمة شعوب أجنبية اي ذات اصول غير عربية لفترات من الزمن انتهت اما بجلائها او بانصهارها بالاكثرية العربية. وأهم هذه :

١ ــ **الهكسوس** : وهم قوم غامضو الاصول ، الا انه كانت لهم شهرة واسعة في تاريخ مصر خاصة والهلال الخصيب (ومنه فلسطين) عامة. وأسسوا مملكة باذخة من النيل الى الفرات لم تستمر أكثر من مائة وخمسين عاما من (١٧٣٠ ــ ١٥٨٠ ق.م) كما وجدوا متفرقين ، دون حكم ، نحو ستة قرون واكثر اقامتهم كانت بين يافا وغزة ولكنهم مع الزمن توزعوا في البلاد وذابوا في سكانها العرب .

٢ ــ **الحثيون** : من سكان آسيا الصغرى ومن الشعوب الهندية الاوروبية أسسوا امبراطورية واسعة وصلت في القرن الثالث عشر ق.م الى بابل شرقا ودمشق جنوبا . ولم يمتد حكمهم الى فلسطين ، الا ان جماعات قليلة منهم سكنتها وخاصة في جبال القدس والخليل ولكنها ذابت أيضا في سكان البلاد .

٣ ــ **الحوريون** : اصولهم غير محققة تماما ولو انه يرجح انتماؤهم الى الجنس الهندي الاوروبي. أسسوا مملكة زاهرة في القرن الخامس عشر ق.م في الجزء الشمالي من (ما بين النهرين). وقد اقامت جماعات منهم في جبال نابلس واخرى في شمالي فلسطين ولكن ظل عددهم محدودا ازاء الاكثرية العظمى من سكان فلسطين وهم الكنعانيون ومع مرور الزمن انصهروا فيهم .

٤ ــ **الفلسطينيون** : أصلهم من جزر بحر ايجه فروا من وجه الغزوات الهندية الاوروبية التي هاجمتهم من الشمال واستوطنوا ساحل فلسطين الجنوبي في القرن الثاني عشر ق. م واستطاعوا الانتصار على الكنعانيين المتمدنين الاقوياء الذين كانوا يقاومون ايضا غزوة العبرانيين من الشرق حتى استطاعوا الاستيلاء على الاراضي السهلية الواقعة بين الجبال والبحر واعطوا اسمهم للبلاد بأجمعها ولكن التأثير الكنعاني غلب عليهم فتكلموا لغتهم واقتبسوا طراز حياتهم واتخذوا ديانتهم ، الا ان سلطانهم زال بعد الغزو الاشوري وذابوا كما ذاب غيرهم في سكان البلاد الاصليين العرب الكنعانيين والعموريين وغيرهم .

الخلاصة :

لقد قدم المؤلف الادلة العلمية على أن جميع الاقوام والجماعات التي دخلت فلسطين غازية ومستوطنة لم تستطع ان تؤثر على طابعها العربي الاصيل ، فمنهم من احتل ثم رحل ومنهم من أقام وانصهر بالاكثرية العربية التي استوطنت البلاد منذ فجر التاريخ ولم تبرحها . وبين ما اثبتته الحفريات من رسائل تل العمارنة ولوحات ماري ونوزي ان معظم اسماء الاشخاص والحكام والمدن والجبال والسهول والانهار والمواقع المأهولة واماكن العبادة كانت عربية الاصول نتيجة للهجرات السامية (العربية) القديمة كما شرح كيف بقيت لغة الحديث والكتابة عربية الاصول كنعانية اولا ثم ارامية في الالف الاول قبل الميلاد وفي زمن المسيح ثم حلت محلها لهجة قريش بعد الفتوحات العربية الاسلامية .

هذا ولم يخل الكتاب على نفاسته من هفوات بسيطة لا تنقص من قيمته ولا تضع من قدره ففي الخارطة (صفحة ١٠٩) يبدو نهر العاصي وكأنه ينبع من شمالي سورية ويصب في الشمال من مدينة صور والحقيقة انه ينبع الى الشمال من بعلبك ويصب قرب ميناء السويدية الى الغرب من انطاكية . أما نهر الليطاني فينبع الى الغرب من بعلبك ويصب الى الشمال من صور . كما ورد في (الصفحة ١٦٥) السطر (١٤) « مدينة جبيل شمال صيدا ومع صحة هذا القول فالادق ان يقال انها الى الشمال من بيروت والجنوب من طرابلس اذ انها تقع في منتصف الطريق بين بيروت جنوبا وطرابلس شمالا . كما جاء في (الصفحة ١٥٣) « ولم تمض خمسون سنة .. الخ » مع العلم ان المدة هي (٢٨ سنة) اذ أنها من (عام ٩٢٣ ــ ٨٩٥ ق. م) اي من موت الملك سليمان حتى استعادة اليبوسيين القدس .

هذا ، وفضل الكتاب عميم بما حواه من بحوث علمية دقيقة وحقائق مثبتة بالحجج الدامغة ، فحبذا لو ترجم الى عدد من اللغات الاجنبية الواسعة الانتشار ، فانه بدراسته الموضوعية وبعده عن كل هوى او غرض او دعاية ، كفيل بنشر الحقيقة الناصعة عن عروبة فلسطين امام الرأي العام العالمي وازالة برقع الدعاية الصهيونية المضللة .

قسطنطين خمّار

Inguar Rydberg, **Palestinsk Poesi,** (Fibs lyrikklubb. Stockholm 1972)

هذه هي اول مجموعة من الشعر العربي تترجم الى اللغة السويدية ، بعنوان « شعر فلسطيني » ترجمها مباشرة عن العربية انغفار رودبيرغ ، الذي تعلم العربية في جامعة القاهرة عام ١٩٦٣ ثم واصل دراستها في السويد . ورودبيرغ هو احد الاسكندنافيين القلائل الذين يجيدون العربية وفي الوقت نفسه يعتبر « خبيرا » مطلعا على الشؤون العربية ، كتب يدافع عن القضية الفلسطينية في مناسبات عديدة وفي أكثر من صحيفة . ومن الجدير بالذكر ان رودبيرغ وضع عام ١٩٧٠ دراسة جامعية عن أدب غسان كنفاني والان يضع كتابا عن « الثورات العربية » .

يقول المترجم انه قرأ اكثر من ثلثمائة قصيدة لمختلف الشعراء الفلسطينيين اختار من بينها ثلاثا وثلاثين قصيدة لثلاثة عشر شاعرا (هم على التوالي : شاعر غير معروف ، محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، سالم جبران ، راشد حسين ، فدوى طوقان ، ابو سلمى ، محمد القيسي ، محمد عز الدين المناصرة ، موسى الصرواوي ، حسين حيدر) . وفي المقدمة يفسر المترجم دوافعه لنشر المجموعة هذه : « لقد آن الوقت في السويد لان نعطي الفلسطينيين انفسهم فرصة الكلام ، وان نسمع اصواتهم وآراؤهم مباشرة كبديل للصورة المشوهة التي تصلنا عبر الاخبار المبسطة والمختصرة في وسائل الاعلام » .

وفي تقديمه للمجموعة الشعرية ، يحاول انغفار رودبيرغ تعريف القارىء السويدي على الشعر العربي شارحا باختصار مقتضب ماهية القوافي والاوزان ويعطي فكرة عن غنى اللغة العربية بالمفردات وصعوبة الترجمة الى لغة فقيرة بالمفردات كاللغة السويدية .

ويحاول المترجم ان يرسم خلفية لتطور الشعر فيقول : « ان العرب واجهوا احداثا هامة في النصف الاول من القرن العشرين وكانوا بحاجة لاسلوب جديد يعبرون به عن مظاهر جديدة دون الالتزام باحكام الشعر الكلاسيكي . وكانت هزيمة ١٩٤٨ في فلسطين العامل الرئيسي الذي ساعد على التجديد والتحرر من اشكال التعبير التقليدية واللجوء الى الشعر الحر الذي تبلور كظاهرة ادبية في مطلع الخمسينات ... وبعد هزيمة ١٩٤٨ مباشرة ، ولفترة قصيرة ، ارتبك الشعراء الفلسطينيون ولم يستوعبوا الاحداث فاعتبروها ظاهرة وقتية مؤكدين على أن تحرير الوطن مهمة سهلة وقريبة التحقيق ... ولكن هذه الفترة كانت قصيرة اذ ما لبثت ان اكتسحت الشعر الفلسطيني موجة تشاؤمية دراماتيكية حالمة . ويمكن اعتبار فدوى طوقان ، وهي لم تكن من اللاجئين بل من الضفة الغربية ، أشهر شعراء جيل الهزيمة ... ومعين بسيسو ، وهو لاجيء من يافا ، كان ينحو في شعره الى القاء اللائمة على العرب الاخرين وزعمائهم ويتهمهم باللامبالاة تجاه القضية الفلسطينية .

« ولم يولد الشعر المعبر عن بعث الفلسطينيين بين (شعراء المنفى) ولكن بين اولئك الذين بقوا على أرض الهزيمة ، اسرائيل . اذ برز شعراء بين افراد شعب له جذوره العميقة في الارض ورغما عن السيطرة العسكرية الشديدة برز شعراء عبروا عن المقاومة والصمود والتفاؤل ...

« وتفاعل الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة مع احداث العالم العربي وخاصة حرب السويس واعلان الوحدة بين سوريا ومصر التي مثلت انطلاقا جديدا لامالهم . فبرز شعراء الصمود والتفاؤل في نهاية الخمسينات ومن اشهرهم محمود درويش وسميح القاسم » .

ويقول رودبيرغ بأن الاتجاه الثوري في البداية اتخذ شكل دعوة للخروج على تقاليد المجتمع وعاداته ، فمثلا محمود لم يتعد اكثر من الدعوة للخروج على بعض التقاليد العائلية معالجا العلاقة بين الاباء بالابناء والرجل بالمرأة وتطورت معالجته لموضوع حب المرأة الى معالجة لحب الوطن فلسطين كما في قصيدة (عاشق من فلسطين) .

ويضيف المترجم رودبيرغ « ان روح المقاومة المنبثقة عن الاضطهاد والغربة هي نتيجة التزام تقدمي واضح المعالم عند معظم الشعراء العرب في اسرائيل مثل توفيق زياد وسليم جبران كما هو الحال مع درويش والقاسم ... وعبروا عن التزامهم السياسي بتفاعلهم على المستوى الدولي

معبرين عن مساندتهم لحركات التحرر في العالم » .

ويذهب المترجم في تحليله لشعر محمود درويش بقوله « ان رومانتيكية درويش جعلت منه ثوريا حالما اتخذت اشعاره في بعض الاحيان طابعا صوفيا ... وفي احيان اخرى أصبحت خليطا غريبا يجمع بين الماركسية والرمزية » .

بينما يصف شعر القاسم بكونه « ثورة ضد ما ارتكب بحق شعبه ومعبرا عن الفقر والجوع وعن حياة شعب يعيش قريبا من الموت ... ويقع القاسم في التناقض حين يعبر عن اعتزازه بالاجداد من ناحية وعن يأسه او حتى احتقاره لضعف وتحفظ الجيل السابق » .

وفي محاولة لتحليل ردود الفعل لحرب حزيران وتأثيرها على الشعر الفلسطيني يقول « ... انها تعتبر نقطة تحول للادب العربي وخاصة للشعر الفلسطيني . وفي الواقع لم تظهر تغيرات جذرية او جماعات لها شعارات جديدة ولكن الواقع كان صدمة عنيفة ادى بالشعر ان يحمل مضامين جديدة ... »

... وتجدر الاشارة الى أن مجموعة الشعراء الفلسطينيين في المنفى ، من اولئك الذين برزوا في اواسط الستينات صدموا بنتائج الحرب واصبحوا يشكون من مدى نجوع الكتابة .

وينهي رودبيرغ مقدمته القصيرة عن الشعر الفلسطيني بعقد مقارنة لردود الفعل لحرب حزيران بين شعراء المنفى والشعراء العرب في فلسطين المحتلة فيقول : « وفي الوقت الذي دفعت حرب حزيران شعراء المنفى الى ارتباك شبيه باليأس ، عن روح المقاومة والصمود والايمان بالمستقبل تبقى العامل المميز في انتاج الشعراء العرب داخل اسرائيل » .

وتجدر الاشارة الى ان المجموعة الشعرية هذه حظيت باهتمام الصفحات الادبية لمعظم الصحف السويدية التي اجمعت في امتداح اختيار المترجم للمجموعة الشعرية واعتبرتها بعدا جديدا يكمل الصورة الفلسطينية ... هذه الصورة التي لم تكتمل عند المجتمع العربي بعد .

سمير بوتاني

صدر عن مركز الابحاث كتاب

الدول الاسكندنافية واسرائيل

بقلم

سمير بوتاني

يتحدث الكتاب عن تاريخ اليهود والحركة الصهيونية في الدول الاسكندنافية كما يتناول وسائل الاعلام الصهيوني في هذه الدول الى جانب العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين اسرائيل والدول الاسكندنافية .

سعر النسخة ليرتان لبنانيتان

تضاف اليها اجور البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي

١٠٠ ق.ل. في اوروبة ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

Ben Gourion Parle,
(Ed. Stock, Paris, 1971)

هذا الكتاب يضم مجموعة من التصريحات ادلى بها بن جوريون الى جماعة من السينمائيين ذهبوا الى سدي بوكر في النقب لالتقاط صور فلم خاص « لتاريخ حياة وعصر بن جوريون » .

يتحدث بن جوريون عن تاريخ حياته المقترن بتاريخ اسرائيل ، من طفولته ببلونسك في بولندا الى تقاعده وانزوائه بسدي بوكر في النقب ويدلي باراء عديدة تعكس تصوره لليهود وتشير الى مصادر ثقافته وطريقة تفكيره وتقييمه لدولة اسرائيل حاضرا ومستقبلا وتعطي فكرة عن مفهومه للسلم في المنطقة ونظرته للاجئين الفلسطينيين .

لن نتوقف هنا عند تفاصيل حياة بن جوريون(١) وسنقتصر على تبيين الخطوط المميزة لتفكيره وسياسته من خلال اقواله محاولين نقده والاشارة الى بعض اكاذيبه السافرة .

تشكل سياسة بن جوريون وطريقته في التفكير نموذجا يساعد على فهم الحركة الصهيونية ككل . لئن لم يكن بن غوريون منظرا مثل هرتزل فهو واحد من الذين بلوروا الفكرة الصهيونية وكرسوا حياتهم لتجسيدها . ان مفتاح شخصية بن غوريون هي طفولته . عندما ولد بن غوريون كانت فكرة الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها قد تبلورت ووجدت لها انصارا كثيرين في انحاء عديدة من اوربا الشرقية . كان انجدور جرين والد بن جوريون احد قادة حركة «احباء صهيون» في بلونسك . وكان بن جوريون الطفل يجلس ويستمع الى الحوار الذي يدور بين اتباع الحركة الذين كانوا يجتمعون في منزل والده . ليس غريبا اذن ان نسمع بن جوريون الشيخ يقول : « لا أكاد أذكر حقبة لم تكن فيها فكرة بناء ما كنا نسميه « أرض اسرائيل » ، العامل المسيطر في حياتي. لا ابالغ اذا قلت اني في الثالثة من العمر كنت احلم بالرحيل الى فلسطين ومنذ بلغت العاشرة كنت لا اتصور ان اقضي حياتي في مكان اخر .

ان احداثا مختلفة في طفولتي قد وجهتني الى هذا السبيل . كنت في الثالثة من العمر عندما بدأ جدي يعلمني العربية [...] . عندما كنت استمع الى جدي يقص علي بعض الحكايات اليهودية التقليدية ، كنت أقول لنفسي : « بلونسك ليست وطني الحقيقي . اننا نعيش هنا وسط الاجانب. علي أن انزح الى ارض اسرائيل » . في نفس تلك الحقبة من حياتي قدم هرتزل الى مدينتنا الصغيرة [...] . لقد استقبله أهل بلونسك كأنه المخلص . كانوا يصيحون : « لقد جاء المخلص » . لقد كان لذلك تأثير عميق علينا نحن الاطفال [...] . منذ رأيته كنت على أهبة لترك كل شيء والسير وراءه الى ارض جدودي [...] . في تلك الفترة كان المناخ العام السائد في كل مناطق شمال — شرق الدانوب يحث يهود جيلي على الوصول بالامور الى نهايتها المنطقية : الهجرة الى أرض اسرائيل وبناء وطن يهودي فيها ، بينما كان أهلنا يقتصرون على الحديث عن ذلك ويحلمون وينتظرون تحقيقا سحريا للنبوءات القديمة دون تحريك ساكن . بهذا المعنى كان هرتزل « مخلصا » حقا ، اذ كان يكهربنا ، نحن الشباب ، باقناعنا بأن بناء « أرض اسرائيل » كان شيئا ممكن التحقيق . على أنه كان يضيف أن الشرط الاول لذلك هو أن نذهب هناك ونعمل بأيدينا . (ص ٤٢ — ٤٣) .

لا يخفي بن جوريون انه شخصيا لم يتعرض الى أي اضطهاد بصفته يهوديا . فصهيونيته ليست نتيجة مباشرة للاسامية بل هي حصيلة ثقافته الدينية من جهة وحصيلة التيار الصهيوني الذي كان ينادي بتجريد النصوص الدينية من طبيعتها الصوفية وتحقيق مضمونها الاساسي ، في نظره ، : العودة الى « أرض اسرائيل » ، من جهة اخرى . فبن غوريون يعرف اليهود ليس بالانطلاق من واقعهم كبشر ، كمواطنين في بلد معين بل من خلال كتبهم الدينية . ومن ثم رفض كل اندماج وكل تآزر وتضامن مع الشعوب المضطهدة، هي الاخرى ، التي يعيش بينها اليهود . « ان الكتاب المقدس هو انتدابنا » . هذه كلمة بن جوريون الاولى والاخيرة والتي ظلت جواد نزاله من بدء حياته السياسية الى تقاعده وشيخوخته

---

(١) راجع كتاب **دافيد جوريون** ، تأليف تهاني هلسة ، نشر مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٦٨ . فيه عرض واف لحياة بن جوريون ومواقفه السياسية طيلة ما يزيد عن نصف قرن.

رغم عدم تدينه الذي لا تفوته مناسبة للاعلان عنه. ولا غرابة في ذلك ، اذ أن تلميذ هرتزل يستطيع أن يجوب الارض كلها دون ان يجد رابطا آخر يربط يهوديا اميركيا الى يهودي يمني او يهوديا بولنديا الى يهودي مغربي . فالكتب المقدسة هي كل ثقافة اليهود **طالما يريد ايديولوجيو الصهيونية عـــزل اليهود عن بقية الانسانية** . فعندما يتحدث بـــن جوريون عن يهودي من الدياسبورا يميز بين حياة الشخص كيهودي وحياته كمواطن يعيش في بلد ما. ويرى أن اليهودي يبقى دائما مزدوج الحيـــاة وناقصها طالما لم « يرجع الى ارض الميعاد » . اما الاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه الفـــرد « اليهودي » فهو الفناء نفســـه في نظـــر بن جوريون .

واضـــح ان الكتب المقدسة ليست الا أداة يستعملها الصهاينة بدراية وحنكة لتعميم وعـــي زائف لمشاكل الانسانية بصفة عامة ومشاكـــل الاقليات اليهودية في البلدان المختلفـــة بصفـــة خاصة . وبن جوريون هو في نفس الوقت جـــلاد وضحية هذا الوعي الزائف ، ضحية الايديولوجيا السياسية التي ، مثل الانفصام النفسي ، ليست الا نتيجة لفقدان السيطرة الجدلية على الواقع .

عندما يصبح الانسان أسير تفكير لا عقلاني من هذا النوع فانه لا يتورع عن أي نوع من الكذب والتضليل . كل وسيلة تصبح صالحة لتحقيـــق الغاية . فالايديولوجيا الدينية ــ القومية المتهافتة عندما تنزل الى الارض تصبح مجرد تزوير للوقائع والحقائق التاريخية . وعندما تتسلـــح هـــذه الايديولوجيا تصبح مجرد عدوان . ويرجع هـــذا العدوان بدوره الى مصدره الايديولوجي باحثا عن تبرير لنفسه .

وفيما يلي نماذج لهذا التزوير اللاواعي أحيانا والمتعمد في أغلب الاحيان : « في سنة ١٩٠٦ كانت يافا الباب الرئيسي لدخول فلسطين عندما يأتي المؤمن من الغرب . وبما أن البلاد نفسها كانت احدى نواحي الارض المجهولة ، كـــان بابها ، بالطبع ، متواضعا ! [...] كان الوافد عليها يرى باعة تركيين ، فرنسيين ، وانجليز ، تجارا ارمنيين ، بعض عمال الموانىء ، وبعض **المتسولين العرب** ... » (ص ٥٧) .

« كانت القدس بلدة بائسة تتعاقب فيها الاكواخ القذرة والاثار المتداعية للسقوط . كانت ارض **ما يسمى فلسطين** تكاد تكون جدباء في كل اطرافها . لم يكن فيها من السكان سوى بعض القبائـــل الرحل التي تجوب المناطق الاكثر فقرا في الشرق الاوسط دون احترام للحدود الموضوعية ... » (ص ١٢٩) .

ومن هذا يستنتج بن جوريون ان الفلسطينيين العرب لم يحبوا هذا البلد ابدا وانه « منذ نهاية حكم اليهود لهذا البلد لم ينجح اي شعب آخر في فعل شيء يذكر فيه . لست ادلي هنا بتصريحات « وطنية » او ميتافيزيقية ، اني اشير الى واقع ملموس . لم تكن اسرائيل دولة حقيقية ، مستقلة وقادرة على البقاء الا بين ايدي يهودية » (ص ١٣١) . « كلما حكم اليهود اسرائيل طفحت الارض بالحياة وكلما اخرجوا منها بقيت جدباء » (ص ١٣٢) . وعندما ينطلق بن جوريون من هـــذه « الحقيقة » فانه لا بد ان يصـــل الـــى ان الفلسطينيين ليس لهم ادنى حق على هذه الارض. « انني واع كل الوعي بالحب الذي يكنه كـــل انسان ازاء بلده الخاص . لكن عندما تعلن الدول العربية والوطنيون الفلسطينيون المزعومون بعد عشرين عاما أن السكان العرب كانوا دائمـــا يعتبرون فلسطين كوطن لهم وأن لهم حقوقا عليها كوطن ، فان هذا الادعاء لا يمكن ان يؤخذ مأخذ جد [...] . ان من يريد حججا اضافية على انعدام العاطفة القومية الحقيقيـــة [عنـــد الفلسطينيين] فان التاريخ الحربي كفيل بذلك [...] ان الجندي اليهودي يشعر انه مسؤول على الدفاع عن هذا البلد الذي يعلم انه الوطن الوحيد الذي يمكن ان يكون له. لكن الفلسطيني لا يظهر اي عاطفة من هذا النوع . ولم يشعر بذلك؟ انه يشعر بنفس الراحة سواء في الاردن ، في لبنان او في غير ذلك من البقاع . » (ص ١٣٦).

ولنستمع الى بن جوريون يتحدث عما حققـــه « **الرواد اليهود** » (وهـــو يقـــارنهم بـــالرواد الاوروبيين الذين اكتشفوا اميركا) في هذا البلد المهجور ، الموبوء ، القفر . علاوة على احيـــاء هذا القفار فان الرواد اليهود قد خلقوا بواسطـــة الكيبوتزات « أشكالا ثورية للحياة الجماعية » . ويستطيع بن جوريون ان يقول « دون ان يتهم بالمبالغة ان التجربة الاجتماعية التي يمثلها الكيبوتز جديرة بأن تكون مثالا يحتذى به في بلدان عديدة. اذ أنها المثال الوحيـــد الموجود اليوم لشكـــل ديموقراطي للاشتراكية . حيث تستعمل احـــدث

الطرق الاقتصادية مع المحافظة على احترام الفرد وعلى حقوق الانسان » . لا شك ان كون الارض التي تكونت فوقها الكيبوتزات ارضا مغتصبة لا يغير معطيات القضية في نظر بن جوريون . هذا اذا سلمنا بحقيقة الطابع الثوري للكيبوتزات . اما اذا حكمنا عليها انطلاقا من واقعها فان تصريحات بن جوريون لا تعدو أن تكون مجرد ادعاءات . لسنا نعرف بالضبط رأي بن جوريون في حركة الشباب الاسرائيلي الذي بدأ يدرك حقيقة الكيبوتزات ويثور عليها . لكنه ليس من باب المجازفة ان نتكهن بانه يعتبرها مجرد خيانة .ورغم ذلك الابداع الثوري الذي يتحدث عنه بن جوريون فانه يركز على ارتباط الكيبوتزات بالجيش منذ البداية . لكنه يعزو ضرورة التسلح وتكوين «جيش الدفاع» الى العقلية المتخلفة التي تميز العرب الخاضعين الى « تقاليد صلبة والى قوانين دامية » (ص ٦٩) . لا شك ان نفس هذه العقلية هي المسؤولة عن كل الحروب التي نشبت في المنطقة منذ تأسيس دولة اسرائيل . لكن رغم كل شيء فان بن جوريون المسالم بطبعه لم ييأس من السلم. فهو لا يشك « ان يوما ما سوف تحل مشاكلنا مع جيراننا . ان أجيالا جديدة هي الان بصدد النمو في اسرائيل وفي البلدان العربية . سوف يجد الشبان تفاهما لم يجده اباؤهم واجدادهم لانهم سوف يكتشفون اشياء مشتركة تربط بعضهم ببعض ، خاصة جذورهم المتأصلة في نفس المنطقة من الكرة الارضية . هل سيقبل الشبان العرب ان يستمر النزاع الدائم مع اسرائيل باسم **حرب مقدسة مشبوهة وغامضة الاهداف** فوق أنها تهدد نمو بلدانهم » . ان ثقتي بارادة الشباب المعادية للتقاليد اكبر من أن اعتقد في استمرار هذا النزاع » . (ص ١٧٩ — ١٨٠) .

لئن كنا لسنا أقل ثقة من بن جوريون في ارادة الشباب المعادية للتقاليد فاننا لا نشاطره الرأي عندما يحدثنا عن نوع السلم الذي يوجه اليه الشباب . « اننا لم نشن حرب ابادة ضد العرب الذين دخلوا تحت سلطتنا بعد حرب الايام الستة ، بل بذلنا كل ما في وسعنا للرفع من مستوى معيشتهم . ان يقيننا يزداد يوما بعد يوم في أن هؤلاء السكان لن يواصلوا الحرب ضدنا . لقد امتنعنا عن اجراء اي تغيير على حكومتهم المحلية كلما أمكننا ذلك . لقد أصغينا الى شكاويهم وبذلنا كل جهودنا لمساعدتهم . انهم يتمتعون بحرية التردد على اماكن عبادتهم وبامكانهم ان يبقوا مسلمين طيبين مع احترامهم لقدر أدنى من القوانين التي نرى أنفسنا مضطرين الى اخضاعهم اليها . بصفتهم سكانا أسرى فانهم يعاملون معاملة ممتازة (...) . بامكاننا ان نفخر بالنضج ، بالتعقل والارادة الطيبة التي برهنا عليها في علاقاتنا بهؤلاء العرب » (ص ١٩٥) .

لسنا بحاجة الى الرد على تصريحات بن جوريون هذه ، فان الاحداث الاخيرة في اسرائيل تتكفل بذلك . ان أقوال وأفعال الشباب الاسرائيلي الثائر على الظلم الذي يمارس على مرأى ومسمع منه هي خير رد على بن جوريون . لا شك ان بن جوريون يعزو هذه التصرفات الى طيش الشباب أو الى خيانته للقضية الصهيونية . لكننا لا نظن ان بن جوريون يستطيع ان يحكم نفس الحكم على الـ ٦٨ ٪ من الاسرائيليين الذين يعتقدون انه لن يكون هناك أي سلم ما لم تحل المشكلة الفلسطينية، فضلا عن الـ ٧٢ ٪ من الذين تتراوح اعمارهم من ١٨ الى ٢٩ عاما والذين يرون نفس الرأي . (حسب تحقيق في الرأي العام أجري اخيرا ونقله اللوموند الدبلوماسي في عدد يناير ١٩٧٣) .

محمد شعيرات

يقوم الباحث فارس المنصور بكتابة بحث عن المناضل ابراهيم ابو دية لينشر في « شؤون فلسطينية » ولذا يرجو من جميع الذين عرفوا أبو دية معرفة وثيقة في أية مرحلة من مراحل حياته ان يتصلوا به بواسطة هذه المجلة لمده بمعلوماتهم عن هذا المناضل .

نجدة فتحي صفوة ، **بيروبيجان : التجربة السوفياتية لانشاء وطن قومي يهودي** (مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، ١٩٧٣)

قليلة هي الدراسات والابحاث التي تركزت حول المسألة اليهودية ومحاولة حلها كما تمثلت في تجربة الاتحاد السوفياتي في انشاء وطن قومي يهودي يكون « قومي الشكل واشتراكي المحتوى » ، وذلك عن طريق تخصيص احدى المقاطعات السوفياتية وتوطينهم فيها . وفي هذا الكتاب يحاول المؤلف اطلاع القارىء العربي على هذه التجربة التي تركزت حول حل المسألة اليهودية في الاتحاد السوفياتي بشكل خاص ، عن طريق انشاء وطن قومي لليهود في احدى مقاطعات الاتحاد السوفياتي الواقعة في الجزء الاسيوي. وهي ما يطلق عليه اسم بيروبيجان التي تقع على حدود الصين . ولقد انتهت هذه التجربة الى الفشل .

ان السؤال الاساسي الذي يجدر طرحه هو: لماذا فشلت تجربة بيروبيجان في حل المسألة اليهودية ؟ واستطرادا لماذا نجحت الصهيونية في انشاء الكيان الصهيوني ؟ يورد الكاتب الاسباب التالية لفشل تجربة بيروبيجان : « ان اليهود بطبيعة تكوينهم الاجتماعي ــ الاقتصادي منذ اجيال وقرون هم من سكان المدن ، والمدن الكبيرة بصورة خاصة . وبينما يعيش ٤٥ بالمئة من سكان الاتحاد السوفياتي في المناطق الريفية ، فان ٩٦ بالمئة من اليهود يعيشون في المدن . وبالرغم من انطواء اليهود على انفسهم في احياء خاصة في المدن التي وجدوا فيها، فانهم لا يستطيعون ان يعيشوا بعضهم على بعض ، وانما يعيشون على غيرهم بواسطة تجارتهم وخدماتهم وحرفهم ومهنهم. ولذلك فانهم لا يمارسون اعمالهم اليومية في احيائهم الخاصة دائما، وانما ينتشرون في انحاء المدن كلها ولا يتجمعون في احيائهم الا للسكنى . وهذا التكتل الذي تعودوا عليه كان نتيجة الاضطهادات التي تعرضوا لها خلال تاريخهم ، مما جعلهم يجدون في التجمع مزيدا من الامن ، وتقليلا من احتمال التعرض للاعتداء ، وذلك فضلا عن الغريزة التي كان بعض علماء الاجتماع يسمونها « غريزة التجمع » التي تجعل ابناء القومية الواحدة او الديانة الواحدة يتكتلون في منطقة سكنية واحدة . وبالاضافة الى ذلك فان اليهود لا يميلون الى الزراعة (وبيروبيجان اراض زراعية بالدرجة الاولى) . وقد ابتعدوا عنها منذ عهود بعيدة . وربما كان ذلك نتيجة لتعودهم السكنى في المدن . فهم كما قال خروشوف ، « خياطون وقاطعو زجاج ومجوهرات ، انهم تجار وصيادلة ونجارون » . ولكن قلما وجد حمال يهودي او عامل بناء او فلاح . وقد وصفهم كاتب أكثر مجاملة بأنهم يفضلون العمل بأدمغتهم وأنامل أكثر من عضلاتهم . ولذلك كان ترحيل اليهود الى مقاطعة خاصة بهم : مقاطعة ارضها بكر وليس فيها مساكن ولا طرق او جسور ليقوموا ببنائها بأنفسهم ، يقتضي قيام اغلبيتهم بأعمال جسيمة مرهقة ، سواء أكانت في الزراعة ام في البناء ام في شق الطرق وبناء الجسور واقامة المصانع وقطع الغابات وغير ذلك من الاعمال التي هي غريبة عما تعودوه ونشأوا عليه من اعمال ، وذلك ما لم يرغبوا فيه ، فصدوا عنه . ان اليهود الذين تدفقوا على امريكا لم يذهبوا اليها بقصد الحفاظ على يهوديتهم بقدر هربهم من الاضطهادات والمذابح التي تعرضوا لها في العهد القيصري . ولكنهم حين هاجروا لم يقصدوا مناطق خالية ليبنوها ، ولم يذهبوا الى مناطق زراعية ، بل ذهبوا الى المدن الكبيرة التي توفر لهم امكانيات واسعة لممارسة الاعمال والمهن التي تعودوا عليها منذ اجيال واجيال . ويظهر من دراسة اعدتها دائرة النفوس الاميركية عن المجموعات الدينية في الولايات المتحدة في سنة ١٩٣٦ « ان ٧٨ بالمئة من مجموع اليهود يقيمون في اكبر ١٤ مدينة في الولايات المتحدة». ان ما أورده الكاتب هو السبب الرئيسي لفشل تجربة بيروبيجان . وتقع المسؤولية فيه ، بالدرجة الاولى ، على اليهود . اما الاسباب الاخرى والتي تأتي بالدرجة الثانية فهي التخطيط السيىء للمشروع من جانب الحكومة السوفياتية مما ادى الى رجوع اعداد كبيرة من المهاجرين اليهود الذين ذهبوا الى بيروبيجان للتوطن ، وانتشار اخبار ذلك بين اليهود مما ادى الى احجام الكثيرين عن الذهاب الى بيروبيجان متأثرين بدعايات اليهود الراجعين منها وخوفا لما تعرض له اولئك من صعوبات . ومنها موقف الحركة الصهيونية من المشروع ودعاياتها المثبطة هذه . فقد كان الصهيونيون يريدون استعمار فلسطين ويرون في المشروع نسفا لمخططاتهم ولذلك شنوا عليه حربا لا هوادة فيها . قبل الشروع في مناقشة الرأي الذي يورده الكاتب

حول فشل مشروع بيروبيجان ، ارى أن أورد نصا للاستاذ ناجي علوش ورد في كتابه « الماركسية والمسألة اليهودية » . يقول : ان فشل تجربة بيروبيجان يعود الى سبب رئيسي واحد وهو ان المشروع كان يستهدف انشاء منطقة ذات حكم ذاتي يهودية « اشتراكية » في ظل الدولة السوفياتية، وان قسما كبيرا من اليهود وعلى رأسهم كهنتهم ووجاهاتهم ، يناصب الحكومة السوفياتية العداء، لانها أرادت ان تجعل منهم أمميين اشتراكيين وان تجردهم من « يهوديتهم المتحجرة » المتمثلة في طبيعة تكوينهم الاجتماعي والثقافي . « كان اليهودي يريد ان يظل يهوديا على طريقته وكانت الدولة تريد ان تجعل منه مواطنا عاديا . كانت تريد ان تتمثله ، حتى عندما كانت توافق على خلق منطقة يهودية ذات حكم ذاتي . ولم يكن اليهودي يريد ان يصبح مواطنا سوفياتيا ولا ان يكون له حكم ذاتي سوفياتي . ولهذا رفض المشروع الذي اقترحه وعمل من اجل تحقيقه رفاقه اليهود الشيوعيون الذين كانوا على قلتهم اكثر استعدادا من اليهودي العادي للخروج من قوقعة اليهودي التقليدي » . ويرفض الكاتب هذا التعليل لان « اليهودي الذي رفض الذهاب الى بيروبيجان كان يعلم انه سيبقى في منطقة اخرى من الاتحاد السوفياتي وسيظل في ظل نظام اشتراكي سوفياتي . بل انه كان في هذه الحالة اكثر عرضة للاندماج او التمثل فيما اذا عاش كأقلية بين شعوب ذات اعداد عظيمة . ولو كان لليهود الخيار بين مغادرة الاتحاد السوفياتي او الذهاب الى بيروبيجان لصح ذلك الرأي . ولكن طالما لم يكن لهم مناص من العيش في ظل نظام سوفياتي اشتراكي ، فقد كان من الافضل لهم ، اذا هم أرادوا الحفاظ على يهوديتهم ، ان يتكتلوا في منطقة واحدة يكونون أكثرية فيها » .

ان ما يذهب اليه الاستاذ صفوة صحيح.فتحجر اليهود وانغلاقهم يرجع الى أسباب اجتماعية اهمها الاضطهاد الذي تعرضوا له ابان الحكم القيصري . اما وقد قام النظام الاشتراكي الجديد في روسيا برفع كل القيود المفروضة على اليهود وحاول حل مشكلتهم اسوة بباقي القوميات والشعوب المضطهدة في روسيا ، فقد فترت حماستهم للهجرة والتوطن في مكان اخر لان العنصر الدافع للهجرة ، وهو عنصر الاضطهاد قد انتهى بمجيء النظام الجديد . ولو كان الامر ترسيخ تحجرهم لكان ذلك ممكنا في منطقة واحدة يتجمعون فيها ، اكثر مما هو ممكن لو انتشروا في عدة مدن .

ان عدم حماسهم للذهاب الى بيروبيجان يعود الى الظروف الاجتماعية والتاريخية لليهود . لقد احترفوا المهن ولم يعملوا في الزراعة . فضلوا العمل « بادمغتهم وأناملهم اكثر من عضلاتهم » . ظروفهم المادية الاقتصادية والاجتماعية كانت تتعارض مع نوعية الاعمال التي كان من المفترض أن يقوموا فيها في بيروبيجان . المقاطعة اراض زراعية واليهود لم يتعودوا هذه الاعمال . وقد حلل الزعيم السوفياتي الراحل نيكيتا خروتشيف الدوافع التي جعلت اليهود يحجمون عن الهجرة الى بيروبيجان . وهو يؤكد الرأي الذي يعتبر ان ذلك يعود الى أسباب مادية اجتماعية وليست « لطبيعة التحجر » الكامنة في اليهود ، قال خروتشيف :

« ان التوطين في بيروبيجان كان فاشلا . انهم يذهبون اليها متحمسين ثم يغادرونها واحد بعد آخر . كيف يمكن تفسير هذه الظاهرة ؟ في رأيي انها الى الظروف التاريخية ، فاليهود منذ أقدم الازمنة فضلوا الحرف : فهم خياطون وقاطعو زجاج ومجوهرات انهم تجار ، وصيادلة ونجارون . ولكن خذ حرفة البناء او الصناعات المعدنية فانك لن تجد فيها يهوديا واحدا » .

من هنا ، اذا كان اليهود لم يتعودوا الزراعة والاعمال الشاقة ، فلماذا نجحت الحركة الصهيونية حيث فشل الاتحاد السوفياتي ؟ بكلمة اخرى ، اذا كانت بروبيجان ارض زراعية وقد قدمت الحكومة السوفياتية كل التسهيلات لتوطين اليهود ولم تنجح التجربة للاسباب الانفة الذكر ، فلماذا نجحت الحركة الصهيونية في اجتذاب اليهود الى فلسطين ، مع العلم ان فلسطين ارض زراعية وتحتاج للعمل الشاق في الزراعة والصناعة والبناء ؟

ان الاجابة على هذا السؤال معقدة وتدخل في صميم الفكر الصهيوني . ولكن دون الوقوع في التبسيط والسهولة ، يمكن القول ان الاضطهاد النازي قد شكل عنصر « استقطاب » لليهود للهجرة الى اسرائيل . بالاضافة الى ان زعماء الحركة الصهيونية قد وعوا اهمية الزراعة والارض كعامل من عوامل « تثبيت » اقدام المجتمع القومي اليهودي في فلسطين . فمن دراسة تجارب اليهود

التاريخية والتجربة الصليبية في فلسطين ، اتضح لزعماء الحركة الصهيونية منذ وقت مبكر ان الزراعة والارض وعدم تمسك اليهود بها تاريخيا كان أحد اسباب ضعفهم وسهولة تشتتهم ، كما بينت لهم التجربة الصليبية انه رغم نجاح الصليبيين في احتلال فلسطين او معظمها عسكريا لمدة مئتي عام تقريبا انتهى بالفشل لنفس السبب وهو عدم الاستعمار الزراعي.لذلك نجد الفلسفة الصهيونية تقدس العمل الزراعي اليدوي وتغرس حبه في نفوس الاطفال والشبيبة اليهودية . وعلى هذا الاساس نجحت التجربة الصهيونية الاستيطانية على أرض فلسطين لانها « عودت » اليهود على اعمال الزراعة والاعمال الشاقة بصورة عامة وكونت مؤسساتها على هذا الاساس ، بينما فشلت تجربة بيروبيجان لان الظروف التي نفذت فيها لم تتجه في المنحى ذاته .

وهذا يجرنا الى السبب الثاني الذي يورده المؤلف وهو التخطيط السيء للمشروع . ويعزو الاستاذ ناجي علوش في كتابه « الماركسية والمسألة اليهودية » اخفاق المشروع في تحقيق اهدافه الى موقف الحزب والدولة في الاتحاد السوفياتي . « فلو أراد ستالين حشد اليهود في بيروبيجان لاستطاع أن يقوم بذلك ، وهو الذي اجرى تنقلات واسعة داخل الاتحاد السوفياتي » . ولكن هل المسألة تتعلق بارادة ستالين ورغبته ؟ لقد جاء في وثائق مؤتمر يالطا ان ستالين أبلغ روزفلت ان المسألة اليهودية صعبة جدا وان الاتحاد السوفياتي حاول انشاء وطن قومي يهودي في بيروبيجان ، ولكن اليهود، وهم تجار بطبيعتهم ، لم يبقوا هناك اكثر من سنتين او ثلاث سنوات ثم تفرقوا منها . برأيي ان هذا الرأي جد منطقي . اذ أنه برغم ان المنطقة بعيدة وتخطيط المشروع كان سيئا الى حد كبير ، الا ان الحكومة السوفياتية أعطت اليهود تسهيلات اكثر مما أعطت لافراد أية قومية اخرى . وهذه التسهيلات تراوحت من تمليك الارض الى مدهم بالمساعدات المالية . قد يكون من الممكن ان ستالين كان سرا ضد المشروع ، ولكن في نهاية الثلاثينات وخلال سني الحرب ، لم تعد لليهود الذين لهم اعمال مصلحة في الانتقال . لماذا يغادر شخص كييف او فينيتسا مكانا يعيش فيه منذ زمن طويل ويترك عمله الدائم ومعارفه ؟ ان اللوم لا يعود بالدرجة الاولى على موقف الدولة والحزب في الاتحاد السوفياتي لان فشل المشروع يعود للاسباب التي ذكرت آنفا ، وان كان الموقف الرسمي، وخصوصا موقف ستالين ، غير مشجع ، غير أنه كان في الدرجة الثانية ولم يكن اساسيا . وقد تكون هناك أسباب اخرى . ولكن لا يمكن القاء اللوم على السلطة السوفياتية لان عشرات الالوف وليس مئات الالوف ذهبوا الى بيروبيجان .

وهناك رأي ينسب فشل تجربة بيروبيجان لاسباب تتعلق بعدم وجود أساس تاريخي وروحي في بيروبيجان يجذب اليهود اليه . وهو ادعاء الحركة الصهيونية التي حاربت المشروع بضراوة . ولكن ما يدحض هذا الادعاء أن حوالي مليون يهودي روسي هاجروا الى الولايات المتحدة بين سنتي ١٨٨١ و١٩١٤ مع العلم انه ليس في اميركا أساس تاريخي وروحي يجتذب اليه اليهود . فالهجرة الى اميركا كانت بدوافع اقتصادية . اذ أن اليهود ابان الحكم القيصري كانوا في حالة اضطهاد شديدة وكانوا يعانون اشد الوان الفقر والتمييز ، لذلك كانت هجرتهم الى اميركا .

من هنا ، ارى أن ما يذهب اليه الكاتب في تحليله لفشل المشروع صحيح . فالمسؤولية في فشل مشروع بيروبيجان تقع على اليهود انفسهم بالدرجة الاولى . ولم يتجاوبوا معه بدرجة تكفي لنجاحه . فقد كانت اعداد المهاجرين منهم الى بيروبيجان قليلة بالنسبة الى مجموع عددهم في الاتحاد السوفياتي من جهة والى حالتهم وظروف معيشتهم من جهة اخرى خاصة في الفترتين اللتين اعقبتا ثورة اكتوبر والحرب العالمية الثانية .

أما لماذا لجأت الحكومة السوفياتية الى انشاء وطن قومي لليهود مع أن لينين كان يرى أن اليهود لا يشكلون « امة » فتلك مسألة تستوجب التوقف عندها بعض الشيء . لقد نادى لينين « بحق الامم في تقرير مصيرها » ، وبالرغم من ان تصريحات لينين وستالين قبل الثورة لم تعتبر اليهود « امة » ، فان السياسة التي سارت عليها الحكومة السوفياتية اتاحت لليهود فرصة النمو قوميا ضمن الدولة الاشتراكية . لذلك استصدرت عام ١٩٢٨ قانونا باعطاء بيروبيجان صفة « دائرة قومية يهودية » ثم رفعتها الى صفة درجة « مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي » وذلك من ضمن الشعار الذي نادى به لينين وهو « حق الامم في تقرير مصيرها » .

وقد استهدفت الحكومة السوفياتية من مشروع بيروبيجان ثلاثة اهداف رئيسية : حل المسالة اليهودية في الاتحاد السوفياتي وكسب عطف يهود العالم ، وتوطين الشرق الاقصى السوفياتي لاعتبارات استراتيجية واقتصادية . وقد فشلت تجربة بيروبيجان في تحقيق الهدفين الاولين وقد كان واضحا في نهاية عام ١٩٣٨ حيث لم يبق في بيروبيجان اكثر من عشرين الف يهودي اي ما يقارب عشرة بالمئة من مجموع سكان المقاطعة التي تتكون اغلبيتهم من الاوكرانيين . وقد منحت المقاطعة صفة « يهودية » رغم ان أكثريتها ليست يهودية ، من أجل تشجيع الهجرة اليها .

أما الهدف الثالث فقد نجحت فيه الحكومة السوفياتية هادفة الى استغلال اراضي الجزء الاسيوي من الدولة ، ولاهداف عسكرية اخرى تتعلق بخطوط التموين والكثافة السكانية في حال تعرض تلك المنطقة لغزو خارجي .

ان الاهداف الثلاثة للمشروع كما وضعته السلطات السوفياتية لم تسر جنبا الى جنب منذ البداية . فلم يكن هدف المشروع ، في عقل الذين وضعوه ، حل مشكلة الجزء الاسيوي من الاتحاد السوفياتي القليل السكان ، بقدر ما كان حل المشكلة اليهودية . والجدير بالذكر ان اختيار منطقة بيروبيجان قد تم بعد سلسلة محاولات لتوطين اليهود في جنوب اوكرانيا وفي شبه جزيرة القرم مع ما رافق ذلك من انشاء منظمات خاصة لهذا الغرض . ولم تشعر السلطات السوفياتية بالارتياح لتوطين اليهود في المزارع التعاونية في اوكرانيا والقرم لان هذه المزارع اصبحت مراكز للدعاية الدينية ، ولان الفلاحين هناك قد شعروا بالغيرة من جراء هذا التميز . لذلك اتجهت الانظار صوب بيروبيجان . اضف الى ذلك ان ستالين أخذ يشعر بعدم الاطمئنان الى ولاء اليهود التام للاتحاد السوفياتي وقد وجد من الافضل عدم تركيز اليهود في منطقة استراتيجية مثل اوكرانيا او القرم. وسبب ذلك الدعاية الصهيونية المضادة والتي أخذت تنتشر بين يهود الاتحاد السوفياتي ووجود بؤر صهيونية فيها مثل جماعات « عشاق صهيون » التي انتشرت فروعها في جميع المناطق التي كان يوجد فيها اليهود وكان رئيسها « ليو بنسكر » مؤلف كتاب « التحرير الذاتي » ورائد الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا في شكلها الحديث .

قلت ان اهداف المشروع الثلاثة لم تسر جنبا الى جنب لان الاسبقية في المشروع كانت لحل المشكلة اليهودية . ولكن بعد أن اعرض اليهود عن التجاوب مع المشروع ، انصب جهد الحكومة السوفياتية على تنمية تلك المنطقة لاغراض استراتيجية ودفاعية .

تبقى نقطة اخيرة أرى انه من المهم التركيز عليها وهي موقف الصهيونية من المشروع .وبالرغم من أن الكاتب يفرد فصلا خاصا لعرض اراء الذين وقفوا ضد المشروع ، فان هذا العرض لم يأت ضمن اطار محدد يعرض فيه تأثير هذه المعارضة في نتائج المشروع ومدى قدرة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي في التأثير على اليهود .

لماذا عارضت الصهيونية المشروع ؟ وما هي الاهداف التي كانت تتوسلها ؟ . لقد دحض الكثير من الكتاب السوفيات ، اليهود منهم وغير اليهود، مزاعم الصهيونية واعتبروا ان هذه الحركة رجعية وبورجوازية صغيرة تهدف الى تحويل اهتمام الجماهير اليهودية عن النضال الطبقي الذي كان بنظر الصهيونية الوسيلة المثلى لانقاذ البروليتاريا اليهودية ، بينما هو في الحقيقة وسيلة توفر للبورجوازية اليهودية الاوروبية الطاقة البشرية لتحقيق اطماعها على أرض فلسطين .

لقد تمكن المؤلف من عرض مشروع بيروبيجان عبر سلسلة من الارقام والوقائع والكتابات والتصريحات الصادرة في الاتحاد السوفياتي حول هذا الموضوع. وهو قد استفاد من عمله كممثل للعراق في الاتحاد السوفياتي لمدة ثلاث سنوات لتقديم هذه المادة التي يعرف عنها القارىء العربي القليل . الا ان الكتاب قد افتقر الى عنصر اساسي الا وهو غياب دراسة واضحة ، ولو محدودة ، للاسباب التي جعلت التجربة الصهيونية تنجح في استقطاب اليهود الى فلسطين بينما فشلت سلطات الاتحاد السوفياتي في اجتذابهم الى بيروبيجان . ومع أن الكاتب قد قدم صورة تاريخية لوضع اليهود في الاتحاد السوفياتي ولواقع بيروبيجان ، الا ان معلوماته جاءت بهدف « العرض التاريخي » والتعريف بتجربة بيروبيجان . ولو أنه افرد فصلا خاصا في نهاية كتابه يحلل فيه واقع يهود الاتحاد السوفياتي ورفضهم لمشروع بيروبيجان وحماسهم الان للهجرة الى اسرائيل ، لاضاء بذلك الطريق حول هذا الموضوع الهام .

جورج ابي شاهين

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

قمة عدم الانحياز انعكاس للزمن الفلسطيني

بين اول قمة غير منحازة عقدت في بلجراد في العام ١٩٦١ ورابع قمة انعقدت في الجزائر في ايلول ١٩٧٣ كان الزمن الفلسطيني (خاصة بين القمة الثانية في القاهرة ١٩٦٤ والقمة الرابعة) مكثفا مليئا انسكبت حوادثه ضخمة تاريخية ذات صدى غفيرت معالمه ومعطياته التي اصبحت حادة النتوءات غير خاضعة لقانون الرتابة البليد الذي حكم الزمن الفلسطيني في عهد « ما بين النكبة والثورة » عندما كان هذا الزمن الرتيب لاجئا ذا بطاقة تموين . **وقد** انعكست معطيات التاريخ الفلسطيني في عهد ما بعد الثورة انعكاسا مرئيا بوضوح في قرارات المؤتمرات المتتالية بين القمتين الاولى والاخيرة . فبينما اعلن المؤتمر الاول (١٩٦١) تأييده **لاستعادة الحقوق الكاملة لشعب فلسطين العربي في ضوء ميثاق الامم المتحدة وقراراتها** ، مع الانتباه بشكل خاص الى قرارات الامم المتحدة (منها قرار التقسيم ١٩٤٧) التي رفضها شعب فلسطين ، نجد ان قرار المؤتمر الثاني ١٩٦٤ (عقد بعد قيام منظمة التحرير الفلسطينية باشهر قليلة) يعرب عن تأييد المؤتمر « لاستعادة شعب فلسطين العربي **لجميع** حقوقه الكاملة **بما في ذلك حقوقه الاصيلة والثابتة في تقرير المصير** » . وقد كان واضحا ان النص على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني كان خطوة متقدمة على قرار المؤتمر الاول الذي حصر حقوق الشعب الفلسطيني ضمن اطار قرارات الامم المتحدة . غير انه مع تفجر النضال الفلسطيني المسلح في العام ١٩٦٥ ثم تصاعده واتساعه بعد العام ١٩٦٧ دخلت قرارات مؤتمرات دول عدم الانحياز موضوعة جديدة متجاوبة تماما مع واقع جديد فرض نفسه فرضا على هذه القرارات . تلك الموضوعة هي التعبير عن تأييد نضال الشعب الفلسطيني التي برزت اول مرة في قرار المؤتمر الاستشاري لدول عدم الانحياز الذي عقد في بلجراد في تموز ١٩٦٩ فقد أعلن المجتمعون « تأييدهم الكامل للشعب الفلسطيني في كفاحه من اجل التحرر من الاستعمار والعنصرية ومن اجل استعادة حقوقه » ؛ كما تأكدت أكثر من مرة بعد ذلك في المؤتمر التحضيري لدول عدم الانحياز في دار السلام في نيسان ١٩٧٠ وفي المؤتمر الثالث (لوساكا — ايلول ١٩٧٠) ومؤتمر وزراء خارجية الدول غير المنحازةفي جورجتاون في آب ١٩٧٢ . وكان التطور المهم في قرارات هذه المؤتمرات والاجتماعات جميعا ، بالاضافة الى دعم النضال الفلسطيني ، هو ربط حقوق الشعب الفلسطيني واستعادتها بهذا النضال . فبينما لم تتطرق قرارات المؤتمرين الاول والثاني الى كيفية استعادة حقوق شعب فلسطين، اوضحت قرارات عدم الانحياز (اجتماعاته ومؤتمراته) منذ العام ١٩٦٩ الاقتران الوثيق بين نضال الشعب الفلسطيني واستعادة حقوقه . غير أن قرارات القمة الاخيرة ارتقت بهذا الموقف خطوات أسمى عندما ربطت في بند واحد من القرارات المتعلقة بالشرق الاوسط بين الموضوعات التالية : ١ — **الالتزام** بمساندة شعب فلسطين ٢ — نضال شعب فلسطين ضد **الاستعمار الصهيوني** والعنصري الاستيطاني ٣ — استعادة الحقوق **القومية** لشعب فلسطين ٤ — **الاعتراف** بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لنضال الشعب الفلسطيني . فقد نص هذا البند على ما يلي : « يطالب [المؤتمر] دول عدم الانحياز بمساندة شعب فلسطين العربي في نضاله ضد الاستعمار الصهيوني والعنصري الاستيطاني لاستعادة حقوقه القومية الكاملة ويؤكد ان استعادة هذه الحقوق تشكل شرطا أساسيا للوصول الى

سلام عادل ودائم ، ويعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا لنضال الشعب الفلسطيني » (استنادا الى النص الكامل لقرارات المؤتمر الذي وزعته وكالة انباء الشرق الاوسط). وبالاضافة الى أهمية هذا الربط بين هذه الموضوعات المتلاحمة تبرز هنا قضايا تستحق التسجيل : ١ — لقد ورد في هذا القرار لاول مرة تعبير الحقوق القومية (ورد في ديباجة القرار تعبير الحقوق الوطنية) ليعطي مفهوما محددا معروف الابعاد لهذه الحقوق بعد ان كان هذا التعبير غامضا . ٢ — ورد لاول مرة كذلك تعبير « الاستعمار الصهيوني والعنصري الاستيطاني » وهو تعبير يدل على ارتقاء الفهم للكيان الاسرائيلي على الارض الفلسطينية . ٣ — من واقع اعتبار كفاح الشعب الفلسطيني « جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر العالمي » كما ورد في ديباجة القرار كانت المطالبة « بالالتزام بمساندة شعب فلسطين في نضاله » ، وتأكيدا لهذا الالتزام جاء في هذه القرارات ان المؤتمر « يرحب بقرار الدول الاعضاء التي قطعت علاقاتها باسرائيل ويدعو الدول الاعضاء الاخرى الى العمل على مقاطعة اسرائيل دبلوماسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا وفي ميادين المواصلات البحرية والجوية وذلك طبقا للفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة » . وتجسيدا لهذا القرار كان اعلان الزعيم الكوبي فيدل كاسترو قطع علاقات بلاده باسرائيل . ٤ — لم تتطرق قرارات المؤتمر لا من قريب ولا من بعيد الى قرارات الامم المتحدة (بالاخص قرار مجلس الامن ٢٤٢) المتعلقة بحل ما يسمى أزمة الشرق الاوسط ، حتى ان هذا التعبير (أزمة الشرق الاوسط) لم يرد اطلاقا في نصوص القرارات . وقد أكد المؤتمر « مساندته الكاملة والفعالة لمصر وسوريا والاردن في **نضالها المشروع لاسترجاع اراضيها المحتلة كاملة وبشتى الوسائل** » .

على صعيد آخر كان تمثيل فلسطين في مؤتمرات عدم الانحياز يعكس (بالاضافة الى قرارات هذه المؤتمرات) المسيرة الفلسطينية نفسها . فبينما كانت فلسطين غائبا تمثيلها في قمة ١٩٦١ ثم كانت تحضر « ضيفا » منذ ١٩٦٤ ، تقرر في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي عقد في جورجتاون ان تحضر منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا . واذا كانت المنظمة لم تحز على العضوية الكاملة في مؤتمر القمة الاخير على الرغم من مطالبتها بذلك ، فقد كان التعويض السياسي، وهو تعويض ثوري ينسجم مع واقع الثورة الفلسطينية وآفاقها ، ان دعي الاخ ابو عمار لالقاء كلمة حركات التحرير في العالم (فلسطين الثورة ٩/١٢) وقد بلغ عدد هذه الحركات التي حضرت المؤتمر اربع عشرة حركة تحرير افريقية والحزب الاشتراكي البورتوريكي بجانب منظمة التحرير الفلسطينية . وقد أكد الاخ ابو عمار ان كلمته تلك « باسم الثوار من أجل التحرير الوطني وباسم ثورة وشعب فلسطين . اننا نؤكد ان قضايا الشعوب المناضلة الثائرة واحدة وان قضية الحرية في العالم هي واحدة لا تتجزأ » . وقد أوضح ابو عمار في كلمته مفهوما ايجابيا لسياسة عدم الانحياز بقوله « ان الشعوب المضطهدة في هذا العالم تفهم عدم الانحياز انه دعم كافة حركات التحرير التي تناضل من اجل التخلص من الاستعمار والامبريالية العنصرية والصهيونية والفاشية ، كما يفهم عدم الانحياز بأنه التزام كامل بالقضايا الوطنية والتحررية والتقدم . يجب الا يقف هذا الدعم عند أي ضغط او تأثير للقوى الاستعمارية وان لا يكون الدعم بالكلمات والقرارات فقط وانما يجب ان يتجاوز ذلك الى المساندة العملية والمواقف الثورية الاصيلة تجاه حركات التحرر الوطنية كلها » . وثمة جانب آخر مهم في دعوة الاخ ابو عمار الى التحدث باسم حركات التحرير في العالم ، يتمثل في اعتراف المؤتمرين وحركات التحرير نفسها بأن الثورة الفلسطينية ، بعد انتصار ثورة الشعب الفيتنامي ، أصبحت هي البؤرة الساخنة الاولى في العالم بحيث أصبح حل قضاياها العادلة والملحة مهمة مركزية تنعكس بالتأكيد على مسيرة حركة النضال العالمي بمجملها .

وباجمال فقد كان الكسب السياسي الذي حققته الثورة الفلسطينية في قمة عدم الانحياز الرابعة محطة تاريخية في الزمن الفلسطيني المتلىء المكثف الزاخر بالنتوءات ، الرافض للرتابة .

صواريخ روما : تطور جديد

في الخامس من ايلول كانت روما مسرحا لواحدة من أكثر العمليات اثارة . فقد اعتقلت الشرطة الايطالية خمسة من العرب ذكر فيما بعد انهم جميعا فلسطينيون وانهم ينتمون الى احدى المنظمات وانهم يعتبرون من الكوادر الجيدة في حركة المقاومة وان زعيم هذه المجموعة الفدائية هو امين الهندي الذي كان رئيسا للاتحاد العام لطلبة فلسطين مدة اربع سنوات (النهار ٩/٧) ، اعتقلوا بعد العثور على مخبأ اسلحة وجهازي اطلاق صواريخ من الارض الى الجو . واعلنت الشرطة الايطالية ان الهدف من وجود الصواريخ اسقاط طائرة ركاب اسرائيلية فوق روما . وقد جرى اعتقال الخمسة في منتجع اوستيا على مسافة ٣٠ كيلومترا من روما وعلى مسافة ستة كيلومترات من مطار فيوميشينو الدولي . كما ذكرت الشرطة ان جهازي اطلاق الصواريخ من احدث انواع هذه الاجهزة المصممة لاطلاق صواريخ من الارض الى الجو ويمكن نقلها باليد . ونقلت وكالات الانباء في وقت لاحق ان هذين الجهازين من صنع سوفياتي ومن طراز سام — ٧ . وقد وصف موشيه ديان (نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » ٩/٨) هذا الصاروخ بانه صاروخ حربي متطور استخدم في فيتنام ضد الطائرات الاميركية ويصلح للمسافات القصيرة من خمسة الى خمسة عشر كيلومترا ، وضد الطائرات المنخفضة الارتفاع وهو صاروخ مضاد للطائرات الحربية واصابته لطائرة مليئة بالوقود فتاكة جدا بالتأكيد . وقد كانت ردود الفعل الاسرائيلية صاخبة على هذا الحادث فقد اعتبره ديان (ر أ أ ٩/٨) انه « أخطر ما حدث حتى الان في عمليات الارهاب التي يقوم بها المخربون ضد الطيران المدني ، فهنا يوجد دمج لمدة امور لم يسبق ان حدث مثلها في الماضي . وهذا الدمج هو للوسائل وللفنيين الخبراء بالصواريخ ولذين اشتركوا في استخدام هذه الوسائل » . واضاف ديان ان « الخطورة في الامر هو أن مصدر هذا الصاروخ هو الاتحاد السوفياتي ... وحسب علمي فأن هذه الصواريخ اعطيت لمصر ولسوريا من السوفيات . فكيف وصلت هذه الصواريخ الى روما لتستخدم ضد طائرة العال » . وقد اتهم ديان الاتحاد السوفياتي والدول العربية بأنها وراء الحادث ، فعلى حد تعبيره فان « شركاء اليوم في هذا الحادث هم الاتحاد السوفياتي الذي يرسل هذه الصواريخ والدول العربية التي تحصل على هذه الصواريخ والتي تسمح باستخدامها ضد الطائرات المدنية ». وقد وجهت اسرائيل حملتها الى الدول العربية وحملت صحفها هذه الدول مسؤولية الحادث وقال ديان (ر أ أ ٩/٦) ان الفدائيين العرب « يستخدمون الاسلحة والمعدات التي يحصلون عليها من الدول العربية كما يحصلون على الاموال والملجأ ومثال على ذلك تلك الصواريخ التي تطلق من الكتف والتي منحها السوفيات للمصريين والسوريين » . لذلك كانت جميع التوقعات تشير الى ان اسرائيل سوف تقدم على خطوة انتقامية توجهها الى احدى الدولتين : مصر او سوريا . ولظروف عديدة استراتيجية وتكتيكية كانت سوريا هي القطر الاكثر تعرضا لمثل هذه الخطوة الانتقامية التي تمثلت في العدوان الجوي على سوريا يوم ٩/٣ . وقد كان التمهيد الاسرائيلي الاعلامي والسياسي لمثل هذه العملية الانتقامية تلك « الضجة » التي حاولت اسرائيل اثارتها حول عملية روما . فقد ذكرت وكالات الانباء (٩/١٠) أن الحكومة الاسرائيلية خصصت اجتماعها يوم ٩/٩ لبحث هذا الموضوع . واعتبر أيجال آلون نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية والذي رئس جلسة مجلس الوزراء تلك ، اعتبر ان الحادث « يمثل بعدا جديدا شديد الخطورة في الارهاب الدولي » . كما دعا موشيه ديان الى المشاركة في هذه « الضجة » المتعمدة فقي تعليق له على عملية روما (ر أ أ ٩/٨) قال « اين تلك الضجة حول **الدول** التي تساعد الارهاب ؟ هل هناك **ارهاب رسمي** اكثر من منح هذه الصواريخ للمخربين ؟ » وقد أثار هذا الاهتمام المتزايد من جانب اسرائيل بهذه العملية التي لم تنفذ بالفعل جملة تساؤلات عن مغزى هذا الاهتمام المضخم . هل هو موجه الى الاتحاد السوفياتي بالذات وان السوفيات هم المقصودون فعلا بهذه الحملة التي سعت اسرائيل الى اشراك الولايات المتحدة الاميركية بها ، ام هل هي الدول العربية تمهيدا لعدوان جديد تقترن مسبباته ونتائجه ايضا بجملة التطورات العربية الاخيرة ام هل تخبىء اسرائيل

عملا انتقاميا مرتقبا توجهه الى المقاومة الفلسطينية، ام هل هي المحاور الثلاثة تنهج اسرائيل عليها مجتمعة ، وهي بالفعل كذلك ، وصولا الى غايتها المتعددة الاهداف ؟ ويظل ثمة تساؤل اخير نطرحه بأكبر كمية من الحذر : لقد ذكرت مجلة « نيوزويك » الاميركية الاسبوعية (ر أ أ ٨/٢١) قبل أكثر من اسبوعين على عملية روما ان منظمات المقاومة ترغب في الاونة الاخيرة في تحسين معداتها العسكرية وتحاول شراء صاروخ مضاد للطائرات باستطاعة شخص واحد حمله . وقالت المجلة ان الفدائيين يبحثون عن صاروخ على غرار الصاروخ الاميركي المسمى (ريد آي) الذي يعمل طبقا لمبدأ تتبع مصدر الحرارة ، وقالت المجلة ايضا ان منظمات الفدائيين فشلت في الاونة الاخيرة في محاولتها للحصول على صاروخ سوفياتي مماثل يدعى (ستريلا) حيث نجح الفيتكونغ في استعماله في فيتنام . والتساؤل المطروح هو ما المقصود من نشر مثل هذا الخبر في المجلة الاميركية ، ولماذا جاء نشره قبل اسبوعين فقط من توقيت العملية ؟ والامر الذي يبعث على التساؤل هو ان مواصفات الصواريخ التي وجدت في روما كما وردت في الانباء مطابقة لتلك المواصفات التي اوردتها المجلة .

باريس -- الكويت لماذا ؟

صباح ٩/٥ احتل عدد من الفدائيين قالوا انهم ينتمون الى منظمة « العقاب » القنصلية السعودية في باريس واحتجزوا ثلاث عشرة رهينة **وهددوا** بنسف المبنى بمن فيه اذا لم يرسلوا بطائرة الى احدى العواصم العربية واذا لم تفرج الحكومة الاردنية عن ابو داوود القائد الفدائي المعتقل في أحد سجون الاردن . **مدد الفدائيون ثلاث مرات مهلة النسف** . واستمرت المفاوضات طويلا واستمر تمديد المهل . وفي اليوم الثاني اقلت الفدائيين ورهائنهم العرب (أطلقوا الرهائن الاجانب) طائرة سورية ، وانحبست الانفاس ترافق الطائرة تتجه الى المنطقة العربية . وازيل كابوس حلم ثقيل عن صدر فرنسه . هبطت في القاهرة ، حلقت فوق عدد من العواصم ، ثم حطت رحالها في الكويت . في اليوم الثالث تصعد التهديد . بعد ان حلقوا فوق السعودية مدة ساعتين عادوا الى مطار الكويت وحددوا مهلة ١٢ ساعة لتلبية مطالبهم باطلاق ابو داوود وابلغوا برج المراقبة باللاسلكي انهم سيقتلون واحدا من الرهائن كل ساعة بعد انتهاء المهلة التي حددوها (كما هددوا بالقاء الرهائن واحدا فواحدا فوق العاصمة السعودية ، غير أن المهلة انتهت وظل الرهائن سالمين وابو داوود في سجنه . وفي اليوم الرابع استراح الخاطفون وخرجوا من الطائرة مع رهائنهم واستسلموا حتى دون أية ضمانات ، وكان موقف المقاومة في البداية ان وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ٩/٥ نفت ان يكون لاي من التنظيمات الفلسطينية علاقة بالحادث . وفي الجزائر اعلن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية « ان الثورة الفلسطينية ليست متورطة بأي شكل من الاشكال في عملية القنصلية السعودية » . و« ان هذا النوع من العمليات لا يخدم قضيتنا من قريب او بعيد ووقوع العملية يوم افتتاح قمة عدم الانحياز يطرح التساؤلات » (النهار ٩/٦) . غير ان هذه « التساؤلات » اتخذت في اليوم التالي شكل اتهام صريح فقد أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية يوم ٩/٦ بيانا من الجزائر (الاخ ابو عمار وبعض قياديي المنظمة كانوا هناك) جاء فيه « ان هذه العمليات والتوقيت الذي تمت فيه تشير الى ان هناك خطة تهدف الى فرض حصار سياسي واعلامي على الثورة الفلسطينية وذلك تمهيدا لمذبحة قادمة تمارس ضد المقاومة الفلسطينية بهدف تصفيتها والقضاء عليها . ان منظمة التحرير الفلسطينية اكدت في الماضي وتؤكد من جديد أنها تقف ضد العمليات غير المسؤولة كما أنها تعلن عن استنكارها الشديد لحادث باريس » . كذلك نقلت « وفا » تعليقا لناطق مسؤول في منظمة التحرير وصف فيه الحادث بأنه اجرامي ومشبوه و « اننا نعتقد ان جهات مشبوهة هي التي نفذت عملية مهاجمة السفارة ... بهدف الاساءة الى النضال الوطني الفلسطيني » . وفي المؤتمر الصحافي الذي عقده الاخ ابو عمار في الجزائر (٩/٨) اعلن « ان حادث احتلال السفارة في باريس يمثل في رأينا صورة عما يحاك ضد شعبنا من مؤامرات ولقد جاء الحادث في وقت يتجمع فيه اكثر من نصف سكان العالم في الجزائر ، وفي وقت يشهد فيه الرأي العام الفرنسي حملة استنكار عارمة ضد الارهاب الصهيوني في فرنسه،

وفي وقت ادان العالم فيه عبر مجلس الامن وعبر مؤسسات الطيران المدني القرصنة الجوية للعدو، وأنا امامكم بأسم منظمة التحرير الفلسطينية قائدة النضال الفلسطيني اقول : ان ما جرى في باريس لا علاقة لنا به ونستنكره بشدة ... ونؤكد مرة ثانية ان بندقيتنا تقاتل ضمن استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد داخل فلسطين المحتلة ، ولن نسمح بأي شعار ان ينحرف بنا عن هذا الطريق بحيث يعطي عدونا مبررا في حملته المسعورة على ثورتنا وقضيتنا » . (وفا ٩/١) .

ان عدم توصل هذا النمط من العمليات الى اهدافه بجانب آثاره السلبية الراهنة وعواقبه المحتملة ، كفيل كل ذلك بأن يعاد النظر فيه ضمن مراجعة حقيقية ليس لتفاصيله فحسب وانما لجملته .

ابو عمار في موسكو

في الخامس عشر من آب الماضي قام الاخ ابو عمار بزيارة الى الاتحاد السوفياتي على رأس وفد فلسطيني . وقد ذكرت « تاس » ان ابو عمار موجود في موسكو كضيف على منظمي دورة العاب جامعات العالم . وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ٨/١٧ ان ابو عمار اجتمع يوم ٨/١٦ مع بنوماريوف عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وقد دام الاجتماع زهاء ساعتين وبحث فيه عدد من القضايا « ذات الاهمية الخاصة » ، كما أجرى مباحثات مع هيئة رئاسة اللجنة السوفياتية للتضامن الافرو ـ اسيوي . واوردت الوكالة الفلسطينية (٨/١٨) ان ابو عمار اجرى مباحثات مع بغجيني تياجيامكوف السكرتير الاول للجنة المركزية لمنظمة الشبيبة الشيوعية اللينينية لعموم الاتحاد السوفياتي (الكومسمول) ، واوردت الوكالة نقلا عن « تاس » قولها ان ابو عمار اطلع على نشاطات الكومسمول ومنظمات الشباب السوفياتية والمهام التي تنجزها منظمة الكومسمول في مجال التربية الشيوعية للشبيبة السوفياتية ومساهمتها في البناء الشيوعي . واعرب ابو عمار من جانبه عن الامتنان العميق للشعب السوفياتي والشبيبة السوفياتية على دعم الشعوب العربية والتضامن مع نضال شعب فلسطين وشبيبتها من أجل الحقوق الشرعية . واوردت (وفا) ٨/٣٠ تعليقا كتبته صحيفة « برافدا » السوفياتية على هذه الزيارة جاء فيه قول الصحيفة : « خلال اقامة الاخ ابو عمار في موسكو استقبل من قبل اللجنة السوفياتية لتضامن بلدان آسيا وافريقيا ومن قبل منظمات اخرى واجتمع الى ممثلي الرأي العام السوفياتي وخلال الاحاديث جرى تبادل للاراء حول الوضع في الشرق الاوسط والدفاع عن الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ومن اجل اقامة سلم عادل ووطيد في هذه المنطقة . وتحدث الاخ ابو عمار عن نشاط منظمة التحرير الفلسطينية واكد ارادة الوطنيين الفلسطينيين في رص صفوفهم والرد على مؤامرة الامبريالية والصهيونية والرجعية التي تريد كبح نضال الشعب العربي الفلسطيني من أجل تقرير مصيره . وشكر الاخ ابو عمار باسم قيادة منظمة التحرير الفلسطينية والشعب العربي المكافح الاتحاد السوفياتي على موقفه المبدئي الصلب الذي يدعم بموجبه الشعوب العربية ضحايا العدوان الاسرائيلي وعلى المساعدة التي يمنحها الى حركة التحرر الوطنية العربية ولا سيما الى حركة المقاومة الفلسطينية ... وخلال المحادثات تلقى الاخ ابو عمار التأكيد باستمرار الدعم الثابت الحازم الذي يمنحه السوفياتيون الى النضال العادل للشعوب العربية ضد الامبريالية والعدوان الاجرامي الاسرائيلي والى ضرورة سحب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية المحتلة وجرى التأكيد على التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني ». وقد وصف ابو عمار زيارته القصيرة للاتحاد السوفياتي (انتهت الزيارة يوم ٨/١٩) في تصريح أدلى به لمجلة « روز اليوسف » (٩/٣) بانها كانت هامة وناجحة وتناولت عددا من القضايا داخل الساحة الفلسطينية والساحة العربية .

الأصدقاء في العالم

* ذكرت « وفا » (٨/١٠) ان الاخ ابو عمار تلقى برقية من السيد شارل سيانارد وزير خارجية الكونجو الشعبية تضمنت الدعوة للمشاركة في الاحتفالات الكونجولية الوطنية التي تبدأ في ١٣ آب . وقد جاء في البرقية « بزيارتكم تتيحون الفرصة للشعب الكونجولي الذي يقدركم حق قدركم ويعتبركم أحد ابناء هذه القارة الاكثر احتراما ، للتعبير مرة اخرى عن حبه واحترامه لشخصكم ومن خلاله الى مناضلي منظمة التحرير الابطال وللمنظمة التي ترئسونها بحكمة وبعد نظر تشرف افريقيا . بالاضافة الى ذلك فان حضوركم الى الكونجو يتيح لي الفرصة السعيدة شخصيا للتباحث معكم في المشكلات الكبرى التي تهم قارتنا والعالم اجمع » . وقد قررت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تلبية الدعوة وقامت بتشكيل وفد برئاسة محمد زهدي النشاشيبي امين سر اللجنة التنفيذية للمنظمة للمشاركة في هذه الاحتفالات . وقد أجرى وفد المنظمة خلال حضوره الاحتفالات في الفترة من ١٣ — ١٥ آب لقاءات مع بعض اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية لحزب العمل الكونجولي الحاكم جرى خلالها استعراض لاوضاع الثورة الفلسطينية والثورة الكونجولية كما تم تبادل وجهات النظر حول الاوضاع الدولية الراهنة . وذكرت « وفا » (٨/٢١) ان السيد ماريان نجوابي ، رئيس جمهورية الكونجو الشعبية ، بعث برسالة شفوية حملها للوفد الفلسطيني الى الاخ ابو عمار اكد فيها دعم بلاده وتاييدها المبدئي للثورة الفلسطينية ولنضال الشعب الفلسطيني العادل في سبيل حقوقه الوطنية المشروعة لاستعادة وطنه . وقد ابلغت هذه الرسالة في اثناء المقابلة الرسمية التي اجراها وفد منظمة التحرير مع الرئيس الكونجولي حيث سلمه رسالة شخصية من الاخ ابو عمار .

* في ٨/١٢ صرح مصدر مسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية بأن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تدارست في اجتماعها المنعقد مساء ٨/١١ المذكرة الموجهة لمنظمة التحرير الفلسطينية من الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام بشأن استمرار الولايات المتحدة الامريكية وحكومة سايجون العميلة في خرق اتفاقية باريس لاحلال السلام في فيتنام ، واعتبرت اللجنة التنفيذية استهتار الولايات المتحدة باتفاقية باريس واستمرار خرق هذه الاتفاقية بشكل متعمد انما يشكل تحديا وقحا لارادة المجتمع الدولي ، واعلنت اللجنة التنفيذية انها تشجب وتستنكر بشدة هذا الاستهتار الامبريالي الامريكي وتعلن عن تضامنها الحازم مع شعب فيتنام وحكومته الثورية المؤقتة. وأضافت ان المنظمة تؤيد بكل حزم مطالب الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام والمحدد بالنقاط التالية : (١) وقف اطلاق النار فورا . (٢) اطلاق سراح المعتقلين السياسيين . (٣) ضمان الحريات الديموقراطية للشعب الفيتنامي في الجنوب . وأنهت المنظمة بيانها بأن أكدت تضامنها الحازم مع شعب فيتنام البطل باسم الشعب الفلسطيني وثواره رفاق السلاح .

اتصالات عربية

« الموقف العربي الراهن » كان عنوان الاتصالات التي أجرتها حركة المقاومة خلال الشهر الفائت على الصعيد العربي . وهذا « الموقف الراهن » تسبب عن التوجهات الجديدة التي تلاحقت على الساحة العربية بهدف اعادة مد الجسور مع الاردن وما سمي باعادة بناء الجبهة الشرقية . من هذه الاتصالات الاجتماع الذي عقده الاخ ابو عمار يوم ٨/١١ مع عبدالله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي . وفي دمشق كذلك عقد اجتماع بين ابو عمار والفريق حافظ الاسد ، رئيس الجمهورية العربية السورية يوم ٨/١٣ ، كما اجتمع الفريق الاسد يوم ٨/١٦ بوفد من منظمة التحرير الفلسطينية مؤلف من خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، وزهير محسن ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . كذلك اجتمع ابو عمار يوم ٨/٢١ مع السيد عبدالحليم خدام ، وزير الخارجية السوري، وحضر هذه المقابلة عدد من قادة الثورة الفلسطينية. وصرح ابو عمار لوكالة الانباء الفلسطينية (٨/٢٢) بأنه استعرض مع الوزير السوري اوضاع المنطقة

العربية وموضوع مؤتمر قمة عدم الانحياز والتنسيق العربي في هذا المؤتمر ونتائج رحلته الاخيرة الى موسكو . على صعيد آخر اجتمع ابو عمار في دمشق (٨/١١) مع الدكتور حسن صبري الخولي، الممثل الشخصي للرئيس السادات ، وذلك بعد عودة الخولي من زيارة رسمية الى الاردن . وفي القاهرة اجتمع ابو اياد ، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح برافقه جمال الصوراني ، مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة ، وربحي عوض ، ممثل فتح في القاهرة ، يوم ٨/١٨ مع الدكتور حافظ غانم ، الامين الاول للاتحاد الاشتراكي العربي في جمهورية مصر العربية . وذكرت « وفا » ان وفد الثورة الفلسطينية ناقش في هذا الاجتماع في مواضيع تتعلق بالموقف العربي الراهن . وقد ذكرت « وفا » (٨/٢٣) ان الرئيس انور السادات وجه الدعوة للاخ ابو عمار لزيارة جمهورية مصر العربية . وقد وصل ابو عمار الى القاهرة صباح ٨/٢٠ واجتمع في اليوم نفسه مع الفريق اول احمد اسماعيل ، وزير الحربية المصرية والفريق سعد الدين الشاذلي ، رئيس هيئة اركان القوات المصرية . كما اجتمع بكل من الدكتور محمود فوزي ، نائب رئيس الجمهورية المصرية ، والسيد ممدوح سالم ، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . والتقى كذلك ضمن سلسلة لقاءاته مع المسؤولين المصريين بالدكتور حسن صبري الخولي . وفي اليوم التالي اجتمع مع الرئيس انور السادات وقد حضر الاجتماع فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية . وذكرت « وفا » (٩/١)

ان البحث تناول العلاقات الفلسطينية المصرية وآخر تطورات الوضع الفلسطيني والعربي . أما على صعيد العراق فقد قام ابو عمار بزيارة الى بغداد يوم ٨/١٩ قادما من موسكو وذكرت صحيفة « الجمهورية » العراقية (٨/٢٠) ان ابو عمار عقد خلال وجوده في بغداد لقاء مع السيد علي فنام ، عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، استغرق ثلاث ساعات وقد حضر اللقاء السيد مرتضى سعيد عبد الباقي ، وزير الخارجية العراقية . وفي لبنان قام ابو عمار (٨/٢٥) بزيارة السيد تقي الدين الصلح في منزله ببيروت وقالت « وفا » ان الحديث تناول العلاقات اللبنانية والوضع العربي الراهن . وفي ليبيا اجتمع ابو اياد وفاروق القدومي يوم ٨/٢٧ مع الرئيس معمر القذافي وقد حضر الاجتماع السادة عبد السلام جلود ، رئيس الوزراء الليبي ، وعبد الكريم الهوني وعمر المحيشي ، عضوا مجلس قيادة الثورة الليبي ، كما حضره ايضا ربحي عوض ، ممثل فتح في القاهرة . وذكرت « وفا » (٨/٢٧) ان القادة الليبيين والفلسطينيين استعرضوا في اجتماعهم الموسع الوضع العربي الراهن والمؤامرات التي تتعرض لها الثورة الفلسطينية وأكد القذافي وقوف ليبيا الكامل الى جانب الثورة الفلسطينية . وفي ٩/٢ قام ابو عمار بزيارة الى ليبيا وذكرت صحيفة « الانوار » اللبنانية (٩/٣) ان ابو عمار سيقوم خلال الزيارة بتقديم التهنئة الى رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة الليبي بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة الليبية .

اللجنة التنفيذية

عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ٨/٢١ اجتماعا في دمشق برئاسة الاخ ابو عمار ، وصرح ابو عمار (لوفا) (٨/٢٢) ان اللجنة بحثت عددا من القضايا الفلسطينية والعربية وموضوع مؤتمر القمة القادم لدول عدم الانحياز ، كما بحثت نتائج رحلة ابو عمار الى موسكو وبغداد ونتائج رحلة وفد الثورة الفلسطينية الذي شارك في احتفالات جمهورية الكونجو الشعبية بأعياد الثورة . كما عقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا آخر يوم ٨/٢٦ بحثت فيه كما ذكرت « وفا » مختلف قضايا الساعة فلسطينيا وعربيا ودوليا .

المخيمات : نضال مطلبي

تراكمات السنين الطويلة التي سببتها سياسة وكالة الغوث الدولية في مخيمات الفلسطينيين تفجرت في الاسابيع القليلة الماضية بموجة من الغضب الذي تصاعد في احدى ذراه الى درجة النضال المطلبي الذي اتخذ له هذه المرة أهدافا محددة واضحة ، منصبا على مطاليب محددة ،

ممارسا الاساليب المعهـودة في هذا الشكل من النضال . فالتذمر **العام** الذي كان يميز كل حديث يتناول **سياسة الوكالة** ، تبينت ملامحه ومحدداته في الحركة المطلبية الاخـيرة في المخيمات ، التي **فصلت** هذا التذمر العام **وشخصت** مسبباتـه ، ووضعتها في حدود « المعقول » الذي يمكن تحقيقه. مثلا : كانت مطاليب سكان مخيمي برج الشمالي والقاسمية الذين احتلوا مكاتب الاونروا في ٨/١٦ كما يلي ، بالنسبة لسكان المخيم الاول : ١ — حفر بئر ارتوازية ٢ — تأمين طبيب دائم ٣ — مراقبة التموين ٤ — تغيير سقـوف المنازل (التنـك) المهترئة . ومطاليب سكان المخيم الثاني كانت : ١ — الاعتراف بمخيم القاسمية كمخيم قائم بذاته ومعاملته على هذا الاساس كبقية المخيمات ٢ — بناء مدرسة نموذجية ٣ — تأمين طبيب دائم ٤ — تغيير سقوف المنازل المهترئة . (الحياة ٨/١٧). ولقد تمكنت هذه المطاليب المتواضعة والتي تمس حياة المواطن في الصميم في وقت واحد ، تمكنت ان تكون أهدافا حقيقية استقطبت حولها سكان المخيمين المذكورين واهتمام المخيمات الاخرى التي تعاني مشكلات مماثلة او مشابهة . فقد تضامن في البداية مع سكان هذيـن المخيمين سكان مخيمين آخرين حيث انضم الى المعتصمين في مكاتب الوكالة من المخيمين الاولين عدد من سكان مخيمي عين الحلوة والمية ومية (في الجنوب) ، ثم امتد هذا التأثير الى مخيم تل الزعتر (القريب من بيروت) الذي قدم ايضا مطاليب تواجه مشكلات نابعة من واقعه . ففي بيان أصدرته اللجنة الصحية في مخيم تل الزعتر (٨/١٨) تحددت هذه المشكلات بما يلي : ١ — زيادة عمال التنظيفات وتوفير سيارات لنقل النفايات وتوفير الادوية المبيدة للحشرات . ٢ — فتح مستوصف . ٣ — توفير المياه . ٤ — تعبيد الشوارع والطرقات داخل المخيم. ٥ — صرف اعاشة جميع افراد كل اسرة دون قطع اية اعاشة لاي سبب كان (وفا ٨/١٨) .

وقد مارس سكان المخيمات لتحقيق هذه الاهداف الاساليب المتبعة في هذا النمط من النضال المطلبي. فعندما فشلت جميع الجهـود « لاقناع » الوكالة بتحقيقها، وهي جهود تمثلت في سلسلة من اللقاءات مع المسؤولين في الوكالة طوال شهر تموز ومطلع شهر آب ، لجأ سكان المخيمات (في البداية مخيم البرج الشمالي والقاسمية — البرغلية) الـى الاعتصام بمكاتب الوكالة ثم احتلوا مكتب صيدا (٨/١٨) ثم أعلن سكان المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان اضرابا مفتوحا اعتبارا من ٨/٢٢ وانذر المعتصمون في مكاتب وكالة الغوث في صور وصيدا بتصعيد الاعتصام ليشمل كافة المخيمات الفلسطينية في لبنان . وقد أجملوا مطاليب مخيمات الجنوب بما يلي : ١ — الخدمات الصحية والاجتماعية . ٢ — اعطاء الاغاثة للمواليـد الجدد مع اعادة الاغاثات المقطوعة . ٣ — توفير المياه لمخيمات البرج الشمالي والمية ومية والبص والقاسمية . ٤ — بناء مركز للتغذية والعيادة في مركز النبطية وهما مركزان دمرهما القصف الاسرائيلي . ٥ — اعادة ترميم المساكن التي تهدمت من جراء القصف الاسرائيلي . ٦ — تأمين سيارات خاصة لجمع نفايات المنطقة وزيادة عمال التنظيفات في المخيمات. ٧ — التخلص من نظام الدفعتين لتلاميذ المدارس بانشاء أبنية جديدة وتعيين مدرسين . ٨ — مساواة طلاب الصف الواحـد بطلاب الصف الواحد في المدارس الحكومية . بيد ان الوكالة لم تستجب لهذه المطاليب المقرونة بالاضراب . فقامت **اللجان الشعبية** المشكلة في مخيمـات الجنوب باتصالات موسعة (٨/٢٤) مع جميع مخيمات الفلسطينيين في لبنان بهدف توسيـع الاضراب والاعتصام . وكانت مطاليب مخيمات الجنوب بمثابة برنامج عمل في الدعوة الى توسيع الاضراب . غير ان عاملا جديدا دخل في هذا البرنامج وفي مسيرة الحركة في المخيمات جميعا تمثل بقيام الوكالة (وفا ٨/٢٥) بفصل ٧٥ معلما من المتعاقدين معها بحجة حصر النفقات (ينتج عن ذلك تخفيض عدد الصفوف في المدارس وزيادة عدد الطلاب في الصف الواحد) . وقد جاء قرار الوكالة هذا الذي اتخذ في اثناء العطلة الصيفية وغيـاب الطلاب والمعلمين عـن المدارس ليمثل تحديا جديـدا لسكان المخيمـات واشارة واضحة الى تعنت الوكالة . وقد كان الرد المباشر من أهالي المخيمات والمعلمين على السواء ان دمجت مطاليب المعلمين بمطاليب الاهالي وتوحد نضالهم حول هذه المطاليب المشتركة ، بعد ان برزت أمام الاهالي من جديـد مشكلة أخرى مشخصة ومحددة تستقطب تحركهم . كما كان هذا القرار من جانب الوكالة سببا في ضخ فئة جديدة (المعلمين) في شريان حركة المخيمات المطلبية . وقد لجأ المعلمون المصروفون اعتبارا من ٨/٣٠ الى

الاعتصام سلميا في مكاتب الوكالة في لبنان (مكتب سن الفيل في بيروت) بعد أن وزعوا بيانا استنكروا فيه صرف المعلمين من فئة « x » (وهم المتعاقدون سنويا) والمياومين ، وطالبوا بالغاء القرار معلنين الاعتصام حتى يتحقق مطلبهم . ومرة أخرى دخل مع اعتصام المعلمين عامل جديد هو اثارة مطاليب طلاب مدارس الوكالة . فقد انضم عدد من هؤلاء الطلاب الى اعتصام المعلمين وشاركوا فيه رمزيا ليوم واحد وأثاروا قضاياهم في بيان وزعوه وحددوها كما يلي : ١ — عدم زيادة طلاب الصف الابتدائي عن ٤٠ طالبا والصف التكميلي عن ٣٥ طالبا . ٢ — الغاء نظام الدفعتين والترفيع الآلي . ٣ — العمل على ايصال الكتب وتعيين المدرسين الجدد والتنقلات قبل بداية العام الدراسي . ٤ — تأمين طبيب يداوم في المدارس . ٥ — اعادة المعلمين المصروفين .

وابتداء من ٩/٢ امتد اعتصام المعلمين الى كل مكاتب الوكالة في مخيمات لبنان وشارك عشرات من المعلمين (من غير المصروفين) في الاعتصام . وقد أكد المعلمون المعتصمون في بيان وزعوه استمرار اعتصامهم لدعم كل المطاليب الشعبية في المخيمات بالاضافة الى نيل حقوقهم الخاصة بتثبيتهم في وظائفهم الحالية وادخالهم معهد التربية والغاء سياسة الـ ٥٥ طالبا في الصف الواحد . وقد تصاعدت حركة أهالي المخيمات ووصلت ذروتها اعتبارا من ٩/٣ عندما قاطعت كل المخيمات الفلسطينية في لبنان الخدمات التي تقدمها وكالة الغوث في مختلف المجالات الصحية والتربوية والمعيشية . وقد حاولت الوكالة ان تشق مطاليب المعلمين فقامت باعادة المعلمين المتعاقدين سنويا اما المياومون وعددهم ٢٣ فقد رفضت اعادتهم في الحال ووعدت بالحاقهم بأي وظيفة خالية في المستقبل وقد رفض المعلمون المعتصمون هذه المحاولة واعلنوا « اننا لن نبارح المكان (مركز الاعتصام) الا في حال اعادتنا جميعا الى العمل » (النهار ٩/٩) . وقد قامت اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان (تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية) بجهد كبير في تنسيق تحركات أهالي المخيمات من جهة والضغط على الجهات المسؤولة في الوكالة والاتصال بالسلطة اللبنانية لتحقيق مطاليبهم من جهة ثانية . وكان أبرز الجهود التي عقدت في هذا الخصوص اجتماع العمل الذي عقد يوم ٩/٧ في المديرية العامة للامن العام وحضره العقيد الركن انطوان دحداح ، المدير العام للامن العام ، وجون رينيه ، المفوض العام لوكالة الغوث ، وتوفيق الصفدي وحنا بطحيش ويونس طه ، ممثلو اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين. وقد أصدرت اللجنة في نهاية الاجتماع بيانا ذكرت فيه اللجنة انه تم التوصل الى تحقيق بعض المطاليب الملحة والعاجلة على ان يصار الى معالجة المطالب الاخرى في اجتماع لاحق. وذكرت «الانوار» (٩/٨) انه تقرر في الاجتماع اعادة المعلمين المصروفين كما تقرر حفر بئر ارتوازية في مخيم البرج الشمالي . وان رينيه وعد بدراسة موضوع التطبيب في المخيمات مع مساعديه على اساس تعيين طبيب لكل مخيم . وقد عقد اجتماع آخر في وقت لاحق أصدرت اثره اللجنة السياسية (٩/١٠) بيانا ذكرت انه تقرر فيه « اعادة المعلمين المصروفين ، حفر بئر ارتوازية في مخيم البرج الشمالي ، صرف الاعاشات المجمدة وعددها ثلاثة آلاف اعاشة ، توزيع الحليب في كل المخيمات ، تحسين أصناف المواد التموينية ، الاهتمام بالنواحي الصحية وتعيين طبيب لكل مخيم ، تأمين الدواء اللازم ، زيادة عدد الاسرة في المستشفيات التي تتعاقد معها الوكالة ، ايجاد شبكات مجارير تنقل المياه خارج المخيمات ، زيادة عدد مراكز توزيع المياه ، توزيع مواد السقف كالواح التوتيا والزينكو ، توزيع الكتب في مطلع السنة الدراسية، انجاز بناء مدرسة البرج الشمالي لتستقبل تلاميذها هذه السنة ، الاعتراف بالتواجد السكاني في مخيم القاسمية — البرغلية مخيما قائما في ذاته وتقديم الخدمات اليه من قبل الوكالة في حال موافقة الدولة على ذلك » . واختتم البيان بالقول « ان اللجنة السياسية العليا التي استطاعت بفضل نضالكم الجماهيري ، تحقيق بعض المطالب الملحة والعاجلة تطالبكم بوقف الاعتصام والعودة الى الوضع الطبيعي وهي تعاهدكم على ان تستمر في نضالها من اجل تحقيق المطالب الاخرى » .

عصام سخنيني

— ٣ —

تبدأ دولة الاحتلال الصهيوني في هذا الوقت جولة اخرى من النشاط العسكري ، ظهرت بوادر في القتال الجوي الذي حدث بين اسراب من الطيران المعادي والطيران العربي السوري .

وهدف دولة الاحتلال من مثل هذه الغارات دائما :

أ — اشعار الدول العربية انها عاجزة وان سلاحها قاصر ، وان عليها ان تجلس الى مائدة الاستسلام .

ب — اشعار الجماهير بعجز حكوماتهم وقواتها وبعث مقاومتها .

ان النشاط العسكري الذي تقوم به قوات الاحتلال مرتبط بالجو السياسي العام دائما ، وله اهداف سياسية واضحة . ولذلك يجب ان يكون واضحا ان دولة الاحتلال ترمي دائما الى الدفع باتجاه الاستسلام ، وان عملياتها العسكرية حلقات مدروسة ضمن خطتها العامة .

ان مواجهة هذه المخططات ما زالت منذ سنة ١٩٤٩ مواجهة قاصرة . وما ذلك الا لان الانظمة العربية لم تصل بعد الى مستوى الاعداد لمواجهة حقيقية . وهذه المواجهة تتطلب : أ — اعداد الجماهير العربية للقتال ، واعداد المدن والقرى اعدادا عسكريا يمكنها من تحمل نتائج القتال . ب — اعداد الجيوش للمعركة اعدادا عصريا وثوريا . ج — توحيد القوى العربية والاستفادة من كل طاقاتها . د — حماية الثورة الفلسطينية ومساعدتها على اداء دورها . ولكن من الذي سيفعل ذلك كله !

ان الانظمة العربية كلها ما زالت ترتجف هلعا امام العدو الصهيوني ، وفي الوقت الذي تبحث فيه عن امكانيات « حل سلمي » تزداد تضاؤلا ، لا ترمي بثقلها في اتجاه القتال .

— ٤ —

تطرح في هذا الوقت ايضا اوساط عربية ، منها الاوساط الحاكمة في مصر ، ضرورة استخدام النفط سلاحا في المعركة . ولقد وجدت هذه الدعوة لها صدى على صعيدين : الاول : ليبيا . وقد قامت بتأميم ٥١ بالمائة من أسهم كل شركات النفط . الثاني : المملكة العربية السعودية ، وقد صرح الملك فيصل قائلا : « نحن لا نريد ان نحد من تصديرنا البترول الى الولايات المتحدة ، ولكن الدعم الاميركي الهائل لاسرائيل ضد العرب، يجعل من الصعب جدا استمرار تصدير البترول الى الولايات المتحدة واستمرار صداقتنا لها » . (نداء الوطن عن التايمس ١٩٧٢/٩/١٣) . اما المسؤولون الليبيون فقد اعتبروا النفط سلاحا هاما في المعركة (الانوار ١٩٧٣/٩/١١) .

وقد اثار التأميم الليبي وتصريحات فيصل موجة من التعليقات والتصريحات في كل بلدان العالم ، وخاصة في الولايات المتحدة الاميركية . وكانت الاوساط الاميركية هي الاكثر قلقا . وكان هذا واضحا في المؤتمر الصحفي الذي عقده نيكسون والذي اعترف فيه : « ان الولايات المتحدة تجتاز خطر ان تكون تحت رحمة منتجي النفط في الشرق الاوسط » . واضاف نيكسون : « ان اميركا لم تصل الى ذلك بعد ، ولكنها قد تواجه سريعا بالدوامة المؤلمة في ان يكون عليها ان تخفض استهلاك النفط تخفيضا شديدا — او ان تخضع سياستها الخارجية لامرة بارونات النفط العرب » . وقد خصصت مجلة نيوزويك تقريرا لهذا الموضوع (١٩٧٣/٩/١٧) جاء فيه : « ان العرب ، بما انه ليس لديهم أمل في حل نزاعهم الدموي مع اسرائيل بقوة السلاح فانهم يتجهون الى سلاحهم الحقيقي الوحيد : النفط » . وتضيف المجلة : ان الهدف الحقيقي ، طبعا ، هو الولايات المتحدة وتأييدها المستمر لاسرائيل » .

ولقد اتخذت الولايات المتحدة اجراءاتها لحل ازمة الطاقة . ومن هذه الاجراءات التي أعلن عنها نيكسون ، ووزير خارجيته ايضا ، ضرورة حل ازمة الشرق الاوسط عن طريق المفاوضات .

ان الولايات المتحدة تخشى استخدام النفط العربي سلاحا ، ولذلك تدرس كل الاحتمالات حتى لا تقع في ورطة . الا ان استخدام النفط سلاحا يتطلب ان تتخذ الدول العربية موقفا موحدا وسريعا قبل ان تجد الولايات المتحدة واوروبا الحل . والدول العربية المنتجة للنفط لا تتحد ! لانها غير جادة في موقفها من الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية .

ثم ان النفط سلاح ، ولكن التلويح بالنفط لا يحرر فلسطين ، انه قد يدفع الولايات المتحدة لاتخاذ مواقف اقل اندفاعا في تأييد دولة الاحتلال ،

ولكنه لن يخرج الاحتلال . ونحن لا نريد تخفيف غلواء الولايات المتحدة فحسب . اننا نريد انهاء الاحتلال . وانهاء الاحتلال لا يكون بغير الحرب. والحرب ليست نفطا .

ان النفط لا يمكن ان يكون سلاحا رهيبا ضد العدو ، اذا ما جرت مصادرة املاك الشركات الاجنبية ووضعت هذه الثروة الهائلة في خدمة السياسة الحربية . وبهذا فقط يصبح النفط سلاحا .

ان الولايات المتحدة تعمل بعزم من أجل عدم الخضوع لاي ابتزاز ، ولذلك فانها تسرع الان في ترتيب الامور في المنطقة ، بتصفية الثورة الفلسطينية وحركة التحرر الوطني العربية ، وباخضاع المنطقة لنفوذها من جديد .

— ٥ —

ان المنطقة تجتاز مرحلة حرجة فعلا ، ولذلك فان القضية الفلسطينية تجتاز مرحلة من أدق مراحلها واحرجها . وان الثورة الفلسطينية ستواجه في الايام القادمة مأزقها العربي من جديد ، كما لم تواجهه من قبل . ان بعض الانظمة يريد اليوم ان يجني ثمار ايلول سنة ١٩٧٠ .

ناجي علوش

ملحق القضية الفلسطينية عربيا

الاردن : متغيرات الصراع ... والمقاومة الفلسطينية

في الاشهر الاخيرة بدأت السياسات والاهداف التي تعبر عن المصالح المختلفة في الاردن تكشف عن نفسها بصراعات تتعاكس او تتداخل حسب طبيعة علاقاتها بعضها بالبعض . ولمعرفة طبيعة اتجاهات متغيرات الصراع في الشهرين الاخيرين لا بد من استعراض سريع لخلفية المتغيرات التي تحكم الصراع .

ان الدور الذي اضطلعت به المملكة الاردنية منذ تأسيسها تجاه القضية الفلسطينية واسرائيل قد بلور وركز طبقات ومصالح اجتماعية ، واشاد اجهزة دولة يرتبط استمرارها ومصالحها بتنفيذ ذلك الدور . ومن أهميته ومن خلاله تركزت المصالح والاهداف البريطانية والامريكية. وبالترافق والتزامن معها تحددت الاهداف ونفذت المخططات الاسرائيلية . وعبر الارتباط بتلك السياسات والمصالح تبلورت المواقع والمصالح الاقتصادية للتحالف الحاكم في الاردن .

وبالمقابل فقد تركزت في الوطن الاردني وفي جزء من الوطن الفلسطيني [الضفة الغربية] وتبلورت أهداف ومهمات حركة التحرر الوطني الفلسطينية والاردنية وتداخلت في حلقات كفاحية مشتركة . وبعد حزيران ١٩٦٧ اكتسبت الضفة الشرقية من الاردن أهمية استثنائية ، خاصة لحركة التحرر العربية (الانظمة) وبالاخص دول المواجهة منها ، وهي تتصدى لمعضلة الاحتلال . هذه المصالح والاهداف المتداخلة منها والمتعارضة والتي قد عبرت عن نفسها بأشكال وصراعات مختلفة هي التي تحكم معالم وآفاق الصراع وتغيرات موازين القوى بين اطرافه . بين جبهة القوى الامبريالية الامريكية واسرائيل والرجعية الاردنية وجبهة حركة التحرر الفلسطينية — الاردنية والعربية وجميع قوى التقدم والتحرر العالمية .

(١) الاستراتيجية الامريكية والنظام الاردني :

منذ بدأت الولايات المتحدة علاقتها بالنظام الاردني اتخذت من الاردن خاصة بعد عام ١٩٥٧ قاعدة ضد

حركة التحرر العربية الى جانب الدور الـــذي يضطلع به ضد حركة التحرر الفلسطينية . وفي الاشهر الاخيرة وبسبب من المصالح والاهـداف الامريكية لدفع الهزيمة العربية الى نهايتها ، يبدو واضحا ان السياسة الامريكية أمام خيارات مختلفة يمكن ان يتخذها شكل علاقاتها به حسب ما تتطلبه المصالح الامريكية الاستراتيجية في المنطقة وما تعينـه حدود مجريات الصـراع العـربي الاسرائيلي . ولما كان الموقف تجاه الانظمة المرتبطة بالاهداف والسياسات الامريكية يكمن في الدور الذي يؤديه ذلك النظام ، فانه عرضة للتغير في مراحل مختلفة عبر الحسابات المتغيرة التي تصب في خدمة الاستراتيجية العامة . وهذا يعني انها قد تلجأ الى تغيير رأس النظام أو قمته او حتى شكل الحكم فيه مع الحفاظ على الطبيعة الطبقية له ، والتي تمكن في استمرار تأدية الدور اياه . اما الحالات التي قد تضطر فيها للتخلي عن النظام بمجموعه ، او تكون غير معنية بمصيره ، فهي حالات حساب الصفقات السياسية البديلة .

في مقابلة بين احد الصحفيين الاردنيين واحد كبـار مساعدي الخارجيـة الامريكية اد سافيج تعليقا على حديث بورقيبة الذي طرح فيه مسألة الكيان الاردني على بساط البحث يؤكد سافيج « ان أي نظام صديق لنا لن نبكي عليه اذا سقط وان أي نظام يقوم نتعاون معه ما دام النـفط العربي يصل الى امريكا . لقد توقفت امريـكا عن الرهان على حصان واحد ... انها اليوم تراهن على الشوط بأكمله ، والحصان الـذي يصل يكون هو الرابح » [الحوادث اللبنانيـة ١٩٧٣/٧/١٨] . ويعبر تصريح سافيج عـن حقيقة ان النظام ــ الاداة ليس غاية بحد ذاته بل وسيلة تحقيق الاهداف الامريكية ، وهو حينما يستنفذ وتصبح حسابات استبداله أكثر أهميـة للمصالح الامريكية يلفظ كالنواة . هكذا « أخرج دلس دييم من كمه » كما يقول الفيتناميون ، وهكذا استبدل دييم بكاوكي والاخير بثيو . ولكن الموقف الامريكي في الاردن يبدو أكثر تعقيدا مـن غيره وفي أي مكان آخر . والتضحية بنظام حسين لا تزال مبكرة ويمكن ان تكون فحسب احـدى البدائل التي تساعد في مرونة السياسة الامريكية. انها تكون مدرجة فقط ، اذا كان في نهاية النظام الاردني تصفية للقضية الفلسطينية وضمان للمصالح الاستراتيجية الامريكية ، بمعنى تصفية للقضـية التي وجد لانجازها والدور الذي اوكل اليه في مسيرته السياسية .

جوزف سيسكو مساعد الخارجية الامريكيـة يؤكد « عزم واشنطن على الاستمرار في دعم الاردن في جميع المجالات خاصة في الدفاع والتنمية» [التقرير الصحفي عدد ٤٨ ، مركز الابحاث] هل يعني ذلك ان الرجلين متناقضان؟ كلا أبدا. فما يقوله سيسكو هو تعبير عن السياسة الامريكية في الظرف القائم . اما ما يقوله اد سافيج فهو مرتبط بتطورات ميزان القوى وحسابات المصالح الامريكية في ايجاد «المعادلات الصحيحة» بين ضمان استمرار تدفق الطاقة والمصالح الامريكية الاخرى من جهة والحفاظ على ميزان القوى العسكري في صالح اسرائيل من جهة اخرى . وهذا ما يجد ترجمته في التفسير الامريكي للقرار ٢٤٢ ومفهوم الولايات المتحدة للمصالح المشروعة للشـعب الفلسطيني . ورغم غموض المفهوم الامريكي فان صمود الثورة الفلسطينية وحضورها الدولي هو الذي ارغم الولايات المتحدة على الاخذ بمفهوم اولي خارج القرار ٢٤٢ . ويبدو عدم الوضوح والمناورة في الموقف الامريكي من تصريح سيسكو ايضا « ان الولايات المتحدة لم تجر أية اتصالات مع أية منظمة او جمـاعة فلسطينية معينـة ، وان هذا لا يعني اننا لم نجر اتصالات من وقت الى آخر مع فلسطينيين فنحن نحاول دائما ان نستطلع الاراء في مناسبات وفرص مختلفة دون طابع رسمي » [التقرير الصحفي ٤٨] . ويبدو واضحا الهروب من تحديد ممثلي الشـعب الفلسـطيني ، وبالتالي الحقوق المشروعـة في التفسير الامريكي .

ان صمود الثـورة الفلسـطينية وتصاعدها واحتمالات تفجر الصراع في عموم المنطقة وتجذره امام التصلب الاسرائيلي وزحف «حدودها الآمنة» نحو خطوط عام ١٩٦٧ يضع امام السياسـة الامريكية مصير النظام الاردني في معادلة حـادة. تصفية نظام الملك مقابل تصفية القضية الفلسطينية كمدخل لاستقرار امريكي ــ اسرائيلي ــ عربي مزعوم .

(٢) **السياسة الاسرائيلية والاردن** : لقد مرت السياسة الاسرائيلية تجاه الاردن بثلاث مراحل بعد حزيران ١٩٦٧ . الاولى هي التي رافقت صراع النظام مع حركة المقاومة الصاعدة ٦٨ــ٧٠

وتمثلت في الاستعداد الاسرائيلي للتدخل العسكري لحماية النظام عند اختلال ميزان القوى لصالح حركة المقاومة . والثانية هي مرحلة التلويح بالموافقة على مشروع المملكة وباعتباره [مع بعض التعديلات في حينه] مقاربا لمشروع الون عبر اتفاقية سلام منفردة مع الاردن . والثالثة هي التي انعكست بدايتها بردود الفعل الاسرائيلية السريعة تجاه المشروع البورقيبي الغامض كأساس للمفاوضة [هامش الغموض يكمن في حده الاقصى شموله الضفة الشرقية وما خصص للعرب في قرار تقسيم ١٩٤٧ من فلسطين ، والادنى في الضفة الشرقية] . وقد تجلى الموقف الاسرائيلي برفض أي كيان فلسطيني على أرض فلسطينية مهما كانت طبيعته ، وهذا ما يعكس حقيقة حدود الهامش بين « الصقور » و « الحمائم » الذي تقلص كثيرا في قرارات حزب العمل الحاكم الاخيرة. بل كاد أي اختلاف يختفي بين الاتجاهين : فدايان يقول « لقد اختفت فلسطين سنة ١٩٤٨ . ويجب ان تكون فلسطين جزءا من دولة الاردن . سمها منطقة فلسطينية في اتحاد الاردن، سمها ما تشاء، لكن لا تسمها دولة مستقلة » [مقابلة تايم ١٩٧٣/٧/٢٤] . وتقول مائير « لا مكان بين البحر والصحراء (حدود العراق والاردن) الا لدولتين : اسرائيل والاردن » . ويقول ايبان : « ليس هناك وجود لشعب فلسطيني فأغلبيته أصبح اردنيا . وأي حديث عن حقوق خاصة للفلسطينيين كلام لا معنى له » (في خطاب للكنيست ١٩٧٣/٧/١٨) [الحرية اللبنانية ١٩٧٣/٨/٢٧]. وان مرفليت في [هآرتس ١٩٧٣/٧/١١] يشير الى خطاب دايان في التخنيون « هناك تيار مستمر في فلسطنة عمان الذي يزيد من ارتباط سكان الضفة الغربية بدولة الاردن ، وتصبح مملكة الاردن بحسب هذا التيار مختلطة او يأخذ التيار مجراه دون العرش ... هذا التيار هو شرط حيوي للتسوية مع اسرائيل وهو يتطلب زمنا طويلا . [نشرة مؤسسة الدراسات ١٦/١٤ تموز ١٩٧٣] .

هذا التطور في السياسة الاسرائيلية تجاه الكيان الاردني ، منذ نشوئه ككيان عازل لحماية اسرائيل واداة للتصدي لمقاومة الشعب الفلسطيني الى موقف يؤدي حتى الى ان يأخذ التيار مجراه دون العرش » [العرش الذي كانت اسرائيل مستعدة لحمايته عسكريا في ايلول ١٩٧٠] هي سياسة تنبع من استراتيجية ثابتة ذات حلقات مرحلية مترابطة ومنسجمة تبدأ باستخدام الاداة ، ثم تغير لها دورها ، وتنتهي بالموافقة على سقوط العرش ولكن النهاية الاخيرة للعرش لا توافق عليها اسرائيل بالطبع الا اذا كانت مترافقة مع التصفية النهائية للقضية الفلسطينية . وبالتصدي لانهاء أية امكانية لكيان فلسطيني مستقل كما هي سياسة دايان (الصقور) . وهو لا يفترق كثيرا عن موقف الون (الحمائم) حينما يقول في مناقشات حزب العمل حول المفاوضات مع الاردن « ان أي اتفاق لا بد ان يضمن حلا دائما للمشكلة الفلسطينية [الحرية ١٩٧٣/٨/٢٠] .

أما هامش التعارض بين السياسة الامريكية والاسرائيلية تجاه النظام الاردني فهو بدوره ايضا يتقلص ويتراجع بنسبة طردية مع التنازلات العربية ويمكن تلخيصه في الفرق بين التفسير الامريكي للقرار ٢٤٢ الذي يتضمن تأييد المفاوضات المباشرة التي تصر عليها اسرائيل وتفهمه«للطموحات»اسرائيل في التوسع الاقليمي في الضفة الغربية بحجة تحقيق « الحدود الامنة » . والموقف الاسرائيلي (الصقور) القائل « بأن المشكلة الفلسطينية تجد حلها في الضفة الشرقية من النهر » . وبالرغم من ان الموقف الامريكي لا يزال « يعترض » على حدود « الطموحات » التي تقضم الضفة الغربية كاملة فهو بالمقابل مع جميع طموحات التوسع«الضرورية» مقتربا شيئا فشيئا من مشروع الون باضافة شريط بشري الى الضفة الشرقية من المملكة . وكلما تقلصت الارض « المتنازل » عنها في مشروع الون خاصة في البرنامج المشترك لحزب العمل الاخير استجاب الموقف الامريكي عمليا لزحف الحدود الآمنة (وان كانت الاستجابة غير سريعة وغير متطابقة) بتوفيره الغطاء السياسي والعسكري الدائم للموقف الاسرائيلي .

هذه السياسات الامريكية والاسرائيلية المتعارضة من حيث الشكل والمتقاربة من حيث الجوهر والنتيجة تعكس نفسها بوضوح وتؤثر في سياسة النظام الاردني وهو يحاول صياغة سياسته التي تمكنه من التوفيق بين تلك المصالح والسياسات المتغيرة وبين المصالح الذاتية لتحالف الطبقات الحاكمة واستمرار وجودها .

(٣) **المصالح الاقتصادية والسياسية المتميزة للنظام الاردني** : ان الابقاء على المصالح

الاقتصادية والسياسية للتحالف القائم تستوجب الاستمرار في تأدية الوظيفة السياسية للنظام وهذه الوظيفة هي التي تحدد السياسة الاردنية العامة في كل طور من اطوار الصراع .

بعد معارك ايلول اتخذت الاعمدة الرئيسية التالية : تصفية نهائية للوجود العلني للمقاومة ، اعلان مشروع المملكة المتحدة ، الاستعداد للصلح المنفرد مع العدو ، الشروع ببرامج الانمـــاء الاقتصادية التي تشد الاقتصاد الاردني وثيقا الى الحلقات الاقتصادية الامريكية . هذه الاعمـــدة الرئيسية لا بد لها من ان تكون متداخلة مـع الاهداف الامريكية ومستجيبة لمتطلبات المخططات الاسرائيلية.وقد راهنت هذه السياسة على الموقف الاسرائيلي في اعادة جزء من الوطن الفلسطيني تحت الوصاية الاردنية واحلال « سلام » منفرد ، مقابل المبادرة الاردنية بالاعتراف بالكيان الاسرائيلي والتفريط بجزء من الوطن الفلسطيني لكسر طوق الرفض العربي حينئذ . كما راهنت على الموقف الامريكي في استمرار الدعم الاقتصادي والعسكري لمواجهة حركة التحرر الوطني الاردنية والعربية ، وكذلك في المساعدة على اقناع الاسرائيليين بقبول المشروع . وفي الاشهر الثلاثة الاخيرة بدأت الاعمدة الرئيسية لسياسة النظام ترتطم بالتناقضـــات المتفاقمة بين المصالح والسياسات المتعارضة .

علـــى الصعيد الداخلـــي الاقتصادي والسياسي يحدد فهد الفانك في محاولته لدراسة بعض الظواهر الاقتصادية في صحيفة « الدستـــور » الاردنيـــة (٨/٢٥) يحدد الاسباب الرئيسية للغلاء ويلمس بعضا من اهم جوانب الخلل في البنيان الاقتصادي ومنها : ارباح التداول بالاراضي تشكل ٢٠ ٪ من الدخل القومي ، الانتاج الزراعي متخلف عن زيادة السكان ، الاستيراد هو المنفذ الوحيد لتوفـــير السلع، ويتساءل بالنتيجة لتأكيده للازمة الاقتصادية المتفاقمة ، هل ترتبط اسعار البيع بالتكاليف حتى يكون التسعير اجباريا ؟ وهل يلغى قانون العرض والطلب بامر دفاع » وعلى الصعيـــد السياسي تحدث جمعه حماد الامين العام للاتحاد الوطني (حزب السلطة) وهو الاداة السياسية لها لفك جزء من عزلة النظام عن الجماهير ، تحدث عن تزوير الانتخابات ، المكتبية وضخامة الموظفين ، الفشل في كسب اهل المدن ، التضخم في عدد المنتسبين: ١٤٩ الفا [الانتساب اجباري لموظفي ومستخدمي الدولة] مقترحا ان يكون العدد ٥ آلاف فقط . اما الحاضرون في ندوة حماد والذين لم يتجـــاوز عددهم ١٥٠ مواطنا ، فرغم ولاء غالبيتهم الاجباري للسلطة لم يتمكنوا الا ان يتساءلوا عما يدور في اوساط الشعب وما يهم الجماهير في حياتهـــا اليومية . كانت اهم تساؤلاتهم : كيف عالج الاتحاد النعرة الاقليمية بعد ايلول ، ماذا عمل من اجل تحرير الارض المحتلة ، ولماذا فشل في كسب سكان المدن ونجح في كسب البدو! وهو ما يدل علـــى فشله في كسب من لهم خبرة سياسية ، اما كسب البدو فكان بفعل جهلهم وتفشي العشائرية . » [الى الامام ٢٤ آب] . هذا الاخفاق الاقتصادي والسياسي تراقق مع آثار العزلة العربية واستمرار حجب جزء من المساعدات المالية ، وهذا ما شكل ضاغطا باستمرار لتجديد محاولات الانفتاح العربي التي كانت تجد معارضة داخلية من « ابطال » ايلول ١٩٧٠ .

أما على صعيد محاولات التحضير « لانجاح » مشروع المملكة المتحدة والتي اتخذت شكل تحسين العلاقات مع سكان الضفة الغربية ، فنجد ان الاخفاق كان ملازما لهذه السياسة في ظواهـــر بارزة متعددة ، تراكمت وتبلورت في الشهور الثلاثة الاخيرة بشكل خاص لتؤكد اخفاق النظـــام فـــي انجاز العمود الاساسي لسياسته تجاه القضيـــة الفلسطينية .

اولى تلك المحاولات تمثلت في رفع الضريبة ٢٠٪ لكسب ولاء التجار والصناعيين في الضفة الغربية، وتمثلت الاخرى في مد جسور مع بعض الاوساط السياسية لتجديد الولاء وفشلت في تحقيق أي تقدم. وتقول فلسطين الثورة في ٢٨ آب « ان تحركـات جديدة لعملاء الملك ورجالاته بهدف التأكيد مجددا عـــلى الولاء ، قوبلـــت بالاســـتنكار والازدراء والاهانة » وكذلك ما اوردته معاريف الاسرائيلية من أن شخصيات عربية في الضفة الغربية والقطاع قد « اوحي » اليها للتعبير عن تأييدها للملك . وعلى صعد اقتصادي آخر وفي الاتجاه نفسه ولكنه يقدم خدمة اضافية لسياسة الدمـــج الاقتصادي الاسرائيلية ، ذكرت صحيفة « القدس » : « ان اتصالات تجري بين السلطات الصهيونية والملكية تهدف الى افتتاح فرعين للبنك العربي في كل من نابلس والقدس » [فلسطين الثورة ٨ آب] هذه التحركات الاقتصادية والسياسية يقابلها نشاطات

جماهير الضفة الغربية السياسية . لقد تمثلت تلك النشاطات في المذكرة التي قدمها ممثلو مختلف الهيئات الوطنية والنقابية في جميع المحافظات الى مجلس الامن يطالبون فيها « بانهاء الاحتلال بجميع صوره ، وحقهم في تقرير مصيرهم، وسيادتهم على اراضيهم » هذه المذكرة هي احتجاج على الموقف الاردني ورفض وصايته واسقاط ادعاءاته في تأييد الجماهير الفلسطينية للملك [الحرية ١٣ — ٨] والمذكرة الثانية من أهل الارض المحتلة الى سكرتير هيئة الامم المتحدة والتي تضمنت تواقيع ١٥٠ شخصية من ممثلي الرأي والنقابات والهيئات في الضفة الغربية وقطاع غزة معارضة اجراءات العدو ، ومؤكدة على حق الشعب في تقرير المصير بحرية تامة فوق ارضه والعودة الى دياره » [الفجر القدسية ١ ايلول] هذه النشاطات السياسية لجماهير الضفة والقطاع والتي عاكست مشروع الملك كانت تعبر عن الوجه الثاني لمقاومة الاحتلال ومكملة لظواهر اخرى اندلعت في مواجهة اجراءات العدو لمصادرة الاراضي ، فكان « الاعتصام والصيام في بلدية نابلس الذي استمر اسبوعا كاملا وحظي بتأييد رؤساء البلديات وجميع ممثلي فئات وطبقات الشعب دليلا على التصميم في الدفاع عن ارض الوطن ومواجهة الاحتلال » [الشعب ٦ ايلول] . هذه الاتجاهات المعارضة للنظام الاردني ساهمت هي الاخرى بالانتصارات السياسية العالمية التي أحرزتها حركة المقاومة ، منذ انتصاراتها العسكرية والسياسية في صد هجمة ايار ، والتي تمثلت في : مقررات مؤتمر القرم للدول الشيوعية تجاه القضية الفلسطينية والمعاهدة الالمانية وانتصارات مؤتمر الشبيبة في برلين واخيرا في مؤتمر الجزائر .

ان اخفاقات السياسة الاردنية الاقتصادية والفلسطينية (مشروع المملكة) مقابل انتصارات حركة المقاومة وتأكيد ثقلها الدولي كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني قد حشر النظام في الزاوية وهو في بداية مرحلة الانفتاح العربي . وفي هذه الاجواء جاء مشروع بورقيبة الذي وضع النظام الاردني موضع المساومة ، والرد الاسرائيلي الذي سحب الارض من تحت مشروع مملكته المتحدة وبالترابط بين الموقف الداخلي والامريكي والاسرائيلي وليدخل الملك ونظامه ولاول مرة في مأزق جدي خطير ذي اطراف متعددة . هذا المأزق التاريخي تلقي كلمات زيد الرفاعي ضوءا على أحد جوانبه : « افهمونا ، انا مستعد ان اوقع صلحا مع اسرائيل ولكن هم الاسرائيليين لا يريدون » ، وهذا الكلام مكمل لتصريحات دايانية قديمة « ان اسرائيل غير مستعدة لتوقيع صلح يمكن أن ينقصه ضابط مغامر » [٥ — ٩] وبالطبع ان دوافع عدم عقد اتفاقية صلح مع الملك ليست كما يدعي دايان بهذا التصريح بل تنسحب على الوضع الفعلي لعلاقة اسرائيل بنظام الملك [الجسور المفتوحة مثلا] الذي يخدم اسرائيل ومخططاتها دون الدخول بمفاوضات رسمية ، قد تضطر اسرائيل للتوقف عند حدود معينة . ومن هذه الدروب المسدودة بدأ النظام رحلته في البحث عن مخارج وسياسات سبق ان انتهجها كلما شعر بالاختناق والمحاصرة وذلك بالتوجه نحو سياسة الانفتاح العربي .

س. ج.

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

لا شك ان أهم تفاعل دولي تواجهه القضية الفلسطينية في الفترة الراهنة يكمن في الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وتلخصت هذه الجهود في ابتعاد السعودية التدريجي عن موقفها التقليدي القائل بضرورة فصل كل ما يتعلق بالبترول عن المشاكل السياسية الكبيرة والصغيرة في المنطقة والتعامل معه كسلعة تجارية لا أكثر ، وفي التهديد المتزايد باستخدام الحد من انتاج النفط كسلاح سياسي لحمل الولايات المتحدة على التدخل لدى اسرائيل بما يجعل الاخيرة تقبل بالتسوية السياسية للنزاع في المنطقة . وقد بدأ هذا التحول في الموقف السعودي بالظهور الى العلن في الربيع الماضي عندما أبلغ زكي اليماني (وزير النفط) وليم روجرز بأنه سيتعذر على السعودية رفع انتاج نفطها بما يتناسب مع حاجات الدول المستهلكة في المستقبل ، وخاصة حاجات الولايات المتحدة نفسها ، وبما يتناسب مع الخطوات اللازمة لتجنيب هذه الدول أزمة حادة في توفر الطاقة ، هذا ما لم تساعد الحكومة الامريكية بشكل جدي في حل النزاع العربي الاسرائيلي . وبالاضافة الى التخوف من التأثيرات السلبية التي يتركها استمرار النزاع على الانظمة العربية عامة ، يبدو أن السبب الاخر الكامن خلف هذا التحول في الموقف السعودي هو الانزاج الذي واجهه الملك فيصل أمام الرئيس السادات بعد انهاء الوجود السوفياتي في مصر . اذ يبدو ان الملك كان قد تعهد بتدخل امريكي يجعل اسرائيل اكثر تقبلا لتسوية النزاع وفقا للتفسير العربي لقرار مجلس الامن وذلك بعد قيام الرئيس السادات باخراج الخبراء السوفيات من البلاد . وبما ان الامل بهذا التدخل لم يتحقق ، ولا حتى بشكل جزئي جدا ، وجد الملك نفسه مضطرا للتهديد بصورة مباشرة بسلاح النفط من اجل الضغط على سياسة الولايات المتحدة في المنطقة . وتقدم شاه ايران لتأكيد الموقف السعودي وتعزيزه وذلك اثناء زيارته الاخيرة الى واشنطن ، حيث أعلن ، في اواخر شهر تموز ، في مقابلة تلفزيونية ان الدول العربية المنتجة للنفط ، وعلى رأسها السعودية ، قد تستخدم البترول كسلاح سياسي في النزاع العربي الاسرائيلي ، وان ايران تدعو ، لهذا السبب ، الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بأكبر سرعة ممكنة . كذلك ترددت أنباء صحفية اثناء الزيارة ان الشاه حذر الرئيس نيكسون من التأثيرات السلبية لاستمرار النزاع على حاله على الانظمة العربية الموالية للغرب ، وقد تم تتويج هذا الاتجاه في السياسة السعودية بتصريح ادلى به الملك فيصل الى التلفزيون الامريكي في اواخر آب اشار فيه الى أن استمرار الولايات المتحدة في تأييدها لاسرائيل سيجعل من الصعب على السعودية رفع انتاجها من البترول لتزويد امريكا بحاجاتها النفطية كما سيؤثر سلبيا على العلاقات الودية بين البلدين . وعاد فيصل الى طرح الموضوع نفسه في مقابلة أجرتها مجلة « نيوزويك » الامريكية الاسبوعية (في اوائل ايلول) حيث ربط بوضوح تام بين تدخل امريكا للضغط على اسرائيل كي تستجيب لعروض السلام في المنطقة وبين زيادة انتاج النفط بما يتلاءم مع مصالح الدول المستهلكة . طالب الملك فيصل « بتوفير المناخ السياسي الملائم الذي عكرته ازمة الشرق الاوسط » و« بتوقف الولايات المتحدة عن التحيز لاسرائيل وعن امدادها بالمساعدات غير المحدودة » قبل اعطاء موافقته على تنفيذ مشاريع زيادة انتاج النفط السعودي ، وذلك لان الموقف الامريكي جعل اسرائيل ترفض السلام، وعلى حكومة الولايات المتحدة تحمل مسؤولياتها في « تصحيح هذا الوضع » في المنطقة ، على حد قوله . وبالاضافة الى ذلك دعا فيصل الى التعاون التام مع ايران من أجل « تحقيق الاستقرار في الخليج » .

أما ردود الفعل الامريكية على هذا الاتجاه في السياسة السعودية فكانت ذات طابع مزدوج : تصريحات وتحركات ذات طابع تطميني للجانب العربي وتصريحات اخرى مطمئنة لاسرائيل تنطوي على تهديدات مبطنة للدول العربية المنتجة للنفط .

وكانت اهم التطورات بالنسبة للشق الاول : (١) تحرك عدد من شركات البترول الكبرى باتجاه دعوة السلطات الامريكية « لتوثيق علاقاتها مع العرب » والعمل بشكل افضل مع حكوماتهم على أساس المصالح الحيوية المشتركة للطرفين . فقد وجهت شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا رسالة

الى المساهمين فيها تدعوهم على حث حكومتهم الاهتمام بالصداقة مع الدول العربية وازالة الانطباع الناشىء في العالم العربي « بان الولايات المتحدة قد أدارت ظهرها للامة العربية » وانها لا تهتم « بآمال الشعب العربي وتطلعاته » . وطالبت الرسالة تشجيع كل تقارب بين الدول العربية والولايات المتحدة ونصحت بضرورة قيام الحكومة الامريكية بجهود جدية لتحقيق السلام في الشرق الاوسط من خلال تسوية عادلة للنزاع . وكانت شركة موبيل اويل قد نشرت رسالة مفتوحة في « النيويورك تايمس » ركزت فيها على النقص في امدادات الطاقة في امريكا وعلى حاجة البلاد لبترول الشرق الاوسط، وخاصة بترول السعودية، كما دعت الى ضرورة تفهم امريكا لمصالح شعوب المنطقة وآمالها والاعتراف بكل ما هو مشروع منها. والقى رئيس شركة كونتيننتال اويل خطابا مهما حول أزمة الطاقة واهمية النفط العربي لامريكا معتبرا ان واقعا جديدا قد دخل الحياة الامريكية لاول مرة في تاريخها مما « يستتبع اعادة النظر في كل سياستنا الخارجية ازاء الشرق الاوسط وبتعليق اهمية عليها اكبر بكثير مما فعلنا حتى الان » .

(٢) تصريحات لجوزيف سيسكو اطلقها في اخر شهر آب حيث قال ان حكومة بلاده ليست راضية ابدا عن حالة اللاحرب واللاسلم المسيطرة على النزاع العربي الاسرائيلي ، وان المصالح الامريكية لا تتطابق دوما وبالضرورة مع السياسة الاسرائيلية . ثم أكد ان حكومته ستأخذ زمام المبادرة في النشاط الدبلوماسي بهدف ترتيب مفاوضات غير مباشرة بين الاطراف المعنية للوصول الى تسوية للنزاع على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ويبدو ان سيسكو عاد الى طرح صيغة « محادثات الجوار » التي قام حولها جدل واسع في مرحلة سابقة من الاتصالات المصرية الرسمية بامريكا . وذكرت الانباء الصحفية ان سيسكو اجتمع بالسفير الاسرائيلي في واشنطن وحثه على ضرورة قيام الحكومة الاسرائيلية بتقديم افكار جديدة حول التسوية في الشرق الاوسط من اجل تخطي المازق الذي وصل اليه النزاع العربي الاسرائيلي، خاصة وان اسرائيل هي الجهة المؤهلة لتقديم مثل هذه الافكار باعتبارها الطرف الاقوى في المواجهة . يضاف الى ذلك صدور تصريحات عن وزارة الخارجية الامريكية تشير الى الاهتمام الخاص الذي تبديه حكومة البلاد في استقرار منطقتنا (وخاصة منطقة الخليج) بسبب تزايد اهمية النفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة ، ومساندتها القوية للقدرة العسكرية والسياسية لكل من ايران والسعودية والكويت وتزويدها بأسلحة حديثة على الرغم من المصاعب التي تخلقها هذه الخطوات في العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية .

(٣) تعيين جيمس اكنس سفيرا لامريكا في السعودية ، ويستمد هذا التعيين اهميته من كون أكنس خبير نفطي يأخذ بوجهة نظر شركات البترول حول ضرورة توازن السياسة الامريكية في المنطقة كي لا تقع الانظمة البترولية العربية الموالية صراحة للغرب في احراجات سياسية وشعبية هي بغنى عنها . ورأت بعض المراجع الدبلوماسية العربية في هذا التعيين بداية التعديل المرتقب في السياسة الامريكية نحو اسرائيل .

(٤) مطالبة صحيفة « النيويورك تايمس » في هذه الفترة بالذات كل من حكومة الولايات المتحدة واسرائيل الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وآماله الشرعية واخذها بعين الجد والاعتبار في كل ما يمس التقدم نحو تسوية سياسية لمشكلة الشرق الاوسط .

(٥) التصريحات التي اطلقها الرئيس نيكسون عبر مؤتمر صحفي عقده في الاسبوع الاول من شهر ايلول حيث : (أ) اعترف للمرة الاولى بأن قضية النفط العربي يمكن ان ترتبط بصورة مباشرة بالنزاع العربي الاسرائيلي ، (ب) اعلن ان الولايات المتحدة ليست مع العرب ولا مع الاسرائيليين ، بل مع السلام في المنطقة ، وان اسرائيل ارتكبت ـ كالدول العربية ـ اخطاء وقفت في طريق تحقيق التسوية السلمية للنزاع ، (ج) اشار الى ان حكومته ستستخدم كل نفوذها لدى اسرائيل وبعض الدول العربية للبدء بمفاوضات من أجل الوصول الى التسوية ، (د) طلب من وزير الخارجية الجديد ، هنري كيسنجر ، ان يمنح ازمة الشرق الاوسط الاولوية المطلقة في عمله وجهوده ، وانه سيوفد جون كونالي ، وزير الخزانة السابق ، الى المنطقة من أجل اجراء مشاورات مع الاطراف المعنية ، واستبشرت الاوساط الدبلوماسية العربية خيرا بهذه التصريحات وخاصة اعلان نيكسون للمرة الاولى بأن اسرائيل تشترك مع

العرب في تحمل مسؤولية فشل مساعي التسوية السلمية ، واعتبرت كل ذلك بداية للضغط الذي ستمارسه امريكا على اسرائيل من أجل تسوية النزاع على اسس « عادلة » ..

أما التحركات والتصريحات الامريكية المطمئنة لاسرائيل والحاوية على تهديدات مبطنة للدول النفطية العربية فقد جاءت على الشكل التالي :

(١) تصريح مدير مكتب الرئيس نيكسون للطاقة في منتصف شهر آب بأن الحكومة الامريكية لن تبدل سياستها نحو اسرائيل على الرغم من حاجة البلاد الى البترول العربي ، وانها ستعمد الى ايجاد طرق « تجعل ايران والسعودية والكسويت تدرك ان زيادة الانتاج هو في مصلحتها » . بالاضافة الى ذلك هاجم السناتور هيوبرت همفري شركات البترول واتهمها بمحاولة التأثير على السياسة الامريكية في الشرق الاوسط لمصلحة الدول العربية المنتجة للنفط باشاعتها الفكرة القائلة بأن دعم اسرائيل سيسيء الى شحنات البترول الى امريكا وبدعمها « المطالب غير العادلة لبعض الزعماء العرب كي تتخلى امريكا عن اسرائيل » .

(٢) تأكيد روجرز قبل استقالته مباشرة الموقف الامريكي المعروف من النزاع العربي الاسرائيلي حيث قال انه لا يمكن تحقيق التسوية السلمية في المنطقة الا عبر المفاوضات المباشرة بين الاطراف المعنية وأشار الى نجاح المفاوضات بين كل من كوريا الشمالية والجنوبية ، والمانيا الشرقية والغربية ، وبين الهند والباكستان . كما عاد للتشديد على رفض امريكا فرض أي حل للنزاع على دول المنطقة على الرغم من ازمة الطاقة واهميتها بالنسبة لسياسة البلاد .

(٣) قيام الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بصواريخ جو — جو من طراز م — ٧ — ف المصممة خصيصا لمواجهة طائرات الميغ ٢٣ والميغ ٢٥ .

(٤) الاخبار التي ترددت حول الاستعدادات التي تخطط لها الاوساط الامريكية الحاكمة للتدخل العسكري ، اذا لزم الامر ، من أجل تأمين استمرار تدفق النفط الى الدول المستهلكة (خاصة الى امريكا) . لقد أشار السناتور وليم فولبرايت صراحة في خطاب رسمي الى المداولات الجارية على أعلى المستويات حول الاستعداد الامريكي للسيطرة على منابع النفط ان دعت الحاجة الى ذلك . وبينت المجلة الاسبوعية الفرنسية «النوفيل اوبسرفاتور» في منتصف آب ان هذا الموضوع كان موضع مناقشة جدية في اجتماعات سرية عقدت في لندن بين ممثلي حكومتي البلدين حيث تم التداول في المخططات الموضوعة لتنفيذ مثل هذه العمليات العسكرية « اذا استخدمت الدول العربية النفط كسلاح ابتزاز » لحمل الولايات المتحدة على التخلي عن اسرائيل . كما نشرت مجلة « تايم » الامريكية في اواخر آب اخبارا عن المناورات الحربية الاخيرة التي اجراها المارينز في منطقة صحراوية بهدف تدريب الجنود على هذا النوع من الحروب . واستمع المشتركون في المناورات الى محاضرات مفصلة عن الوضع في الشرق الاوسط ، وكان « جيش العدو » في المناورات مسلحا بأسلحة سوفياتية ومرتديا لباس ميدان يشبه لباس الجيش الليبي . وأوردت المجلة النوع التالي من العبارات على لسان الضباط : « نحن هنا لنكتسب الخبرة اللازمة للاستيلاء على البترول » و « يشكل الشرق الاوسط برميل بارود ظاهر للعيان ومن الطيش الا نعد انفسنا لذلك » . ان المغزى الذي تنطوي عليه هذه الانباء واضح ولا يحتاج الى أي تفسير او تعليق اضافي .

(٥) تصريحات نيكسون وتهديداته غير المبطنة كثيرا التي وردت في المؤتمر الصحفي المشار اليه سابقا حيث حذر الدول العربية المنتجة للنفط من استخدام البترول كسلاح سياسي وذكرها بالمصير الذي وصل اليه مصدق عندما خرج كليا عن ارادة الدول المعنية في سياسته النفطية ، كما اكد ان بلاده مصممة على ألا تقع تحت رحمة الدول العربية المنتجة للبترول . ان في هذه الاشارة الى مصير مصدق ما يكفي لافهام الجانب العربي من انه حتى لو افترضنا جدلا ان الانظمة البترولية العربية دخلت في مواجهة جدية مع الولايات المتحدة فان الاخيرة مستعدة لاستخدام كافة الوسائل ، مهما كان نوعها ، للخروج منتصرة من المواجهة .

(٦) تصريحات هنري كيسنجر حول السياسة التي سيتبعها في الشرق الاوسط وكلها تشير الى انه سيتمسك بالموقف الامريكي المعروف . على سبيل المثال أعلن : (أ) ان مهمته بالنسبة للنزاع في المنطقة هي ايجاد الاسس المناسبة

لاجراء مفاوضات بين الدول العربية واسرائيل ، (ب) ان تصريحات الرئيس نيكسون الاخيرة حول الشرق الاوسط والنفط العربي لا تعكس أي تغييرات أساسية في موقف الولايات المتحدة من الدول العربية ، (ج) انه يعارض فرض اية حلول خارجية على اطراف النزاع ويؤيد الحل عن طريق المفاوضات بينها ، (د) انه يشدد على الصداقة الامريكية الاسرائيلية والمصالح المشتركة التي تربط بين البلدين وعلى الاتفاق الحاصل بينهما حول التكتيك الذي ينبغي اتباعه في المنطقة. بالاضافة الى ذلك أعلن كيسنجر انه ينوي القيام بزيارة لاسرائيل والدول العربية المعنية بالنزاع الا انه لم يحدد موعدها بعد .

قبل افتتاح الدورة الحالية لهيئة الامم وعشية انعقاد مؤتمر دول « عدم الانحياز » في الجزائر قام الامين العام للمنظمة الدولية ، فالدهايم ، بزيارة الى منطقة الشرق الاوسط شملت كل من سوريا ولبنان ومصر والاردن واسرائيل . وقبل نزوله في دمشق قابل فالدهايم السفير غونار يارنغ في سويسرا حيث تداول معه في موضوع الوساطة الدولية المجمدة وبمشكلات التسوية السلمية بشكل عام . وقد حدد فالدهايم أهداف زيارته على النحو التالي : (أ) تقصي الحقائق حول النزاع في المنطقة والتعرف على مشاكلها وزعمائها بصورة شخصية ومباشرة ، (ب) الوصول الى تقييم لما يمكن للامين العام والمنظمة الدولية أن يقوما به من أجل اخراج الازمة من مأزقها الحالي وايجاد حل مناسب لها . وشدد فالدهايم على انه لا يحمل معه أية اقتراحات محددة ليعرضها على الاطراف المعنية .

كانت دمشق اول عاصمة عربية زارها فالدهايم حيث قابل الرئيس حافظ الاسد ووزير الخارجية السوري وعددا آخر من المسؤولين الكبار .

وبعد انتقاله الى بيروت اجرى فالدهايم محادثات مع الرئيس سليمان فرنجيه ورئيس الوزراء ووزير الخارجية حول مشكلة الشرق الاوسط عامة وموقع لبنان منها بشكل خاص . ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد الدبلوماسية والتحفظ الشديدين اللذين اتصفت بهما تصريحات الامين العام في لبنان . على سبيل المثال عندما سئل عن رأيه في الدولة الفلسطينية التي تكلم عنها وزير خارجية مصر في مجلس الامن أجاب بقوله : « ان قضية فلسطين قضية مهمة وواضحة وأي حل لها يجب ان يكون عادلا ومرضيا » . وعندما سئل عن رأيه في دور النفط العربي كأداة للضغط من اجل الوصول الى تسوية تقدم بالجواب التالي : « ليس لي أن أجيب على هذا السؤال أو أن أعلق عليه مع انه موضوع مهم جدا » . ومن الموضوعات التي تبين ان فالدهايم بحثها مع المسؤولين في لبنان الاوضاع في المخيمات والعلاقات مع وكالة الاغاثة والخدمات التي تقدمها ، ووعد الامين العام بالعمل على تغطية العجز الواقع في ميزانية الوكالة والبالغ ١٠ ملايين دولار لسنة ١٩٧٤ على حد قوله . وفي اسرائيل قابل فالدهايم رئيسة الوزراء ووزير الخارجية بعد أن أكد من جديد بأنه لا يحمل معه اية مقترحات معينة لحل الازمة في المنطقة ، وهو تأكيد على جانب من الاهمية بسبب الحساسية الاسرائيلية الشديدة مما تسميه بالحلول المفروضة من الخارج على دول المنطقة. واثناء تبادل الانخاب التقليدية يبدو ان فالدهايم اشار الى القدس على انها عاصمة اسرائيل مما اضطره الى اصدار ايضاح أكد فيه انه ملتزم كليا بموقف المنظمة الدولية من مدينة القدس ، أي عدم الاعتراف بها كعادته كعاصمة لاسرائيل . وأنهى زيارته بتصريح قال فيه انه بناء على محادثاته الاسرائيلية يعتقد بأن الفرصة متوفرة كي تساهم هيئة الامم في ايجاد تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط .

في القاهرة قابل فالدهايم الرئيس انور السادات وكبار المسؤولين في البلاد ثم عقد مؤتمرا صحفيا (قبل مغادرة البلاد الى عمان) لخص فيه نتائج جولته . وكان أهم ما جاء في المؤتمر : (أ) تأكيده على أهمية المحادثات التي أجراها مع الرئيس السادات لانها « مكنتني من الحصول على فهم أفضل لموقف مصر وآرائها بالنسبة لقضية الشرق الاوسط » ، على حد قوله . (ب) نفيه لامكانية تبلور تسوية للازمة في المستقبل المنظور مع التأكيد على متابعة البحث عن الوسائل المناسبة للوصول الى مثل هذه النتيجة (وخاصة اثناء انعقاد دورة الجمعية العامة) وعلى أمله في حل المعضلة على أساس ميثاق هيئة الامم . (ج) اعلانه بأن الانطباع الذي كونه هو أن جميع دول المنطقة تدرك تماما الاخطار التي ينطوي عليها عدم التوصل الى حل سلمي للنزاع ، وانها كلها تريد السلام وترغب فيه « وقد عبرت عن ذلك بألفاظ

حاسمة » . (د) تأكيده بأن مذكرة يارينغ الشهيرة (والتي توقفت وساطته على اثر الاجابة الاسرائيلية عليها) ما زالت قائمة ، ثم تحفظه حولها بقوله الغامض انه لا يدري كيف يمكن أن تسهم المذكرة في حل المشكلة لان الحل يعتمد على مواقف الاطراف المعنية بالنزاع « وأنا لا اعرف ما سيكون عليه موقف اسرائيل مستقبلا بالنسبة لهذا الموضوع » . (هـ) اعترافه بأنه قام بدور الوسيط غير الرسمي في هذه الجولة ، بمعنى انه نقل وجهات نظر كل طرف في النزاع الى الطرف الاخر مما قد يكون من شأنه المساعدة في عملية التوصل الى حل سلمي .

وفي عمان ، بالاضافة الى مقابلة الملك حسين وكبار المسؤولين في الاردن ، زار فالدهايم مخيم شنلر وتسلم مذكرات من فئات فلسطينية ذكرت الصحافة انها صادرة عن لجنة انقاذ القدس ، وروحي الخطيب ،ومن أسمتهم «بممثلين عن اللاجئين» . ويبدو ان المذكرات طالبت الامم المتحدة بتحقيق حل عادل لازمة الشرق الاوسط قائم على أساس انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة و« عودة اللاجئين الفلسطينيين الى أراضيهم وممتلكاتهم » . ويبدو واضحا ان السلطات الاردنية قدمت الشعب الفلسطيني الى فالدهايم على انه مجموعة من اللاجئين تبحث عن العدالة والحق لدى المنظمة الدولية لا أكثر ولا أقل ، وهذا واضح من التصريح الذي أدلى به قبل سفره الى الجزائر (لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز) حيث قال ان الفرصة أتيحت له « للتحدث الى هؤلاء الناس (سكان المخيمات) وقد شرحوا لي مشكلاتهم وتعاستهم وبؤسهم . وتعرفون اننا نبذل قصارى جهدنا في الامم المتحدة لنقدم كل مساعدة لهم وشاهدت بأم عيني الوضع المفجع الذي يعيشه اللاجئون » . وترددت انباء صحفية تقول ان الامين العام بنوي مقابلة وزير الخارجية الامريكي الجديد ليبلغه نتائج مباحثاته في البلدان التي زارها مما يعني ان جولة فالدهايم ليست ببعيدة عن التحركات الامريكية الاخيرة بالنسبة للشرق الاوسط .

وعلى صعيد آخر اصدر مجلس الامن الدولي قرارا بالاجماع في منتصف شهر آب أدان فيه اسرائيل ادانة صريحة وواضحة على قيام طائراتها الحربية باختطاف طائرة ركاب لبنانية مؤجرة الى الخطوط الجوية العراقية وذلك من الاجواء اللبنانية . وقد ذكرت الانباء الصحفية ان اسرائيل كانت تظن ان عددا من قادة الجبهة الشعبية موجودون على متن الطائرة المسافرة الى بغداد بمن فيهم الدكتور جورج حبش . وتقدم لبنان بشكوى عاجلة الى مجلس الامن الذي أصدر قرارا نص على أن المجلس :

« (١) يدين حكومة اسرائيل لانتهاكها سيادة لبنان ووحدته الاقليمية وارغام السلاح الجوي الاسرائيلي بالقوة طائرة ركاب لبنانية على تحويل وجهة سيرها وهي في الاجواء اللبنانية والاستيلاء عليها .

« (٢) يرى أن هذه الاعمال التي تقوم بها اسرائيل تشكل انتهاكا لاتفاق الهدنة اللبنانية ـ الاسرائيلية المعقود في العام ١٩٤٩ ولقرارات وقف اطلاق النار التي اتخذها مجلس الامن في العام ١٩٦٧ ولنصوص ميثاق الامم المتحدة والمواثيق الدولية المتعلقة بالطيران المدني ومبادىء القانون الدولي والاخلاق .

« (٣) يدعو منظمة الطيران المدني الدولية الى النظر في جدية الى هذا القرار عندما تبحث في الاجراءات المناسبة لضمان سلامة الطيران المدني الدولي من مثل هذه الاعمال .

« (٤) يدعو اسرائيل الى الامتناع عن أي عمل وعن جميع الاعمال التي تنتهك سيادة لبنان ووحدته الاقليمية وتشكل خطرا على سلامة الطيران المدني الدولي ويحذر اسرائيل من انه سينظر في اتخاذ الخطوات او الاجراءات المناسبة لوضع قراراته موضع التنفيذ في حال تكرار مثل هذا الحادث » .

وقد قوبلت القرصنة الجوية الاسرائيلية باستنكار عالمي شامل شاركت فيه معظم حكومات العالم والصحف الكبرى في كل مكان تقريبا بالاضافة الى المنظمات المحلية والدولية ، ونذكر على سبيل المثال القرار الذي اتخذته منظمة الطيران المدني الدولية بادانة اسرائيل « على ارغامها طائرة الركاب اللبنانية على الهبوط في اسرائيل » .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

التحرك السياسي لرجالات الضفة الغربية وقطاع غزة : في غمرة الحديث حول المشاريع لحل النزاع العربي الاسرائيلي التي اثيرت مؤخرا من جديد عندما ادلى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه بدلوه ، وبلور مشروعا يعرف باسمه ، وخلال مناقشة مجلس الامن لازمة الشرق الاوسط ، وزيارة السكرتير العام للامم المتحدة الى المنطقة ، ووسط حالة الركود التي تعيشها حركة التحرر العربي من جهة ، والاجراءات الاسرائيلية النشطة لتغيير معالم المناطق المحتلة بغرض تهويدها وتكريس احتلالها من جهة اخرى ، اخذ رجالات المناطق المحتلة يتحركون ، ويقتربون الى جانب الحركة الشعبية هناك التي تعبر عن نفسها باشكال نضالية مختلفة مثل التظاهرات والمسيرات والاضرابات والاعتصامات ، والكفاح المسلح . وقد عبر هذا التحرك عن نفسه في ثلاث مذكرات ارسلت الى رئيس مجلس الامن والى السكرتير العام للامم المتحدة ، ووقع عليها عدد كبير من رؤساء واعضاء البلديات والهيئات الشعبية والجمعيات والنقابات والنوادي والمؤسسات في الضفة الغربية وقطاع غزة .

هناك ملاحظتان لا بد من تسجيلها قبل التطرق الى المذكرات الثلاث :

١ — ان التحرك السياسي لرجالات الضفة الغربية لم يأت وفق اهواء ورغبات النظام الاردني الذي اراد وسعى الى دفع انصاره من الزعامة التقليدية الى ارسال مذكرات والتوقيع على عرائض — خاصة بعد دعوة بورقيبة مؤخرا — من خلال منظوره هو للصراع العربي الاسرائيلي.

٢ — ان المذكرة الثانية تشير الى ان هنالك منطلقات متباينة بين الهيئات والشخصيات التي وقعت على المذكرة الاولى ، ففي حين تتطرق المذكرة الثانية الى « قرارات هيئة الامم المتحدة وأجهزتها المختلفة » تخلو المذكرة الاولى من الاشارة اليها ، علما بأن الموقعين على المذكرة الثانية كانوا قد وقعوا على المذكرة الاولى . وقد ذكرت الصحف العربية الصادرة في المناطق المحتلة ان المذكرة الثانية كانت مقتصرة على النقابات المهنية والعمالية واضافت انه صرف النظر عنها في آخر لحظة ذلك ان الموقعين عليها سبق لهم وان وقعوا على المذكرة الاولى . اما الصحف الاسرائيلية، فقد ركزت حديثها حول المذكرة الثانية، وزعمت بانها تتضمن المطالبة بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ننتقل الان الى نص المذكرات الثلاث . المذكرة الاولى وجهت الى رئيس مجلس الامن ، والى سكرتير عام الامم المتحدة في اوائل شهر تموز الماضي ونتص : « يعلن سكان الضفة الغربية وقطاع غزة رفضهم للاحتلال الاسرائيلي لبلادهم ويؤكدون رفضهم لجميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات المحتلة لتغيير معالم البلاد وكيانها السكاني والجغرافي ويطالبون بانهاء الاحتلال وحقهم في تقرير مصيرهم . وبمناسبة بحث قضيتنا في جلسة مجلس الامن الجارية تناشد الضمير العالمي الوقوف الى جانب الحق والعدل » .

اما المذكرة الثانية التي قيل انها ارسلت الى رئيس مجلس الامن والى السكرتير العام للامم المتحدة في اوائل تموز ، وقيل ايضا بانه صرف النظر عنها فتنص على التالي : « يعلن سكان الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة رفضهم للاحتلال الاسرائيلي لبلادهم ، ويؤكدون رفضهم لجميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات المحتلة لتغيير معالم البلاد وكيانها السكاني والجغرافي ، ويطالبون بانهاء الاحتلال ، وحقهم في تقرير مصيرهم وسيادتهم على ارضهم ، هذه الحقوق التي أكدتها قوانين وشرعة وقرارات هيئة الامم المتحدة وأجهزتها المختلفة . وبمناسبة بحث قضيتنا في جلسة مجلس الامن الجارية نؤكد مطالبتنا بحقوقنا ونناشد الضمير العالمي الوقوف الى جانب الحق والعدل » .

اما المذكرة الثالثة فقد وجهت الى السكرتير العام للامم المتحدة في اواخر شهر آب الماضي اثناء جولته في الشرق الاوسط وقد شملت التواقيع اصحاب المذكرتين السابقتين ، وتنص على الآتي : « سيادة السكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم المحترم . نحن الموقعين ادناه ، ممثلي الرأي العام ومختلف الهيئات والنقابات والشخصيات في الضفة الغربية ، بما فيها القدس

العربية وفي قطاع غزة ، تتقدم اليكم بمذكرتنا هذه بمناسبة زيارتكم لمنطقة الشرق الاوسط ، لنؤكد من جديد رفضنا القاطع للاحتلال الاسرائيلي الذي يشكل اعتداء صارخا على حقنا في ارضنا، وانتهاكا مكشوفا للمواثيق الدولية وفي مقدمتها ميثاق الامم المتحدة وقراراتها التي تحظر الاستيلاء على ارض جرى احتلالها بالقوة ، ونعلن اصرارنا على انسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلي من جميع الاراضي العربية المحتلة ، وبهذه المناسبة فاننا نسجل ما يلي :

« (١) نعلن معارضتنا التامة للاجراءات التي تتخذها سلطات الاحتلال في ارضنا العربية بمختلف الوسائل سواء عن طريق المصادرة والاغلاق او الشراء بقصد تهويد ارضنا ومحو عروبتها ، ونلفت نظركم بوجه خاص الى حقيقة ان سلطات الاحتلال تركز سياستها التوسعية في الضم والتهويد والمصادرة على القدس العربية ، وهي ماضية في اكمال مخططها المرسوم بتغيير معالمها وتهويدها وطمس عروبتها ، خلافا لسلسلة القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة واعلنت فيها عدم الاعتراف بكل الاجراءات التي أقدم عليها المحتلون لتغيير وضع القدس العربية ودعت الى الغائها .

« (٢) نسجل استنكارنا للانتهاكات والاعتداءات المتكررة التي تتعرض لها مقدساتنا ولا سيما المسجد الاقصى في القدس والمسجد الابراهيمي في الخليل على يد سلطات الاحتلال وتحت سمعها وبصرها . كما نشجب اجراءات المحتلين لتحويل المسجد الابراهيمي الى كنيس يهودي واعمال الحفر الجارية تحت المسجد الاقصى والتي تهدد بهدمه.

« (٣) لقد اضطر مئات الالوف من أبناء شعبنا الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة الى النزوح من ارضهم ومغادرة ديارهم بسبب الجو الارهابي والظروف العصيبة التي نشأت بعد الاحتلال الاسرائيلي . كما ان سلطات الاحتلال أبعدت المئات من المواطنين والشخصيات الوطنية بشكل تعسفي وهي تحول دون عودة النازحين والمبعدين . ولذلك فنحن نطالب بعودة المبعدين والنازحين وجمع شمل الاف العائلات المشتتة .

« (٤) دأبت سلطات الاحتلال الاسرائيلي طيلة السنوات الست الماضية على استخدام اساليب القمع التعسفية ضد شعبنا . فنسفت ودمرت أكثر من ١٤ الف منزل ومحت من فوق سطح الارض ثلاث قرى بكاملها هي عمواس ويالو وبيت نوبا وشردت اهلها واستولت على اراضيهم ودمرت كذلك منازل وممتلكات اكثر من ١٤ الفا من البدو في مشارف رفح ، وطردتهم من ارضهم وهي ماضية في بناء المستوطنات اليهودية الجديدة عليها ، وزجت في السجون بالاف المواطنين رجالا ونساء حيث يعاملون معاملة غير انسانية ويتعرضون للاضطهاد والاهانة والاستغلال . اننا نطالب الامم المتحدة بالعمل الجدي والفعال لوقف الاجراءات القمعية والتوقف عن نسف البيوت واعادة الدور المغلقة الى أصحابها ، واعادة اهالي القرى الثلاث عمواس ويالو وبيت نوبا وعشائر البدو في مشارف رفح الى ارضهم ، ونطالب بمعاملة المعتقلين والسجناء السياسيين معاملة انسانية والسعي الى اطلاق سراحهم . وفي الختام فاننا نؤكد لكم ان شعبنا في الضفة الغربية ، بما فيها القدس العربية ، وفي قطاع غزة هو جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني كله الذي يعاني منذ سنة ١٩٤٨ ويلات التشرد والتشتت بعد أن طرد مئات الالوف من ديارهم ، ومنع من ممارسة حقه في تقرير مصيره ، ولذلك فاننا نؤكد تمسكنا بهذا الحق ونعلن ان السلام والاستقرار في المنطقة لا سبيل الى تحقيقهما الا بتأمين الحقوق المشروعة لشعبنا العربي الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره بحرية تامة فوق ارضه ، والعودة الى دياره تمشيا مع شرعة حقوق الانسان وميثاق الامم المتحدة » .

اجراءات لتكريس الاحتلال : ازاء التحرك السياسي لرجالات الضفة الغربية ، كان هنالك تحرك آخر نشط ، لم يظهر فجأة خلال فترة معينة، وانما يعتبر استمرارا للخط الذي انتهجته سلطات الاحتلال منذ انتهاء حرب حزيران ، بل ويمكن القول انه يعتبر امتدادا طبيعيا للمخطط الصهيوني منذ أن اشيدت اول مستوطنة في فلسطين ، ويتمثل في الاجراءات الاسرائيلية لتكريس الاحتلال وطمس معالم قديمة واقامة معالم جديدة بغرض تهويد المناطق العربية . ولا يمكن لهذا التحرك ان يتوقف الا اذا توقف مسار الحركة الصهيونية ، لانه يمثل جوهرها وطبيعتها .

تفاوتت الاجراءات الاسرائيلية التي حدثت مؤخرا بين اقامة مبان جديدة واستيعاب مستوطنين جدد ، وشراء اراض ، ومصادرة اراض اخرى في مناطق

معينة . ففي الشريط البري الممتد بين ايلات وشرم الشيخ تعتزم سلطات الاحتلال اقامة مركز كبير للاصطياف يضم ٢٥٠٠ غرفة لتشجيع الحركة السياحية هناك ، وقد تمت الموافقة على ذلك عقب زيارة للمنطقة قامت بها اللجنة الاقتصادية التابعة للكنيست . أما في شرم الشيخ فسيتم بناء عدد من الفنادق بحيث يصل عدد الغرف هناك الى الف غرفة وبالنسبة لمشارف رفح فقد اخذ المركز الاقليمي هناك يستوعب دفعات اخرى من العائلات اليهودية وخاصة من مهاجري الاتحاد السوفياتي . وعلى صعيد شراء الاراضي ذكرت الصحف الاسرائيلية انه عقدت في الاونة الاخيرة عدة صفقات اشترت الكيرن كييمت بموجبها اراض في الضفة الغربية وخاصة في مناطق القدس و«غوش عتسيون» . وفيما يتعلق باستثمار رؤوس الاموال الاسرائيلية في المناطق المحتلة فقد ذكر وزير المالية بنحاس سبير ان رؤوس الاموال التي ستوظف خلال السنوات الخمس القادمة ستبلغ مليارا و ٢٤٠ مليون ليرة ، واضاف ان كادرا خاصا في وزارته يعمل لاعداد المشروع الخماسي الخاص للمناطق المحتلة .

وبالنسبة لموضوع مصادرة الاراضي فقد خطت سلطات الاحتلال خطوة كبيرة في الاونة الاخيرة عندما وضعت يدها على مساحة من الارض تخص اهالي ارطاس والخضر في منطقة بيت لحم . ويقدر الاهالي الاراضي المصادرة باكثر من ٥٠٠ دونم مزروعة بأشجار الكرمة وفواكه اخرى ، أما سلطات الاحتلال فتدعي بأنها وضعت يدها على ٣٥٠ دونما ، متذرعة بالحجة المعهودة الواهية : الاغراض الامنية ، مع ان عملية المصادرة هذه تأتي في الحقيقة لاقامة مستوطنة يهودية عليها امتدادا لمستوطنات جوش عتسيون وتعزيزا لها . وقد اعترفت صحيفة هآرتس بهذه الحقيقة حين ذكرت (٧٣/٨/٢٠) ان الهيئات الاستيطانية كانت قبل عام ونيف قد انهمكت في اعداد خطة لاقامة مستوطنة جديدة في تلك المنطقة ، واستقر الرأي في نهاية الامر على اقامة مستوطنة دينية ليهود مهاجرين من الولايات المتحدة . وقبل اسابيع معدودة وافقت اللجنة الخاصة بالاستيطان برئاسة الوزير يسرائيل جليلي على اقامة المستوطنة تحت اسم مؤقت « جوش عتسيون ب » في المنطقة التي تم وضع اليد عليها مؤخرا . ومن الجدير بالذكر هنا ان الحاكم العسكري كان قد استدعى مخاتير قرية الخضر وابلغهم وضع اليد على اراضيهم وانه بامكانهم الحصول على مبلغ ٤ ليرات مقابل كل شجرة كرمة !

لم يخضع اصحاب الارض الشرعيين لعملية النهب هذه ، بل اخذوا يناضلون ضدها من خلال مذكرات وزعوها على الصحف ، وكشفوا فيها النقاب عن قيام سلطات الاحتلال باتلاف بساتينهم تماما كما حدث لقرية عقربة عندما اتلفت حقولها الخضراء بواسطة السموم التي رشتها طائرة تابعة لسلاح الجو الاسرائيلي . وقد نصت مذكرة الاهالي التي وزعت على الصحف في اواخر آب الماضي على التالي :« قامت سلطات الاحتلال صباح أمس الباكر بالاستيلاء على اراضينا الواقعة في موقعي السميكات وبيت اسكاريا التابعتين لاراضي ارطاس بمنطقة بيت لحم والبالغة مساحتها اكثر من ٥٠٠ دونم . كما قامت باتزال عدد كبير من الجرافات التي أخذت تقتلع أشجار الكرمة والتفاح والخوخ ومختلف المزروعات القائمة فيها وذلك بصورة فظة ومفاجئة وتعد على حقوقنا المشروعة في الملكية والتصرف باراضي ابائنا واجدادنا . اننا نحتج بشدة على هذا التصرف المغاير والمخالف لابسط قواعد القانون والذي يشكل ضربة قاضية لنا لانه يستهدف القضاء على المصدر الوحيد لمعاشنا وعياش عيالنا » . ولم يكتف الاهالي بذلك ، بل اخذوا يرسلون مذكرات الى المجالس البلدية في الضفة الغربية ، والى المسؤولين الاسرائيليين . وقد غدرت الصحف التي تصدر في المناطق المحتلة المزروعات التي أتلفت بحوالي نصف مليون شجرة عنب .

لم تقتصر اعمال النهب على اراضي الفلاحين العرب من منطقة بيت لحم فقط ، بل امتدت نحو قرية عربية اخرى في منطقة القدس ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس ان ادارة بلدية القدس قدمت توصية الى اللجنة الوزارية لشؤون القدس تقضي بمصادرة او وضع اليد على الفي دونم في منطقة عناتا شمال شرق القدس والواقعة خارج الحدود البلدية لمدينة القدس . وذكرت الصحيفة ان اللجنة الوزارية ستبحث الوسائل الكفيلة لتنفيذ هذه التوصية ، الامر الذي احدث استياء عاما بين صفوف فلاحي قرية عناتا .

فلاحو الاغوار يضربون عن الطعام : وفي هذا الجو الذي يواجه فيه فلاحو بيت لحم وعناتا عملية نهب لاراضيهم ، اعلن في اواخر شهر آب الماضي

فلاحو الاغوار من اهالي منطقة نابلس الاضراب عن الطعام مدة ٤٨ ساعة استنكارا لاعمال السلب والهدم التي شملت منازلهم وأراضيهم في الاغوار. وطالب المعتصمون بمقابلة السكرتير العام للامم المتحدة كورت فالدهايم اثناء وجوده في فلسطين المحتلة . ومن المعروف ان سلطات الاحتلال كانت قد وضعت يدها في اعقاب حرب حزيران على مزارع واسعة خصبة في الاغوار تقدر بمئة الف دونم متذرعة بالحجة المعهودة الواهية : متطلبات الامن ، مع ان السبب وراء اعمال المصادرة هذه واضح ، ويتمثل في غرس مستوطنين يهود في تلك المنطقة ، واقتلاع الفلاحين العرب منها بغرض تهويدها . وقد رافقت عملية الاقتلاع والغرس هذه ، اعمال مشينة اخرى مثل الاقدام على هدم اكثر من الف منزل ، ونسف الابار ، واتلاف المزروعات ، سواء بالجرارات او عن طريق رشها بالسموم بواسطة طائرات الجيش الاسرائيلي . ويأتي اضراب الفلاحين عن الطعام ضمن سلسلة طويلة من المطالبة باعادة اراضيهم المسلوبة اليهم وفي اطار الاصرار بعدم التنازل عن الارض ، فقد ذكر احد المضربين سليمان صالح ابو هاشم الذي يناهز السبعين من عمره لصحفي اسرائيلي : « اذا كان اليهود يريدون قتلنا ، فليتفضلوا . ولكننا لا نتنازل عن اراضينا . سنتوجه بجميع عائلاتنا مع الاطفال والنساء ودوابنا ، ونذهب الى ارضنا التي سلبوها سنذهب اليها ولن نتركها ، حتى ولو قتلونا فوق ترابها » . ويضيف الشيخ الطاعن في السن مفندا الحجة الواهية التي تذرعت بها سلطات الاحتلال عند مصادرتها للاراضي قائلا : « عندما أخذوا منا اراضينا تعهدوا بأن يعيدوها بعد فترة قصيرة ، وقالوا انهم اخذوها لاسباب امنية وصدقناهم ، ولكن في الوقت الحاضر نعرف ان ذلك مجرد كذب ، ولم يكن هنالك أي مبرر امني ، لقد أخذوا الاراضي فقط لاعطائها لمستوطنات اليهود » (هعولام هزيه ٧٣/٩/٥).

الخريطة المستقبلية في المناطق المحتلة : ان سلسلة الاجراءات الاسرائيلية سواء منها التي حدثت مؤخرا او سابقا تهدف الى تعزيز الخريطة الاستيطانية في المناطق العربية المحتلة . وقد كنا قد نشرنا في شهريات المناطق المحتلة (عدد ١٢) خريطة المستوطنات القائمة ، وتابعنا حركة الاستيطان في مناسبات كثيرة لاهميتها وخطورتها ، واستكمالا لهذه المتابعة ننشر في هذا العدد الخريطة المستقبلية التي من المقرر لها ان تبرز فوق الاراضي العربية المحتلة في الفترة الواقعة بين ١٩٧٤ — ١٩٧٨ كما جاءت في صحيفة هآرتس (٧٣/٣/٢٤) مع الاخذ بعين الاعتبار ان هذه الخريطة واسماء المستوطنات قابلة للتغيير .

هضبة الجولان

اسم المستوطنة	نوع المستوطنة	مكان المستوطنة
١ — تل زيت	موشاف	منطقة رمات مجشيميم
٢ — كيبوتس د	كيبوتس	جنوب الهضبة
٣ — موردوت	موشاف	بالقرب من البطيحة
٤ — مركز اقليمي مديني		وسط الهضبة بالقرب من سلوقيا
٥ — قرية صناعية أ		وسط الهضبة
٦ — قرية صناعية ب		وسط الهضبة

غور الاردن

١ — محولاه ب	موشاف	بالقرب من محولاه
٢ — بوكيعاه ب	موشاف او مستوطنة تعاونية	في الغور الشمالي
٣ — محنية يوسف	موشاف او مستوطنة تعاونية	في جبال افرايم
٤ — بتسائيل ج	موشاف	غور فصال
٥ — كوخاف هشاحر	موشاف او مستوطنة تعاونية	في جبال افرايم
٦ — مركز اقليمي	———	لم يحدد المكان بعد
٧ — كاليا « ب »	كيبوتس	منطقة قاليا

« غوش عتسيون »

اسم المستوطنة	نوع المستوطنة	مكان المستوطنة
١ ــ حفوريت	موشاف	على محور طريق جوش عتسيون/ عدولام

مشارف رفح

١ ــ سدوت د	موشاف	في منطقة سدوت
٢ ــ سدوت هـ	موشاف	في منطقة سدوت
٣ ــ سدوت و	موشاف	في منطقة سدوت
٤ ــ سدوت ز	كيبوتس	في منطقة سدوت
٥ ــ سدوت ح	كيبوتس	في منطقة سدوت
٦ ــ حروباه	كيبوتس	في منطقة سدوت

قطاع غزه

١ ــ سوميري أ	موشاف	في منطقة سوميري
٢ ــ سوميري ب	موشاف	في منطقة سوميري
٣ ــ مركز اقليمي		في منطقة سوميري

خليج العقبة

١ ــ اوفيرا أ	كيبوتس	جنوبي شرم الشيخ
٢ ــ اوفيرا ب	موشاف	شمالي شرم الشيخ
٣ ــ الطور		

استغلال نفط سيناء : يعتبر موضوع استغلال سلطات الاحتلال للنفط العربي في سيناء من اهم واخطر المكاسب الاقتصادية التي جنتها اسرائيل من حرب حزيران ، وبالرغم من اهمية هذا الموضوع الا ان ستارا من التعتيم يلفه ، بشكل متفاوت ، من جانب طرفي النزاع لاسباب مختلفة . فوسائل الاعلام الاسرائيلية تتطرق الى جوانب معينة من الموضوع بين الفينة والاخرى دون الاكثار من الحديث حوله ، تحاشيا لابراز عملية النهب الكبيرة المنظمة التي تجري يوميا فوق وتحت رمال سيناء ، اما وسائل الاعلام العربية وخاصة الرسمية فقد درجت على الابتعاد عن الموضوع والتحدث حول الموضوعات الاخرى الناجمة عن الاحتلال ، تحسبا من احتمال خلق حالة ضغط من قبل الجماهير تدعو الى ضرورة الاسراع بتحرير اراضيها وثرواتها . ومع ذلك يبقى هذا الابتعاد مضرا لقضية التحرير لسببين : (١) ان الابتعاد المقصود عن الموضوع من شأنه ان يخفف من حدة التناقض المصلحي بين الجماهير والاحتلال (٢) ان السكوت عن عملية النهب الكبيرة يساعد على عدم ابراز الوجه الاستغلالي الامبريالي لاسرائيل بشكل واضح امام الرأي العام العالمي .

عند انتهاء حرب حزيران اخذت سلطات الاحتلال تعمل ناشطة باستغلال النفط في سيناء وتوسيع الحقول النفطية هناك ، وغدت بفضل هذه الحقول تسد معظم احتياجاتها من النفط ، وتكفي الاشارة هنا الى ان ابار النفط تنتج يوميا مئة الف برميل اي ما يعادل ثلاثة ارباع مليون ليرة اسرائيلية تصب يوميا في الخزينة الاسرائيلية ، في الوقت الذي تغذي فيه كميات البترول المشاريع الاقتصادية الاسرائيلية ، وتحرك الالة الحربية هناك . ومن المعروف ان اسرائيل تسيطر على ١٨ بئرا نفطية في البحر وعلى أكثر من مئة بئر في البر بالقرب من « ابو رودس » ويصل انتاج هذه الابار من البترول سنويا حوالي ٥ ملايين طن بينما

يصل معدل الاستهلاك السنوي لاسرائيل من البترول حوالي ٧ ملايين طن . ومن الجدير بالذكر ان اسرائيل تصدر قسما من بترول سيناء ، الا انها تعتزم في المستقبل القريب عدم تصديره بفضل معامل التكرير الجديدة التي اقيمت في اسدود والتي سيكون بامكانها تكرير كميات النفط المستخرجة من سيناء وتوجيهها الى الاقتصاد الاسرائيلي .

كان من نتيجة استغلال اسرائيل لنفط سيناء ان أصبحت خارج نطاق ما يعرف « بازمة الطاقة » في الغرب . ويعود ذلك كما ذكر احد الاخصائيين الاسرائيليين في شؤون النفط الى عامل واحد : « النفط الذي تستخرجه شركة « نتيفي نفط » من الحقول في سيناء ! ليس لدي ذرة من الشك بانه لولا نفط سيناء لكانت ازمة الطاقة في اسرائيل اخطر بكثير مما هو متوقع للولايات المتحدة او بلدان اوروبا . فلو — لا سمح الله — حدثت الازمة ، فان اثارها ستبرز في المرحلة الحالية وليس فقط من خلال التوقعات الداكنة للمستقبل».

لا تقتصر خطورة بترول سيناء على ازالة شبح ازمة الطاقة عن اسرائيل ، وتدفق الملايين الى الخزينة الاسرائيلية ، ولا لكونه سلعة استراتيجية تحرك آلة الحرب الاسرائيلية فحسب ، بل تتعدى ذلك الى المجال السياسي ، ذلك ان اسرائيل أخذت في الاونة الاخيرة تصور الابار التي تسيطر عليها كورقة ضغط في حال انسحابها من تلك المنطقة بواسطة الحلول السلمية ، للحصول على ما تحتاجه من بترول من الدول العربية المنتجة للنفط ، مقابل تنازلها عن بترول سيناء . ففي حديث مع يسرائيل كوزلوف (ملحق معاريف ٨/٣١/ ٧٣) احد المختصين في شؤون النفط ، اشار الى ذلك بقوله : « انني اعتقد بأن احد شروط السلام الهامة والضرورية ، يجب ان يكون حل مشكلة احتياجات اسرائيل للنفط نتيجة اعادة الحقول الى مصر . لا يوجد في الشرق الاوسط نقص في النفط ، وبامكان الدول العربية تزويد احتياجات اسرائيل من النفط بسهولة سواء في الحاضر او المستقبل ، وينبغي عليها فقط ان توافق على ذلك . ومن المفهوم ان دول المواجهة مصر وسوريا والاردن ولبنان ليس بمقدورها تزويد اسرائيل بالنفط ، أما الدول المقصودة فهي تلك الدول غير المتاخمة لاسرائيل والمنتجة للنفط مثل السعودية والكويت وليبيا وغيرها . وبدون موافقة كهذه لرفع الحظر العربي ، وتزويد اسرائيل بالنفط ، فان اعادة الحقول في سيناء الى المصريين، تعتبر حسب رأيي، غير منطقية ، بل وخطرة للغاية » .

حركة الاضرابات في المعتقلات الاسرائيلية :

تحدثنا في العدد السابق عن الاضراب الذي اعلنه المعتقلون العرب في سجن نابلس بسبب اوضاعهم السيئة والمعاملة اللاانسانية التي يلاقونها هناك. وقد أخذت موجة الاضرابات تتصاعد بين صفوف المعتقلين العرب في السجون الاسرائيلية ، تأييدا لرفاقهم المعتقلين في سجن نابلس وكذلك بسبب اوضاعهم التي لا تقل سوءا . ففي سجن بئر السبع أعلن المعتقلون العرب هناك في ٧٣/٧/٧ اضرابا تضامنا مع رفاقهم في سجن نابلس ، وتمثل اضرابهم في رفض مقابلة اهاليهم اثناء ساعات الزيارة المخصصة لهذا الغرض ، وفي الانقطاع عن حلاقة ذقونهم وقص شعورهم وعدم ارسال ملابسهم الى المغسلة . وذكرت المحامية فيليسيا لانغر نقلا عن بعض موكليها ان عدد السجناء المضربين ٦٧٨ من مجموع ٦٨٠ . وفي النصف الثاني من شهر تموز حدث اضراب آخر قام به المعتقلون العرب في سجن الرملة ، تأييدا لرفاقهم في بئر السبع ونابلس ، واحتجاجا على اعادة سلطات السجن فرض عمل شبكات التمويه الخاصة بالدبابات عليهم . ومن الجدير بالذكر ان المعتقلين العرب كانوا في السابق قد رفضوا القيام بهذا العمل وعندما فرض الامر عليهم من جديد طالبوا بعقد اجتماع احتجاجي ، فقيل لهم ان مدير السجن في اجازة وعندما يعود يكون بوسعهم مقابلته ، الا انهم لم ينتظروه واعلنوا الاضراب .

عبد الحفيظ محارب

ملحق المناطق المحتلة

صحف الضفة الغربية

١ ــ تموز ١٩٧٣ :

تحفل عناوين وتعليقات الصحف العربية الصادرة في الضفة الغربية خلال شهر تموز (يوليه) الماضي بشتى الاخبار والمواضيع التي تعكس في العادة اهتمامات هذه الصحف بالاحداث العربية والشؤون الفلسطينية . فتنوعت تعليقاتها وافتتاحياتها الرئيسية لتشمل مختلف المسائل والقضايا التي شغل بها الرأي العام العربي ، والفلسطيني بشكل خاص . وباستعراض هذه الصحف نجد عناوين صفحاتها الاولى وتعليقاتها قد ابرزت اهتماما واضحا بمسائل شغلت كافة الصحف العربية في سائر عواصم العالم العربي ، مثل محادثات الرئيسين السادات والقذافي حول الوحدة الاندماجية بين بلديهما ، واستمرار الازمة الوزارية في لبنان قبل تشكيل السيد تقي الدين الصلح لحكومته الحالية ، والاحتفالات السورية بسد الفرات الكبير ، واحداث العراق والاعلان عن تشكيل الجبهة الوطنية بين مختلف القوى الوطنية والديمقراطية العراقية ، والمسيرة الليبية الى القاهرة ... الخ . غير ان الموضوع الذي لقي عناية خاصة واهتماما بارزا في صحف الضفة الغربية كان موضوع مناقشات مجلس الامن الدولي لازمة الشرق الاوسط والطريق المسدود الذي وصلت اليه هذه المناقشات نتيجة لموقف مندوب الولايات المتحدة الاميركية في اعقاب المناقشة والتصويت على مشروع القرار الذي تقدمت به مجموعة دول عدم الانحياز الاعضاء في مجلس الامن .

فحول محادثات الرئيسين القذافي والسادات بشان الوحدة الاندماجية بين بلديهما ذكرت صحيفة « الشعب » تحت عنوان « الوحدة : قدر ومصير .. ودراسة » ان الوقت الطويل الذي استغرقته مناقشات الزعيمين هو من اجل تلافي ثغرات تجربة الوحدة السابقة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وان « النقاش المفتوح الذي يديره الرئيسان السادات والقذافي ، لا يقصد به وضع العصا في الدواليب كما تراءى لابواق التشكيك والتفكيك ، فهذا النقاش على بعض ما يطفو على سطحه من تناقضات فكرية ، هو في الواقع نوع من الاجتهاد الهادف الامين ، لان التجربة في حد ذاتها اخطر واعظم من وحدة بين قطرين عربيين يربان فيها وحدة قدر ومصير ، ووحدة طبيعية لها جميع مقومات ومؤهلات النجاح الكامل والالتحام الجاد الصادق » وتتابع الصحيفة تعليقها مبرزة اهمية هذه الوحدة ومبتهلة « من الاعماق بانجاح الخطوة القائمة في الوحدة الاندماجية بين قطرين عزيزين » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢) . اما صحيفة القدس فقد اكدت من خلال عنوان افتتاحيتها الرئيسية حول هذا الموضوع ان « الحوار الذي يكشف الخلاف اليوم خير من ان تنتكس الوحدة غدا » . وقالت ان الخلافات التي ابرزها حوار الرئيس الليبي مع ممثلي الاتحاد الاشتراكي ومع الصحفيين ورجال الفكر والاعلام وغيرهم في مصر ربما دفعت « بعض المعلقين الى اعتبار انها من السعة والعمق بحيث يمكن ان يأتي اول ايلول (سبتمبر) ويذهب دون ان تجد الوحدة طريقها الى النفاذ ! على ان الذي نراه ان هذه الخلافات دليل صحة ، حتى وان ادت الى تأخير موعد الوحدة » . وتابعت « القدس » تعليقها مؤكدة على اهمية هذه الوحدة حيث انها السبيل الواضح امام العرب « لتجميع الامكانات وحشدها في مواجهة الذين لا يحترمون غير الاقوياء » (القدس ١٩٧٣/٧/٢) . ويستشف من هذه التعليقات ان صحف الضفة الغربية لا ترى في الوحدة سبيلا لاثبات الامة العربية لوجودها في عالم التكتلات الكبيرة ، وحسب ، وانما ترى في ذلك سبيلا لحشد الامكانات من اجل التحرير . اي ان صحف الضفة الغربية ترى باختصار ووضوح ان طريق الوحدة هو طريق التحرير .

وحول استمرار الازمة الوزارية في لبنان وتعثر الاستشارات التي اجراها رئيس الحكومة اللبنانية المكلف بين مختلف التكتلات النيابية اللبنانية ، قالت صحيفة الشعب ان استمرار التعثر في تشكيل الوزارة يعطي الدليل على ان « خطة الوزارة القادمة مع وجود المعوقات الكبرى في السلطة الخفية ، هي السبب الاول والاهم ، وليس كما يتراءى ظاهريا من خلاف على توزيع الحقائب بين الكتل والاحزاب الكثيرة والمختلفة ». وقالت ان استلام الزعيم الوطني كمال جنبلاط

منصب وزير الداخلية في حكومة الصلح يعتبر « ضمانة وطنية تقف حاجزا دون العودة الى اللعب بلبنان وسلامته واستقلاله وعروبته » . وفي ختام تعليقها اكدت « الشعب » ان نهاية الازمة لن تحل بيد الرئيس الصلح او بيد « السلطة الغامضة التي تسيطر على لبنان » وانما يقررها فقط الشعب اللبناني بكافة قواه الوطنية والتقدمية المتعاطفة « مع العمل الفلسطيني » وتقررها ايضا مع « دول عربية تقدمية تأتي سوريا الثورة في طليعتها » . وحذرت الصحيفة من اية مبادرة جديدة من القوى المضادة في لبنان ومن تدخل اسرائيل في الجنوب (الشعب ١٩٧٣/٧/٣) .

ورأت صحيفة الشعب في بعض **التحركات المريبة في المنطقة** خطرا يتهدد الشعب الفلسطيني وحتى في تقرير مصيره . ولفتت الصحيفة الانظار بشكل خاص الى زيارة الملك حسين الى ايران وبريطانيا، قائلة ان زيارة الملك لايران قد جاءت بعد زيارة وزير خارجية ايران لعمان مباشرة « وبزور الان قائد الجيش الايراني الاردن . وخلال تواجد الملك حسين مع الشاه ، قام وزير خارجية ايران بزيارة للسعودية .. وخلالها وقعت فتنة العراق الاخيرة ، وبزور الملك حسين اليوم بريطانيا مع رئيس وزرائه الذي طار من عمان ليلتقي به هناك، في حين ان زائرا اخر موجود حاليا في لندن منذ اسبوع هو كميل شمعون الذي يمثل اليمين المتطرف واحد عناصر القوى المضادة المعروفة في لبنان والعالم العربي ... » ووجدت « الشعب » في هذه التحركات وفي توقيتها الخاص ، انها قد جاءت لوضع اللمسات النهائية لخطة حل قادمة وعاجلة تستهدف حقوق الشعب الفلسطيني في ارضه وهويته ومصيره (الشعب ١١/٧/ ١٩٧٣) . اما صحيفة القدس فترى ان خطورة هذه التحركات وجديتها تنبعان بالاساس من خطورة الدور الايراني في المنطقة والخليج العربي بصورة خاصة . فترى « القدس » ان ايران قمر صناعي يدور في الفلك الاميركي وترسانة للاسلحة الاميركية وتتهيء « لتقوم بدور الشرطي في منطقة الخليج » وخليفة بريطانيا في المنطقة (القدس ١٢/٧/١٩٧٣) . ومن الملفت للانتباه حقا ان تفرد صحف الضفة الغربية جانبا من صفحاتها الاولى للحديث عن سد الفرات في سوريا والجبهة الوطنية في العراق ، رغم ان هذين الحدثين على اهميتهما التي تفوق حدود بلديهما لم تلفتا انتباه اية صحيفة في الوطن العربي خارج دمشق وبغداد باستثناء بعض العناوين الصغيرة والاخبار المقتضبة عنهما في الصفحات الداخلية لتلك الصحف . فعن **انجاز سد الفرات الكبير** قالت « الشعب » تحت عنوان « تحية لسوريا في يومها الاغر » ان هذا السد سيرغد خط المواجهة والكرامة في القطر السوري. واضافت تقول : « اذا كانت اسوان الامس قد شهدت يومها على الجبهة الغربية ، فان مدينة الثورة (الطبقة سابقا : الشعب) تشهد يومها هي ايضا على الجبهة الشمالية جنبا الى جنب على درب الاعداد بالداخل والخارج وفقا لخطة ثورتي الثامن من اذار والثالث والعشرين من تموز » . ولم يفت الصحيفة ان تشير الى اهمية الصداقة العربية السوفيتية التي كان لها الفضل بالمساهمة مع العمال العرب في انجاز مسدي اسوان والفرات . وختمت « الشعب » افتتاحيتها بالقول : « واذ نهنيء شعبنا السوري الابي في يومه هذا ، فاننا من ارض الاحتلال نبثها تحية اعجاب وفخار لكل من ساهم في المشروع وعمل وانجز ... » (الشعب ١٩٧٣/٧/٥) . اما عن **الجبهة الوطنية في العراق** فقالت « الشعب » ايضا ان الاتفاق الذي تم بين حزبي البعث والشيوعي في العراق « يعتبر في هذه الظروف التي تجتازها العراق خاصة والاقطار العربية الاخرى عامة ، يعتبر خطوة تم انجازها ، كما قال الرئيس البكر ، كعمل تاريخي كبير ونقطة تحول بارز في العلاقة بين الحزبين الكبيرين في القطر العراقي الشقيق . واذا كانت هذه الخطوة تعني تعميق الصداقة العربية السوفيتية بين العراق وروسيا ، فهي في واقع العراق تعني ايجاد قاعدة كبرى قوامها جبهة راسخة ودائمة ، قد تكون شاملة اذا نجحت المساعي القائمة في الحوار الدائر الان مع الاخوة في الحزب الكردستاني للوصول الى اتفاق مماثل » . وهنا تدرك الصحيفة ، مثلما ادركت اهمية انجاز مسد الفرات في سوريا ، ان ذلك كله ليس في الواقع « الا الرد الواضح والتصدي الحاسم ، للتحرك الامبريالي الرجعي الذي تشهده المنطقة العربية ككل ومنطقة الخليج العربي خاصة ، حيث يتمركز هذا التحرك المشبوه في طهران، ويمتد كالاخطبوط في اصقاع عربية رجعية اخرى » . ولا تنسى الصحيفة وهي ترحب بهذا الانجاز باسم الشعب الفلسطيني ان تؤكد ان الفلسطينيين يقفون الى

جانب القوى التقدمية العربية « في خندق واحد بجانبه خندق الخصوم الذين يريدون تصفيتنا كشعب وتصفيتنا كقضية » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢٢) .

في موضوع **الوحدة الاندماجية** استرسلت صحف الضفة الغربية في متابعة اخبارها منذ اوائل شهر تموز (يوليو) حين كان الرئيس الليبي معمر القذافي يخوض مناقشات واسعة حول الوحدة مع المثقفين المصريين . وعندما اعلن في ليبيا عن توجه مسيرة شعبية الى القاهرة للاعتصام في اكبر ميادينها الرئيسية حتى اعلان قيام الوحدة ، تجدد الاهتمام العربي داخل الوطن المحتل وفي سائر العواصم العربية والعالمية بموضوع الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا . فصحيفة « الشعب » خرجت يوم ٢٣ تموز (يوليو) بافتتاحية معنونة بـ « الحمد لله .. انتصر الشعب الليبي فانتصر عبد الناصر » معلقة على النهاية التي وصلت اليها المسيرة الليبية بالقول ، ان مسيرة الشعب الليبي قد شدت اعصاب وسمع العالم « فكانت الحركة المباركة ، الاولى من نوعها ، ونسأل الله الا تكون الاخيرة » . وقالت الصحيفة ان المنتصر الوحيد من وراء هذه المسيرة كان القائد الراحل جمال عبد الناصر « الذي لم يرتفع في المسيرة الا صوته وخيم على الجانبين ظله ... فعبد الناصر الجسد قضى وانتهى ، اما عبد الناصر الثورة والفكرة والقيادة فما زال حيا في النفوس». وفي غمرة الاشادة بالمسيرة وروح عبد الناصر دعت الصحيفة الشعوب العربية الى الحذو حذو الشعب الليبي ، وخصت بالذكر « شعبنا العظيم في قطريه العراقي والسوري حيث تتوافر جميع المؤهلات والامكانات والقابليات للوحدة الاندماجية في الجبهة ... ومن ارض الاحتلال والمعاناة ارض الصمود والامل نبعثها تهنئة للاخوين السادات والقذافي ، **ونشد على أيديهما ،مباركين ومنتظرين ، واثقين ومؤمنين** » (الشعب ٧/٢٣/ ١٩٧٣) . اما صحيفة « القدس » التي صدرت يوم ٢٢ تموز (يوليو) اي قبل وصول المسيرة الليبية الى الحدود المصرية ، فقد قالت ان التحدي الذي تواجهه الامة العربية والمتمثل بالاحتلال الاسرائيلي لاراضي ثلاث من الدول العربية ، هو المحرك الفعلي لهذه المسيرة الوحدوية ولكافة الثورات العربية التحريرية . وتابعت القدس قائلة : بما ان « ثورة الفاتح من سبتمبر كانت باستمرار تعلن انها امتداد لثورة ٢٣ يوليو الخالدة » فانه لا بد « للفرع ان يلتحم بالاصل » (القدس ١٩٧٣/٧/٢٢) . وفي مكان اخر قالت صحيفة الشعب معلقة على النتيجة التي وصلت اليها المسيرة الليبية ، ان ذلك يدل دلالة واضحة « على تعميق المفهوم الوحدوي كاصل وكأساس ، وعلى جدية وخطورة يشعر بها الفريقان لترسيخ الوحدة واقعا ملموسا ونهائيا ، حرصا على ديمومتها ونجاعتها ، كجبهة مواجهة فعلية في اخطر مراحل مصير الامة العربية ، تجاه اشرس ما يواجه هذا المصير من غزوات ومؤامرات » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢٤) . غير ان صحيفة « البشير » التي تصدر في بيت لحم ، انفردت بين صحف الضفة الغربية مشككة بنجاح الوحدة الاندماجية رغم امكانات النجاح الكبيرة التي عددتها الصحيفة نفسها . فتقول « البشير » في هذا المجال : « ان البلدان العربية لم تدخل فيما بينها في وحدة اندماجية حتى في العصور الاسلامية الزاهية ، وحتى عندما كان يقف على رأس هذه الامة رجال كبار من امثال سيدنا عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز والوليد بن عبد الملك وهارون الرشيد والمأمون ، فقد ادرك اؤلئك القادة العظام ان الاتحاد المتكافيء هو اقوى وامتن وان الحماسة التي لا تقوم على الدراسة الموضوعية وعلى الاخذ الفروق بين البلدان العربية تؤدي الى النكسات والتقهقر الى الوراء فما بالك الى النكسات في عصرنا هي اكثر ، ما دامت الايدي الاجنبية على استعداد للعبث في الظلام [!] » (البشير ١٩٧٣/٧/٢١) .

الى جانب هذه المواضيع الهامة التي تناولتها صحف الضفة الغربية بقي موضوع اخر على جانب كبير من الاهمية ، وهو موضوع **مناقشات اجتماع** مجلس الامن الدولي الخاصة بازمة الشرق الاوسط وما رافقها من احاديث ومواقف وتصريحات عن حق الشعب الفلسطيني في دولة ضمن حدود قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة في العام ١٩٤٧ . وكانت هذه الصحف قد تناولت هذا الموضوع باسهاب واضح وشديد اثناء مناقشات الدورة الاولى من اجتماع مجلس الامن، وكنا قد اشرنا اليها في العدد السابق من « شؤون فلسطينية » . واذا كانت تصريحات وزير الخارجية المصري التي تضمنها خطابه الذي افتتح به اجتماعات الدورة الاولى من مناقشات المجلس يوم ١٩٧٣/٦/٦ ، كانت ابرز ما جاء في تلك

المناقشات ، فان « الفيتو » الاميركي الذي اختتم به مندوب الولايات المتحدة الاميركية مناقشات المجلس ، كان ابرز ما جاء في اجتماعات الدورة الثانية من تلك المناقشات.ومثلما حظيت تصريحات الزيات بالنصيب الاوفر من تعليقات صحف الضفة الغربية خلال شهر حزيران، اثناء تلك المناقشات، فان « الفيتو » الاميركي قد حظي هو الاخربالجانب الاهم من افتتاحيات تلك الصحف خلال شهر تموز (يوليو) . ومن خلال استعراض افتتاحيات صحف الضفة الغربية حول هذا الموضوع ، نجدها تجمع على تأكيد الحقائق التالية :

١ — ان الموقف الاميركي خلال مناقشات مجلس الامن الدولي اثبت صحة ما قالته حركة التحرير الوطني الفلسطيني من قبل ، فجاء « الفيتو » ليعزز وجهة النظر الفلسطينية والقائلة بان طريق الكفاح المسلح .. طريق القوة ، هو الذي يحفظ لهذه الامة كرامتها وحقوقها . فقالت صحيفة الشعب تحت عنوان « شكسر فلسطيني للفيتو الاميركي » وهي تشرح هذه المعاني بكلام اخر ، لقد « كشف الشعب الفلسطيني الغطاء قبل ان يكتشفه اهلنا وقومنا ، وكنا نقول لهم ذلك ، فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد .. وقلنا لهم، انها مضيعة للوقت ، التطلع الى سراب مجتمع دولي لم يثبت وجوده يوما ، ولن يفعل ، ذلك ان هيئة هذا شكلها ، وتلك قدراتها ، اعجز من ان تحفظ كرامة ، او تفرض لها هيبة ، هي اولى بالعجز من ان تحفظ للاخرين كرامتهم ، او تعيد لهم حقوقهم ، وفاقد الشيء لن يعطيه ، ومن يهن يسهل الهوان عليه » (الشعب ١٩٧٣/٧/٢٧).

٢ — اثبت الموقف الاميركي مجددا انه لا يمكن مواجهة الامبريالية الاميركية الا بلغة القوة التي وعت دروسها جيدا في الهند الصينية على يد شعوب فيتنام ، لاوس ، كمبودية . وفي هذا المعنى كتبت صحيفة « الفجر » الاسبوعية التي تصدر في القدس ، « ان الرد على الموقف الاميركي العدواني، لا يأتي عبر المقالات والخطب والبيانات، نملأها عبارات انشائية ، وكلمات السب والشتائم لكل ما هو امريكي ، بل أن الرد يجب أن لا يخرج عن اللغة التي تفهمها واشنطن والتي خاطبتها بها شعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس ، وهذه اللغة التي حطمت اسطورة التفوق الاميركي ، وصلف قادة واشنطن الاستعماريين . واذا كانت بعض الدول العربية عاجزة عن التخاطب مع واشنطن بلغة القوة التي تعرفها ، فان ثقة جماهيرنا الفلسطينية تجعلنا نعيش على امل بان تنفذ ارادة هذه الجماهير في كل يوم قادم ، فيتو فلسطيني بحق المصالح الاميركية على الارض العربية التي طال حينها للباع العربي الطويل ، واللسان العربي القصير جدا » (الفجر ٧/٢٨/ ١٩٧٣) .

٣ — ان العداء الاميركي الذي تمثل بتهديد المندوب الاميركي بالفيتو اثناء المناقشات ومن ثم ممارسته بالفعل اثناء التصويت على مشروع القرار الذي تقدمت به مجموعة دول عدم الانحياز الاعضاء في مجلس الامن ، قد اوضح بدون لبس انه لا ينبثق من وجهة نظر مغايرة للدبلوماسية العربية ، وانما ينبثق بالاساس من العداء السافر لامساني الامة العربية بشكل عام . فتقول صحيفة القدس في هذا الصدد وقبل التصويت على مشروع القرار المذكور ، « ان كل ساعة تقرب موعد انعقاد الجلسة المنتظرة ، تكشف عن مزيد من تصلب اميركا في موقفها المعادي لا لوجهة النظر المصرية، وانما للامال القومية العربية بصورة عامة ، ولعله اصبح اكثر من واضح ان الامال القومية في هذه المرحلة من تاريخ الامة العربية باتت معلقة على تحقيق نجاح على المستوى الدولي فيالقضية الفلسطينية » . وفي هذه المناسبة تؤكد «القدس» ان طريق الامم المتحدة ومجلس الامن لن تقود الى تحرير فلسطين . (القدس ١٩٧٣/٧/٢٣) .

٤ — بعد قرار النقض «الفيتو» الذي استخدمه مندوب الولايات المتحدة ليحبط مشروع القرار الذي اجمعت عليه اربعة عشر دولة هي جميع اعضاء مجلس الامن اضافة الى الولايات المتحدة، يجب ان يحدد من جديد صيغ التحالفات والعلاقات العربية بشكل واضح ، وان يؤخذ في الحسبان الامكانات البترولية لدى الامة العربية . فتقول صحيفة القدس في هذا المجال ، « يجب ان تتعين لدينا الخطوات التالية بعد مجلس الامن .. كما يجب ان يتحدد اين تقف هذه الامة ومع من تقف.. والى متى وكيف ؟ يجب أن يتحدد ذلك في ضوء من التبصر والدراسة وتقدير الموقف .. يجب ان يتحدد اكثر من ضوء الثروات الانسانية والمادية والقدرات المختلفة » . وانتقلت الصحيفة بعد ذلك لرسم التصور الاميركي والدور الذي تريد اميركا ان تلعبه في المنطقة ، فلخصته بالنقاط التالية : « **اولا** — استمرار الامر الواقع ، كما حققته

حرب ١٩٦٧ وست سنوات بعدها ، واهم هذا الموقف وقف اطلاق النار . ان اميركا عندما تتحدث عن السلام الان فانها لا تقصد غير « وقف اطلاق النار » . **ثانيا** — ان تكون اميركا وحدها المسؤولة عن الوصول الى تخطيط المستقبل الدائم لمنطقة الشرق الاوسط ، مع وقف كل محاولة للتدخل في هذا الامر سواء من جانب الاتحاد السوفياتي او من جانب اوروبا . **ثالثا** — ان تفرض المفاوضات وتعين اسلوبها ، مع الاصرار على نجاحه باستخدام التهديد المستمر ، ولعله واضح انه ليس ضروريا ان تؤدي اميركا بالذات مهمة تنفيذ التهديد او العنف ، فان اسرائيل قادرة على القيام بالمهمة .. ان ما يحدث بين حين واخر من غارات على البلاد العربية المجاورة ، يصور لونا صارخا من الوان فرض الارادة بالتهديد والعنف . **رابعا** — ان يكون اي اتفاق مع اسرائيل شاملا لكل البلاد العربية ، ولن يكون ذلك ممكنا الا بمد سيطرة اميركا السياسية والعسكرية والاقتصادية على الاجزاء التي لم تستغرقها حتى الان . نحن نشعر انه بات اكثر من ضرورة ملحة ، ان يخلق استعمال اميركا « الفيتو » في وجه الامال والاماني المشروعة للامة العربية — احساسا متزايدا بضرورة ان يعيد العرب النظر في التزاماتهم تجاه المصالح الحيوية الاميركية في المنطقة » (القدس ١٩٧٣/٧/٢٧) .

وفي ختام هذا التقرير ، نرى انه من المفيد ان نثبت نص المذكرة التي رفعها زعماء الضفة الغربية الى الامين العام لهيئة الامم المتحدة الدكتور فالدهايم ، عن طريق الامين العام لجامعة الدول العربية السيد محمود رياض ، كما جاءت في صحيفة « القدس » . فتحت عنوان « مذكرة الضفة والقطاع .. رياض يبعثها لفالدهايم ومجلس الامن » كتبت « القدس » ان المذكرة تحمل تواقيع ١٣٥ من زعماء الضفة الغربية في القدس ونابلس وجنين وطولكرم وغزة ورام الله والبيرة والخليل وبيت لحم ، وان نص المذكرة هو ما يلي : « يعلن سكان الضفة الغربية المحتلة والقدس وقطاع غزة رفضهم للاحتلال الاسرائيلي لبلادهم ويؤكدون رفضهم لجميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات المحتلة لتغيير معالم البلاد وكيانها السكاني والجغرافي ، ويطالبون بانهاء الاحتلال بجميع صوره ويطالبون بحقهم في تقرير مصيرهم وسيادتهم على ارضهم ، هذه الحقوق التي اكدتها القوانين الشرعية وقرارات الامم المتحدة وهيئاتها المختلفة كما تناشد الضمير العالمي ونهيب بمجلس الامن الوقوف الى جانب الحق والعدل » (القدس ١٩٧٣/٧/٢٧) .

٢ — آب ١٩٧٣ :

قبل أن نبدأ باستعراض أهم وأبرز ما تناولته الصحف العربية في الضفة الغربية بالتعليق خلال شهر آب (اغسطس) الماضي ، فان من الضروري التذكير بأن عدد الصحف العربية هذه هي أربع صحف فقط : اثنتان منها يوميتان تصدران في القدس هما الشعب والقدس ، واثنتان اسبوعيتان تصدر احداهما في القدس وهي صحيفة الفجر واما الثانية فتصدر في بيت لحم وهي صحيفة البشير . ومن خلال اطلاعنا على اتجاهات هذه الصحف خلال الشهور الستة الماضية نستطيع القول بأن جريدة الفجر الاسبوعية هي أكثر هذه الصحف التزاما بالهموم الوطنية الفلسطينية وبالتالي أكثرها عداء لسياسات وتحركات النظام الاردني وسلطات الحكم العسكري في المناطق المحتلة . وخير دليل على التزام هذه الصحيفة الواضح بالخط الوطني المعادي للاحتلال وسياسة التسويات الاستسلامية هو افتتاحيات ومعالجات هذه الصحيفة الاسبوعية لمختلف القضايا والمسائل الفلسطينية . وكان تعرض مدير تحرير هذه الصحيفة وأحد المحررين الرئيسيين فيها للاعتقال على يد العدو اثر نشرها انباء عن تنسيق أردني — اسرائيلي مشترك في عملية فردان ضد ثلاثة من قادة المقاومة ، يوضح مدى تحمل هذه الصحيفة لمسؤولياتها الوطنية في مختلف المناسبات . اما الصحيفة التي تلي « الفجر » في التزامها بمعالجة المسائل الفلسطينية بروح المسؤولية الوطنية الجادة فهي صحيفة الشعب اليومية التي توقفت خلال شهر آب (اغسطس) الماضي ثلاثة اسابيع عن الصدور بسبب ازمة الورق كما ذكرت ذلك « الشعب » نفسها . وكان توقف هذه الصحيفة عن الصدور اعتبارا من يوم ٤ آب وحتى السادس والعشرين منه قد ترك فراغا ملموسا في تنوع تعليقات الصحف العربية في الضفة الغربية وغياب الاهتمام بالمسائل الوطنية والقومية والدولية التي تتصل بالنضال الفلسطيني بشكل او بآخر عن هذا التقرير . وسوف يجد المتتبع لعرض اتجاهات وتعليقات هذه الصحف في « شؤون فلسطينية » خلال الاشهر الماضية ، ان عرضنا

لافتتاحيات صحف الضفة الغربية في هذا العدد تغلب عليه طابع معالجات الشؤون المحلية بسبب من احتجاب جريدة الشعب خلال أغلب ايام شهر آب (اغسطس) الماضي .

تظل هناك صحيفتان أخريان تصدران في الضفة الغربية : الاولى صحيفة القدس اليومية والثانية صحيفة البشير الاسبوعية . ويمكننا القول هنا أيضا بمسؤولية كاملة — من خلال تتبعنا المستمر لتعليقاتها — ان « القدس » يمكن اعتبارها صحيفة صديقة ومؤيدة للنظام الاردني . وفي تقرير خاص وصل قبل مدة من مدينة القدس الى « شؤون فلسطينية » ان ادارة هذه الصحيفة قد فصلت أحد محرريها من العمل لكتابته تعليقا يؤيد فيه طروحات وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات اثناء مناقشات الدورة الاولى من اجتماعات مجلس الامن، حيث اعتبرت الادارة ان تأييد ذلك الطرح لا ينسجم مع السياسة الاردنية العامة ازاء مسألة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بنفسه ووفق ارادته الثورية المستقلة . واما صحيفة البشير فهي أكثر صحف الضفة ابتعادا عن الخط الوطني والتصاقا بأفكار واتجاهات الرجعيين الفلسطينيين في الضفة والقطاع . بل انه يمكننا اعتبارها صحيفة الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، ومحمد ابو شلبايه « الانفصالي » الفلسطيني المعروف وصاحب كتاب : لا سلام بدون دولة فلسطينية . ولا تتورع هذه الصحيفة رغم حرصها الشديد على فلسطينيتها المفرطة ، عن الترويج لافكار وبرامج سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي في أحيان ومناسبات مختلفة .

اما اذا انتقلنا الى اهم ما عالجته الصحف العربية في الضفة الغربية خلال شهر آب الماضي فاننا نجد كما أسلفنا قبل قليل ان هذه المعالجات يغلب عليها الطابع المحلي . وقد كان لبعض القرارات الاسرائيلية فيما يخص المناطق المحتلة خلال آب الماضي ، أثر كبير في جلب وتركيز اهتمامات الصحف العربية على بعض المسائل المحددة كان في طليعتها نقاشات الاحزاب الاسرائيلية وما يجب أن يتضمنه برنامج كل منها حول المناطق التي تحتلها اسرائيل . كما ان اتفاق حزب العمل الحاكم على برنامج محدد يتعلق بالمناطق المحتلة ، ركز هو الاخر الجانب الاكبر من اهتمامات الصحف على هذه الناحية في معالجاتها .

فمن المعروف ان الاحزاب الاسرائيلية مقبلة على انتخابات جديدة للكنيست الثامنة في تشرين الثاني (نوفمبر) القادم . وقد كانت الانتخابات هذه مناسبة جيدة لتكشف معظم الاحزاب الاسرائيلية عن طبيعتها التوسعية الشوفينية ، من خلال تسابقها على طرح مشاريع الضم والاستيلاء والتهويد للاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، الامر الذي أكد مجددا طبيعة اسرائيل كدولة عدوانية توسعية في قلب المنطقة العربية . فقالت الفجر في تعليقها حول هذا الموضوع : ان مناقشات حزب العمل الاسرائيلي تكشف « ابعاد الصورة التوسعية التي يرسمها حزب الحكومة الاسرائيلية لمستقبل « دولتهم » الكبرى » . وتستطرد « الفجر » معلقة على ذلك بقولها : « ومن وجهة نظرنا ، ونحن الذين تجرعنا مرارة الاحتلال واسلوبه وتصرفاته ، لا نملك الا أن نكرر من جديد بأن — خرائط — غولدا التوسعية وافكارها الاستيطانية ، سوف لا تؤكد الا شيئا واحدا ، وهو ان فلسطين الارض والشعب ، لن يقرر مصيرهما الا الفلسطينيون أنفسهم . وستدرك غولدا ، وكل التوسعيين — الظاهرين والباطنين — ان مستقبل الفلسطينيين وحقيقة انتمائهم لترابهم وتاريخهم لا يرسمه ولا يحدده الا الارادة الفلسطينية وعذاب عشرات السنين الذي أصبح اللون الواضح الذي سيعيد للهوية الفلسطينية روعتها » (الفجر ١٩٧٣/٨/٤). بهذه الروحية المؤمنة بحتمية انتصار حقها في المدى البعيد ترى « الفجر » ان كل التغيرات الجغرافية والسكانية التي يجريها العدو في الاراضي المحتلة سوف تلغيها الارادة الثورية الفلسطينية المصممة على انتزاع حقها في العيش بحرية وكرامة فوق ترابها الوطني .

والحقيقة ان برامج الاحزاب الاسرائيلية الانتخابية بقدر ما تركز دعايتها الانتخابية على ضرورة التوسع والشراء والمصادرة للارض العربية، تركز بشكل اكبر على ضرورة خلق المزيد من الوقائع السكانية والجغرافية في مدينة القدس لكي تظل عاصمة لاسرائيل . وترى معظم الاحزاب بضرورة توسيع حدود بلدية القدس مسافات اوسع لتبتلع المزيد من الاراضي العربية باتجاه الشرق والجنوب، الامر الذي يعني سلخ أراضي ومساحات واسعة في بيت لحم وغيرها من المدن والقرى العربية المحتلة . وفي هذا المجال تقول صحيفة القدس في

افتتاحية رئيسية لها : ان طابع المدينة المقدسة العمراني قد حافظت عليه كل المجالس البلدية المتعاقبة منذ العهد العثماني وحتى حرب حزيران ١٩٦٧ . اما حينما سارعت اسرائيل بعد الحرب الى نسف وتغيير المشروع الهيكلي للمدينة بكليته ، فلأنه « لا يخدم مطلقا المصالح السياسية لاسرائيل وليس المصالح « المدنية العمرانية » للمدينة ذات الطابع الحضاري المتميز » (القدس ١٩٧٣/٨/٧). وفي افتتاحية اخرى لصحيفة القدس بعنوان « تأثير قصر النظر ام ايثار المصلحة ؟ » تقول الصحيفة ان قرار ضم القدس يلحق آثارا نفسية واجتماعية ضارة بالمواطنين العرب في المدينة المقدسة . وخير ما تدلل به الصحيفة على ذلك منع الطالبات العربيات من القدس بالانتساب الى دار المعلمات في رام الله ، الامر الذي يعني « ان حلقة في سلسلة اجراءات خنق القدس والتضييق على أهلها قد آذنت بالتطبيق الان ، ولم تكن قد آذنت بالتطبيق قبل ذلك » . وتستنتج « القدس » من هذا الحدث انه أصبح من الضروري على المسؤولين العرب في الخارج ان يفتحوا الجامعات ودور المعلمين والمعلمات « وتبسيط الاجراءات واعطاء تسهيلات فوق العادة ، تعويضا للحرمان الموجود بالطبيعة ... » (القدس ١٩٧٣/٨/١٠) . وفي الحقيقة كنا نتوقع من صحيفة القدس ان تستنتج من هذا الحادث ضرورة حث المسؤولين والمعنيين بالامر على اهمية فتح دور المعلمين والمعلمات والمعاهد والكليات في الضفة الغربية ، وذلك لولا ان هذه الدعوة لا تنسجم مع مخططات السياسة الاردنية في المناطق المحتلة في الضفة الغربية على وجه التحديد . أما صحيفة البشير التلحمية فيبدو ان اهتمامها بتوسيع حدود بلدية القدس جنوبا ، ناجم بالاساس عن كون هذا التوسع يمس بحدود بلدية بيت لحم بالذات . وبقصر نظر واضح تقول الصحيفة انها عالجت هذا الموضوع مرارا على اعتبار انه لا يخرج عن اطار ازمة حدود عادية بين اي بلديتين متجاورتين . غير انها اكتشفت متأخرة جدا ان الازمة ابعد من ذلك فتقول : « تطرقنا أكثر من مرة لازمة الحدود القائمة بين بلديتي بيت لحم والقدس ، على اعتبار انهما لم تخرج في اعتقادنا عن نطاق مشكلة قائمة بين مدينتين متجاورتين ، تتنازعان فيما بينهما على الحدود ، وكثيرا ما تقع مثل هذه المشاكل والمنازعات بين البلديات المتجاورة .. غير ان الذي اتضح لنا من البعض الذين هم على مستوى المسؤولية ... ان أسباب هذه الازمة نتجت عن قرار الكنيست الاسرائيلي الذي كان قد اتخذه في عام ١٩٦٧ ، القاضي بتوسيع منطقة بلدية القدس من جهة الجنوب » . وتضيف الصحيفة ان هذا القرار الاسرائيلي لا يستند الى اية قوانين ، وانظمة او اعراف يعمل بها اي شعب من شعوب العالم « حتى الشعب الاسرائيلي نفسه » . وترى « البشير » ان الطريق الصحيح لاحباط هذا القرار هو ان يظل مجلس بلدية بيت لحم متمسك بموقفه من هذه الازمة وملتزم بمذكرته التي كان قد رفعها الى السلطات الاسرائيلية معارضا قرارها ذاك . ثم تطالب الصحيفة «الكنيست والحكومة الاسرائيلية ان ترجع عن قرارها ، وان تحافظ على حسن الجوار [!] ، وهي التي ما انفكت تدعو لحسن الجوار واقامة الحدود الامنة مع الدول العربية لتبرهن على صدق نواياها على الاقل ، بالتسليم بحدود جيرانها « المحليين » هنا .. فتقيم معهم الحدود الآمنة « والمتفق » عليها لتحقيق حسن جوار أكيد وسلام دائم بين المدينتين المقدستين ، ولا سيما وان لكل منهما طابعها الديني والتاريخي والسياحي ، ولعل في ذلك بشير خير ونواة صالحة لسلام شامل في المنطقة [!!] » (البشير ١٩٧٣/٨/١١) . ونذكر هنا كل من يستغرب هذه المعالجة اللاوطنية لهذا الموضوع من قبل صحيفة البشير بما قلناه في بداية هذا التقرير حول الخط اللاوطني لهذه الصحيفة . كما اننا نجد هنا ايضا فرقا كبيرا بين معالجات « البشير » لمسائل الضم والتوسع الاسرائيلية وبين معالجات صحيفة القدس ــ المعبرة عن السياسة الاردنية في الضفة الغربية ــ لمثل هذه المسائل . فتقول القدس في افتتاحية لها تحت عنوان « الجزر التي ستبتلع المحيط » ان اصدق وصف لبرنامج الاستيطان الاسرائيلي في الاراضي المحتلة بأنه « هجمة اسرائيلية أعد لها بعناية وتنفذ بدقة » . وتضيف « القدس » قائلة ان الصورة الجديدة في هذه الهجمة الاسرائيلية ما يتحدث عنه هذه المرة الدكتور يوسف بورغ وزير الداخلية الاسرائيلي « من انشاء مجالس اقليمية تضم المستوطنات داخل المناطق المحتلة ، بقصد دمج هذه المجالس اداريا بمثيلاتها في المدن الاسرائيلية المتاخمة لها . ان وضع هذه المستوطنات ... تماما كالجزر الصغيرة المتناثرة في البحر الكبير ... لا تقف عند حدود اعاقة حرية

النمو والتطور السكاني والعمراني والزراعي ، بل ستكون الجزء الذي يهيأ لابتلاع الكل » . ونحن هنا بالطبع لسنا في معرض المقارنة بين خطي وسياستي كل من صحيفة البشير وصحيفة القدس، الا أنه من باب التدليل على صحة الاستنتاج الذي ثبتناه في بداية هذا التقرير عن اتجاهات الصحف العربية في الضفة الغربية ، والذي جاء خلاصة تتبع مستمر لكل ما نشرته هذه الصحف خلال الستة شهور الماضية ، نضطر الى تفسير افتتاحيات هذه الصحف وتعليقاتها على ضوء الخط العام لكل صحيفة .

ولقد شهدت الاراضي العربية المحتلة نضالات مختلفة ضد الاتجاهات التوسعية الاسرائيلية ، مما يعني ان تعليقات الصحف العربية لم تكن في الفراغ وبالتالي لم تكن مقطوعة الجذور عما يدور حولها. فحينما أصدر مجلس بلدية بيت لحم حول ما اشيع وما جرى ترتيبه لضم المدينة الى بلدية القدس ، جاء في تعليق فوري لصحيفة القدس دعم خط وتأييد موقف بلدية بيت لحم واستنكار كل دعوة او فكرة لضم او ربط المدينة بغيرها . وهنا نبهت القدس الى المخطط الاسرائيلي الرامي الى كل ذلك من خلال زرع المنطقة بالمستعمرات الاسرائيلية اذ تقول : « ربما بدا ظاهرا ايضا السعي على المدى البعيد لنسف كل المعالم الفاصلة بين القدس والبلاد الصغيرة المجاورة . وانهم — اليهود — وان كانوا لا يقفزون الى هذه الرغبة مرة واحدة ، فانهم يتسللون اليها (حبة حبة) و(شبرا شبرا)..
ومن التسلل انهم يهيئون الاذهان بما يثيرونه من مناقشات وما يطرحونه من حوارات وما يدلي به قادتهم من تصاريح وبيانات بين حين وحين » .
(القدس ١٩٧٣/٨/٢) .

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المجال ان احدى الشخصيات السياسية المعروفة في الضفة الغربية كتبت مقالة في جريدة القدس تطالب فيها المجالس البلدية في الضفة بالتحرك لمواجهة المخططات الاسرائيلية التوسعية. اذ يقول حمدي كنعان رئيس بلدية نابلس بعد حرب حزيران ١٩٦٧ : « ... ولما كانت المجالس البلدية هي السلطة الشرعية الممثلة للمواطنين ، فان باستطاعتها ان تقول كلمتها في هذه التصرفات التي تقدم عليها السلطة المحتلة . ورب قائل يقول ما فائدة الاحتجاج والسلطة لا تعير اي التفات ؟ فنقول : لو لم يكن لاحتجاج السلطات البلدية الا صداه يتردد في انحاء العالم ليعطي صورة عن تصرف المحتلين لكفى . ومع ذلك فهناك طرق اخرى يمكن للبلديات سلوكها بشكل جماعي احتجاجا على تصرف السلطات المحتلة » . ويختم كنعان مقالته بما يشبه النداء قائلا : « لم يعد يحسن السكوت والسلطات لا تعطي اية قيمة للسكان اصحاب البلاد ، ولا بد من اتخاذ موقف موحد فهل من يستمع » . (القدس ١٩٧٣/٨/٢١).

الى جانب ما تقدم فهناك تعليقات كثيرة حول برامج ومخططات العدو التوسعية في الاراضي العربية المحتلة لا تخرج في مبناها ومعناها عما ذكرناه آنفا. والى جانب ما تقدم أيضا ، فان تعليقات الصحف العربية في الضفة الغربية قد تناولت موضوعا محليا آخر لا تقل أهميته عن موضوع البرامج التوسعية للاحزاب الاسرائيلية . ونعني بذلك التحركات والاضرابات التي قام بها المعتقلون السياسيون الفلسطينيون في اغلب السجون الاسرائيلية . ومرة اخرى لم تكن تعليقات الصحف العربية حول هذا الموضوع مقطوعة الجذور عما يدور حولها من نضالات . فبالاضافة الى تحرك واضراب المعتقلين في سجونهم تحرك أهالي المعتقلين من جانبهم يدعمون نضال ابنائهم داخل ووراء أسوار السجون . والى جانب أهالي المعتقلين تحركت معظم المجالس البلدية في الضفة الغربية رافعة المذكرات ومقدمة الاحتجاجات . وهكذا كانت معالجات الصحف لمسألة اضرابات المعتقلين منسجمة مع الخط الوطني العام ومعبرة عنه كما يجب ان يكون التعبير . وندرج فيما يلي نص العريضة التي تقدمت بها امهات المعتقلين الى سماحة رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس ، وذلك كما نشرتها صحيفة القدس : « نحن أمهات وآباء وأبناء المعتقلين في سجن الرملة نناشد سماحتكم واعضاء الهيئة الاسلامية المحترمين التدخل الفوري السريع لانقاذ حياة ابنائنا المعتقلين وانقاذهم من موت محقق بعد أن فرضت عليهم ادارة السجن ظروفا اضطرتهم الى اعلان الاضراب عن الطعام حتى تزول الظروف اللاانسانية التي تحيط بهم .
ان ابناءنا هم ابناء الشعب العربي الفلسطيني بأكمله ونجدتهم واجب انساني وقومي . أملنا كبير بتدخلكم لدى المسؤولين لتحقيق مطالب المعتقلين »
(القدس ١٩٧٣/٨/٨) . وكان وفد من الامهات قد زار قبل ذلك مكتب الصليب الاحمر الدولي بالقدس ، وأعربن عن احتجاجهن على سوء

المعاملة التي يلقاها ابناؤهن في مختلف السجون وخاصة سجن الرملة المركزي ، وطلبن من ممثل الصليب الاحمر الدولي التدخل لتحقيق المطالب العادلة للمعتقلين .

وحول مذكرة لجنة امهات المعتقلين علقت صحيفة القدس على ذلك بقولها : « لقد تقدمت أمهات المعتقلين في سجن الرملة أمس الى جهات كثيرة متعددة بالاعراب عن أملهن في التعاطف معهن والمشاركة في رفع احتجاجهن الى السلطات المختصة ، بأمل حصول ابنائهن وأزواجهن على معاملة اكثر تقديرا لكرامة السجناء وانسانيتهم... نحن نعتقد انه يتعين على السلطات المسؤولة عن السجون في اسرائيل ، اعادة تقييم الاوضاع في داخل هذه السجون وتحديد اطارات لما يجوز وما لا يجوز التعامل به مع السجناء . ان مثل هذا التقييم والتحديد ، بالاضافة الى ما يوحي به من اطمئنان بالالتفات الى الواجبات الاساسية في رعاية هؤلاء الذين ألقت بهم المقادير وظروف الاحتلال المغايرة للاماني الوطنية ، في سجون اسرائيل — سيضع حتما حدودا للتصرفات الفردية الاجتهادية التي يلجأ اليها مدراء السجون كلما أحسوا ان السجناء قد عمدوا الى سلوك سبل يعتبرها المدراء متعارضة مع قدرتهم على الضبط والربط..» (القدس ١٩٧٣/٨/٨) . ونشرت جريدة الفجر الاسبوعية مذكرة رؤساء بلديات الضفة الغربية الى الحاكم العسكري الاسرائيلي بشأن اوضاع المعتقلين العرب في سجون الاحتلال هذا نصها : « سعادة الحاكم العسكري العام للضفة الغربية المحترم . لقد دأب أهالي المعتقلين والمحكومين في الآونة الاخيرة من تكرار الشكاوى حول وضع السجون الحالي هذا بالاضافة الى الاخبار المتكررة حول ابنائهم وحول اضرابات المعتقلين السياسيين في مختلف السجون وذلك احتجاجا على الامور التالية ، نرجو من سعادتكم العمل على التحقيق فيها ومن ثم حل جميع المشكلات المترتبة عليها وبالسرعة المناسبة :

١ — يشكو هؤلاء المعتقلون سوء الغذاء والتغذية في السجون لدرجة كبيرة مما زاد في نسبة ونوعية الامراض في السجون .

٢ — العناية الصحية معدومة حتى ان بعض المحكومين العرب الذين بحاجة الى عمليات جراحية تؤجل عملياتهم عدة شهور ، هذا بالاضافة الى كثرة أمراض تسوس الاسنان ، البواسير ، الروماتيزم ، القرحة ، التهابات الحلق والاذنين ، القلب والامراض العصبية والنفسية كثيرا ما تعالج بالاسبرين .

٣ — استغلال المحكومين العرب من ناحية العمل حيث يتم اجبارهم على العمل مقابل ٦ سجائر ومبلغ يتراوح بين ٢٣ — ٤٦ اغورة يوميا ، هذا عوضا من ان المراقبين عليهم هم من السجناء المدنيين اليهود .

٤ — يفيد أهالي المحكومين العرب بأن أبناءهم يعذبون بالضرب وبأنهم يوضعون تحت ظروف نفسية قاسية مما يتنافى وأبسط القوانين المتعلقة بمثل هؤلاء المعتقلين .

٥ — في بعض السجون يخلط المحكومون السياسيون العرب مع السجناء المدنيين اليهود .

٦ — نطالب بالسماح للمحكومين العرب الذين انتهت فكرة محكوميتهم والذين كانوا قد دخلوا الضفة الغربية تسللا البقاء عند عائلاتهم حيث ان معظمهم لا يوجد له احد خارج الضفة الغربية .

٧ — لقد وعد رؤساء البلديات في مناسبات كثيرة في تخفيض الاحكام عن المحكومين العرب ، ولكن هذه الاحكام لم تخفض منذ فترة طويلة وخاصة ان احكام عام ١٩٦٩ كانت قاسية جدا حيث صدرت احكام بالسجن لمدة ١٥ سنة لنفس التهم التي صدرت بها احكام بالسجن لمدة ثلاث سنوات عام ١٩٧١ » (الفجر ١٩٧٣/٨/٢٥) .

وكتبت نفس الصحيفة تحت عنوان « أحوال السجناء العرب وضرورة العمل لتحسين اوضاعهم » ، ان المذكرة الآنفة الذكر تؤكد ان اوضاع المعتقلين العرب « لم تعد تحتمل المعالجة النظرية والوعود المفرطة في التفاؤل بتحسين أوضاع السجون التي يعيش فيها الفلسطينيون... واننا لنعتقد ان امتحان رغبة السلطات الاسرائيلية في تحسين اوضاع السجناء الفلسطينيين ، يجب ان تأتي عبر السماح للجنة من البلديات والهيئات النسائية والتجمعات الوطنية وممثلين عن الصحافة العربية في المناطق المحتلة، لزيارة السجناء وسماع شكاويهم ، والتأكد من ان اجراءات قد اتخذت لتحسين اوضاعهم » (الفجر ١٩٧٣/٨/٢٥) .

عيسى الشعيبي

(٥) اسرائيليات

عملية اعتراض الطائرة المدنية : ... اما الفشل فيتيم !

الرأي العام الاسرائيلي، والصحافة والمسؤولون هناك أيضا ، كانوا على مدى أيام شهر آب (اغسطس) الماضي ، منشغلين بقضايا عديدة ، أهمها دون شك :

١ — قضية ارغام الطائرة اللبنانية المؤجرة الى العراق على الهبوط في اسرائيل .

٢ — الانتخابات البرلمانية العامة ، لانتخاب الكنيست الثامنة . (انظر ادناه حول هذا الموضوع) .

٣ — ازمة الطاقة العالمية واحتمال فعالية التهديد العربي باستخدام سلاح النفط واثر ذلك على اسرائيل وسياسة اميركا في المنطقة .

٤ — زيارة الدكتور كورت فالدهايم الى اسرائيل والدول العربية المحيطة بها .

٥ — مؤتمر سفراء اسرائيل لدى الدول الافريقية ، وتعيين سفير جديد لاميركا في اسرائيل.

ولو بدأنا بأولى هذه القضايا وأهمها ، وهي ارغام الطائرة المؤجرة الى العراق على الهبوط في مطار عسكري في شمال الارض المحتلة ، لوجدنا أمامنا عددا كبيرا من الاسئلة ، اولها — في محاولة لوضع هذه العملية الهجية في موقعها الصحيح داخل خريطة السياسة الاسرائيلية — هو : هل العملية فريدة من نوعها ؟

ان اسرائيل — رغم عمرها القصير — قد «نجحت» حتى الان في جعل ملفها المتضمن مخالفات واضحة وصريحة لكل القيم الانسانية والمواثيق الدولية ، ملفا ضخما قلما ملكت مثله وبحجمه اية دولة أخرى من دول الارض .

ولو تجاوزنا حقيقة ان قيام اسرائيل نفسه هو عمليا اعتداء على شعب كامل وخرق لكل القيم الانسانية مجتمعة ، فان ما يظل أمامنا من مخالفات اسرائيلية أكثر من ان يحصى ، وان يكن بالامكان عرض عينات منه فقط ، مثل قتل الكونت برنادوت ، احتلال ام الرشراش (ايلات) ونيتسانة ، الهجمات الوحشية المتكررة على أهداف مدنية في قطاع غزة سنة ١٩٥٥ وفي الضفة الغربية بدءا من قبيا حتى السموع ، ثم الدعوة والمشاركة في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ ، خطف ايخمان وخرق حرمة السيادة الارجنتينية ، محاولات قتل — عن طريق ارسال الطرود الملغومة — العلماء الالمان في مصر، العدوان الكبير في حزيران ١٩٦٧ ، الاعتداء على مطار بيروت الدولي واحراق احدى عشرة طائرة مدنية فيه سنة ١٩٦٨ ، الغارات المتكررة على الاهداف المدنية في الضفة الشرقية (السلط واربد وغيرهما) ، وفي مصر (مدرسة بحر البقر ومصانع ابو زعبل وغيرهما)، وفي لبنان (المخيمات : النبطية، النهر البارد ، البداوي وكذلك صيدا ، وبيروت — شارع فردان في العاشر من نيسان (ابريل) الماضي) ، وغير ذلك الكثير الكثير ، اضافة الى الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها اسرائيل ضد العرب المقيمين فيها (كفر قاسم ، الحكم العسكري ، مصادرة الاراضي ...) ومسلسل الجرائم الجديد من اغتيال محمود الهمشري حتى احمد بوشيكي ، ومحاولات الاغتيال الفاشلة بالطرود الملغومة وغيرها .

هكذا يبدو لنا بوضوح ان عملية تصدي طائرات عسكرية اسرائيلية للطائرة المدنية العربية يوم العاشر من آب (اغسطس) الماضي ، ليست عملية فريدة من نوعها ، ولا هي أسلوب جديد او سياسة اسرائيلية جديدة ، بل هي عملية تنسجم تماما مع الخط العام الواضح للسياسة الاسرائيلية .

ووصولا الى جواب أكثر وأدق نحدد السؤال ذاته : هل العملية فريدة من نوعها ؟

منذ ان بدأ جو الكرة الارضية يتحول الى ساحة للطيران المدني والطيران العسكري ، وحتى الان تعرضت ثلاث طائرات مدنية لمطاردة من قبل طائرات عسكرية ، والعمليات الثلاث قامت بها طائرات عسكرية اسرائيلية ، وكانت ضحيتها ثلاث طائرات مدنية عربية ، ولعل في هذا الامر أكثر من عبرة وأكثر من معنى .

أولى عمليات القرصنة — بمعنى الكلمة — الجوية هذه ، حدثت قبل ١٨ سنة ، وبالتحديد يوم ١٩٥٥/١٢/١٢ ، حين تعرضت طائرتا موستانغ اسرائيليتان ، لطائرة داكوتا مدنية سورية كانت

متجهة من دمشق الى القاهرة ، وأرغمتاها على الهبوط في مطار اللد ، حيث « احتجز ركابهـا كرهائن الى حين تفرج سوريا عـن خمسة جنود اسرائيليين كانت قد أسرتهم يوم ١٩٥٥/١٢/٩ » . (معاريف ١٩٧٣/٨/١٧ ومعاريف ١٩٥٥/١٢/١٢). وأفرج عن الطائرة بعد ذلك بيومين (أي يوم ١٤/ ١٩٥٥/١٢) « حين أمر بذلك موشي شاريت الذي كان آنذاك رئيسا للحكومة ووزيرا للخارجية . وفي النقاش الذي ثار في الكنيست في ذلك الحين ، قال شاريت ان امام اسرائيل الخيار حول ما اذا كانت تريد ان تكون دولة قانون او دولة قرصنة ، وأثار هذا الكلام ردودا منفعلة ... » (معاريف ١٩٧٣/٨/١٧) .

و« اختارت » اسرائيل ان تكون «دولة قرصنة»، حيث ان طائراتها الحربية عادت من جديد وتعرضت في شهر شباط (فبراير) الماضي لطائرة ركاب مدنية ليبية ، وأطلقت عليها النار فأسقطتها وقتلت أكثر من مئة مدني سقطت بهم الطائرة فوق رمال سيناء المحتلة .

واذا كانت اسرائيل قد عملت جاهدة على طمس حقائق وكيفية اسقاط الطائرة المدنية الليبية ، فان عمليتها الاخيرة ضد الطائرة اللبنانية ــ العراقية ، قد كشفت ، بما لا يدع مجالا للشك ، صدق ما أكده الاعلام العربي ، وهو ان نية اسقاط الطائرة كانت مبيتة ، وان العملية الاجرامية تمت عن سابق عمد واصرار .

ولقد حظيت عمليـة تصدي الطيران العسكري للطائرة المدنية اللبنانية ــ العراقيـة ، بتغطية واسعة جدا في صحف اسرائيل ــ كما في صحف العالم ــ ووسائل اعلامها الاخرى ، التي عرضت وناقشت العملية ، وذيولها ، وأثرها ووقعها على الرأي العام العالمـي وفي المجـال والاوساط والمؤسسات الدولية ، والدروس التي يجب تعلمها من العملية .

تحديدا :

١ ــ كيف عرضت اسرائيل العملية :

أ ــ على الرأي العام الاسرائيلي ؟

ب : على الرأي العام العالمي ؟

٢ ــ كيف توزعت مواقف المسؤولين والمؤسسات والمعلقين الاسرائيليين حول العملية ؟

٣ ــ كيف قابلت اسرائيل الاجماع العالمي على ادانتها ؟

٤ ــ ما هي الدروس التي استخلصتها اسرائيل من العملية ؟

ان العملية ــ كعملية عسكرية ــ بررت عبر العديد من المقـالات التي كتبهـا المراسلـون العسكريون للصحف الاسرائيلية ، كما في تصريحات عديدة للعسكريين الاسرائيليين ، وأبرزهم الجنرال داڤيد العازار ، رئيس اركان جيش الاحتلال .

وقد كتب يعقوب ايرز ــ المراسل العسكري لجريدة معاريف ــ يقول : « ان ارغام الطائرة على الهبوط في اسرائيل هو جزء من سياسة الهجوم والمبادرة ضد الارهاب . ومنذ مجزرة ميونخ تطبق اسرائيل هذه السياسة التي نشرت الخوف واليأس والبلبلة في صفوف المخربين. لقد كانت الاستخبارات جيدة ، ولكن من الطبيعي ان تغييرا في اللحظة الاخيرة (يقصد امتناع الدكتور جورج حبش عن ركوب تلك الطائرة) حال دون احراز الهدف . وكانت عملية سلاح الطيران معقدة ، ولم تتعرض حياة المسافرين للخطر ... » و « ... الا ان الطيار اللبناني انصاع بسرعة ، فدرس الطائرة الليبية (شباط ١٩٧٣) ما زال طريا » . (معاريف ١٩٧٣/٨/١٣) .

وتعليل رئيس أركان جيش الاحتلال ، في خطاب القاه يوم ١٩٧٣/٨/١٥ في كريات البعيزر في حيفا ــ احتفالا بمرور ٢٥ سنة علـى تأسيس وحدة الاقليات (أي العرب) في جيش الاحتلال ــ انه « ليس أمامنا طريق يوصلنا بموجب القانون الدولي الى القتلة ، لكن لنا الحق في الوجود والدفاع عن النفس » (معـاريف ٧٣/٨/١٦) . « وستصل ايدينا الى كل اولئك المنادين بتصفية دولة اسرائيل، والمستمرين في اعمال القتل ... وان عبء محاربة المخربين قد فرض كاملا علينا » (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/١٦) .

على الصعيد السيـاسي ، جهدت السلطـات الاسرائيلية على اظهار اتفاق تام « واجماع من الوزراء حول تأييد القرار الذي اتخذ ، واجبرت الطائرة بموجبه على الهبوط في اسرائيل » (معاريف ٧٣/٨/١٣) ، وكان ذلك قد تم التوصل اليه في اجتماع الحكومة الاسبوعي يوم ٧٣/٨/١٢ ، والذي خصص نصفه الاول لمناقشة موضوع الطائـرة

واعلنت رئيسة حكومة العدو عنه في « جلسة للجنة الوزارية لشؤون الامن » (المصدر السابق) وذلك للحيلولة دون تسرب اية معلومات عمـا دار في الاجتماع . وعندما « نمى الى علم رئيسة الحكومة السيدة مئير ، خبرا أفاد ، وكأن وزير الخارجية ابا ايبان قد عبر ، في لقاء خاص أعـده التجمع العمالي ، عن رأي متحفظ ازاء موقف الحكومة من قضية ارغام الطائرة اللبنانية على الهبوط في اسرائيل ... استوضحت رئيسة الحكومة حول هذا الموضوع بصورة مباشرة مع وزير الخارجية. اوضح لرئيسة الحكومة ان الوزير لم يتخذ موقفا متحفظا ، وانما عـرض الاعتبـارات المؤيـدة والمعارضة ، التي كان يمكن ان تطرح استعدادا للحسم حول موضوع ارغام الطائرة على الهبوط. وانتهى بذلك الاستيضاح حول هذه المسألة » . (معاريف ١٩٧٣/٨/٢٨) .

والى الرأي العام العالمي — والغربي بشكل خاص — توجه الاسرائيليون بالتركيز على انه « لا يمكن بحث قضية الطائرة كحادثة فردية ، بل ينبغي بحثها من ضمن كافة عمليات الارهاب والقتل ، وعلى ضوء حق اسرائيل في الدفاع عن نفسها » . (يوسف تكواع في الامم المتحدة — رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٨/١٥) . وكذلك ترديد وصف الدكتور جورج حبش بأنه « زعيم القتلة » ومهاجمة الاتحاد السوفياتي ، حيث « لا يستغرب تأييد السوفيات لجورج حبش ، فانكم (السوفيات) تزودونهم برشاشات من طراز كلاشينكوف من اجل قتل النساء والاطفال » (المصدر السابق) والتذكير بأعمال فدائية واعمال اتهمت اسرائيل الفدائيين بها « بدءا من خطف الطائرة الاسرائيلية الـى الجزائر سنة ١٩٦٨ وانتهاء بمذبحة اثينا» (المصدر السابق) ، ومن ناحية ثانية التاكيد على حـق اسرائيل في «الدفاع عن نفسها» ولوم « الدول التي تخلي سبيل القتلة ، مثل قتلة ميونخ » (جيروزاليم بوست ١٥/٨/٧٣) . وعادت اسرائيل مجددا الى شعار التقوقع ردا على توحد العالم بأجمعـه ضدها ، حيث انه « اذا ظهرت شكوك في اسرائيل بشأن مدى الفعالية السياسية في عملية اعتراض الطائرة ، فان اشتراك الاعداء والاصدقاء بالتنديد باسرائيل ، يوحد سكان اسرائيل في تأييدهم الى هذه العملية » (هموديع — صحيفة الحزب الوطني المتدين — ١٥/٨/٧٣) .

ونظرا الى صعوبة الدفاع عن هـذه العملية الاجرامية ، وخاصة امام الرأي العام العالمي ، والمحافل الدولية ، وهي المهمة الملقاة على عاتق يوسف تكواع مندوب اسرائيل الدائم في الامـم المتحدة ، فان العديد من الصحف الاسرائيلية ، قد استغل هذه الفرصة ليدبج مقالات المديح لتكواع ، وكتب دافيد لازر يقول : « ان ذلك الذي القيت عليه المهمة المشكورة ، مهمة ان يكون بوقا لنا جميعا ، منذ سنين ، في برج الزجاج والاسمنت المسلح والطون والاجرام والكراهيـة ، يوسف تكواع سفيرنا في الامم المتحدة ، يستحق كما يبدو لي منذ زمن طويل كلمة شكر وتقدير من الوطن » (معاريف ٢١/٨/٧٣) .

لكن برغم الحملة الاعلامية الاسرائيلية الواسعة التي توجهت نحو الداخـل ونحو الخارج علـى السـواء ، فقد ظل صعبا على الاسرائيليين تحمل المذاق المر للفشل ، وصعب عليهم اكثر من اي شيء آخر ان تكون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والدكتور جورج حبش ، قادرين علـى افشال اسرائيل ، باستخباراتهـا وجيشها ، فراحـوا يتساءلون حول « من يمكنه ان يحكم سلفا موعد اصابة جورج حبش بالنوبة القلبية ، وتراجعه عن قراره بالسفـر ؟ » وعندمـا بدأت تتضـح للاسرائيليين اكثر فأكثر حقيقة ان استخباراتهـم وحكومتهم وجيشهم قد وقعوا ضحية عملية تضليل موفقة ، وقع الاسرائيليون في الخطأ الذي يتهموننا دائما بارتكابه ، وهو تحميل طـرف ثالث قوي مسؤولية فشلنا ، ووجد الاسرائيليون ضالتهم في الاتحاد السوفياتي ، ولقد أوضح دافيد غلعادي ذلك حين أشار الى « احتمال » ان تكون اسرائيل قد وقعت ضحية تضليل ، « لكن بموجب تجربتنا على مدى السنين ، فان من المشكوك فيه ان يكون العرب بجميع دولهم ومنظماتهم مؤهلين لتشكيل جهاز تضليل واستفزاز ناجح الى هذه الدرجة ، واخفائه الى هذه الدرجة من النجاح عند اقدامنا. ان استفزازا ناجحا الى هذا الحد — اذا كان هناك ثمة استفزاز — يشير الى وجود فنانين ذوي تاريخ عريق في هذا المجال ، ولهم خبرة في مواجهة من هم من وزنهم ونوعهم ، والانتصار عليهم أحيانا كذلك . وبين مجموع المعلومات التي نشرتها صحف بيروت النشيطة ، وردت معلومة صغيرة عـن ان السوفيات هم الذين حذروا جورج حبش من ركوب

تلك الطائرة التي ارغمت على الهبوط في اسرائيل بعد ذلك . واذا كنا نميل الى الاخذ بالاحتمال المذكور ، فانه ليس هناك اي سبب بطبيعة الحال لعدم التفكير بالسوفيات كممنيين أكثر من اي طرف خارجي في التسبب باستفزاز كهذا ضد اسرائيل... واذا كان هناك استفزاز فعلا ، فان فنانين مثل السوفيات فقط ، يستطيعون ان يحيكوه وينتجوه بهذه الدرجة من النجاح والكمال » (معاريف ٢١/ ٧٣/٨) . وأعاد الاسرائيليون بذلك تأكيد صدق القول المعروف ، بأن « للنجاح آباء كثر ، اما الفشل فيتيم » ولم يتعبوا انفسهم كثيرا في عملية البحث عن المسؤول (او المسؤولين) عن الفشل.

ونصل الان الى السؤال الثاني حول كيفية توزع المواقف في اسرائيل ازاء هذه العملية .

قبل كل شيء ، فان موقف جميع وزراء اسرائيل ، كان — رسميا ، وكما ذكر سابقا — في خط التأييد بالاجماع لقرار استخدام سلاح الطيران لارغام الطائرة المدنية اللبنانية —العراقية على الهبوط في اسرائيل . لكن مواقف الجهات والاحزاب الاسرائيلية الاخرى لم تكن الى جانب هذا الخط بالاجماع .

فقد ذكرت جريدة معاريف (١٩٧٣/٨/٢٦) ان « الحلقة الفكرية في حزب العمل (الحاكم) متحفظة ازاء اعتراض الطائرة فقد اتخذت سكرتارية الحلقة الفكرية لتوضيح المشاكل الاجتماعية والسياسية ، في نهاية الاسبوع الماضي قرارا بالتحفظ ازاء العملية ، وورد في قرار الحلقة ان دولة اسرائيل تردد مطالبتها للدول العربية ودول العالم ومنظمة الطيران الدولية والرأي العام العالمي عدم السماح بالحاق الضرر بالطيران الدولي ، والعمل ليس فقط ضد الافراد والجماعات الارهابية ، بل ايضا ضد الدول ، مثل لبنان ، التي لا تمنع خطف الطائرات . وان عملية اسرائيل تشكل الحاقا للضرر بمبدأ حرية الطيران الدولي وبما تطالب اسرائيل دول العالم به » .

وعلى صعيد الاحزاب الاسرائيلية ايضا ، « اعرب رئيس كتلة « الاحرار المستقلين » في الكنيست ، عضو الكنيست جدعون هاوزنر ، (وهو ، للمناسبة ، المدعي العام الاسرائيلي في محاكمة ايخمان) عن تحفظه ازاء عملية اعتراض الطائرة اللبنانية بقوله انه يجب محاربة المخربين في كل مكان ، لكن ليس بجميع الوسائل ... » (معاريف ٧٣/٨/٢٦) .

اما مناحم بيغن ، رئيس حركة حيروت وكتلة غاحال في الكنيست ، فقد كتب مقالا (في معاريف ٧٣/٨/١٧) ، تحت عنوان « من هم الـ « بلا خطيئة » ؟ » بدأه بقوله : « سأبدأ من النهاية : انني أؤيد هذه العملية حتى بعد ان لم يتحقق هدفها » .

وعلى جبهة المحسوبين على اليسار في اسرائيل، اعرب مئير يعيل رئيس قائمة « موكيد » للانتخابات المقبلة (مكونة من بعض شيوعيي ميكونيس وغيرهم) عن اعتقاده بأن « على الحكومة الاسرائيلية التنصل من اعتراض الطائرة اللبنانية، والاعلان بأنها لن تعود الى مثل هذه الاعمال ... وان اعتراض الطائرة تنقصه المسؤولية السياسية . ولقد اثار هذا العمل ضدنا منظمات الطيران العالمية وساعد حكومة الولايات المتحدة في الضغط علينا ... » . (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٨/١٥) .

اما الصحف الاسرائيلية فقد ضمت خلال الايام التي تلت العملية خليطا من المقالات المؤيدة للعملية ، والمعارضة لها ، والمنتقدة للمعارضين والمنتصرة لهم .. ولقد انتقينا من الصحف الاسرائيلية ثلاثا هي : معاريف ، يديعوت احرونوت ، وهآرتس . حيث تبين ان مقالات معاريف تتوزع مناصفة تقريبا بين مؤيد ومنتقد ، وكانت الغالبية العظمى من مقالات يديعوت احرونوت مؤيدة للعملية في حين كانت غالبية مقالات جريدة هآرتس (الاكثر اتزانا بين صحف اسرائيل) معارضة للعملية ومنتقدة لها .

وكتب المعلق المعروف شالوم روزنفلد في معاريف (٧٣/٨/١٣) يقول ان الضمير في هذه العملية هو المرتاح والهادىء ، في حين ان العقل هو الثائر (وذلك بعد ان يستعرض ماذا كان سيحدث لو وقع جورج حبش في ايدي الاسرائيليين وكيف ستكون صورة المحكمة والمحامين المتبرعين للدفاع عنه) ، ويستدل من ذلك على ان « هذه هي علامات ارتباك نزج فيه في ظل الطبيعة المميزة للاعنف بين الحروب ، « الحرب القذرة » ضد المخربين التي نخوضها نحن منفردين ... » .

وانتقد حانوخ برطوف في معاريف (٧٣/٨/١٦) تحويل الاسرائيليين لمواقفهم من النقيض

الى النقيض ، : « جميعنا ، وما العمل ؟ ، نقفز من الطرف الى الطرف . فعندما نفذ الارهابيون المتخفون تحت اسم « ايلول الاسود » عمليات القتل دون تمييز ، وبدا ان هناك خطر وضع حاجز جوي بين اسرائيل والعالم ، طالبنا جميعنا بضرب هؤلاء القتلة « في كل مكان وفي كل زمان » . ومن وقف لحظة ليفكر في دلالة هذه المطالبة ، عرف ان ما سيكون مطلوبا هو ليس فقط جهدا كبيرا ، بل اساليب غير اعتيادية اطلاقا » .

وتحت عنوان « تأييدا لاعتراض الطائرة » ، كتب متتياهو بيلد ، احد اشهر معلقي معاريف (عدد يوم ٧٣/٨/١٧) : « ان الانتقادات الموجهة لاعتراض الطائرة اللبنانية التي كان يفترض ان يطير فيها جورج حبش ورجاله الى بغداد ، ما كانت لتسمع لو ان المخربين وقعوا في ايدينا في اعقاب هذه العملية ... » .

وكان اعنف من جميع هؤلاء المعلق يشعياهو بن بورات ، الذي كتب في جريدة يديعوت احرونوت (٧٣/٨/١٧) مقالا تحت عنوان « .. ورغم ذلك، التأييد لاعتراض الطائرة » ذكر فيه بعملية خطف ايخمان ، حيث « وصلت طائرة العال الى الارجنتين في رحلة خاصة ، وكان على متنها وزير خارجية اسرائيل ليشارك في احتفالات الارجنتين بعيدها الوطني في شهر ايار (مايو) ١٩٦٠ ... ثم عادت الطائرة وعلى متنها شخص فاقد الوعي ادعى الملاحون انه زميلهم ، وعرف العالم كله عندما حطت الطائرة في اسرائيل، ان ذلك الشخص لم يكن الا ادولف ايخمان ... وقامت ضجة في العالم ضد الاعتداء على سيادة الارجنتين ، لكن بعد سنة عندما بدأت محاكمة ايخمان التاريخية في القدس ، ثم بعد سنة اخرى عندما اعدم ايخمان شنقا (ثم حرقا وذرا للرماد في البحر المتوسط خشية تحول قبره الى « مزار ») لم يبق احد في العالم يذكر الحاق الضرر بسيادة دولة اجنبية والاخلال بالقانون الدولي » .

ويبرر اهرون شمير عملية اعتراض المقاتلات الاسرائيلية للطائرة المدنية العربية في مقال بعنوان « صعب ان تكون صغيرا » بالتذكير بجرائم ترتكبها الدول الكبرى مثل قصف فيتنام وكمبوديا، والمذابح التي تتعرض لها قبائل كاملة في افريقيا وغيرها ، وخلص من ذلك الى « تبرير » يقول بان ما يعمله الكبار لا يحق للصغار ممارسته ، و « صعب ان تكون شعبا صغيرا ». (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/١٧) .

في مقابل هذه التبريرات والتفسيرات ، والانتصار لقرار اعتراض الطائرة اللبنانية — العراقية ، كتب عدد من معلقي جريدة هآرتس مقالات انتقدت العملية والقرار بعنف ملحوظ . وتحت عنوان « سكر القوة » كتب جدعون ساميط: « ... الا ان القوة مثل النبيذ ، تكشف لدى التهام كميات اكثر من اللازم منها ، صفات جديدة. وفي هذا الاسبوع استخدمت اسرائيل قوتها وكأنها سكرانة بالنبيذ ، وابرز اعتراض الطائرة دفعة واحدة ، ضعف القدرة الاسرائيلية ... » وبعد استعراضه لاحتمالات ما كان سيحدث لو ان جورج حبش اعتقل واصطف المحامون ... عاد ساميط ليقول : « ... لقد اصيبت اسرائيل من قبل بالسكر من القوة ، وبصورة مشابهة ، قبل حوالي اربع سنوات . ففي النصف الثاني من سنة ١٩٦٩ ، بدأت اسرائيل تقصف في عمق الاراضي المصرية ، وهذا القرار غير المتزن رافقته علامات مميزة : انخفاض قوي في مستوى توازن التفكير الحكومي ... » . (هآرتس ٧٣/٨/١٧) .

وبلغت حملة جريدة هآرتس ذروة اخرى بعد اسبوع من نشر ذلك المقال حين طرح زئيف شيف (في عدد يوم ١٩٧٣/٨/٢٤) ، وتحت عنوان « كيف يقررون ؟ » اسلوب اتخاذ القرارات في حكومة اسرائيل ، مستعرضا اساليب رؤساء حكومات اسرائيل المتعاقبين ومنتقدا انعدام وجود طاقم خبراء لدى الحكومة ، ومنتقدا كذلك اسلوب الحكومة ومعتبرا اياه « ظاهرة مميزة للمنظمات السرية ولمرحلة ما قبل الدولة ، اكثر منها لدولة لها جيش متطور جدا » .

وفي الوقت الذي كان فيه المعلقون الاسرائيليون مشغولون بكتابة مقالاتهم كانت اجتماعات مجلس الامن لمناقشة موضوع اعتراض الطائرة اللبنانية — العراقية تتتالى ، الى ان اتخذ ، بالاجماع ، يوم ٧٣/٨/١٥ ، القرار التالي نصه :

« ان مجلس الامن بعد ان استمع الى تصريح مندوب لبنان ، عن خطف طائرة ركاب لبنانية مؤجرة من الاراضي اللبنانية ، من قبل سلاح الطيران الاسرائيلي ،

مع كونه قلقا بصورة بالغة من حقيقة ان عملا كهذا ، الذي قامت به اسرائيل دولة عضو في الامم المتحدة ، يشكل الحاقا جديا للضرر بالطيران المدني الدولي ، وخرقا للميثاق الاساسي للامم المتحدة .

بمعرفته ان عملا كهذا قد يعرض للخطر حياة وأمن ركاب واعضاء طاقم ، وبخرق بنود مواثيق دولية لحماية الطيران المدني .

بذكره لقراريه ٢٦٢ ليوم ٣١ كانون الاول ١٩٦٨ و ٢٨٦ ليوم ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ :

١ ــ يندد بحكومة اسرائيل لخرقها سيادة وسلامة لبنان الاقليمية ، ولامساكها طائرة ركاب لبنانية من داخل المجال الجوي للبنان ، بالقوة بواسطة سلاح الطيران الاسرائيلي .

٢ ــ ان المجلس يعتقد ان هذا العمل من جانب اسرائيل ، يشكل خرقا لاتفاقية وقف اطلاق النار اللبنانية ــ الاسرائيلية لسنة ١٩٤٩ ، قرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار لسنة ١٩٦٧ ، بنود الميثاق الاساسي للامم المتحدة والمواثيق الدولية المتعلقة بالطيران المدني ، وكذلك اسس القانون الدولي والاخلاق .

٣ ــ ان المجلس يدعو المنظمة الدولية للطيران المدني الى اخذ هذا القرار بالحسبان ، لدى بحثها في الخطوات الملائمة لتأمين الطيران المدني الدولي ضد اعمال كهذه .

٤ ــ ان المجلس يدعو اسرائيل الى التوقف عن كل العمليات التي تلحق الضرر بسيادة وسلامة لبنان الاقليمية ، والتي تعرض للخطر امن الطيران المدني الدولي . انه يحذر اسرائيل جديا ، من انه اذا تكررت اعمال كهذه ، سيبحث مجلس الامن باتخاذ خطوات او وسائل ملائمة من اجل فرض تنفيذ قراراته » .

وقرار التنديد باسرائيل هذا هو القرار الثامن عشر من نوعه الذي يصدر عن مجلس الامن ضد اسرائيل منذ حرب حزيران ١٩٦٧ (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/١٦) . واكثر ما ضايق الاسرائيليين فيه هو ــ كما عبرت عن ذلك افتتاحية جريدة معاريف يوم ٧٣/٨/١٦ ، وكانت بعنوان « بالاجماع » ــ هو تضمنه كلمة « الاخلاق » والنص فيه على ان اعتراض اسرائيل للطائرة المدنية يشكل خرقا ليس فقط للمواثيق والقوانين ، بل للاخلاق ايضا ... وهذا ما لم يتحمله « الحس الاسرائيلي المرهف » !

وانتقد فيليب بن مراسل معاريف في الامم المتحدة جميع الدول الاعضاء في مجلس الامن التي صوتت الى جانب القرار ، واورد مخالفات تلك الدول وخرقها للقوانين الدولية ، ومن ضمن تلك الدول فرنسا التي « امرت طائرة مدنية سنة ١٩٥٦ بالهبوط في الجزائر » . وكان على متنها زعماء الثورة الجزائرية الخمسة الذين اعتقلوا ولم يفرج عنهم الا عندما استقلت الجزائر . (معاريف ٧٣/٨/١٧) .

وبعد قرار الادانة بالاجماع هذا ، جاء « اجماعان » آخران ، كان اولهما قرار ادانة اسرائيل بالاجماع الذي اتخذه مجلس منظمة الطيران الدولي في مونتريال بكندا يوم ٧٣/٨/٢٠ .

اما قرار ادانة اسرائيل الثالث فقد اتخذته الجمعية العمومية لمنظمة الطيران الدولي في روما يوم ١٩٧٣/٨/٣٠ ، ولكن باجماع « اقل » حيث اقر « بأغلبية ٨٧ صوتا ضد صوت واحد هو صوت اسرائيل ، وامتناع اربعة اعضاء عن التصويت » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٣١)، وكانت الايام العشرة التي فصلت بين التنديد في مونتريال والتنديد في روما ، قد شهدت تحركا دبلوماسيا اسرائيليا واسعا ، بدأه ابا ايبان باستباق اجتماعات منظمة الطيران في روما واعتباره « ان ادانة اسرائيل هي عدم عدل صارخ » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٢) ولحقه سمحا دينتس سفير اسرائيل في واشنطن الذي « طلب من اميركا العمل على عدم فرض عقوبات على اسرائيل في مؤتمر روما » (معاريف ٧٣/٨/٢٤) ، ثم بدأ سفراء اسرائيل في الدول الاخرى التحرك في الاتجاه ذاته ، وصدر قرار الادانة ، ولم يصدر اي قرار بفرض العقوبات على اسرائيل ، بعد ان « كانت اميركا قد وعدت اسرائيل بتأييدها تأييدا كاملا في مؤتمر روما » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٩) وانضمت الى اميركا بعد ذلك دول اوروبية اخرى . (المصدر ذاته) .

وبرغم الاجماع العالمي على التنديد باسرائيل ، فانها ظلت متعنتة ، بل زادت تصلبا ، واعلن يوسف تكواع مندوب اسرائيل في الامم المتحدة

فور اتخاذ قرار الادانة في مجلس الامن « ان اسرائيل ستواصل قتالها بقرار متصلب ضد الارهاب العربي » (رصد اذاعة اسرائيل ١٦/٨/ ١٩٧٣) ، واستخلص الناطق بلسان وزارة خارجية العدو من قرار مجلس الامن « ان درس قرار الادانة هو ان علينا محاربة الارهاب منفردين» (معاريف ١٦/٨/٧٣) .

اما على صعيد العملية ككل ، فقد عدد الاسرائيليون دروسا كثيرة تعلموها من العملية، ويمكن عرض اهم هذه الدروس على النحو التالي :

نقل اريئيل غيناي عن اهرون ياريف («مستشار مئير لمحاربة الارهاب » سابقا) قوله : « ان حربنا ضد الارهابيين العرب ستكون مستمرة . والانتصار فيها سيكون بالنقاط ، بواسطة توجيه ضربات عديدة وقاسية بشكل متزايد . فان القاء القبض على جورج حبش ومساعديه كان سيشكل احدى هذه الضربات القاسية ، التي سيؤدي تكرارها في نهاية الامر الى اضعاف الفدائيين نهائيا ... انني اوافقك على ان التوقيت واللحظة التي اختيرت كانا من اسوأ ما يمكن ، ولكن اسرائيل لم تكن هي التي اختارت الساعة التي عزم حبش على ركوب الطائرة فيها والتوجه الى بغداد » (يديعوت احرونوت ١٧/٨/٧٣) .

ويرد غيناي على اقوال ياريف بانه « يجب ان لا نفصل هذا الصراع عن الصراع الطويل والصعب الذي نخوضه ضد العالم العربي كله، والذي له حلفاء كثيرون : الشيوعيون ، غير المنحازين ، والمتعاطفون معه . وهذا الصراع الاخر ، هو ايضا « صراع على النقاط » ، ولكن الضربات التي يوجهها كل واحد للاخر ليست ذات طابع عسكري فقط ، بل لها طابع سياسي واقتصادي وهيبة ودعاية » (المصدر ذاته) .

وبعد ان يستخف مثل جميع الاسرائيليين بمجلس الامن والامم المتحدة ، يصل الى القول « ان تصويت الولايات المتحدة في مجلس الامن — وقد كانت اميركا سعيدة لاننا اعطيناها هذه الفرصة لكي لا تبقى وحيدة معنا — قد اوضح لنا اننا اصبحنا هذه المرة معزولين اكثر من المرات السابقة ، ونحن لسنا معزولين في مجلس الامن فقط، بل معزولون ايضا عن الرأي العام العالمي، وانه لمن الخطأ عدم اعطاء اية اهمية لذلك » .

لكن كيف يكون ذلك : الاستمرار في القيام بعمليات هجمية وتفادي البقاء معزولين عن العالم؟

ان ما يصعب على العقل الذي له علاقة بالاخلاق والقيم المثور عليه ، يجده « المفكرون » الاسرائيليون ، وينظرون له ويطرحونه افكارا على صفحات صحفهم .

يقول حزاي كرمل في جريدة معاريف عدد يوم ٢٠/٨/١٩٧٣ : « ... ولكن من اجل تقليل مخاطر الاحتكاك والتنديد في الساحة الدولية ، فانه ربما كان هناك مجال لاقامة وحدة ١٠٢ ، وريثة للوحدة ١٠١ التي عملت باساليب غير اعتيادية ، وتتشكل من مجموعات صغيرة من الجنود ورجال الامن الذين يعدون اعدادا خاصا، ليكون بمقدورهم العمل وراء الخطوط (اي الحدود ، لكنه لم يوضح اية حدود) بصورة تلقائية ، دون ان تكون هناك حاجة لاستخدام كل قدرة جيش الدفاع الاسرائيلي ، لاعطاء تغطية لعملية كهذه . والمقصود هو وحدة تعمل في اطار رسمي . ان الخطر الشخصي على المشتركين في عمليات من هذا النوع ، سيكون كبيرا ، لكن ، بالقدر نفسه ، تقل المخاطر السياسية » .

ازمة الطاقة : اسرائيل بدور الشرطي لضمان استمرار تدفق النفط !

حين اقترع جون سكالي مندوب الولايات المتحدة الاميركية الدائم في الامم المتحدة يوم ١٥/٨/٧٣ الى جانب قرار مجلس الامن بادانة اسرائيل على اعتراض سلاحها الجوي للطائرة المدنية اللبنانية — العراقية ، ولم تستخدم حقها في وضع الفيتو على القرار كما فعلت مرتين من قبل لمنع ادانة اسرائيل ، فسر مراقبون اسرائيليون ذلك ، على انه رضوخ «للضغط العربي المتزايد على واشنطن حول موضوع النفط والتأييد الى اسرائيل » (رصد اذاعة اسرائيل ١٦/٨/٧٣) .

الا ان هذه الاشارة لم تكن هي الاولى عن علاقة ازمة الطاقة والنفط العربي بسياسة اميركا في الشرق الاوسط ، حيث سبقتها اشارات عديدة أخرى تتبعتها الصحف الاسرائيلية بدقة ، ورصدتها مقدرة ، ايجابا في بعض الاحيان وسلبا في غالبها ، احتمالات تطور النفط ليصبح سلاحا عربيا .

وموضوع ازمة الطاقة قديم ، عاد الى اعمدة

الصحف من جديد قبل اشهر ، لكنه اصبح اكثر حدة واكثر ترددا في شهر اب (اغسطس)الماضي، حين ابرق مراسلو الصحف الاسرائيلية في اميركا الى صحفهم يوم ٧٣/٨/٣ نص رسالة وقعها اوتو ميلر رئيس مجلس مدراء شركة « ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا » (خامس اكبر شركة نفط في الولايات المتحدة) وزعت على ٢٦٠٠٠٠ مساهم في الشركة و ٤٠٠٠٠ مستخدم فيها ، « يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٤) .

في هذه الرسالة المؤرخة يوم ٧٣/٧/٢٦ طلب ميلر من عشرات الاف الذين وزعت عليهم الرسالة « دعم الرغبات العربية ، والضغط على حكومة الولايات المتحدة بهدف ان تقيم هذه تعاونا اوثق مع الحكومات العربية في جهودها لاحلال السلام في الشرق الاوسط » . وذلك لان هناك « شعورا متزايدا لدى جزء كبير من العالم العربي بأن الولايات المتحدة قد تخلت عن الامة العربية » (!!) (المصدر السابق) .

ويطالب ميلر حكومة الولايات المتحدة في رسالته « ان تتفهم وجهة النظر العربية . وان مصلحتنا نحن مواطني الولايات المتحدة تلزمنا بالتوجه الى حكومتنا لتعمل من اجل خلق الظروف للسلام والاستقرار في الشرق الاوسط . وعلينا ان نعترف بالحقوق المشروعة لجميع شعوب المنطقة ، وان نساعدهم على احراز الامن والاطمئنان على مستقبلهم الاقتصادي » . (المصدر السابق) . « وهذه الدعوة الواضحة من قبل شركة النفط الى المواطنين الاميركيين للضغط على واشنطن من اجل ان تقر هذه سياسة اكثر تأييدا للعرب ، هي الدعوة الاولى من نوعها » . (المصدر السابق) .

ولم تتأخر ردود الفعل الاسرائيلية والصهيونية، بل حتى في اليوم ذاته الذي علم فيه بمضمون الرسالة « دعا اسحق رابين (سفير اسرائيل السابق لدى واشنطن) اميركا الى عدم الرضوخ لضغط شركة النفط ، وقال انه ينبغي على الولايات المتحدة الاعتماد على النفط من ايران فقط خلال الاعوام العشرة المقبلة ، وحذر من انه اذا رضخت واشنطن للضغط العربي في هذا المجال ، فسوف تفقد مكانتها كأول دولة في العالم ... » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٤).

وفي اليوم ذاته ايضا بدأ الصهيونيون في الولايات المتحدة يعربون عن امتعاضهم وغضبهم من رسالة ميلر كما ظهر ذلك في سان فرنسيسكو حيث تظاهر عدد من اليهود المساهمين في الشركة امام مكاتبها ، وبعث يهود اخرون رسائل غاضبة الى الشركة (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٤) . ويمكن الاعتقاد بأنه حين تحظى رسالة ميلر الى تغطية اوسع ، فان الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الاميركية ستقوم بعمليات احتجاج اوسع». (المصدر السابق) .

وخصصت جريدة معاريف يوم ٧٣/٨/٥ افتتاحيتها لتحريض يهود الولايات المتحدة على شركة ستاندرد اويل ، ومدرائها ، وقالت : « علينا ان نتأمل بأن يعرف يهود الولايات المتحدة كيف يردون على ما قامت به شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا ، التي ارادت ان تسبب الارتياح لحكومة السعودية باسدائها نصيحة الى جميع اصحاب الاسهم في الشركة للانضمام الى المطالبة بتغيير سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط. وان بين مالكي اسهم الشركة يهود غير قليلين ، ولهؤلاء اليهود وسائل وطرق للتوضيح لمدراء الشركة بأن محاولة تنظيم ضغوط سياسية على حكومة الولايات المتحدة للعمل من اجل المصالح التجارية للشركة يمكن ان تعمل مثل «البومرانغ»، ومن يعتقد بان المصالح المالية يجب ان تؤثر على وضع السياسة ، فانه يجب الا يتفاجأ اذا ما اتضح له ان هذا الاسلوب يمكن ان يعمل في كلا الاتجاهين ، وان المصالح المالية يمكن ان يلحق بها الضرر من جراء اتخاذ خطوات سياسية متسرعة » .

ثم انتقل الغضب الاسرائيلي الى وزارة الخارجية الاميركية (لم يكن كيسنجر قد تسولاه بعد) ، وانتقد هـ. يوسطوس ، وهو احد ابرز معلقي اسرائيل ، اكثار جوزيف سيسكو مساعد وزير خارجية اميركا ، الحديث عن ضرورة « التحريك » عن طريق مبادرة جديدة لانهاء حالة الجمود في الشرق الاوسط . « وبرغم انه تحدث عن «كلا الطرفين» الملزمين بتفحص دربهما مجددا، فانه لم يدع مجالا كبيرا للشك ، حول الجهة التي يوجه كلامه اليها اساسا ، ... عندما يشير الى التهديد الكامن في « ازمة الطاقة »... » (معاريف ٧٣/٨/٨) .

ثم في يوم ٧٣/٨/٢٧ اضيفت الى بحر النقاشات

حول احتمالات تطورات ازمة الطاقة ومردودها على ازمة الشرق الاوسط ووضعه ، حقيقة جديدة حين « ابلغت حكومة السعودية شركات النفط الاميركية ان زيادة انتاج النفط في المستقبل ستبلغ ١٠٪ ، اما الولايات المتحدة فانها بحاجة الى زيادة نسبتها ٢٠٪ سنويا في الانتاج وهذا يعني انه سيحدث نقص ، ولكن على المدى البعيد » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٨) .

وكانت جريدة يديعوت احرونوت قد نشرت لمراسلها في واشنطن يوم ٧٣/٨/٢٤ رسالة جاء فيها « ان الرد الاميركي على محاولات العرب استغلال منابع النفط لتغيير سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط متوقع في المستقبل القريب ، وسيكون قرارا بالتشديد على تطوير مصادر طاقة بديلة لتلك الموجودة حاليا » .

وفي عدد الجريدة ذاته ، تساءل المعلق اريئيل غيناي ، حول « هل وجود يهودي في وزارة الخارجية هو امر جيد ام سيء لليهود ؟ » ، وبين ما عدده من ايجابيات « ... ان تعيين كيسنجر جدير بأن يقلص احتمالات نجاح العرب » في استخدام سلاح النفط . وقال دينتس — سفير اسرائيل في واشنطن — يوم ٧٣/٨/٣١ « ان اقوال الملك فيصل تشكل ابتزازا وانه لا يؤمن بان الولايات المتحدة سترضخ » . (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٩/١) .

وافردت جريدة معاريف افتتاحيتين متتاليتين لهذا الموضوع ، قالت في الاولى — وهي تحت عنوان « حرب نفط ، لكن ليس فورا » — « ... لو ارادت السعودية فان باستطاعتها ان تعلن تخفيض انتاجها للنفط بنسبة ١٠٪ الان وليس بعد سنة . الا ان ما يحصل هنا ، انه كما في حالات كثيرة اخرى ، هو تظاهرة قوة اكثر منه استعمال لها ... وان السعودية تخطو بحذر شديد في هذه الطريق التي اختارتها ، وباسلوبها هذا تمكن السعودية نفسها من اظهار اخلاصها للقضية العربية دون ان تتضرر هي او غيرها من هذا الاجراء فوريا . ويبدو ان هذا هو ما تريد السعودية احرازه » . (معاريف ٧٣/٨/٢٧) .

وفي اليوم التالي نشرت معاريف افتتاحية تحت عنوان « النفط العربي » قالت فيها « ان سبب الدعوة العربية لتقليص حجم انتاج النفط هو اقتصادي حيث ان النفط في باطن الارض افضل منه بعد انتاجه ، لانه لا حاجة للدول النفطية قليلة السكان بأموال اضافية ... ويستثنى من الدول النفطية ايران ، كثيرة السكان والمصالح والحاجة الى معدات عسكرية ... ومن مصلحة اسرائيل ان تقوم بحملة اعلامية داخل اميركا توضح فيها للمواطن البسيط هناك — وهو الذي سيتأثر بأزمة الطاقة نتيجة سياسة موزعي النفط وليس منتجيه — ان سياسة حكومته ليست هي السبب في الازمة ... » (معاريف ٧٣/٨/٢٨) .

اما المعلق المعروف شفايتسر فقد كتب في هآرتس عدد يوم ٧٣/٨/٢٤ تحت عنوان « خيانة غير واردة » مستبعدا ان يحدث في سياسة اميركا في الشرق الاوسط اي تغيير في غير صالح اسرائيل ، واستبعد ان يكون لتصويت الولايات المتحدة في مجلس الامن الى جانب قرار ادانة اسرائيل لتعرض طيرانها الحربي للطائرة المدنية اللبنانية اي مؤشر لتطورات محتملة في الموقف الاميركي تجاه اسرائيل .

ويقول شفايتسر : « ... ومعروف ان كل شيء في السياسة ممكن . لكن قد يكون فرق بين الممكن والوارد ، واحيانا فرق كبير . ومن الجدير ان نتبين ما يفصل بين امكانية ان تدير لنا الولايات المتحدة الاميركية ظهرها وبين ان يكون حدوث ذلك امرا واردا » . ويعدد شفايتسر بعد ذلك الحواجز التي تحول دون جعل الممكن واردا ، الى ان يصل الى القول انه « ليس في هذه الايام تماثل في نظر الجمهور الاميركي بين المصالح الوطنية ومصالح شركات النفط » وكذلك فانه حتى لو ان الولايات المتحدة عملت ما تريدها دول النفط ان تفعله . فان النتيجة لن تكون تقوية تلك الدول ، وانما تقوية مصر ... » .

ويصل شفايتسر بعد ذلك الى اخطر ما في تحليله حيث يقول : « ان تسوية على غرار ما تريده القاهرة قد تؤدي الى توريط الولايات المتحدة في الشرق الاوسط في دور شرطي — وهو الدور الذي تلعبه اسرائيل حاليا ، وليس بدون نجاح — ... » ... كذلك « في الواقع ان اسرائيل كدولة كبرى على صعيد المنطقة (وكونها كذلك امر مشروط بدعم اميركي كما هو حاصل حتى الان) هي احدى الضمانات ، وليست من الضمانات غير المهمة ، للاستقرار ، الذي هو أول شرط لاستمرار تدفق النفط بانتظام . وربما

ان تكون السعودية بحاجة الى تظاهرات عدم تعاطف من قبل اميركا تجاه اسرائيل ، وخاصة على ضوء استمرار الدعم الدائم لها ، وفعلا ان تظاهرات كهذه حصلت وستحصل ... » .

لكن ازمة النفط وما يدور حولها ، ومجمل ردود فعلها على ازمة الشرق الاوسط وعلى العلاقات الاميركية — الاسرائيلية والاميركية العربية ، ما زالت تشكل مادة خصبة للعديد من التحليلات والتعليقات الاسرائيلية .

زيارة فالدهايم !

رحلة السكرتير العام للامم المتحدة ، الدكتور كورت فالدهايم ، الى الشرق الاوسط في نهاية شهر آب (اغسطس) الماضي ومطلع شهر ايلول (سبتمبر) الحالي ، والتي زار خلالها اسرائيل والدول العربية المحيطة بها ، فشلت ولم تفشل في الوقت ذاته .

فشلت لان فالدهايم نفسه أفشلها قبل ان يبدأ بها ، باصداره عددا من التصريحات التي « برأ » فيها رحلته من قرارات الامم المتحدة ونشاطاتها لحل ازمة المنطقة .

ولم تفشل لان فالدهايم وضع لها هدفا غاية في التواضع لخصه بتأكيده ان هدف زيارته هو التعرف على رؤساء ومسؤولي الدول التي زارها، ولم يكن قد تعرف عليهم من قبل ، وتعرف عليهم بالفعل واطمأن على صحتهم أيضا ...

ومنذ عام تقريبا كان فالدهايم قد بدأ يتحدث عن امكانية قيامه بزيارة للمنطقة ، بل « وتحدث بشأن ذلك مع وزير خارجية اسرائيل ابا ايبان في كانون الثاني (يناير) الماضي ، عندما التقى به في منزل يوسف تكواع في نيويورك » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٩) . والمصريون هم الذين طرحوا فكرة قيامه بزيارة للمنطقة ، « وكان غرضهم هو أن يقتنع بتصلب اسرائيل وان ينقل الى الامم المتحدة ان اسرائيل هي التي تشكل عقبة في الطريق الى احلال السلام » (المصدر السابق).

ان استخفاف اسرائيل المطلق بالامم المتحدة واجهزتها ومسؤوليها معروفة جيدا ، ومبررة اكثر، وموقفهم الواضح هو أن ازمة الشرق الاوسط يجب ان تتم تسويتها بين أطرافها المعنية مباشرة دون تدخل من أية جهات اخرى ، بما في ذلك الامم المتحدة . ويزداد تركيز الاسرائيليين على هذا الموقف كلما كانوا في مواقع اقوى . واوضاع المنطقة حاليا هي على احسن ما يكون بالنسبة للاسرائيليين . ومن هنا معارضتهم الى اي تقدم في أي اتجاه ، سواء كان تقديم مقترحات لتسويات جديدة ، او عودة الى مقترحات التسويات السابقة ، سواء التسويات الشاملة او الجزئية .

وكان موقف الاسرائيليين من زيارة فالدهايم الى المنطقة مبنيا أساسا على التركيز على سياستهم المذكورة . وقبل ثمانية ايام من وصول فالدهايم الى اسرائيل (وصلها صباح يوم ٧٣/٨/٣٠) ، كان تكواع مندوب اسرائيل الدائم لدى الامم المتحدة ، قد التقى به في نيويورك ، واول ما قاله لمراسل اذاعة العدو بعد انتهاء اللقاء هو « ان السكرتير العام للامم المتحدة لا ينوي اثناء زيارته القريبة الى الشرق الاوسط تقديم أية مقترحات جديدة » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٣) .

واجتمع فالدهايم في جنيف وهو في طريقه الى الشرق الاوسط ، بالدكتور غونار يارنغ ، لكن فالدهايم كان مسلفا « قد اوضح لاسرائيل ان لا علاقة له بمهمة يارنغ ، وان لا علاقة لزيارته بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٢٩) .

واذا كان ذلك عن الماضي ، فماذا عن المستقبل؟ وهل هناك مشروع جديد بديل للمشاريع المطروحة والتي طرحت من قبل ؟

ان الدكتور فالدهايم بمجرد وصوله الى مطار اللد ، وهو على بعد خطوات من سلم الطائرة أبلغ الصحافيين ان « ليس الهدف من زيارتي المبادرة بمشروع لحل أزمة الشرق الاوسط ، بل اقامة اتصالات شخصية » .

واستنادا الى تصريحات فالدهايم «السياسية» هذه ، حولت اسرائيل زيارته الى اهداف « انسانية » ، مركزة على اثارتها لموضوع اوضاع اليهود في الدول العربية وفي سوريا والعراق بشكل خاص ، وكذلك يهود الاتحاد السوفياتي . (رصد اذاعة اسرائيل ٢٣ ، ٢٤ ، ٧٣/٨/٣١).

ووقت فالدهايم لدى زيارته اسرائيل ، اتسع « لمقابلة مندوبين عن يهود سوريا والعراق لبحث اوضاع اليهود في هاتين الدولتين » (رصد اذاعة

اسرائيل ٧٣/٨/٣١) الا انه لم يتسع لمقابلة مندوبين عن الاراضي العربية المحتلة ، ذلك « ان جدول اعمال كورت فالدهايم حافل تماما ، لكن هذا ليس السبب الوحيد الذي سيحول دون اجراء اللقاء (مع مجموعة من العرب اصحاب الاراضي القريبة من نهر الاردن والتي صادرتها اسرائيل، وكانوا طلبوا بواسطة الحاج معزوز المصري رئيس بلدية نابلس مقابلة فالدهايم) . ويصعب الافتراض ان يوافق السيد فالدهايم على الاجتماع بمجموعة من عامة الشعب » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٩/١) .

وفي حين كانت جريدة معاريف قد خصصت افتتاحيتها يوم ٧٣/٨/٢٢ لزيارة فالدهايم ، وانتقدت البيان الرسمي ، للناطق بلسان الامم المتحدة لانه « لم يذكر اسماء العواصم التي سيزورها فالدهايم ، واستعاض عن ذلك بذكر أسماء الدول ، تجنبا لذكر اسم القدس » ، كما احتجت أيضا على عدم نفي الكلام عن « لقاء سيتم بين فالدهايم وممثلي منظمات المخربين » ، واستدلت من ذلك ان الزيارة هي « ابتعاد عن الواقع اكثر منها محاولة للتعرف عليه » ، خيب فالدهايم « أمل » معاريف ، وشرب في اول لقاء رسمي له في القدس ، « نخب القدس عاصمة اسرائيل » .

الا ان الناطق بلسانه وزع في اليوم التالي (يوم ٧٣/٨/٣١) بيانا قال فيه انه « في حديث غير رسمي خلال رفع الانخاب استخدمت من غير قصد عبارة « القدس عاصمة اسرائيل » . وان موقف الامم المتحدة بشأن مكانة القدس ، قد صيغ بحذر في عدد من القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ، وفي العديد من التقارير ، وبينها التقرير الاخير الذي نشره سكرتير الامم المتحدة حول الشرق الاوسط في شهر أيار (مايو) من هذا العام ، ومن الطبيعي ان السيد فالدهايم لم يكن يقصد ان يتجاوز هذا الموقف » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٨/٣١) . وزاد الناطق بلسان الامم المتحدة على ذلك قوله في تصريح ادلى به في نيويورك « ان زيارة فالدهايم للقدس قد تمت لان الاشخاص الذين اراد مقابلتهم يقيمون هناك » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٩/١) . ومعروف ان لدى الاسرائيليين حساسية بالغة ازاء مكانة القدس ، واصرارهم على اعتبارها « العاصمة » في حين ان غالبية دول العالم — بما في ذلك اميركا نفسها — لم تعترف بذلك ، وتبقي حتى الان سفاراتها في تل ابيب ، وترفض طلبات اسرائيل المتكررة بنقلها الى القدس .

ومن ناحية ثانية ذكرت بعض المصادر التي كانت تتوقع ان تكون للزيارة اهداف عملية ، ان توقيتها لم يكن موفقا ، وقال المعلق الاسرائيلي اريئيل غيناي في مقال تحت عنوان « عرف فالدهايم أن ذلك ليس سهلا » ان « السببين الرئيسيين لفشل الزيارة هما : قرب موعد الانتخابات في اسرائيل ، والتشجيع الذي حصل عليه الرئيس المصري من دول النفط ، ودول عدم الانحياز » (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٣١) .

واستخفاف اسرائيل بالامم المتحدة ، برز مرة اخرى وبوضوح ، حتى في عدم اهتمام الصحافة فيها بتغطية وافية لانباء رحلة « سفير خارجية جميع الدول » ، كما قال ابا ايبان عن كورت فالدهايم .

* * *

اضواء على إنتخابات الكنيست الثامنة

ان ظاهرة الانشقاق والتكتل كانت ملازمة للاحزاب والتيارات الصهيونية قبل قيام الدولة وبعده . ولا اعتقد ان الانشقاقات والتكتلات الاخيرة قبيل الانتخابات للكنيست الثامنة ستكون الاخيرة اذ ان التناقضات — رغم انها ليست اساسية على المدى الاستراتيجي — القائمة داخل هذه التكتلات تهدد دائما بانفجار الاوضاع داخل هذه التكتلات السياسية ، غير انه لا يجوز لنا مطلقا ان نراهن على هذه التناقضات منتظرين امكانية تفجر الاوضاع من الداخل . خصوصا على الصعيد الطبقي ، فهذا امر ما زال بعيدا جدا . بيد اننا من ناحية اخرى يتوجب علينا ان نلاحظ ونتابع الامور التي عملت مؤخرا على نشوء تلك التكتلات ، او الانشقاقات او اخطار الانشقاقات . وفي هذا المجال سنتناول ما جرى داخل ثلاثة تيارات سياسية متميزة نوعا ما عن بعضها البعض . وهذه التيارات هي : اليمين البرجوازي المتطرف المتمثل في كتلة « جاحال » والقائمة الرسمية والمركز الحر . التيار الثاني يتمثل في التجمع العمالي ، الذي يضم حاليا حزب العمل وحزب المابام . وهذا التجمع واجه خطر الانشقاق نتيجة للصراعات الداخلية بين اجنحة الحزب المختلفة ، وخاصة الصراع بين كتلة « رافي » التي يتزعمها وزير الدفاع موشي دايان مقابل تكتل كتلة تل ابيب (هجوش) في حزب المابای بزعامة جولدا مئير ، سابير ، ايبن مع احدوت هعفودا سابقا بزعامة الون . اما التيار الثالث فيشمل مجموعة الحركات الليبرالية والصهيونية « الاشتراكية » التي ترى نفسها تحتوي الاتجاهات السياسية القائمة بين المعراخ — التجمع العمالي « وراكاح » .

التجمع اليميني

الفكرة

كان أول من طرح الفكرة بصورة جدية وعملية، وكان له القسط الاكبر في نجاحها هو العميد (احتياط) اريك شارون قائد المنطقة الجنوبية . ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده شارون ٧/١٧/ ٧٣ ليعلن فيه دخوله الى معترك الحياة السياسية والحزبية الى جانب حزب الاحرار ، طرح فكرة اقامة تجمع يميني مضاد للتجمع العمالي مقترحا اقامته من الكتل الاتية : « جاحال » (حيروت + الليبراليون) الاحرار المستقلين ، القائمة الرسمية ، المركز الحر بالاضافة الى حركة ارض — اسرائيل الكاملة ، التي يعمل تحت لوائها بعض نشيطي مختلف الاحزاب بما فيها حزب العمل نفسه .

وفور طرح الفكرة اخذت الاتصالات بين الفئات المقترحة تأخذ شكلا جديا وحثيثا ، وكان مهندسا هذه الاتصالات واكثر الناشطين من اجلها العميدين شارون ووايزمان اللذين اشترطا مساهمتهما في الحملة الانتخابية لحزبيهما باقامة التجمع اليميني المضاد .

وفي اوائل شهر اب (اغسطس) صادق مركزا حيروت والليبراليين على اقامة التجمع باغلبية ساحقة . وكانت المعارضة الجدية داخل حيروت اكثر منها داخل الليبراليين بسبب الحساسيات القائمة بين بيجين وشموئيل تمير زعيم المركز الحر الذي انشق عن حيروت في المؤتمر الثامن للحركة الذي عقد سنة ١٩٦٦ .وقد لخص بيجين النقاش حول الموضوع في مركز حيروت رادا على معارضي فكرة التجمع ومبينا الصعوبات والارتباك اللذين رافقا اتخاذ القرار فقال :

١ — حول القرار باقامة التجمع

« لم يكن القرار سهلا ، كان هناك ارتباك وحيرة وما زال . لكن اقامة التكتل ستمكن من جعل مسألة ارض — اسرائيل موضوعا ، يتحتم على الناخب ان يأخذه بالحسبان . ان التكتل يقام مع اخصام تاريخيين — فالقائمة الرسمية التي اعضاؤها هم تلاميذ بن جوريون في الماضي والحاضر ، ينتظرون عودة دايان » .

٢ — القدرة على التغلب على رواسب الماضي

« ألم نثبت اننا باستطاعتنا التغلب على رواسب الماضي ؟ عندما انضم تمير (الاشارة الى

شموئيل تمير زعيم المركز الحر) الى حيروت في سنة ١٩٦٤ (بعد سنوات عديدة من انسحابه الاول من الحركة) قلت : سنبدأ كل شيء من جديد ، كاننا الان في سنة ١٩٤٨ ، ولم يحدث اي شيء ، ولذا يتوجب علينا الان ان نبرهن على استعدادنا للتغلب على رواسب الماضي ، ولن نفتح الابواب فقط بل القلوب ايضا » .

٣ ــ حول موقف الاحرار المستقلين

وتناول بيجين في تلخيصه للنقاش في مركز حيروت مسألة رفض الاحرار المستقلين للفكرة فقال : « لقد اعلنوا انهم على استعداد للانضمام للتكتل اذا اعلنا سلفا عن استعدادنا للتنازل عن ارض ــ اسرائيل الكاملة ، فقط عندها يوافقون على اعطائنا مقاعدهم الاربعة . لقد قال بروتوس : صحيح انني احب قيصر ، لكن محبتي لروما اكبر ، ونحن نقول : صحيح اننا نستلطف الاحرار المستقلين ، لكن محبتنا لارض ــ اسرائيل الكاملة اكبر ». (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/١) .

بدء المفاوضات

في ٧٣/٨/٨ عقد اللقاء الاول بين ممثلي الكتل المرشحة لاقامة التجمع الجديد وهي جاحال ، القائمة الرسمية ، والمركز الحر ، وفي الكلمات الترحيبية التي تبودلت في تلك الجلسة برز الى جانب التصميم على اقامة التجمع والى جانب الامال المعلقة على اقامته ، الى جانب ذلك برزت ايضا المخاوف والصعوبات التي تقف امامه . وعبر بيجين في كلمته الترحيبية عن رايه بوجوب خوض التكتل لمعركة الانتخابات ليس للكنيست فقط بل للهستدروت والمجالس المحلية والبلديات ايضا .

أما رئيس حزب الاحرار اليميلخ ريملط فقال في تلك المناسبة : « اريد ان اعبر عن سرورنا ، لقد توصلنا الى هذا بعد تخبط وارتباك كبيرين ... واحيانا الامور الحسنة يرافقها الالم » واضاف ريملط : « ان جاحال يتجه نحو المحادثات بنية وارادة صادقتين من اجل اقامة تجمع لاجل اهداف كبيرة ، بالاضافة الى كونه تجمعا للقوى المعارضة لتقسيم « ارض اسرائيل » من جديد ــ يوجد هنا ارادة واساس لاحداث تحول في الحياة الداخلية في الدولة ، وامكانية لاجراء تبديل في الحكم ».

أما بيجال هوروفيتس سكرتير عام القائمة الرسمية فقال : « هذه لحظة على غاية من الاهمية ، تشكل تحولا تاريخيا . ان اقامة « معسكر صهيوني رسمي » مقابل « معسكر غير رسمي » (الاشارة للتجمع العمالي) يحتمل ان يستجيب الى « الجوع » القائم لتبديل النظام الذي تحجر وتعفن منذ ٢٥ سنة .. واضاف هوروفيتس « نحن لسنا متفقين بالنسبة لتقييم الماضي ــ لكننا نتطلع فقط الى الحاضر والمستقبل » .

وانهى كلمات الترحيب زعيم المركز الحر ، عضو الكنيست شموئيل تمير فقال : « عندكم (جاحال) كما هو عندنا ، يحتاج الامر الى دراسة ، وقد رافق ذلك تخبط وحيرة ... واضاف « ان هذا الواقع اهم بكثير من جميع الاعتبارات والمخاوف التي تساورنا جميعا . « الان » فتح احتمال وامل كبيرين ، لاول مرة منذ سنين عديدة ، لاقامة كتلة ، ستحاول ان تغير وجه الامور داخليا وخارجيا » . وباعرابه عن امله بان تتجند خيرة العقول من اجل انجاح التكتل الجديد ، انهى تمير كلمته قائلا : « منذ اللحظة التي قررنا فيها في المركز الحر الموافقة على اقامة الكتلة ــ كانت انظارنا تتجه دائما الى الامام ، واعتقد ان هذه وجهة الزملاء الجالسين مقابلي على الرغم من جميع الشكوك » (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٩).

جذور الشكوك

كانت العقبة الرئيسية امام التوقيع على اتفاق يعلن اقامة التكتل اليميني بعد بضعة ايام من عقد اللقاء الاول بين الاطراف الثلاثة المقترح اقامتها للتجمع ، تتركز حول تاريخ تجربة حيروت مع عضو الكنيست شموئيل تمير زعيم المركز الحر من ناحية ، وحول مطالب المركز الحر بالنسبة لحصته في المقاعد المضمونة للتكتل المقترح في الكنيست . فمن هو شموئيل تمير هذا ؟ وما قصة علاقته بحزب حيروت ؟ حول هذا الموضوع كتبت صحيفة يديعوت احرونوت في ٧٣/٨/٣ ما ملخصه :

تعود علاقة تمير بمناحيم بيجين الى ايام العمل السري العسكري للمنظمة العسكرية القومية (الاتسل) ، وبينما كان بيجين قائدا عاما لهذه المنظمة الارهابية ، كان تمير رئيسا لشعبة مخابرات الاتسل في القدس . وتمير هذا من مواليد فلسطين وهو ابن لطبيب معروف في اوساط المستوطنين اليهود في تلك الايام ، وتربطه صلة

قرابة ببيرل كاتسنلسون (من زعماء حركة العمل الصهيونية) . وهو محام في مهنته ، واليوم يدير مكتبا يعتبر من انجح المكاتب في اسرائيل . ولم تسمح الظروف بلقاء الرجلين الا بعد اعلان الدولة وتحويل الاتسل الى حزب سياسي بشكل حركة حيروت . وكان بيجين معجبا بمأموره حتى قبل ان يتعرف عليه ، لذلك رعاه منذ البداية ، واختاره مرافقا له في رحلته التي قام بها للولايات المتحدة سنة ١٩٤٨ . وتعزو صحيفة يديعوت احرونوت حرص ورعاية بيجين لتمير الى امرين : الاول يعود الى طموح ذلك الشاب (في ذلك الوقت) غير المحدود ، والثاني الى كونه يمت بصلة قرابة الى ببرل كاتسنلسون احد زعماء حركة العمل انذاك ، وتقول الصحيفة ان بيجين كان مهتما جدا في جذب شخصيات كهذه الى حركته ، وتشير الصحيفة بهذا الخصوص الى عيزر وايزمان الذي ترقى في السلم الحزبي في حيروت بسرعة كبيرة ، لكونه الى جانب مزاياه العسكرية ، يمت بصلة القرابة الى حاييم وايزمان اول رئيس دولة في اسرائيل ومن كبار شخصيات حزب المباي والحركة الصهيونية .

كان الخلاف الاول بين بيجين وتمير والذي لم يكشف النقاب عنه حتى الان قبيل الانتخابات للكنيست الاولى التي جرت سنة ١٩٤٩ . وبقي تمير بعيدا عن المسرح السياسي حتى ١٩٥٨ — ١٩٦٠ ، حيث بدأ نشاطه في اطار جسم سياسي جديد كان يدعى « النظام الجديد » . ومن ابرز الشخصيات التي كانت تعمل مع تمير انذاك كان عضو الكنيست الحالي اوري افنيري صاحب المجلة الاسبوعية هعولام — هزه . ومن على صفحات هذه المجلة كان تمير يشن حملاته على حركة حيروت . وتقول الصحيفة ، ما زال الكثيرون في حركة حيروت يذكرون ما قاله تمير في تلك الايام، « فليساعد الله هذه الدولة اذا ما وصلتم في يوم من الايام الى الحكم » .

لكن مسيرة تمير وافنيري لم تعمر طويلا ، وبعد ان اختلفا عاد تمير الى ممارسة مهنته كمحام ، وفي سنة ١٩٦٤ عاد الى حركة حيروت . وفي عام ١٩٦٥ خاض معركة الانتخابات كمرشح عن حيروت في قائمة كتلة جاحال محتلا المكان السابع في القائمة . لكن تمير الطموح ، كان دائما ينظر الى فوق ، وفي المؤتمر الثامن لحركة حيروت الذي عقد سنة ١٩٦٦ ، انتهز فرصة اعلان بيجين عن عزمه على الاستقالة من رئاسة الحركة ، واخذ يعمل بجد لاحتلال مركز معلمه ، الامر الذي اغضب بيجين جدا ، فعدل عن الاستقالة وشن حملة عنيفة ضد تمير ، ادت الى خروج تمير وثلاثة من مؤيديه من كتلة جاحال وتأسيس حركة المركز الحر . في سنة ١٩٦٩ خاض تمير وحركته الانتخابات مستقلا عن جاحال فمني بهزيمة كبيرة اذ لم تنجح قائمته الا في ايصال عضوين الى الكنيست وذلك بفضل فائض الاصوات الذي بقي لها ، بينما جاحال عادت واستردت المقاعد الاربعة التي خسرتها من جراء انشقاق تمير ورفاقه .

هذه العقبة من الرواسب امكن تجاوزها ، بفضل اصرار وضغط العميد شارون وتجاوب بيجين واستعداده لنسيان الماضي . لكن العقبة الاخرى التي اطالت المباحثات لم تكن مسألة حساسيات شخصية ، بل تتعلق بالمقاعد التي ستضمن لكل كتلة في القائمة الموحدة . بقيت هذه المسألة في اخذ ورد اكثر من شهر . وكانت نقطة الخلاف الرئيسية تدور حول ادعاء المركز الحر بان استفتاءات الرأي العام تشير الى ازدياد قوتهم في الكنيست القادمة ، ولذا فان تركيب قائمة التجمع يجب ان يعكس هذا الازدياد المحتمل، بينما أصرت جاحال على تصوير الوضع الراهن من حيث القوى المشكلة للتجمع ، وهذا يعني ضمان ثلاثة مقاعد للقائمة الرسمية ومعقدين للمركز الحر بين الواحد والثلاثين مقعدا التي يشكلها التجمع اليميني في الكنيست وقد قررت ادارة جاحال بعد مفاوضات مضنية الاستجابة للمركز الحر ومنحه الاماكن التالية في ٨ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٠ ، وللقائمة الرسمية الاماكن ٧ ، ١٥ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ٤١ .

وفي ٧٣/٩/١٣ وقع ممثلو المركز الحر ميثاق التكتل الذي سبق ووقع عليه ممثلو القائمة الرسمية ، وفور اعلان التوقيع اعلنت حركة ارض — اسرائيل الكاملة موافقتها على الانضمام الى التكتل انسجاما مع موقفها الاولي الذي اعلنت فيه انها ستنضم فورا الى التكتل عند التوقيع على ميثاقه . وسيمثل الحركة في قائمة التكتل العميد ابراهام يافه قائد احدى وحدات المدرعات في حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

التجمع العمالي ــ المعراخ

في الوقت الذي كانت المفاوضات حول اقامة التكتل اليميني على اشدها كانت هناك علامة سؤال كبيرة حول التكتل الداخلي في حزب العمل. والخلافات وتباين الاراء حول السياسة في المناطق المحتلة ، داخل حزب العمل ليست جديدة ، ولكن في الاونة الاخيرة اخذت شكلا حادا هدد استمرار وحدة الحزب . فمع بدء التحضير للحملة الانتخابية بدأ دايان ومؤيدوه من كتلة « رافي » يعقدون سلسلة من الاجتماعات انتهت ببلورة موقف ومطالب معينة بالنسبة للسياسة التي يجب اتباعها في المناطق المحتلة . وقدمت تلك المطالب الى حزب العمل بشكل وثيقة سميت « وثيقة دايان ». واعلن دايان بانه لن يقبل في ادراج اسمه على قائمة مرشحي حزب العمل لانتخابات الكنيست الثامنة ، اذا لم تقبل الوثيقة التي تقدم بها الى الحزب . وامام اصرار دايان على موقفه بعد عقد اكثر من اجتماع توضيحي مع جولدا مئير ، وللحيلولة دون حدوث انشقاق ، استدعت جولدا مئير الوزير بلا وزارة يسرائيل جليلي المختص بصياغة البيانات والقرارات السياسية في الحزب والحكومة لدراسة وثيقة دايان ، والخروج ، بعد عقد استشارات مع الوزراء المعنيين بصيغة تكون مقبولة على جميع الاطراف . وبعد دراسة مطالب دايان وعقد استشارات مع جولدا وسابير والون خرج جليلي بوثيقة اخرى سميت اتفاق دايان ــ سابير او « وثيقة جليلي » (نص الوثيقتين في الملحق) .

خلفية الصراع داخل حزب العمل

في عام ١٩٦٥ خرج دايان ومؤيدوه من حزب المباي ، وشكلوا ما عرف فيما بعد بقائمة عمال اسرائيل « رافي » ، وخاضوا الانتخابات العامة لتلك السنة معتمدين على رصيد شيخهم ، دافيد بن جوريون ، لكن نتائج تلك الانتخابات جاءت مخيبة لامال بن جوريون وموشي دايان بالذات في العودة الى الحكم ، اذ حصلت قائمة « رافي » في تلك الانتخابات على عشرة مقاعد فقط ،وعندها واجه دايان الامر بواقعية . لقد عرف وايقن ان العودة الى الحكم ممكنة فقط عن طريق العودة الى الحزب الام . وقبيل الانتخابات العامة التي جرت بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وبعد ان كان دايان قد حقق الخطوات الاولى بالعودة الى الحكم ، عن طريق فرضه كوزير للدفاع في حكومة الائتلاف القومي نتيجة لضغوط المندال وجاحال ، ونتيجة للرصيد الشعبي الذي حظي به في اعقاب الحرب ، بدأ دايان يلوح بامكانية التكتل مع اليمين ، ضد التجمع العمالي انذاك المؤلف من حزبي المباي واحدوت هعفودا . ونجح تكتيك دايان واعلن كل من المباي واحدوت هعفودا عن نيتهما في توحيد حزبيهما ، وانهما لا يستثنيان « رافي » من الدخول في الحزب الموحد . وبدأت المفاوضات بين الكتل الثلاث ، وانتهت باقامة حزب العمل الاسرائيلي في صيف سنة ١٩٦٩ قبيل الانتخابات العامة ، واقامة تجمع عمالي مع حزب العمال الموحد (المابام) . لكن توحيد الحزب لم يقض على الاجنحة المؤلفة له ، بل بقي كل جناح محافظا على استقلاليته وتماسكه كفئة ضمن الحزب الموحد . وهكذا بقيت كل فئة متمسكة بآرائها بالنسبة للقضايا الخارجية والداخلية . وجاء البرنامج الانتخابي الذي خاض حزب العمل الانتخابات السابقة على اساسه معبرا عن التباين في وجهات النظر بين الفئات المكونة للحزب ، بحيث انه تحاشى الحسم في القضايا المختلف عليها ، بل صيغت بنوده بشكل غامض وفضفاض، وخصوصا ما يتعلق بالاستيطان والسياسة تجاه مستقبل المناطق المحتلة .

لم يلاق دايان معارضة تذكر لسياسته الامنية داخل حزب العمل ، ولمفاهيمه واستراتيجيته بالنسبة للصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وقضية وحقوق شعب فلسطين فهذه الامور كان متفق عليها بين كافة الفئات المكونة للحزب . كما ولاقى تجاوبا بالنسبة لسياسته الداخلية ، فيما يتعلق بفتح الابواب والامكانيات امام القطاع الخاص وتقليص دور القطاع الهستدروتي ، ففي هذا المجال كانت المعارضة تتمثل في قسم من احدوت هعفودا (يتسحاق بن اهرون) وفي المابام شريك حزب العمل في التجمع العمالي . لكن سيطرة الحزب على الهستدروت ، الناجمة عن طريقة الانتخابات، حيث ان الحزب هو الذي يقرر مرشحيه ، وبالتالي فان ارتباطهم بالحزب اوثق من ارتباطهم بجماهير العمال التي انتخبتهم ، مما أدى الى نشوء بيروقراطية عالية تتحكم بالهستدروت ، وتمثل

لاوامر الحزب اكثر من استجابتها لمطالب العمال.

ازاء هذا الوضع ، اي التحول نحو اليمين على صعيد السياسة الداخلية داخل حزب العمل وازاء التحول العام نحو اليمين في مجمل الحياة السياسية في اسرائيل ، وجد دايان الفرصة مناسبة لترجمة هذا التحول ، وجعله منهجا عمليا وصريحا بالنسبة لسياسة الحزب فيما يتعلق بالصراع — العربي الاسرائيلي بشكل عام ، ومستقبل المناطق المحتلة ، والاستيطان فيها بشكل خاص .

حقيقة « الخلاف »

في مقابلة مع سكرتير عام حزب العمل اهرون يادلين اجرتها صحيفة يديعوت احرونوت في ٧٣/٨/٣ ، اشار يادلين الى اربعة مبادىء متفق عليها داخل الحزب من جميع الكتل وهي :

١ — لا انسحاب من خطوط وقف اطلاق النار قبل التوقيع على معاهدة سلام تسبقها مفاوضات مباشرة مع العرب .

٢ — لا عودة للوضع الجغرافي — الاستراتيجي الذي سبق حرب الايام الستة ، ولا عودة لخطوط الهدنة السابقة .

٣ — نحن نسعى لدولة يهودية ذات اغلبية يهودية ثابتة ، لا تتحول على مدى الايام الى دولة ثنائية القومية .

٤ — الحدود التي نسعى من اجلها في مفاوضات السلام ، يجب ان تكون حدودا تمنحنا امنا استراتيجيا ، ويجب ان يكون في مقدورنا الدفاع عن حرية الملاحة في مضائق تيران . واعتقد ان هناك اتفاقا في الحزب فيما يتعلق بخطط الاستيطان في المناطق المشمولة بشكل او باخر في خريطة الحدود الجديدة للدولة ، التي سنسعى اليها في محادثات السلام دون شروط مسبقة !!

ويضيف يادلين في تلك المقابلة موضحا مفهومه للسلام فيقول : « ان استعدادنا للتنازل !! سيكون نتيجة لماهية السلام مع العرب . فاذا كان السلام يعني تبادل السفراء وافتتاح مكاتب سياحية في عواصم البلدان العربية ، فاننا مقابل سلام كهذا مستعدون لان نكون كرماء !! . ولكننا في نفس الوقت مستعدون للتوقيع على اتفاقية سلام بعد مفاوضات مباشرة حتى عندما يكون واضحا لنا انه ستمر سنين طويلة قبل تبادل السفراء . ولكي يكون هذا السلام ، سلام دائم، يجب ان يكون مرتكزا ومبنيا على حدود امن استراتيجية ، تمنع العرب من الاغراء بخوض حرب جديدة . **لذلك فتحديد الحدود التي ترغب فيها اسرائيل سابق لاوانه ، لكن تلميحات حولها وردت في « الاتفاق الشفهي » القائم في حزب العمل »** .

ويعلل يادلين سبب معارضته لمطلب دايان بالسماح لراس المال الخاص بامتلاك الاراضي في المناطق المحتلة ، بكون هذا الامر لا تتطلبه المشاريع التي قررتها الحكومة ، ويجد مخرجا لذلك بقوله : « ... من اجل ذلك يمكن « تأجير » الاراضي التي تستملكها ادارة اراضي اسرائيل . ويضيف « ان اعطاء الحرية للمبادرة الفردية بالنسبة لامتلاك « شراء » الاراضي **ستؤدي الى تعقيدات سياسية لسنا بحاجة اليها** . (نفس المصدر) .

اما وزير المالية سابير فعبر عن تحفظه من مطالب دايان بما يلي :

١ — ان النجوة ستبقى قائمة بين مستوى الحياة في المناطق المحتلة واسرائيل مهما وظفت اسرائيل من اموال لتطوير واعادة اسكان اللاجئين .

٢ — اشار الى خطورة الناحية الديموجرافية بقوله ان مقابل كل ١٠٠ شخص في اسرائيل هناك ٣٦٠٨٪ من العرب ، واذا اضيف الى هؤلاء اللاجئون فتصبح النسبة ٣٨٠٤٪ ، وفي هذه الحالة سيكونون الاغلبية في الدولة خلال فترة معينة . (يديعوت احرونوت ٧٣/٨/٨) .

على ضوء اقوال يادلين وسابير ، تلك الاقوال التي تعبر عن اراء كافة قيادة حزب العمل ، وعلى ضوء المقارنة بين وثيقة دايان ووثيقة جليلي (انظر الملحق) ، يتضح ان « الخلاف » الذي نشب داخل الحزب لم يكن في حقيقته معارضة مبدئية لسياسة دايان بقدر ما هو خلاف حول التقييم والامكانات ، وانعكاسات تلك السياسة داخليا وخارجيا . ومن ناحية اخرى فهو مظهر من مظاهر الصراع داخل حزب العمل بين دايان من جهة وزعماء المباي واحدوت هعفودا من جهة اخرى ، وقد ربح دايان هذه الجولة من الصراع، حيث بدا وكأنه فرض رأيه على قادة حزب العمل، نتيجة لتهديده بشق الحزب قبيل الانتخابات .

ولا يمكن اخذ تهديدات دايان على محمل الجدية ، لان دايان الطامح في رئاسة الوزارة لن يغامر ثانية ، كما فعل سنة ١٩٦٥ ، بالخروج من الحزب ، على امل العودة اليه عن طريق المعارضة ، اذ ان احسن التقديرات لا تعطي للمعارضة اليمينية اكثر من ٣٥ مقعدا حسب تقديرات زعماء المعارضة اليمنية ، ودايان بالاضافة الى المفدال — على افتراض تأييدهم لحكومة برئاسته — لن يستطيع تشكيل حكومة مع التكتل اليميني اذ انهم معا لن يستطيعوا تجميع واحد وستين صوتا تلزم لاقامة الحكومة . لكن حزب العمل كان مضطرا لقبول سياسة دايان ، رغم تقديره بان احتمال فوز المعارضة اليمينية امر ليس مضمونا ، وذلك للحفاظ على موقع القوة في المساومات القادمة مع شريكيه في الائتلاف الحكومي الاحرار المستقلين والمفدال .

احزاب المعارضة الصغيرة

كانت المعارضة في الكنيست الحالية تتشكل الى جانب المعارضة اليمينية من احزاب معارضة صغيرة دينية وغير دينية . فمن الاحزاب الدينية كان هناك حزبا اجودات يسرائيل وبوعالي اجودات يسرائيل . وللحزبين معا ستة مقاعد في الكنيست. وقوة هذين الحزبين تقريبا ثابتة ، وهما يمثلان التيارات الدينية المتطرفة ، وجل اهتمامهما منصب على الامور الدينية ، ويشكل الحزبان عاملا ضاغطا ومزعجا للمفدال الذي يساوم احيانا على بعض الامور الدينية .

ورغم تقارب الحزبين التام غانهما كانا يخوضان معارك الانتخابات السابقة على انفراد ، لكن هذه المرة قررت ادارتا الحزبين خوض المعركة في قائمة مشتركة مع المحافظة على الاطر التنظيمية لكلا الحزبين .

اما احزاب المعارضة غير الدينية فكانت تتألف من القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » ، الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » و « حركة هعولام هزه — قوة جديدة » بالاضافة الى حركات صغيرة غير ممثلة في الكنيست مثل اليسار الاسرائيلي الجديد « سياح » قائمة « نس » حركة تخيلت — ادوم (الازرق — الحمر) وحركة الفهود السود . ماتسبن وتفرعاتها . وجميع كوادر ومؤيدي هذه الحركات ما عدا ماتسبن هم من الاتجاهات الليبرالية او اليسارية الصهيونية ، الرافضة لسياسة الحكومة ولخط « راكاح » . اي أنها ترى نفسها ممثلة للقوى والاتجاهات القائمة بين التجمع العمالي من جهة و « راكاح » من جهة اخرى .

داخل هذه الاتجاهات سواء الممثلة في الكنيست او غير الممثلة ، حدثت انشقاقات تلتها اقامة تكتلات جديدة . فحركة هعولام هزه انشقت على نفسها وخرج شالوم كوهين من الحركة ليؤلف مع الفهود السود حركة الديمقراطيين الاسرائيليين. و « ماكي » انشق على نفسه ، وخرجت منه مجموعة بزعامة استير فلنسكا ، لتؤلف مع هعولام هزه ، واغلبية « سياح » وقائمة « نس » ما سمي بالمعسكر الراديكالي الاسرائيلي « ميري ». وبنفس الاسلوب نشأت قائمة « موكيد » المؤلفة بشكل اساسي من أغلبية ماكي ، وحركة تخيلت — ادوم (الازرق — والاحمر) وأقلية من « سياح ».

كانت معظم هذه الاحزاب والتيارات والمجموعات تعمل في اطار حركة السلام والامن التي كانت تضم نشيطين من المابام حتى ماكي . وكان اكثر العاملين من أجل توحيد هذه القوى عضو الكنيست اوري افنيري . وقد طرح فكرة اقامة معسكر للسلام في اسرائيل قبل ثلاث سنوات ، حيث نشر في صحيفة هآرتس في ١٩٧٠/١١/٢٧ مقالا بعنوان : « اقتربت ساعة الحقيقة — دعوة لتكتل معسكر السلام الاسرائيلي » ، وفي ذلك المقال اقترح افنيري فكرتين لتحقيق الهدف : فكرة حد ادنى واخرى حد أقصى . اما الحد الادنى فكان : القيام بحملة واسعة على مستوى وطني تشارك فيها جميع قوى السلام ، وتؤدي فيما بعد الى اتحاد هذه القوى عمليا . اما الحد الاقصى فكان : اقامة حزب موحد لجميع قوى السلام والتقدم الكائنة خارج النظام ، بين المعراخ وراكاح .

وجاء في مقال افنيري المذكور ما يلي : « لن اخفي انه امام ناظري يقف هدف احلم به منذ سنين كثيرة : اقامة حزب السلام الاسرائيلي الكبير والمتعدد الاتجاهات ، الذي يضم في صفوفه جميع قوى السلام من أجل عمل يومي على جميع المستويات ، من خلال اعطاء كامل الحرية لمختلف

الالوان والاهداف العقائدية » . ويضيف افنيري « عندما أسسنا انا ورفاقي حركة هعولام هزه — قوة جديدة ، لم نر فيها سوى مرحلة مؤقتة لتحقيق هذا الهدف ، ولو رأيت امكانية في هذه اللحظة ، لم أكن لاتردد بان اوصي رفاقي بجل جميع اطاراتنا الخاصة ، ووضع جميع الوسائل والادوات التي أوجدناها من خلال عمل مضني استمر عشرين سنة تحت تصرف هذه الحركة ، ومن ضمن ذلك كل من كتلتنا في الكنيست والهستدروت » .

وكانت الاستجابة الوحيدة آنذاك من قبل قائمة « نس » ، حيث عبر رئيسها «جادي يتسيف» عن استعداده لوضع نفسه دون شروط من أجل تحقيق فكرة افنيري .

وباقتراب نهاية عام ١٩٧٢ بدا وكأن الجو مهيىء أكثر ، فالمعارك المطلبية والسياسية التي خاضتها تلك القوى — مشارف رفح ، عقربة ، اقرت وكفربرعم قوت من أواصر الثقة والعلاقات بين تلك القوى المختلفة . وبدأ افنيري اتصالاته من جديد ، برجال قائمة « نس » وحركة سياح والمعارضة في « ماكي » وببعض الكتاب والاساتذة الجامعيين الليبراليين ومجموعات من الطلاب واخرى من عرب الاراضي المحتلة من سنة ١٩٤٨ ، وببعض الشخصيات المقربة من المعراخ وحزب الاحرار المستقلين الذين لم يعد باستطاعتهم الموافقة على سياسة جولدا — دايان — سابير .

وبرز خلال اللقاءات التي تمت بين هذه القوى اتجاهان :

(١) اتجاه لاقامة معسكر سياسي غير عقائدي كبير وشامل ، وقد أيد هذا الاتجاه الخبير الاجتماعي والمدرس في الجامعة العبرية جادي يتسيف ، والمختص باللغات ، المستشرق يوسي سدان والمستشرق يوسي اميتاي من كيبوتس « جفولوت » وآخرين .

(٢) اتجاه لاقامة جبهة حمراء اشتراكية — ماركسية . وقد أيد هذا الاتجاه بعض الطلاب المتطرفين وانتصر الاتجاه الاول ، وكانت المبادىء الموجهة لهذا الاتجاه تتلخص بما يلي :

(١) خط معارض غير مهادن في جميع المجالات الوطنية والاجتماعية .

(٢) برنامج انتخابي يتضمن المطالبة بان تعلن دولة اسرائيل عن استعدادها لاعادة « المناطق المحتفظ بها » — مقابل السلام الكامل .

(٣) توزيع التمثيل في البنية المشتركة بموجب حجم الجهات والفئات المكونة لها ووفقا لاستفتاءات الرأي العام الدقيقة .

لكن الخلافات حول البند الثاني بين هعولام — هزه وماكي افشلت قيام معسكر كبير كما كان يحلم به افنيري ، وبدل من ان تخوض الانتخابات قائمة واحدة ، تقدمت الى لجنة الانتخابات المركزية قائمتان كل منهما تحاول استقطاب الجهات والتيارات الواقعة بين « المعراخ » و « راكاح ». وهاتان القائمتان هما :

(١) « ميرى » (المعسكر الراديكالي الاسرائيلي) ويضم حركة هعولام — هزه ، المعارضة في «ماكي» بزعامة استير فلنيسكا والاغلبية في « سياح » ، بالاضافة الى قائمة « نس » وبعض المجموعات الطلابية الاخرى .

(٢) « موكيد » وتضم حركة « تخيلت — ادوم » (الازرق والاحمر) بزعامة مئير بعيل ، عميد سابق وقائد مدرسة الضباط ، ورئيس قسم فن القتال في الاركان العامة ، والاغلبية في « ماكي » بزعامة شموئيل ميكونس ، والاقلية في سياح بزعامة ران كوهين (ضابط مظلي سابق) .

نقاط الخلاف بين القائمتين

تركز الخلاف بين القائمتين حول بند المناطق المحتلة . فبدل الاستعداد لاعادة « المناطق المحتفظ بها » مقابل السلام ، جاءت صيغة « موكيد » غامضة وتتحدث عن الاستعداد لاعادة « غالبية المناطق » . وبدل تعبير « ارض اسرائيل الغربية كوطن للشعبين الاسرائيلي والعربي الفلسطيني ، جاءت صيغة « ارض اسرائيل التاريخية » تلك الصيغة التي تتوافق مع مطلب ابا ايبن بان تقام الدولة الفلسطينية في شرقي الاردن . وبدل معارضة كافة عمليات الاستيطان ، جاءت صيغة تتحدث عن معارضة « الاستيطان الدائم » .

ملحق رقم (١)
وثيقة جاليلي

الى رئيسة الحكومة السيدة جولده مئير ،
من : يسرائيل جليلي .

انني اقترح تلخيص مباحثات الوزراء حول موضوع خطة العمل في المناطق خلال السنوات الاربع القادمة ، كما يلي : ايضاحات في البداية :

١ — هذه التلخيصات ليست بمثابة قرارات متفق عليها من الحزب والمعراخ ، بل هي توصيات من وزراء حزب العمل . وتقدم رئيسة الحكومة هذه التلخيصات (النتائج) للتصديق عليها من قبل المؤسسات ذات الصلاحية (الحزب ، المعراخ والحكومة) ويعبر عن هذه التلخيصات مبدئيا في البرنامج الانتخابي للمعراخ ، وتدخل ضمن اطار خطة العمل العامة للحكومة .

٢ — بعد التصديق على اسس خطة العمل ، يجري اعداد الخطط العملية بكل تفاصيلها وتتضمن الميزانيات السنوية للحكومة ميزانيات تنفيذ هذه الخطة .

٣ — ان خطة العمل في المناطق خلال السنوات الاربع المقبلة ليست مرتبطة بتغير الوضع السياسي للمناطق والموقع المدني للسكان واللاجئين وتستمر وكالة الغوث في عملها .

٢ — المبادىء

ان الحكومة المقبلة سوف تستمر في العمل في المناطق على أساس السياسة التي اتبعتها الحكومة الحالية .

ب — قطاع غزة — تأهيل اللاجئين ، والتطوير الاقتصادي :

تحديد خطة عمل لفترة السنوات الاربع المقبلة وتخصيص الميزانية المطلوبة للتنفيذ ، بهدف التوصل لتأهيل اللاجئين والتطوير الاقتصادي .

اسس خطة العمل : تحسن في ظروف السكن (اقامة مباني سكنية للاجئين بالقرب من المعسكرات وترميم المعسكرات) : اعداد مهني ، تحسين الخدمات الصحية والتعليمية ، خلق مصادر للرزق في العمل المهني والصناعة ، تشجيع المبادرات الذاتية للسكان بهدف رفع مستوى المعيشة .

ج — تطوير في الضفة الغربية .

اعداد خطة عمل لاربع سنوات وتأمين التمويل اللازم للتنفيذ ، بهدف تطوير الاساس الاقتصادي وتحسين الخدمات الحيوية (بناء المستشفيات ومستوصفات اقليمية وقروية) . تحسين شبكة المياه لاحتياجات السكان ، تحسين التعليم المهني وما فوق الثانوي ، تحسين الخدمات الكهربائية ، اصلاح الطرق والشوارع ، تطوير الاشغال والصناعة كمصدر عمل للسكان ، تحسين الاسكان ظروف سكن اللاجئين ، مساعدة السلطات المحلية .

د — التحويل في الضفة الغربية :

بتنسيق بين وزارتي المالية والدفاع :

ه — تبذل جهود للحصول على امكانيات من مصادر خارجية لتمويل خطط العمل لتأهيل اللاجئين واجراء تطوير في المناطق .

و — تسهيلات للمبادرين الاسرائيليين في المناطق .

تقدم تسهيلات لتشجيع المبادرين الاسرائيليين في اقامة مشاريع صناعية في المناطق ، بالنسب التي تقدم للمستثمرين الاسرائيليين في المناطق المفضلة في اسرائيل .

ز — نشاط ذاتي للسكان في الضفة الغربية :

تقديم المساعدة للنشاطات الذاتية للسكان في مجالات التربية والتعليم ، الدين ، الخدمات ، وانماء انماط الديمقراطية في الحياة الاجتماعية والبلدية . شغل المناصب المدنية الكبيرة في خدمات الحكم (العسكري) الى الحد الممكن بالسكان المحليين .

ح — سياسة الجسور المفتوحة :

استمرار سياسة الجسور المفتوحة .

ط — عمل سكان المناطق في اسرائيل :

ان عمل سكان المناطق سيظل مراقبا من الناحية العددية والاقليمية . ستتخذ اجراءات تؤمن للعمال

ظروف عمل واجور كالمتبعة في اسرائيل .

ي — المستوطنات العسكرية والمستوطنات :

تقام مستوطنات جديدة وتقوى شبكة المستوطنات. بذل جهود لزيادة عدد السكان بواسطة تطوير الاشغال والصناعة والاصطياف .

لدى تحديد ميزانيات الحكومة تحدد سنويا الامكانيات المطلوبة وفقا لتوصيات قسم الاستيطان وبتصديق اللجنة الوزارية للاستيطان ، وهذا بهدف اقامة مستوطنات اضافية خلال السنوات الاربع المقبلة في مشارف رفح في غور الاردن وهضبة الجولان .

- مستوطنة مدينية — صناعية في هضبة الجولان .
- مركز اقليمي في غور الاردن .
- تطوير شمال شرق بحيرة طبريا ، وشمال غرب البحر الميت .
- تنفيذ مشاريع المياه المخططة .

وفي تطوير مناطق الاستيطان في « المناطق » يجري التنسيق مع عناصر غير حكومية — عامة وخاصة — وذلك في اطار الخطة المصدقة .

ك — المركز الاقليمي في مشارف رفح .

يؤمن استمرار تطوير المركز الاقليمي في مشارف رفح حتى يصل الى ٨٠٠ وحدة سكنية حتى سنة ٧٧ — ١٩٧٨ . يتم تشجيع التطوير الصناعي وللمستوطنين ، الذين هم على استعداد للسكن في المنطقة بامكانياتهم الخاصة .

ل — تجميع وشراء اراض في المناطق :

١ — زيادة العمل في تجميع الاراضي لاحتياجات المستوطنات القائمة والمخطط لها .

٢ — تعمل ادارة اراضي اسرائيل على زيادة شراء الاراضي والاملاك في المناطق لاحتياجات الاستيطان ، والتطوير ومبادلة الاراضي .

٣ — تقوم الادارة بتأجير الارض للشركات والافراد ، لتنفيذ خطط انماء وتطوير مصدقة .

٤ — تعمل الادارة لشراء الاراضي بكل طريقة مفيدة بما في ذلك بواسطة الشركات والافراد ، الذين يشترون الارض ، وذلك بالتنسيق مع الادارة والملكيتها .

٥ — يتم التصديق على شراء الاراضي من قبل الشركات والافراد ، فقط في الحالات التي تكون فيها الادارة غير قادرة ومعنية بشراء هذه الارض لملكيتها .

٦ — تفوض لجنة وزارية لتقرر منح التصديقات. تعطى هذه التصديقات بشرط ان تكون عمليات الشراء قد تمت لمشاريع بناءة ، وليس بهدف السمسرة ، وفي اطار سياسة الحكومة .

٧ — ستعمل الادارة أيضا لشراء الاراضي ، التي تم شراؤها من قبل اليهود .

م — القدس وضواحيها :

يستمر الاسكان والتطوير الصناعي للعاصمة وضواحيها بهدف تركيز الاستيطان خارج المنطقة التي طبق عليها المرسوم رقم — ١ — (الحدود الجديدة للقدس بعد حرب الايام الستة — محرر الصحيفة) . ستبذل جهود بهدف شراء اراضي واستغلال اراضي الدولة في اطار المناطق الواقعة شرق وجنوب القدس وهي التي قررت الحكومة اعتبارها مناطق مغلقة .

ن — تحقيق قرار الحكومة بشأن اسكان النبي صموئيل .

س — ميناء عميق جنوب غزة :

بهدف تطوير سريع لمشارف رفح يتم خلال السنتين الى الثلاث سنوات المقبلة فحص المعطيات الاساسية لاقتراح اقامة ميناء عميق جنوب غزة : المعطيات الطبيعية ، المربحية الاقتصادية ، والاعتبارات السياسية ، وبعد تجميع النتائج وتقديم خطة عملية ، تتخذ الحكومة قرارا بالموضوع .

ع — مركز صناعي لكفار سابا :

تؤمن الظروف المطلوبة لاقامة مركز صناعي لمدينة كفار سابا فيما وراء الخط الاخضر كذلك يتم تطوير صناعة اسرائيلية في منطقتي تلقيليه وطولكرم .

المصدر : **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٣/٨/١٦ .

ملحق رقم (٢)
وثيقة ديان

السياسة في المناطق للسنوات الاربع القادمة

١ — اللاجئون :

ميزانية اضافية لاقامة مساكن جديدة وترميم المعسكرات القائمة . غزة : ١٠٠ مليون ليرة سنويا : الضفة الغربية خلال خمس سنوات المجموع ٥٠ مليون ليرة .

٢ — التطوير :

غزة + الضفة = ٢٠٠ مليون ليرة في السنة المجموع (مع العناية باللاجئين) = ميزانية اضافية ٣٠٠ مليون في السنة + ٥٠ مليون ليرة لمرة واحدة. لم ترد في وثيقة جليلي تفصيلات المبالغ ، ولكن اتفق على ان تخصص ميزانية لهذه الاهداف قيمتها مليار وربع مليار ليرة) .

٣ — مراكز مدينية وصناعية :

أ — القدس : توسيع الاسكان المديني ، والصناعة الخاصة والرسمية ، جنوب وشمال وشرق الى ما وراء الخط الاخضر . (البند (ل) في وثيقة جليلي) .

ب — يميت : تخطيط وتطوير يميت بشكل نشط كمركز اقليمي ومديني لمشارف رفح . (البند (ك) « المركز الاقليمي في مشارف رفح » ، الخ في وثيقة جليلي) .

ج — اقامة ميناء عميق جنوب غزة — دون ان يكون ذلك مشروطا بتطوير مينائي حيفا واشدود . (البند (س) في وثيقة جليلي) .

د — كريات اربع : الاستمرار بصورة نشطة في تطويرها صناعيا وسكانيا .

هـ — النبي صموئيل : اقامة مستوطنة مدينية في النبي صموئيل (البند (ن) في وثيقة جليلي).

و — منطقة قلقيلية — طولكرم : اقامة المركز الصناعي لمدينة كفار سابا على اراضي الفائبين اليهود (حوالي ١٢٠٠ دونم) واعطاء الامكانية للمبادرين اليهود لاقامة مشاريع صناعية واسكانية، بصورة مخططة ومراقبة في منطقتي قلقيلية — طولكرم . (البندين (ب) و (ع) ، في وثيقة جليلي) .

ز — مرتفعات الجولان : اقامة مركز مديني صناعي في مرتفعات الجولان . (البند (ي) في وثيقة جليلي) .

٤ — استيطان : اقامة مستوطنات اضافية ، كما هو مقترح من قبل قسم الاستيطان ، وتأمين الميزانية المطلوبة لتطوير المستوطنات القائمة . (البند (ي) في وثيقة جليلي) .

٥ — تشجيع اقامة مشاريع صناعية في المناطق: كما هو مقترح في رسالة (العميد) شلومو جازيت (البند (و) في وثيقة جليلي) .

٦ — الاولويات : تعطى الاولوية للمناطق ، بهدف زيادة الاسكان المديني والقروي واقامة مشاريع صناعية فيها .

٧ — شراء الاراضي : « أ » تعمل ادارة ارض اسرائيل على شراء الاراضي في المناطق ، من اجل وضعها تحت تصرف الاستيطان ، المشاريع الخاصة والعامة ومبادلة الاراضي . « ب » يتم التصديق على شراء اراضي واملاك بواسطة الشركات والافراد طالما كان ذلك يتم لاعمال الانشاء وبعد دراسته من الناحية السياسية والامنية . (البند (ل) في وثيقة جليلي) .

٨ — عمل سكان المناطق في اسرائيل : سيكون العمل تحت المراقبة والاشراف وتتخذ الاجراءات المطلوبة بهدف تأمين تمتع هذا العمل بشروط العمل والاجور المتبعة في اسرائيل . (البند (ط) في وثيقة جليلي) .

٩ — العلاقات مع الاردن : تشجيع وتقوية ارتباط وعلاقات سكان المناطق بالمملكة الاردنية . (البند (ح) في وثيقة جليلي) .

١٠ — تفضيل العمال المحليين في المناطق : تسلم المناصب الادارية — بما في ذلك المناصب العليا في خدمة الحكم (في المواضيع المدنية) — بقدر الامكان للعرب المحليين . (البند (ز) في وثيقة جليلي).

عماد شقور
و
هاني عبدالله

المصدر : **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٣/٨/١٦ .

(٦) القضية الفلسطينية عسكريا

المعركة الجوية السورية ــ الاسرائيلية

في ١٣/٩/١٩٧٣ وقع اشتباك جوي فوق الساحل السوري وعلى مقربة من الحدود اللبنانية بين طائرات اسرائيلية اخترقت الاجواء السورية وطائرات معترضة سورية تصدت لها ، وصرح الناطق العسكري السوري ان هذه المعارك « أسفرت عن اسقاط خمس من الطائرات المعادية واصابة ثمان من طائراتنا » (النهار ١٤/٩/٧٣). ووزعت الوكالة العربية السورية للانباء (سانا) التعليق التالي : « تصدى طيارونا اليوم ببسالة فائقة لستة عشر تشكيلا معاديا من طائرات العدو تضم ٦٤ طائرة اخترقت مجالنا الجوي عبر الاراضي اللبنانية فوق بعلبك واتجهت نحو المنطقة الوسطى في محاولة لتنفيذ مهمات عدوانية . سارع طيارونا الى التصدي لهذه الطائرات المعادية مما اضطرها الى الفرار في اتجاه البحر مخترقة جدار الصوت على ارتفاع عال فوق مدينة حماه لتزيد من سرعتها . وقد طارد نسورنا طائرات العدو واشتبكوا معها فوق البحر وفوق الاراضي اللبنانية في معارك عنيفة استمرت ٣ ساعات و١٠ دقائق أسقط خلالها طيارونا ٥ طائرات معادية . لقد حضر العدو لهذا العدوان واشرك فيه ٦٤ طائرة. غير ان بسالة مقاتلينا منعته من تنفيذ مهماته واثبت الطيار السوري مجددا كفاية قتالية عالية وقدرة على التصدي والصمود فوتتا على العدو فرصة تحقيق أهدافه . وقد جاء هذا العدوان بعد انتهاء مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز الذي كشف طبيعة اسرائيل العدوانية وادانها وعزلها أمام الرأي العام الدولي في ٧٦ دولة تمثل أكثر من نصف العالم شاركت في هذا المؤتمر » .

وجاءت الرواية الاسرائيلية في بيان عسكري قال ان ١٣ طائرة سورية من طراز ميغ ٢١ ومقاتلة اسرائيلية واحدة سقطت « في واحدة من أكبر المعارك الجوية فوق الشرق الاوسط منذ حرب حزيران ١٩٦٧ » (النهار ١٤/٩/٧٣) . وفي مؤتمر صحفي عقد في تل ابيب بتاريخ ١٣/٩/٧٣ قال العميد بنيامين بيليد قائد السلاح الجوي الاسرائيلي « لقد كانت طائرات السلاح الجوي تقوم باعمال دورية اعتيادية فوق البحر الابيض المتوسط . وقبالة الشواطىء السورية ، اشتبكت طائراتنا مع طائرات السلاح الجوي السوري ، ووقعت معركة . واستطيع القول ان الجزء الاول من الاشتباك استمر نصف ساعة تقريبا ، وكان عدد الطائرات المشتركة في هذا الاشتباك ١٢ طائرة اسرائيلية في ثلاث مجموعات تضم كل منها أربع طائرات ، وما يتراوح بين ١٢ و١٦ طائرة سورية . وقد انتهت الجولة الاولى من الاشتباك باسقاط ٩ طائرات سورية ، واصابة احدى طائراتنا . وقد هبط طيارها بواسطة المظلة الى البحر ، فقد جرى الاشتباك فوق البحر . ولدى سقوط الطيار ، قررنا ان ننقذه ، وقمنا بارسال مجموعة خاصة لتأمين تفوق جوي في المنطقة . حتى تتمكن طائرة الهليكوبتر من انقاذ الطيار . وهنا استجاب السوريون للتحدي ، وعندها وقع الجزء الثاني من الاشتباك فأسفر عن سقوط ٤ طائرات سورية اخرى . وقد أنقذنا الطيار الاسرائيلي ، كما انتشلنا من الماء الطيار السوري الذي كان بحاجة الى مساعدة . » ... « ان المعركة وقعت خارج المياه الاقليمية السورية ، وان الطائرات التي اشتركت في المعركة كانت من طراز فانتوم وميراج . وقد استخدمت طائراتنا مدافع الطائرات وصواريخ جو ــ جو . » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ٣٢٢) .

وليس هناك وسيلة للتحقق من النتائج الفعلية للمعركة كما ان من الخطأ الفادح الاعتماد على الارقام الاسرائيلية التي تسعى الى تخفيف عدد اصاباتها الى الحد الادنى طالما كان بوسعها ذلك ، أي عندما لا يسقط الطيار او طائرته فوق ارض عربية . ولكن الشيء المؤكد دون شك هو ان الطائرات السورية تصدت لطائرات العدو في الجولة الاولى لمنعها من تنفيذ أغراض عدوانية وعندما دفع العدو بتشكيلات أكبر من الطائرات الى مكان المعركة قبل الطيران السوري التحدي رافضا ان تكون سماءه مباحة لطائرات العدو . ومهما تكن الخسارة المادية كبيرة سواء كانت ٥ــ٨ او ١ــ١٣ فان المغزى المعنوي للمجابهة يؤكد على تصميم القوات المسلحة على مجابهة العدو في جميع الظروف ، لان هذه المجابهة هي مهمتها ومبرر وجودها التاريخي أمام الشعب السوري الذي لم يبخل يوما بشيء لتدعيمها .

ويحاول الاسرائيليون اخفاء الهدف الكامن وراء

تحرشهم الذي ادى الى الاشتباك . ويحاولون اظهاره على انه « نوع من الاشتباكات الاعتيادية التي تقع ، وتطور بسرعة الى الحد الذي بلغ اليه » (ر.أ.أ. ملحق رقم٣٢٣) ولقد ذكرت صحيفة **نيويورك تايمز** (٧٣/٩/١٥) نقلا من تل ابيب ان المسؤولين المطلعين « ينكرون الرواية السورية التي تقول بان المقاتلات الاسرائيلية هي التي اثارت القتال الجوي » ويفسر حاييم هرتسوغ المعلق العسكري لاذاعة اسرائيل وقوع الاشتباك تفسيرا عسكريا بحتا مقطوع الجذور عندما يقول : « وقد بدأ الاشتباك عندما كانت طائرات سلاح الجو تقوم بدورية اعتيادية ، وهوجمت من قبل قوات سلاح الجو السوري . ولا شك بان الهجوم السوري جاء بهذا الحجم بعد تقدير من جانب القوات السورية ان الظرف مناسب من ناحية حجم القوة ، بحيث يعطي أفضلية للسوريين. فقد خيل لهم هذا لان طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي كانت على بعد ١٥٠ كيلومترا شمالي الحدود الاسرائيلية ، أي بعيدة نسبيا عن قواعدها ، وعلى بعد عشرين ميلا فقط عن الشواطىء السورية ، أي قرب القواعد السورية. وجاء رد الفعل السوري الفوري ، من حيث انه قد أتى في ظرف غير اعتيادي يمكن اظهار تفوق سوري على طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي ، وهذا يختلف عن الوضع الاعتيادي على طول الحدود مع سوريا ، حيث تتواجد دائما هناك طائرات سلاحنا الجوي قرب قواعدها . » (ر.أ. أ. ملحق رقم ٣٢٣) .

بيد ان من الصعب قبول هذا التفسير ، خاصة وان اشتباك يوم ٩/١٢ جاء في فترة هدوء على الجبهة السورية — الاسرائيلية وبعد حوالي ٩ شهور من آخر اشتباك جوي وقع بين القوات الجوية السورية والاسرائيلية في كانون الثاني من العام ١٩٧٣ . ولا بد ان يكون وراءه سبب سياسي . وتعتقد صحيفتا **الفيغارو** و **لورور** الفرنسيتان (٧٣/٩/١٤) ان المعركة الجوية كانت « عملية انتقامية » اسرائيلية ضد سوريا لاعتقاد اسرائيل بأن لسوريا دورا في تضية الصواريخ المضادة للطائرات التي تم العثور عليها في ايطاليا. ويقول تقرير مايكل آدامز مراسل الاذاعة البريطانية في القدس « انه يعتقد ان الحادث له علاقة بالانتخابات الوشيكة في اسرائيل » ... « وان موشي دايان يريد ان يظهر موقفه المتطرف حيال العرب لكي يحظى بأصوات الناخبين » (ر.أ.أ. ملحق رقم ٣٢٢) وتربط صحيفة **التايمز** اللندنية (٧٣/٩/١٤) بين المعركة و«مشروع الجبهة الشرقية» وترى انها ضربة انذارية توضح لسوريا وللدول العربية الاخرى مدى المخاطر التي ستجابهها اذا ما عمدت الى وضع اتفاق القمة الخاص باحياء الجبهة الشرقية موضع التنفيذ . وهناك آراء أخرى تقول بان الضربة كانت مخططة لاحباط الحل السلمي الذي يبدو ان الضغط السعودي الاقتصادي — السياسي ، والاستعداد العسكري العربي ورغبة العملاقين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة جعلته قريب الوقوع . وهو أمر تكرهه اسرائيل وترفضه طالما انها قادرة على الحفاظ على الوضع الراهن دون التعرض لمتاعب عسكرية جدية .

وبالرغم من التحفظات الكثيرة الخاصة بجدية الجبهة الشرقية وفاعليتها طالما ان الملك حسين يشكل جزءا منها ويحرم الثورة الفلسطينية من أخذ دورها فيها ، وبالرغم من الاعتقاد السائد بأن هذه الجبهة ستكون جبهة عسكرية لتدعيم الضغط السياسي — الاقتصادي الذي سيقوم به الملك فيصل لاجبار الولايات المتحدة على تخفيف دعمها السياسي — العسكري — الاقتصادي لاسرائيل بشكل يجبرها على التنازل عن موقفها المتعنت الخاص بالانسحاب والمفاوضات المباشرة ، فان اسرائيل لا تنظر بعين الرضى الى هذه الجبهة بوضعها المنتظر أو بأي وضع آخر ، كما لا تنظر بعين الرضى لاي اتفاق عربي حتى ولو على صعيد السياسة والدبلوماسية ، خاصة وان استراتيجيتها مبنية اساسا على عدم وحدة الصف العربي . لذا فليس من المستبعد ان يكون تخريب الجبهة الشرقية واظهار اتفاق القمة كعمل لفظي لا تجسده الدول الثلاث عمليا كانا وراء العدوان الاسرائيلي الجوي المدبر الذي أخذ شكل كمين جوي اشتركت فيه ٦٤ طائرة فانتوم وميراج ، دون استبعاد مجموعة الاسباب الاخرى المتعلقة بالصراع على السلطة داخل حلقة القادة الاسرائيليين .

ولكن لماذا توجهت الضربة الى سورية ولم تتوجه نحو الاردن أو مصر مع انهما شريكتان في الجبهة الشرقية ؟ لقد تعلم الاسرائيليون من نتائج

الاشتباكات الجوية المصرية — الاسرائيلية ان الثمن الذي يدفعونه في كل اشتباك غاليا ، وان خرق الاجواء المصرية في ظل وجود شبكة دفاع جوية قوية (١٣٠ موقع اطلاق صواريخ سام — ٢ وسام — ٣ وسام — ٦ ومئات بطاريات المدافع من عيار ٢٠ مم و٢٣ مم و٣٧ مم و٥٧ مم و٨٥ مم و١٠٠ ملم (Military Balance 73-74) عملية باهظة التكاليف. كما انهم تعلموا ان خرق الاجواء الاردنية لا يستثير اي رد فعل قتالي جدي . وبقيت سوريا الدولة الصدامية المستعدة للاشتباك مع العدو حتى في حالة عدم تكافؤ القوى . والمستعدة لزج قسم كبير من قواتها لحماية اجوائها رغم ضعف دفاعها الجوي النسبي (١٢ موقع اطلاق صواريخ سام — ٢ وسام — ٣ (Military Balance 73-74) لذا توجه التحرش نحو سوريا .

واذا اردنا الانتقال من المسائل السياسية والاستراتيجية الى المسائل التكنولوجية العسكرية البحتة ، توجب علينا ان نبحث ٣ موضوعات هي: ميزان القوى الجوية، ومقارنة الطائرات تكنولوجيا، وموضوع الانذار المبكر .

ميزان القوى : تملك اسرائيل ٤٨٨ طائرة قتال منها ١٢ قاذفة خفيفة فوتور (في المخازن) و٩٥ طاردة قاذفة فانتوم (F-AE) و٣٥ ميراج (بعضها مزود بصواريخ جو — جو) و١٦٥ طائرة هجوم ارضي سكايهوك (A-4 EH) و١٨ سوبر و٢٣ مستير (في الاحتياط) . ولكنها تعتمد في الاساس على طائرات الفانتوم والسكايهوك والميراج ، وتعتبر الطائرات الاخرى كطائرات صف ثان . (Military Balance 73-74)

وتملك جمهورية مصر العربية بالمقابل ٦٢٠ طائرة قتال (منها ٢٠٠ في المخازن) ، وتضم الطائرات العاملة ٢٥ قاذفة متوسطة Tu-16 ، و٢١٠ طائرات معترضة ميغ ٢١ ، و٨٠ مطاردة — قاذفة سوخوي (SU-7) و١٠٠ مطاردة — قاذفة ميغ ١٧ ، وكلها عدا طائرات الميغ ١٧ من طائرات الصف الاول . (Military Balance 73-74)

وتمتلك سوريا ٢٠٠ طائرة معترضة ميغ ٢١ وعددا من القاذفات ايليوشن IL-28 و٨٠ مطاردة ميغ ١٧ و٣٠ قاذفة مطاردة سوخوي SU-7 وكلها عدا طائرات الميغ ١٧ من طائرات الصف الاول . (Military Balance 73-74)

وليس بوسعنا هنا ان نذكر القوة الجوية الاردنية لعدم ايماننا بجدية استعداد النظام الاردني لخوض معركة مصيرية .

واذا قارنا طائرات الصف الاول الاسرائيلية وعددها حوالي ٢٠٠ طائرة مع طائرات الصف الاول المصرية والسورية وعددها ٥٢٠ طائرة وجدنا ان التفوق المصري — السوري في حالة وحدة ارادة القتال أمر واضح لا لبس فيه . ولكن تجارب اسرائيل علمتها ان الاشتباكات الماضية على الحدود المصرية لم تستثر تحركا سوريا ، كما أن اشتباكي كانون الثاني وايلول ١٩٧٣ مع سورية لم يستثيرا ردا مصريا . لذا فان التفوق العربي بالنسبة لها رقمي بحت لم يتجسد حتى الان بالاضطرار الى القتال على جبهتين بآن واحد .

وبالاضافة الى ذلك فان من المتعذر علينا ان نفهم سر وجود ٢٠٠ طائرة مصرية في المخازن رغم وجود احتمالات المعركة بصورة دائمة ، ورغم اصرار اسرائيل الدائم على العدوان .

مقارنة الطائرات تكنولوجيا : ويقودنا بحث ميزان القوى الجوية الى موضوع المقارنة التكنولوجية بين الطائرات العربية وطائرات العدو.

ان العدو يملك كما رأينا طائرات السكايهوك وهي طائرة هجوم خفيفة . ولكن سرعتها الضعيفة ٠٫٩ ماك تجعل العدو يحميها دائما بطائرات فانتوم أو ميراج . لذا فان أي صدام بينها وبين الطائرات المعترضة ميغ ٢١ ينقلب الى صدام مع طائرات الحماية (فانتوم وميراج) . وتتفوق طائرة الميغ ٢١ (وخاصة الانواع الحديثة منها) على طائرة الميراج 3-C فبالرغم من أن سرعة الميغ ٢١ القديمة ٢٫٠٠ ماك والحديثة مف ٢٫١ ماك وسرعة الميراج 3-C ٢٫١ فان اجهزة الميغ ٢١ وقدرتها على المناورة افضل من الميراج 3-C كما ان تسليح الميغ ٢١ اقوى من تسليح الميراج . اذ تحمل الميغ ٢١ القديمة ٢ صاروخ أتول وتحمل الميغ ٢١ الحديثة مف اربعة صواريخ أتول K-13 على حين تحمل الميراج صاروخا واحدا ماترا او صاروخين سايدوندر او شفرير . ولكن الفانتوم ف — ٤ تتفوق على الميغ ٢١ من ناحية السرعة التي تبلغ ٢٫٢٧ ماك والتسليح ٦ صواريخ سبارو AIM-7 E او ٤ صواريخ سبارو وصاروخين سايدوندر AIM-9 D بالاضافة الى ان اجهزتها بصورة عامة متقدمة على اجهزة الميغ ٢١ . كما ان وجود ملاحين عليها يساعد على الاستفادة من الاجهزة

بشكل افضل(١). لذا فان اية مجابهة بين اعداد متماثلة من الفانتوم ف ـ ٤ والميغ ٢١ تكون لصالح الفانتوم اذا ما تساوت العوامل الاخرى مثل : الادارة الارضية وخبرة الطيارين ومعنوياتهم وتوجيه المقاتلات والتعاون داخل التشكيل ... الخ .

وليس من الضروري هنا مقارنة الفانتوم مع السوخوي ـ ٧ SU-7 نظرا لان السوخوي ـ ٧ طائرة للهجوم الارضي سرعتها ١ر٧ ماك ومن الافضل حمايتها عند قيامها بمهماتها بطائرات الميغ ٢١ .

وعند النظر الى المسألة **تكنولوجيا** نجد انه لمجابهة طائرات الفانتوم ف ـ ٤ بفاعلية والتفوق عليها (في حالة تساوي مختلف العوامل الاخرى) لا بد من الحصول على الطائرات السوفييتية ميغ ٢٣ المعقدة ذات الاجنحة المتحركة التي تبلغ سرعتها ٣ر٢ ماك وتحمل ٤ صواريخ مختلفة الطراز توجه بالرادار والاشعة تحت الحمراء ، او الحصول على الطائرات السوفييتية ميغ ٢٥ (التي كانت تدعى من قبل ميغ ٢٣) التي تبلغ سرعتها ٣ر٢ ماك وتحمل ٤ صواريخ مجهولة النوع ، او الطائرات السوفييتية سوخوي ـ ١١ SU-11 التي تبلغ سرعتها ٥ر٢ ماك وتحمل صاروخين من طراز ANAB كتسليح رئيسي ومن المحتمل ان تحمل صواريخ اخرى ، بالاضافة الى رفع مستوى تدريب الطيارين ، والادارة الارضية ، وطواقم اجهزة الكشف والرصد والانذار وتوجيه المقاتلات . (كافة المعلومات الفنية مأخوذة من مرجعين Jane's Weapon Systems 1972-73 The Observer's Book of Aircraft 72-73)

الانذار المبكر : تقول المحرر ٩/١٥ ان اوساطا عسكرية سورية ذكرت « ان الرادار اللبناني لم يبلغ السلطات السورية عن دخول طائرات اسرائيلية الى اجواء البلدين » . ويتمتع هذا النبأ بأهمية بالغة اذ ان الانذار المبكر يساعد المقاتلات على التصدي للعدوان ويعطيها الوقت اللازم للتحليق وأخذ التشكيلات القتالية المناسبة . ولقد صرحت مصادر مطلعة ان سوريا كانت قد طلبت ان تتمثل المساندة اللبنانية لها « في تنبيهها بواسطة جهاز رادار قوي الى دخول طائرات اسرائيلية الاجواء اللبنانية كي تستعد الطائرات السورية للتصدي لها . لكن اقامة مثل هذا الرادار تطرح مسألة حمايته ومن هي الجهة التي ستتولى هذه الحماية »... « ان السلطة اللبنانية تتحاشى التورط لان وجود الرادار في الاراضي اللبنانية سيجعله عرضة للاعتداءات لا يستطيع لبنان التصدي لها ، واذا تصدت لها سوريا فالخسائر التي ستلحق بلبنان ستكون باهظة » (النهار ٧٣/٩/١٦) .

والحقيقة ان دراسة مثل هذا الموضوع التكنولوجي مرتبطة بمسألة السياسة الدفاعية اللبنانية كلها ، وهي مسألة مرتبطة بالوضع السياسي اللبناني بأسره . ففي ١٩٧٣/٨/٢٢ صرح وزير الدفاع اللبناني نصري المعلوف لمندوب الحياة ردا على سؤال حول عدم تعرض الطائرات اللبنانية للطائرات الاسرائيلية التي تنتهك حرمة اجواء لبنان بقوله « لم نتعرض ولا نتعرض للطائرات الاسرائيلية لانه لا تكافؤ بيننا وبين اسرائيل (...) انه ليس لدى لبنان امكانات الرد على اسرائيل » (الحياة ٧٣/٨/٢٢) .

ولقد لخص العميد ريمون اده المسألة عندما سئل لماذا لم يتدخل الجيش اللبناني في المعركة الجوية السورية ـ الاسرائيلية بقوله : « ان الجيش لا يمكن ان يتحرك الا اذا اعطيت له الاوامر . ويظهر ان تقي الدين الصلح كما صائب سلام كما رشيد كرامي كما عبدالله اليافي على رغم المطالبة بالمشاركة لا يريدون ان يشتركوا في معركة ضد اسرائيل . والسبب بسيط وهو بارود «يوك». وطبعا فان المسؤولية لا تقع على الجيش اللبناني ولا على الطيران اللبناني بل تقع علينا مجلسا وحكومة لاننا لم نقرر بعد اذا كنا نريد او لا نريد ان ندافع عن سلامة البلاد وعن كرامتنا» . (النهار ١٩٧٣/٩/١٥) .

وتتعلق الملاحظة الاخيرة بالنسبة للمعركة الجوية التي نحن بصددها في التوقيت الذي اختارته اسرائيل . فلقد بدأت الاشتباكات في الساعة ٢ر٢٠ من بعد ظهر يوم الخميس . وهي الساعة التي يكون فيها معظم الطيارين قد غادروا قواعدهم دون ان يصلوا الى بيوتهم او الاماكن التي يمكن استدعاؤهم فيها. ولم يبق في المطارات سوى طيارو الاسراب المناوبة . ويدل هذا التوقيت الدقيق على ان العملية الاسرائيلية متعمدة ومعدة مسبقا. الامر

١ ـ لقد أدى تطور أجهزة الفانتوم وقوتها وحمولتها الى ارتفاع ثمنها الى ستة أضعاف ثمن الميغ ٢١ تقريبا .

الذي ينفي ادعاءات اسرائيل حول طبيعة المعركة وهوية البادىء بها. وقد يكون هذا التوقيت السبب في عدم مجابهة الـ ٦٤ طائرة اسرائيلية بمائة طائرة سورية مثلا . ولعل هذا هو ما دفع العميد بيليد قائد السلاح الجوي الاسرائيلي الى القول بأن الفضل في النتائج التي حققها الاشتباك يرجع الى قوة الاستخبارات الاسرائيلية (ر. أ. أ. رقم ٣٢٣) .

لقد خططت اسرائيل لعملية ٩/١٣ العسكرية مستهدفة مجموعة من الاهداف السياسية ، وجابه النسور السوريون التحدي ومنعوا الطيران الاسرائيلي من خرق أجوائهم ، وحققوا نتائج مرضية رغم عدم تكافؤ القوى ، ولم يمنعهم تفوق عدوهم التسليحي من مجابهته . وهكذا يشارك الطيارون السوريون في الاجهاز على اسطورة التفوق التكنولوجي التي سدد لها الطيارون الفيتناميون ضربات رائعة عندما قابلوا التفوق التكنولوجي بتفوق معنوي وايديولوجي . ومن المؤكد ان الضربة السورية كانت ستسدد بقوة اكبر (حتى بنوعية السلاح نفسها) لو ان الانذار جاء مبكرا ، ولو ان الرد كان مصريا — سوريا بآن واحد .

تطور جديد في تسليح الثورة الفلسطينية

في يوم ٥ أيلول اعتقلت الشرطة الايطالية خمسة من رجال المقاومة الفلسطينية في منتجع اوستيا الواقع على مسافة ٣٠ كيلومترا عن روما ومسافة ٦ كيلومترات من مطار فيوميشينو الدولي ، ووجهت لهم تهمة حيازة صاروخين خفيفين مضادين للطائرات . ولقد اتجه التحقيق منذ البداية نحو احتمال يقول بأن المعتقلين ادخلوا هذه الاسلحة المتطورة الى ايطاليا بغية استخدامها في ضرب احدى طائرات العال الاسرائيلية خلال هبوطها او تحليقها . ويبدو ان الاعتقال قد تم بعد أن تلقت الشرطة الايطالية معلومات من الاستخبارات الاسرائيلية حول أحد المعتقلين . وكانت مجلة **نيوزويك** قد نشرت في ٧٣/٨/٢٧ خبرا يقول « يسعى الارهابيون [الفدائيون] العرب سعيا حثيثا لشراء صواريخ فردية مضادة للطائرات مثل صاروخ ريدآي الامريكي وذلك لتعزيز ترسانتهم . وقد فشلوا مؤخرا في الحصول على الصاروخ السوفياتي ستريلا الذي استخدم بتأثير فعلي كامل ضد الطائرات التي تحلق على علو متخفض في فيتنام ».

ولقد سلط الاعلام الاسرائيلي الاضواء بعد عملية الاعتقال في ايطاليا على نقطتين هما : ان الصواريخ التي تم كشفها سوفييتية الصنع ومن طراز سام — ٧ . وان الدول العربية التي تملك هذا السلاح هي مصر وسورية ويحتمل ان تكون العراق قد حصلت على أعداد منه . ووجهت بعض الصحف الاسرائيلية الاتهام الى سورية وقالت بأنها هي التي زودت الفدائيين بالصواريخ . وسار المعلق العسكري لاذاعة اسرائيل روني دانيال على المنوال نفسه عندما قال « ان هناك احتمالا بأن يكون الجيش السوري قد زود المخربين [الفدائيين] بهذا النوع من الصواريخ » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ر.أ.أ ملق العدد ٣١٦) ، ولكن صحيفة **يديعوت احرونوت** اتجهت نحو اتهام الاتحاد السوفييتي ، وقالت بأنه هو الذي زود الفدائيين بالصواريخ مباشرة ، واعتبرت ان ذلك « من النتائج المباشرة لزيارة عرفات لموسكو » (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٩/٦). وذهبت صحيفة **معاريف** (٧٣/٩/١٠) الى القول نقلا عن « مصادر اسرائيلية مطلعة » بأن سورية زودت الفدائيين بهذا النوع من الصواريخ لتدعيم الدفاع الجوي عن مخيمات لبنان .

وتحاول اسرائيل بشتى الطرق ادخال الدول العربية كعامل في هذه القضية . ففي يوم ٧٣/٩/٧ ذكرت الاذاعة الاسرائيلية بأنه « علم من روما صباح اليوم ان الشرطة تعتقد بأن مجموعة اخرى من المخربين [الفدائيين] هي التي زودت المجموعة التي اعتقلت أمس الاول بالقرب من مطار روما بصواريخ سام — ٧ . ويذكر ايضا بأن الصواريخ ثقيلة ويستبعد أن يكون قد تم احضارها الى ايطاليا بطريق الجو كما وصل المخربون [الفدائيون] انفسهم » (ر. أ. أ. رقم ٣١٧) ثم عادت في يوم ٧٣/٩/١٢ لتشير الى احتمال « أن تكون الصواريخ قد نقلت الى ايطاليا في البريد الديبلوماسي لاحدى الدول العربية » (ر. ا. ا. رقم ٣٢١) .

ويبدو ان كشف عملية الصواريخ سيكون بداية حملة سياسية وديبلوماسية اسرائيلية متشعبة ذات اتجاهين : يتمثل أولهما في استثارة الولايات المتحدة الامريكية ضد الاتحاد السوفييتي الذي يزود العرب بأسلحة متقدمة وضد الدول العربية التي تساعد الثورة الفلسطينية على تصعيد عملياتها ضد اسرائيل خارج الارض المحتلة . كما يتمثل الاتجاه

الثاني بالاحتجاج لدى مجلس المنظمة الدولية للطيران المدني مع التأكيد على « خطورة الوضع مع وجود صواريخ في أيدي المخربين [الفدائيين] مصدرها دولة ذات سيادة » (ر. ا. ا. ٣١٩) . ويعتبر يارون بن يشاي مندوب الاذاعة الاسرائيلية في روما ان موافقة رئيس المجلس على ادراج المذكرة الاسرائيلية ، التي تضمنت أسماء مصر وسوريا والعراق والاتحاد السوفييتي ، على جدول أعمال المجلس يعد « انتصارا ديبلوماسيا هو الاول من نوعه منذ أن بدأ هذا المجلس أعماله » (ر. ا. ا. رقم ٣١٩) . وقد تحقق اسرائيل بعض النجاح في المجال الاول ولكن نجاحها في المجال الثاني مستبعد جدا خاصة وان مصر وسوريا والعراق قدمت الى المنظمة الدولية للطيران المدني في روما مذكرات تنفي فيها بشكل قاطع ان تكون قد زودت الفدائيين بالصواريخ المضادة للطائرات. الامر الذي يحرم المذكرة الاسرائيلية من مبررات تقديمها ، ويجعلها عبارة عن اتهام بلا أي اساس مادي .

ولقد أعطى وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان أهمية بالغة لهذا الحادث الذي اعتبره « أخطر ما حدث حتى الان ، في عمليات الارهاب التي يقوم بها المخربون [الفدائيون] ضد الطيران المدني . فهنا يوجد دمج لعدة أمور لم يسبق ان حدث مثلها في الماضي . وهذا الدمج هو للوسائل وللفنيين الخبراء بالصواريخ وللذين اشتركوا في استخدام هذه الوسيلة » ... « وشركاء اليوم في هذا الحادث هم الاتحاد السوفييتي الذي يرسل هذه الصواريخ ، والدول العربية التي تحصل على هذه الصواريخ والتي تسمح باستخدامها ضد الطائرات المدنية ، كما كان سيحدث في روما » ... « لا اعتقد بأن هذا تطور جديد في وسائل الارهاب فانهم يستعدون لكل شيء لاطلاق النار على كل ما هو موجود في المطار ، ولا يمكن ان يطرأ تحول أخطر من هذا ، ولكن في الوقت نفسه هناك تطور جديد وهو المساعدات التي تقدمها الدول الى هؤلاء المخربين [الفدائيين] وأهمها الوسائل التكنولوجية » (ر. ا. ا. رقم ٣١٨) .

أما ييغال آلون الذي ترأس جلسة الحكومة الاسرائيلية في يوم ٧٣/٩/٩ بسبب عطلة رئيسة الحكومة غولدا مائير فقد أكد على خطورة العملية عندما قال خلال الجلسة « انه ينبغي النظر بخطورة الى المحاولة التي جرت في روما من قبل الارهابيين [الفدائيين] لاستخدام صواريخ ضد طائرات الركاب المدنية » (ر. ا. ا. رقم ٣١٨).

فمن أين جاءت الخطورة . ولماذا تدق اسرائيل ناقوس الخطر بهذه الشدة ؟ قبل الرد على هذا السؤال لا بد لنا من معرفة مميزات الصواريخ التي أراد الفدائيون استخدامها ضد طائرة العال الاسرائيلية . لقد نقلت الاخبار الواردة من روما ان الصواريخ هي من طراز سام — ٧ ثم جاءت اخبار أخرى نقلتها اذاعة اسرائيل تقول بأن « ثمة من يدعي أن أجهزة الاطلاق وحدها هي من صنع سوفييتي على حين ان الصواريخ هي من صنع بلد آخر » (ر. ا. ا. رقم ٣١٩) . لذا فان بوسعنا التحدث هنا عن مميزات الصاروخ طراز سام — ٧ دون ان يكون معنى حديثنا التأكيد على ان الصواريخ المكتشفة التي لم تحدد جنسيتها بعد بشكل رسمي هي من هذا الطراز .

الصاروخ سام — ٧ ستريلا هو سلاح خفيف مضاد للطائرات (يستطيع شخص واحد حمله) سرعته اكبر من سرعة الصوت ، ويمكن اطلاقه من الكتف بواسطة شخص واحد . ويعمل هذا الصاروخ بواسطة الوقود الجاف ويوجه بواسطة الاشعة تحت الحمراء ويمكنه أن يلاحق الحرارة المنبعثة من محركات الطائرات . ويبلغ مدى هذا الصاروخ القصى ٣٥٠٠ متر ويستطيع اصابة الهدف على ارتفاع ٥٠ — ١٥٠٠ م ولكن استخدامه الافضل يكون ضد الطائرات الحربية المنخفضة وضد طائرات الهليكوبتر . ولقد استخدمه الفيتناميون بفاعلية خلال القتال ضد الطائرات الامريكية . وتذكر المصادر الغربية بأن الجيش المصري حصل عليه واستخدمه خلال حرب الاستنزاف ، كما ان هناك احتمالا بحصول الجيش السوري عليه مؤخرا .

ويعتبر هذا الصاروخ من الاجيال المتقدمة التي ستدخل تبدلا نوعيا ملحوظا على الدفاع الجوي . وهو يقف على مستوى واحد مع الصاروخ الامريكي ريد آي ، والصاروخ البريطاني بلو بايب .

ومهما كان حجم الضجة التي تثيرها اسرائيل حول وصول هذا السلاح الى أيدي الفدائيين ومحاولتهم لاستخدامه ضد الطائرات المدنية ، فان الخطر الحقيقي الذي يشغل بال المسؤولين في وزارة الدفاع الاسرائيلية هو حصول المنظمات

الفدائية على سلاح مضاد للطائرات متطور تكنولوجيا لان بوسع هذا السلاح قلب خطط اسرائيل المضادة للثورة الفلسطينية رأسا على عقب .

وتدلنا دراسة المعارك التي جرت بين قوات الثورة الفلسطينية وقوات الجيش الاسرائيلي داخل الاراضي المحتلة على ان القوات الاسرائيلية تحاول تحقيق التفوق التكتيكي الدائم مستخدمة الحركية القصوى البرية والجوية لتجميع قوة اكبر من قوات الثورة التي ستجابهها . وهي تستخدم لهذه الغاية الدوريات الآلية والقوات المحمولة بالهليكوبتر (معركة التياسير مثلا) . ولقد تعرضت دوريات الثورة الفلسطينية لكثير من الخسائر لانها لم تكن تملك سلاحا خفيفا قادرا على ضرب طائرات الهليكوبتر المحلقة او اسقاط طائرات القتال التي تقصف الدوريات تمهيدا لهجوم القوات البرية عليها . لذا كان كشف دورية قتال او امداد داخل الارض المحتلة يعني تدمير الجزء الاكبر منها . وبالاضافة الى ذلك فقد كانت طائرات هليكوبتر الاستطلاع تحلق فوق القوات المعادية الآلية المتحركة باتجاه هدفها وتكشف الكمائن المنصوبة لها تساعدها في ذلك طبيعة الارض المكشوفة . واستخدمت اسرائيل القوات المحمولة بالهليكوبتر لقطع طريق التراجع على قواعد الثورة الفلسطينية عند مهاجمتها جبهيا (معركة الكرامة) كما استخدمت طائرات هليكوبتر الاستطلاع لرصد نيران المدفعية (العرقوب) ولسحب الوحدات الخاصة بعمليات الاغارة ضد قواعد الثورة الفلسطينية داخل عمق الاراضي العربية (مخيم البداوي ونهر البارد .. الخ) .

وهكذا كانت دوريات الثورة الفلسطينية وقواعدها وأماكن تجمعها تتعرض لخطرين : القوات المحمولة بالهليكوبتر والقصف الجوي بطائرات القتال . وكانت المشكلة دائما هي كيف يمكن مجابهة هذين الخطرين بفاعلية . ولقد اتجه الحل في القواعد الخارجية والمخيمات نحو استخدام الرشاشات المتوسطة والثقيلة ومدافع ٢٠ مم م/ط ، وكان بوسع هذه الاسلحة تحقيق نتائج مرضية لو ان عددها — وبالتالي كثافة نيرانها — كان كبيرا . ولم تجد الثورة الفلسطينية حلا ايجابيا لمجابهة الخطر الجوي الذي تتعرض له دوريات القتال او الامداد داخل الارض المحتلة في مرحلة حرب العصابات الحالية ، لان هذا الحل يتطلب وجود سلاح خفيف فعال تستطيع الدورية حمله والسير به كما تحمل القواذف المضادة للدروع ربيج — ٧ . لذا كانت الدوريات تستخدم الحلول السلبية المتمثلة بالاختفاء والعمل الليلي والتمويه ... الخ.

ومن المؤكد ان وصول سلاح من نوع سام — ٧ ستريلا او ريد آي او بلو بايب الى أيدي قوات الثورة الفلسطينية سيعني حصول هذه القوات على أفضل سلاح تستخدمه العصابات ضد الطائرات. وسيكون من نتائجه منع طائرات القتال الاسرائيلية من قصف المخيمات وقواعد الثورة الفلسطينية ودورياتها بلا عقاب ، كما سيكون من نتائجه تزويد الدوريات والقواعد بسلاح قادر على اسقاط طائرات الهليكوبتر المخصصة للاستطلاع او القتال او نقل القوات المحمولة . فاذا أضفنا الى ذلك قدرة قوات الثورة على التبعثر والتمويه والحركة وصغر الاهداف التي تقدمها للقوات المضادة تصورنا مدى التطور الذي ستشهده عمليات قوات الثورة بعد حصولها على هذا السلاح (كنصب الكمائن لطائرات الهليكوبتر او طائرات القتال على سبيل المثال)، ومدى الحماية التي ستحصل عليها قواعد الخارج او دوريات الداخل ، ومدى الصعوبات والمعضلات الجديدة التي ستجابهها القوات الاسرائيلية داخل الارض المحتلة وخارجها ، وحجم التعديلات التي ستضطر الى ادخالها على خططها السابقة .

ان حرمان اسرائيل من عامل أساسي من عوامل قوتها في مجابهة الثورة الفلسطينية (الحركية والتفوق الجوي) او التأثير بفاعلية على هذا العامل ، هو مصدر القلق الذي أحس به القادة العسكريون الاسرائيليون عند اكتشاف الصواريخ في روما، فلقد اعتاد هؤلاء القادة تحقيق انتصاراتهم التكتيكية عن طريق استخدام قوة متفوقة ضد قوة صغيرة سيئة التسليح (وخاصة ضد الطائرات). ويؤرقهم أن يجدوا هذه القوة الصغيرة الديناميكية المتحركة وقد تزودت بمعدات تكنولوجية ملائمة تزيد كثافة نيرانها وترفع مستوى كفاءة دفاعها الجوي الى حد بعيد .

المقدم الهيثم الايوبي

ملحق القضية الفلسطينية عسكريا

حول عودة الى الاستعمار القديم !

قبل عدة أشهر اعرب السناتور الامريكي ويليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي « عن مخاوفه من ان تلجأ الولايات المتحدة الى استخدام اسرائيل وايران في عمل عسكري ضد الدول العربية المنتجة للنفط». (الاخبار المصرية ٢٤ أيار ١٩٧٣) . وفي حين نفت وزارة الخارجية الامريكية ذلك ، فقد شنت الصحف الامريكية هجوما عنيفا عليه ووصفته بأنه « يهذي منذ ان بدأ يدعو لتخلي الولايات المتحدة عن اسرائيل » (المرجع السابق) .

والحقيقة ان مخاوف السناتور الامريكي لم تكن بلا أساس ، فالحديث عن احتلال مصادر النفط كان يدور في واشنطن منذ سنوات عديدة (نيوزويك ١٠ أيلول ١٩٧٣) . وبديهي ان ليس بالامكان الحصول على تصريح امريكي رسمي عن رغبتها بالقيام بمثل هذا التدبير لان ذلك سيكون بمثابة اعلان الحرب على الدول العربية صاحبة العلاقة. ولكن يمكن القول ان السياسة الامبريالية عامة وخاصة السياسة الامريكية في المنطقة لم تكن ودية اطلاقا .

ومن أبرز خطوط هذه السياسة زيادة قوة ايران العسكرية وتزويدها بأحدث الاسلحة الغربية ، فلقد باعتها بريطانيا حوالي ٨٠٠ دبابة ثقيلة من طراز تشيفتن ، وباعتها امريكا ٣٢ طائرة فانتوم و٣٠ طائرة نورثروب ف ٥ بالاضافة الى ٦ اسراب تملكها حاليا ، بالاضافة لحوالي ٥٠٠ طائرة هيلوكبتر . هذا عدا عن الصواريخ والمدافع والزوارق الحوامة ، على الرغم من عدم وجود تهديد يستوجب كل هذه الاستعدادات .

وأعلنت الولايات المتحدة في الوقت نفسه عن استعدادها لتقديم السلاح لدول الخليج العربي « بكميات متواضعة » كما قال سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكي (ديلي ستار ٨/١٢/ ١٩٧٢) ، مؤكدة بذلك على دور ايران الرئيسي في « المحافظة على أمن الخليج » .

اما على مسرح الشرق الاوسط فالسياسة الامريكية فيه أكثر عدوانية ، وقد لخص الكاتب الاسرائيلي زئيف شيف (هآرتس ٧ آب ١٩٧٢) نتائج هذه السياسة حين اشار الى ان اسرائيل تتمتع الان بوضع استراتيجي ممتاز للاسباب التالية : ١ — وفاة الرئيس عبد الناصر ، ٢ — انقسام العالم العربي ، ٣ — انهيار الجبهة الشرقية ، ٤ — زوال فاعلية المنظمات الفدائية ، ٥ — شحنات الاسلحة الامريكية لاسرائيل ، ٦ — رحيل المستشارين السوفييت .

وتدين اسرائيل بكل هذه الاسباب تقريبا للولايات المتحدة الامريكية ، او « لاصدقاء » امريكا في المنطقة الذين آمنوا بالسياسة الامريكية ونفذوها ، على اساس انها الوحيدة القادرة على ايجاد مخرج لازمة الشرق الاوسط . ولم يحقق موقف الدول العربية هذا أية نتائج ايجابية للقضية العربية ، بل ان الولايات المتحدة واسرائيل اعتبرت هذه المواقف انتصارات لهما ، فازداد صلف حكام اسرائيل ، وتصاعد الدعم الامريكي لهم على كل الاصعدة . وتمثل ذلك على الصعيد السياسي باستخدام حق النقض يوم ٢٦ تموز ١٩٧٣ في الامم المتحدة لمنع ادانة اسرائيل بسبب عدم تنفيذها لقرار مجلس الامن ، كما تمثل على الصعيدين العسكري والاقتصادي في زيادة شحنات الاسلحة وتقديم المساعدات الاقتصادية والتقنية لها .

في أجواء هذه السياسة ومع بروز ازمة الطاقة في الولايات المتحدة وتصاعد احتياجاتها من النفط ، قررت الولايات المتحدة « مساعدة » المملكة العربية السعودية صاحبة أكبر احتياطي من النفط في المنطقة على زيادة انتاجها ، وكان طبيعيا ان لا تجد محاولة الزيادة هذه تجاوبا لدى الحكام السعوديين الذين صدمتهم السياسة الامريكية في الخليج بالتركيز على دور ايران . كما ان سياسة امريكا في الشرق الاوسط تسبب لهم احراجات كبيرة وتضعهم في موقف الدفاع امام الجماهير العربية ، ولقد دفع هذا الموقف الملك فيصل الى القول : « ان تأييد امريكا الكامل للصهيونية ضد العرب يجعل من الصعب جدا علينا مواصلة تزويد الولايات المتحدة بحاجاتها من البترول ، وحتى الابقاء على علاقاتنا الودية معها » (النهار ١/٩/١٩٧٣) ، ومن المؤكد ان الملك فيصل لا يستطيع مواصلة مصافحة اليد التي تصفع العرب باستمرار . يضاف الى ذلك

الاسباب الاقتصادية المتمثلة في عدم احتياج الاقتصاد السعودي لزيادة عائداته من النفط لعدم قدرة خطط التنمية على استيعاب تلك الاموال ، ومخاطر تكديس الدولارات ، التي تنخفض قيمتها باستمرار ، في الخزينة السعودية في حين ان من الافضل ابقاء النفط ، الذي ترتفع قيمته باستمرار ، في باطن ارضه .

دفع الموقف الامريكي الدول العربية الاخرى الى اتخاذ مواقف حاسمة من المصالح الغربية والامريكية خاصة ، فأممت العراق شركة نفط العراق ، وأممت سوريا خط أنابيب الشركة ، وأممت ليبيا ٥١ ٪ من أسهم الشركات الامريكية والغربية ، بالاضافة الى تحديد ليبيا بكميات النفط التي تنتجها. وتجد الولايات المتحدة ان من الصعب عليها الخضوع للضغوط العربية ، ربما لان الامر قد يشكل سابقة خطرة ، وترفض التخلي عن سياستها الحالية في الشرق الاوسط . ومن هنا تتضح مخاوف السناتور الامريكي فولبرايت . فمن جهة تتعارض الاماني والحقوق القومية العادلة لدول المنطقة تماما مع السياسة الامريكية مما يحول دون قيام أي تعاون بين الطرفين حتى مع الدول الصديقة للولايات المتحدة ، ومن جهة اخرى تزداد حاجة الولايات المتحدة بتصاعد مستمر للنفط العربي ، لذلك فمن الطبيعي ان يسفر هذا التعارض الذي يزداد اتساعا يوما بعد يوم عن تحول ما .

ولهذا السبب راج الحديث مؤخرا عن احتلال مصادر النفط ، اولا كحملة نفسية لمنع الدول العربية من استخدام نفطها كأداة للضغط للحصول على مطالب سياسية ، وثانيا كأحد الحلول لازمة الطاقة الامريكية ، والذي يعني تنفيذه ببساطة العودة الى الاستعمار القديم . أي العودة الى مرحلة قاتمة من المراحل التي اعتقد العالم انه تجاوزها ، وما زال يسعى جاهدا لتصفية باقي آثارها .

والحقيقة ان القيام بمغامرة عسكرية لاحتلال منابع النفط هو عمل تكتنفه الصعوبات ، الا ان الدوافع لتنفيذه تبقى قوية . وسيستهدف السعودية او الكويت او ابو ظبي او ليبيا ، او بعض هذه الدول او كلها ، على اساس انها تملك الاحتياط الاكبر من النفط ، كما انها دول لا تملك القوة العسكرية الكافية لمقاومة عدوان واسع النطاق . وفي حين يستبعد قيام اسرائيل بدور رئيسي في العملية نظرا لبعدها عن آبار النفط فان ايران تبدو مرشحة لتولي هذا الدور في منطقة الخليج ، ولا بد للولايات المتحدة ان تقوم باحتلال ليبيا بنفسها . وهناك احتمال كبير في ان يفشل الجيش الايراني بذلك لانه يفتقر الى التفوق الساحق على قوى المنطقة، « ١٥٧ الف جندي في العراق والسعودية وابو ظبي والكويت مقابل ١٦٠ الف جندي لدى ايران و٣٠٠ طائرة لدى الدول المذكورة مقابل ١٦٠ لدى ايران (الارقام تقريبية) » ، خاصة بوجود القوات العراقية والدعم السوفياتي للعراق واحتمالات التهديد السوفييتي لحدود ايران ، أضف الى ذلك انه يفتقر الى دوافع هذه الحرب ، التي سيزداد تنبها لها اذا ما واجه مقاومة حقيقية . لذلك فان أقوى الاحتمالات هي في ان تتبع الولايات المتحدة تكتيك قناة السويس عام ١٩٥٦ ، بافتعال ازمة في الخليج والتدخل بعد ذلك « لضمان أمن المنطقة » . ولا شك في قدرة الولايات المتحدة ماديا على احتلال منابع النفط ، ولكن العبرة ليست في القدرة ، بل في تحقيق أهداف هذا الاحتلال ، وهي زيادة انتاج النفط ، وهو امر مشكوك في امكانية تحقيقه دون التعاون مع شعوب المنطقة وحكوماتها.

والحقيقة ان القيام باحتلال آبار النفط هو أخطر عمل يمكن ان تقدم عليه الولايات المتحدة . فهو سيقوض مكانة الولايات المتحدة امام اصدقائها حين تقوم باحتلال بلد انتهج ، وحتى فترة قريبة ، سياسة صديقة تجاهها ، وسيثير ردود فعل قوية في الاوساط الدولية خاصة في الدول التي لها علاقات اقتصادية قوية مع الدول التي استهدفها الاحتلال ، وفي داخل امريكا بالذات . ومن جهة اخرى فسوف يقوى التيار الراديكالي في المنطقة ويعيد اليها اجواء العدوان الثلاثي على مصر ، ولكن بشكل أعنف وأقوى لان العدوان قد يشمل اكثر من دولة ، وستضرر نتيجة له عدة دول من الدول غير المعنية بالعدوان مباشرة .

اما ردة الفعل العسكرية على الاحتلال فسوف تختلف من بلد لآخر تبعا للاستعدادات العسكرية والاستعداد الجماهيري للنضال حتى بعد الاحتلال. لان باستطاعة مجموعات صغيرة من المقاتلين القيام بعمليات تخريب لتدمير أنابيب النفط ومنشآته السريعة الاشتعال ، وبعرقلة نقل النفط بعمليات تخريب تستهدف ناقلاته مثل قصفها بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (من طراز فيجسلانت البريطانية مثلا) او بالمدافع عديمة الارتداد (ب ـ

١٠ ، ١٠٦ مم ، ٧٥ مم) والتي تتوفر بكثرة في منطقة الخليج وليبيا وهي أسلحة بسيطة ومؤثرة في الوقت نفسه*. ولا بأس ان نذكر هنا ، ان تدريب وحدات فدائيين صغيرة تتمتع بروح قتالية عالية ، وقادرة على القيام بعمليات تخريب بمعدات مناسبة تستطيع احباط أهداف العدوان أكثر من الطائرات الحديثة المتطورة او الدبابات التي تستطيع قوى العدوان تدميرها بضربة مركزة واحدة.

اما الاحتمالات الاخرى فهي ان تلجأ الولايات المتحدة الى تكتيك المخابرات الامريكية ، أي الى الانقلابات والحكومات الدمى . ويبدو هذا الاحتمال صعب التنفيذ ايضا . فليس في السعودية او منطقة الخليج قوى معارضة قوية تصارع للوصول الى الحكم . كما ان كون السلطة وراثية ومحصورة ضمن عائلات مترابطة يمنع القيام بذلك ، والحال كذلك في ليبيا باختلاف كون الحكم ليس وراثيا .

وكما يتضح تبدو الازمة مغلقة امام السياسيين الامريكيين ، وليس هناك من حل ، حتى الحلول « السلمية » مثل ايجاد مصادر اخرى للطاقة تبدو صعبة المنال في الوقت الحاضر . وهذا ما يرجح قيام الولايات المتحدة بمغامرة عسكرية اذا ما أصرت على سياستها الحالية المعادية للعرب والموالية لاسرائيل وضربت بكل القيم التي تبلورت في عالم اليوم عرض الحائط ، واطمأنت الى قدرتها في السيطرة على المنطقة ، واذا ما تمسكت الدول العربية المنتجة للنفط بموقفها الحالي .

هـ . ع .

---

* لا بد هنا من الاشارة الى ان قذائف ربج ـ ٧ لا تصلح لمثل هذه المهمات لاسباب فنية .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٩٧٣/٨/١٤ — ١٩٧٣/٩/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٨/١٤	٣٤٣٠	القدس/شارع الزهراء	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مطعم واصداع المبنى واشعال النيران فيه	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٤	٨/١٧
٢	٨/١٤	مساء	طيرة الكرمل(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مقر نادي الشباب الصهيوني والحاق اضرار بالبنايات المجاورة	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٥	٨/١٧
٣	٨/٢٢	—	تل ابيب/شارع بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مطعم للعدو في شارع بتاح تكفا رقم ٧٨ .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٦	٨/٢٢
٤	٨/٢٤	—	القدس/شارع هاشومير(٢)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير احدى البنايات في منطقة شاكونات بيت هاكيرن.	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٧	٨/٢٤
٥	٨/٢٥	—	القدس/حائط المبكى(٣)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مجمع للمواد الاثرية الخاصة في حفريات حائط المبكى قرب بوابة المغاربة واشتعال النيران فيه .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٨	٨/٢٥
٦	٨/٢٧	—	كفرالما/الجولان	كمين	أسلحةرشاشة وقذائف صاروخية	قتلافراد الدورية	قصف مجنزرة وتدميرها	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٦٩	٨/٢٨
٧	٨/٣٠	٣٤٣٠	ابوخيط وابوزينون/ الجولان	قصف	مدفعية الهاون الثقيلة	غيرمحدد	اصابة مواقع للعدو	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٠	٨/٣١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٨	٨/٢٦	—	أسدود	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من مجمع الضغط العالي الذي يزود اسدود بالكهرباء .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧١	٩/ ١
٩	٨/٢٩	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير معظم محتويات أحد مصانع النسيج وامتداد النيران الى مستودعات الخيوط واصابة مبنى المصنع باضرار .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٢	٩/ ٢
١٠	٩/ ٥	٢٤٠٠	جنين/الجولان	قصف	مدفعية الهاون الثقيلة	غيرمحدد	قصف موقع عسكري للعدو	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٣	٩/ ٥
١١	٩/ ٤	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مطبعة وحرق مستودعات الورق فيها .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٤	٩/ ٧
١٢	٩/ ٦	٩٤٣٠	رامات جان	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء من استديوهات المعهد العالي للسينما والفنون واشعال النيران فيها .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٥	٩/ ٧
١٣	٩/ ٦	—	بني براك/شمال شرقي تل ابيب(٤)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير محلات كل شيء في شارع ريبني عكيفا واصابة المبنى باضرار .	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٦	٩/ ٧
١٤	٩/١٠	—	القدس/سوق محنا يهودا(٥)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير قسم من مقر لمخابرات العدو	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٧٧	٩/١٠

١ ــ اعترف العدو بهذه العملية ، راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » عدد ٢٩٧ ، ص ٥٢٣ ، تاريخ ١٩٧٣/٨/١٦ .

٢ ــ اعترف العدو بانفجار العبوة الناسفة في حي « بيت هاكرين » بالقدس راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » ، عدد ٣٠٤ ، ص ٥٩٤ ، بتاريخ ١٩٧٣/٨/٢٤ .

٣ ــ ادعى راديو العدو بان النيران اشتعلت بالقرب من بوابة الاسباط في سور مدينة القدس القديمة فجر يوم ١٩٧٣/٨/٢٥ بكوخ يستخدم لتخزين المخطوطات المستخرجة من حفريات حائط المبكى . راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » ، عدد ٣٠٦ ، ص ٦٠٣ ، بتاريخ ٨/٢٧/ ١٩٧٣ .

٤ ــ اعترف العدو بان الحريق الذي شب قدرت اضراره بحوالى ٣٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية كما اجلي من جراء الحريق عدد من المنازل المجاورة لمكان الحريق ، راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » العدد ٣١٥ ، ص ٦٩٠ ، بتاريخ ١٩٧٣/٩/٦ .

٥ ــ ادعى العدو بانه القيت في القدس الشرقية في شارع هجاي قبل ظهر يوم الخميس ١٩٧٣/٩/٦ قنبلة يدوية « ولكنها لم تنفجر ، وقد فجرها خبير شرطة القدس بعد ذلك ولم يصب أحد بأذى كما لم يحدث أي ضرر . وقال الناطق بلسان شرطة القدس ان القنبلة اليدوية ألقيت في الساعة الحادية عشرة واستقرت بين رجلي شخص كان يجلس في احد المقاهي في الشارع المذكور ، وهرب الناس الذين كانوا بجواره » . نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » العدد ٣١٦ ، ص ٦٩٨ ، بتاريخ ١٩٧٣/٩/٧ .

ملاحظة : ــ تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

ــ تصدر نشرة رصد اذاعة اسرائيل يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد